المرجعية وأثرها في بناء الانسان

اعمال

المؤتمر العلمي الدولي الثامن عشر

الذي أقامه مركز دراسات الكوفة

ودائرة العتبات المقدسة والمزارات الشريفة

برعاية العتبة العلوية المقدسة

لسنة ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

الجزء السادس

المحور الثقافي

اعداد واشراف

أ.د. عدي جواد الحجار

فهرس البحوث

ت	اسم الباحث	اسم البحث	الصفحة
١.	أ.د. حسين لفته حافظ	الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء(قدّس) ناقدا	١
٢.	ا.د.محمد حسين علي السويطي أ.م.د. علي خيري مطرود	الصحافة الغربية ودور السيد السيستاني في التطورات الداخلية العراقية (٢٠٠٣ـ٢٠١٨) صحيفة الاندبيندت (The Independent) البريطانية انموذجا	٣٢
٣.	أ. م . د. طارق حسن الأسدي	دور المرجعية في التصدي للحركات الإلحادية والتيارات المنحرفة	٦٣
٤.	أ.م .د. حسين عبد العالي اللهيبي	ظاهرة الاقتباس في شعر أبي الفضل الطهراني دراسة بلاغية	٩٥
٥.	أ.م.د. نضال حنش شبار الساعدي	فتوى الجهاد الكفائي ودورها في بناء الإنسان (رؤية قرآنية معاصرة)	١٢٥
٦.	أ.م.د. أمل سهيل عبد الحسيني	(العلامة محسن الأمين وآراءه في الشعائر الحسينية، التطبير أنموذجا)	١٤٨
٧.	أ.م.قاسم درزي	الشيخ الطوسي؛ الرائد في اعتبار العقل مرجعا في الآراء التفسيرية	١٩٢
٨.	م.د. وفاء كاظم جبار	دور المرجعية الدينية وتوجيهاتها التربوية في ترسيخ القيم الاخلاقية عبر المنبر الحسيني	٢٠٩
٩.	م.د. جمعة ثجيل الحمداني	دور المرجعية في تجديد الخطاب الديني خطبة الجمعة ليوم ٦ / ٧ / ٢٠١٨ إنموذجا	٢٣٨

١٠.	د. الشيخ عماد الكاظمي	المرجعية الدينية ودورها في الدفاع عن القضية المهدوية ـقراءة تحليلية للأسباب والعلاج في جواب المرجعية حول أدعاء السفارة	٢٦٥
١١.	م.م. وسن صاحب عيدان	دور المرجعية في الحفاظ على القيم الإسلامية ومواجهة الفكر الإلحادي	٣٠٩
١٢.	م.م.رائد اميري تهراني زاده م.م.فاطمة آزادي منش	دور المرجعية في الدفاع عن الدين و مواجهة التيارات المنحرفة (دراسة تحليلية في الدوافع والوسائل والأهداف)	٣٦٢
١٣.	باحث هشام عبد بناي الجابري	دور المرجعية في تعزيز المنبر الحسيني والشعائر الدينية في العراق بعد عام ٢٠٠٣	٣٨٥

الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء(قُدّس) ناقداً

أ.د. حسين لفته حافظ

مركز دراسات الكوفة\ جامعة الكوفة

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد الامين وال بيته الطيبين الطاهرين وبعد ...

فقد خلف الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمه الله تراثا أدبيا واسعا ، ترك بصمته الواضحة في مسيرة الأدب العربي ، وقد تنوع هذا التراث الأدبي ، ليشمل فن الشعر متمثلا بالمراثي الحزينة التي كتبها الإمام بحق أهل البيت عليهم السلام ، فضلا عن فن الخطابة ذلك الفن الرفيع الذي أجاد فيه الإمام كاشف الغطاء أيما إجادة ، فضلا عن اختيارات الشيخ الأدبية ، فقد برع في فن الاختيارات ليترك لنا أثرا أدبيا مهما تمثل بـ (مختار كتاب الأغاني) إذ ركز فيه على الأدب الشيعي متمثلا بأشهر أعلامه من شعراء المذهب الأمامي (دعبل الخزاعي) و(الكميت بن زيد الاسدي) وسواهم ، وكذلك ناقش البحث فن المقالة عند الشيخ الإمام كاشف الغطاء فقد كتب عدة مقالات وقد نشرت اغلب هذه المقالات في مجلات متعددة منها مجلة البيان ومجلة العدل ومجلة الغري ومجلة الاعتدال وغيرها من المجلات والصحف التي كانت تصدر آنذاك ، فضلا عن الجهود النقدية التي تمثلت بملاحظاته النقدية التي انتشرت في طيات كتبه ومنها كتابه (العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية)(١) ، و(المراجعات الريحانية)، فضلا عن ديوان شعره.

اما عن منهج الدراسة فقد اتبعت فيه المنهج التحليلي الفني ، الذي حاول رصد جهود الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الأدبية والنقدية وتحليلها فنيا من خلال ربط

السابق باللاحق لكي يقف القارئ على الإسهامات والإضافات المعرفية التي جاء بها ، اما عن الصعوبات التي واجهت الباحث فقد تمثلت في ان أكثر نتاج الشيخ محمد حسين كان مخطوطا فضلا عن تنوعه وكثرته ، اما عن مصـــــــادر الدراسة فقد تنوعت هذه المصادر لتشمل كتب الحديث والسيرة والأدب والتاريخ والنقد والمعاجم ، والدواوين الشعرية ، والمباحث الآتية تكشف عن طبيعة الدراسة

المبحث الأول : خطب الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء(قدّس):

يرى اغلب الباحثين ان الخطابة أخذت تتطور وتنتعش منذ أواخر القرن الماضي ، ويعد عصر الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء من العصور التي تفنن فيها الخطباء ، وذلك طبيعي في مثل هذه النهضة الجديدة التي كثرت فيها الجمعيات والأحزاب وتطورت فيها الحياة السياسية والاجتماعية ، وفتحت أبواب شتى لمخاطبة الجمهور ونشأت في الأقطار العربية المختلفة ضروب من الخطب لم يعنى فيها القدماء(٢) ، وهي عادة من الأسلوب السهل المرسل على انه يمتاز عن الأسلوب الكتابي السائد في المقالات والمؤلفات بما يكثر فيه من صنع المخاطبة والاستفهام والإيهام والتكرير والتعجب والقسم وتقطيع العبارات تقطيعا يناسب نبرات المتكلم وإشاراته مع الإكثار من الشواهد الموضحة والعبر المؤثرة وهو ما يتلائم وخطب الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء فقد عرف الشيخ ان للخطابة دورا هاما في حركة الكلمة في العقل وفي القلب وفي الواقع من خلال تأثيرها الايجابي على قناعات الناس في مختلف جوانب الفكر والحياة حتى استطاع الشيخ رحمه الله ان يعيد إليها الروح فقد اهتم بالأسلوب الجميل والتعبير بالكلمة الطيبة والقـــــــول الحسن .

لقد امتلك الشيخ محمد حسين قوة الخطابة والشاعرية وهما صنوان في قوة الحس وجيشان العاطفة وسرعة البديهة (٣)، وقد اعتمد الشيخ على تقنيات خاصة في خطبه منها توازن الجمل وطريقة إلقائها ، والإيجاز الذي يعطيك ألفاظا قليلة ومعاني كثيرة .

لقد امتلك الشيخ أسلوبا مشرقا في الخطابة اذ امتلأ بعناصر الأدب الرفيع ونصاعة البيان واللباقة المدهشة فلا عجب في ذلك فهو : " اشعر الشعراء واخطب الخطباء ، رب الفصاحة والبلاغة ... زعيم النهضة العلمية والأدبية في العراق " (٤).

ورأى بعض الدارسين ان كتابات الشيخ تجمع بين الأدب والسياسة والاجتماع ، وهي صفات يندر ان نجدها في رجال الدين فصرنا نسمع على لسانه نغمات الحرية ، والوطنية والشعب والاستقلال ... وموضوعات مقتنصة من مناسبات مختلفة ليتخذ منها عنوانا للتعبير عن رأى او مناقشة ظاهرة من مظاهر المجتمع الكبير (٥)، يقول علي الخاقاني صاحب مجلة البيان : " بان له شخصية فذة يصعب على الزمن ان يأتي بمثلها فقد جمعت كثيرا من النواحي التي عز ان تجتمع في فقيه او في زعيم ديني " (٦).

اذا الشيخ محمد حسين له قدرة خطابية فائقة عزيزة النظير ، واطلاع واسع ودقيق في الآداب واللغة ، فكتب ردودا على فحولها المعاصرين له ، مثل الريحاني ، والأب انستاس الكرملي ، وجرجي زيدان وغيرهم(٧) .

المبحث الثاني :شاعرية الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (قدّس):

برع الشيخ في نظم الشعر ، حتى وصل مرحلة متقدمة وقصائده التي نظمها تشهد على قوة شاعريته، الا انه توقف عن نظم الشعر ليتفرغ للزعامة الدينية بعدما وصل مرحلة الاجتهاد، فقد ذكر في مقدمة ما جمعه من شعره الذي سماه بـ (

الحسن من شعر الحسين) قوله " ولما تكمل نصيبي منه وأستتم – أي الشعر – قطعت علائقي منه، وجرتها لما هو منه أهم وقلت لنفسي :-

هذا أوان الحرب فأشتدي زيم(١) لست براعي إبلٍ ولا غنم

العلم خير مستعاد يغتنم(٢)

وعلى الرغم من قلة شعره المنشور، الا انه اخذ حيزا بين الأدباء واخذوا يذكرونه في محافلهم ومؤلفاتهم ، لأنهم وجدو فيه قوة الشاعرية وطول النفس الشعري ، ومنهم (روفائيل بطي) فقد عده واحدا من رواد الشعر العراقي الحديث ، والدكتور يوسف عز الدين وربما وجدوا ان اغلب أشعاره تندرج بما بات يعرف بالأدب الملتزم او الموجه ، فقد سخر الشيخ اغلب أشعاره لخدمة مذهب أهل البيت ورثاء رمز من رموزه الا وهو الإمام الحسين (عليه السلام)، فضلا عن قضايا الأمة المصيرية كقضية فلسطين وسواها من القضايا التي تهم الشعوب العربية ،فقد عرف عن الشيخ كثرة أسفاره في تلك البلدان ، وقد كان يحمل هم هذه الشعوب المضطهدة ، وقد عبر عن هذا الهم في بعض قصائده ، وهو ما لاحظه الدكتور يوسف عز الدين في قوله معلقا على قصيدته النونية :

"لقد كان أوضح أسلوبا وأسطع قصدا... فقد تجلت في قصيدته روح العالم القائد الذي يشعر بالمسؤولية الملقاة على كاهله. وتجلت روح إسلامية أصلية عميقة تطالب بالكفاح والنضال والمساعدة السريعة للمسلمين. وصور الحادث تصويرا يدفع كل مسلم إلى المشاركة العاجلة فيها. لما فيها من تأنيب واستفزاز ونداء لإغاثة الإسلام الذي صم المسلمون آذآنهم عن سماعه" (٤).

ونبّه الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الى قضية مهمة لها علاقة بالشاعرية تتمثل في علاقة البيئة بالإنتاج الشعري وذلك في مقدمة كتاب (سحر بابل وسجع البلابل) في حديث خاص عن الحلة الفيحاء وبيئتها الغناء جاء فيه :

" اما حضارتها في الشعر ـ فحدث ولا حرج ـ فان لتربتها ومائها وهوائها تأثيرا عجيبا في تلطيف الشعور ، وتنشيط القرائح ، وتوسيع الخيال ، وتمكين الخفة والاريحية .... وأعان على ذلك ما عرفت من حسن هوائها وطيب تربتها ومائها حتى ان الداخل اليها يحس بتغيير دفعي وانتقال فجائي " (٨).

ولاشك في ان مثل هذا الحديث يندرج ضمن دوافع قول الشعر ، وهو موضوع مهم لان له علاقة مباشرة بالإبداع الشعري والعوامل التي تقف وراءه .

ومن الجدير بالذكر ان المتتبع لشاعرية الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء يجد انه برع وأكثر من القول في غرض الرثاء دون غيره من الأغراض الشعرية وخاصة في قصائده التي يرثي فيها سيد الشهداء عليه السلام " فليس في الدنيا واقعة أليمة كواقعة كربلاء، التي هزت العالم وأثرت في النفوس. وأهاجت لوعة الشعراء منذ اكثر من ألف وثلاثمئة وستين سنة حيث كونت قصائدهم ومراثيهم ذلك الأدب النثر والشعر الفياض الذي ملأ مئات الدواوين والمجلدات"(٩).

وتعدى اهتمام الشيخ بالشعر الى تضمينه في اغلب مؤلفاته الأدبية ومنها(العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية)(١٠) .

ويبدوا ان للبيئة التي عاش فيها الشيخ تأثير على إنتاجه الأدبي ، فقد كانت بيئة غنية تساعد على قول الشعر ، نتيجة وجود حركة شعرية في ذلك الوقت ،وقد كانت ثقافة الشيخ واطلاعه الواسع رافدا آخر من روافد الشعر .

المبحث الثالث : فن المقالة الأدبية:

وهو فن آخر من الفنون الأدبية التي برع فيها الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء حتى عده الدارسون من رواده ومنهم الدكتور منير بكر الذي رأى انه : " مُنح قدرة المصلح، وموهبة الأديب، فاستطاع أن يتحرى الحقائق، ويستقصي الأدلة والشواهد وأن يلتزم بالحيدة والإنصاف في كل كلمة خطها. والبعد عن التحيز والهوى في كل رأي جاهر به ودعا له (فضلاً عن) ما يسبغه على تلك الموضوعات والآراء من الوحدة الموضوعية والصياغة الفنية، فاستحق أن يكون بحق فقيها متحررا، وكاتبا مجيدا وصحفيا لامعا " (٢).

وذلك يدل على القدرة الفنية والموهبة والطبع الذي امتاز به الشيخ رحمه الله ،. وتكشف اغلب مقالاته التي نشرت في المجلات النجفيّة التي كانت تصدر آنذاك عن شخصيته التي كانت تقف في صدارة هذا العصر ، ولا عجب في هذا لان هذه الشخصية امتلكت مقومات العالمية في بعدها التفكيري الإنساني واد بيتها التي تجمع بين آليات المنطق ومتطلبات الإجادة الفنية ، تتجاوز الأفق المحلي الى الآفاق العالمية إبداعا وتلقيا ،ويشير جعفر الخليلي الى هذه الشهرة في قوله :

"ولعل أول باب فتح لشهرة الشيخ محمد الحسين الى كاشف الغطاء في خارج النجف كان عن طريق المراسلات التي جرت بينه وبين أمين الريحاني تلك المراسلات التي تتضمن تبادل آراء في ردود أعجبت جميع قراء العربية على اختلاف نحلهم ثم جمعت وطبعت باسم (المراجعات الريحانيّة) "(١١).

ومن الجدير بالذكر ان لبيئة النجف الأثر الكبير في إنتاج الشيخ محمد حسين الأدبي ، فهي مدينة شهدت نهضة علمية وأدبية لم تشهدها المدن العراقية قاطبة ، ولعل ازدهار الأدب فيها نتيجة منطقية لازدهار علوم الدين .

وقد قال الريحاني عن هذه المدينة : " ليست النجف عظيمة بطبيعتها ولا في مقدساتها بل في رجالها " (١٢).

وقد تطلب كتابة المقالة عند الشيخ طاقات فنية متنوعة تتعلق بالدقة في اختيار الألفاظ وحسن تنميقها ، وحلاوة تركيب الجمل وصياغة العبارات في تأليف المعاني ، والموازنة بينها وبين الكلمات التي تعبر عنها الى جانب توخي الإمتاع الفني لنفس القارئ.

اما فيما يتعلق بالبناء الفني للمقالة عند الشيخ فقد التزم بمنهج محدد يتمثل في البدء والعرض والخاتمة ، وقد ضمن هذا الأسلوب الكثير من المسائل الفنية نحو ، التنويع الشعري فقد كان يضمن المقالة أبياتا من الشعر اغلب هذه الأبيات تشتمل على فن الحكمة وما يلائم سياق المقالة ، فضلا عن ظاهرة أخرى هي الاقتباس والتضمين ، فقد حرص الشيخ محمد حسين على الاقتباس من القران الكريم ، كما ضمن مقالته بعض الأمثال والحكم .

اما الميزة الأخرى لمقالاته تتمثل بالإيجاز ، فقد اظهر الكاتب مهارته الفنية وثروته الفكرية من خلال عرضه للمسائل والقضايا التي يريد ان يوضحها للمتلقي ، وقد مال الشيخ الى السهولة والوضوح والابتعاد عن التعقيد في اغلب مقالاته .

لعلّ ابرز سمات فن المقالة عند الامام كاشف الغطاء هو قصرها ، فهي عنده وحدة قائمة بذاتها ، يعالج فيها موضوعا محددا ، ويلعب الخيال دورا مهما في مقالاته الأدبية ، لان هذا الخيال يساعد على ابتداع المعاني ، بحيث ينسجها حول الخاطرة و يجلوها في أروع صورة ، ومن ذلك مقالة الامام التي تحمل عنوان (العدل أساس الملك) استهلها بحديث نبوي شريف هو " عدل ساعة في الحكم خير من عبادة سبعين سنة " (١٣).

لقد جعل الامام كاشف الغطاء من عباراته والأفكار التي عرض لها في المقالة موجهة لإبراز الفكرة الأساسية وإيضاحها ، لذلك تجنب الحشو والإطالة وابتعد عن العبارات التي لا تؤدي وظيفة جوهرية في إظهار القصد الذي يتوخاه من مقالته .

ومن الجدير بالذكر ان عنوان المقالة له خطره (١٤) ، ومن المستحسن ان يكون مما يثير الانتباه وقد برع الامام في وضع عناوين مقالاته واذكر منها (بين الهدى والضلال أو التوحيد والإلحاد) ، و (الشباب) ، و(التضحية في ضاحية الطف) ، و(علي فوق العبقريات) ، و(الى فلسطين) و (المولد النبوي صلى اللّه عليه واله وسلم)، و(الفردوس الأعلى) و (موقف الحسين يوم الطف) (١٥).

أي ان الامام الراحل كان يهتم كثيرا بانتقاء عنوان المقالة التي يكتبها ، ومن هنا جاءت عناوين مقالاته منسجمة تمام الانسجام مع المضمون .

ومن الباحثين من يرى ان الدوافع وراء كتابة المقالة هو محاولة الكاتب تغيير الوضع نحو الأحسن ، لذلك تكون نقمة الكاتب على الأوضاع الفاسدة سببا أساسيا وراء صياغة المقالة(١٦) .

وقد لاحظ أكثر الدارسين لجهود الشيخ كاشف الغطاء إبداعه في هذا المجال فقد جاء في (سلسلة رواد التقريب) ان الامام كاشف الغطاء برع في مجال النثر حيث كان رحمه اللّه ذا بيان ساحر جذاب وأسلوب مشرق وهّاج ، يرسل الكلام في تعبير قوى ولسان ذلق وفصاحة نادرة ، حتى لتنقضي الساعات الطويلة على السامع وهو لا يحسبها سوى دقائق قصيرة وطالما كان يرقى المنابر في شتى المناسبات ، فيملك القلوب بسحر بيانه ، ويستولى على العقول بحلاوة منطقه وكان يصدح بخطاباته الرشيقة في أماكن شتى (١٧) .

اما السمة الأخرى التي اشتملت عليها مقالات الشيخ (رحمه الله) فتتمثل بفن التضمين ، وهي سمة فنية امتازت بها اغلب مقالاته وقد تنوع التضمين عنده فنجده تارة يستعين بالنص القرآني نحو قوله في مقالة كتبها مخاطبا الشباب جاء فيها :

(انهضوا نهضة شريفة تعيدون بها مجد أسلافكم ، تعاشروا بعضكم مع بعض بروح الحنان والرحمة ، والاخاء والمودة ... كونوا كاوائلكم " أشداء على الكفار رحماء بينهم ")(١٨).

فهو هنا يشير الى قوله تعالى :

" مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) " .

اما فيما يتعلق بتضمين الحديث النبوى الشريف فقد أجاد الامام أيما إجادة في توظيف الحديث فقد جاء في مقالة عنوانها (علي فوق العبقريات) قوله :

(وقد قال رسول اللّه (صلى اله عليه واله وسلم) فيه : " يا علي ما عرف اللّه الا أنا وأنت وما عرفنا الا اللّه ") (١٩) .

اما الشعر فقد كان له حضوره في مقالات الشيخ اذ استفاد من الأبيات التي تحمل مضمونا إنسانيا عاليا ، ويغلب عليها طابع الحكمة نحو قوله في مقاله عنوانها (موقف الحسين يوم الطف) جاء فيها :

(وعلى كل فالمسلمون جميعا بل والإسلام من ساعة قيامه الى قيام الساعة رهين شكر للحسين (عليه السلام) وأصحابه على ذلك الموقف الذي اقل ما يقال فيه :

لقد وقفوا في ذلك اليوم موقفا الى الحشر لا يزداد الا معاليا)[٢٠].

وهناك سمة أخرى حوتها مقالات الامام الراحل وهي تطرقها الى بعض القضايا النقدية فهو يرى ان النقد يحتاج الى دربة وثقافة عالية كي يستطيع من خلالها ان يمحص الأشياء و يخضعها لميزان النقد ، و نجد هذا عنده في حديثه الخاص عن الريحاني وقد نشره تباعا في جريدة النجف التي كانت تصدر عام ١٩٢٦م تحت عنوان (الريحاني في ميزان النقد) او(نظرة في كتابه ملوك العرب) [٢١] ، جاء فيه : (ان كاتبا كالريحاني يؤلف سفرا ككتاب "ملوك العرب" يدخل فيه من باب الى باب وينتقل فيه من موضوع الى موضوع ... واهل العلم له بالمرصاد يضعونه تحت مطرقة النقد وفي بوتقة التمحيص وعلى معيار الاختبار)[٢٢].

فضلا عن هذا ناقش الامام كاشف الغطاء قضية التحريف وعدم الدقة في النقل في مقالته المنشورة في جريدة النجف في قوله :

(ان الوهن في كتاب ملوك العرب تجاوز الى التشويه والمسخ والقلب والإبدال والتغيير والتحريف في كثير مما يستشهد من آية محكمة ، او مثل سائر او بيت شعر شايع فتراه يذكر الآية محرفة مصحفة ، قد امتلخ بالتصحيف فصاحتها، ومسخ بالتحريف صورتها وهبط بها من سماء سنائها الى حضيض ظلمائها، وهكذا قد يروي الشعر الفصيح الذي هو غاية في البلاغة والانسجام ممسوخا منسوخا قد اضطرب حتى وزنه وزهقت منه حتى روحه وتفسخ حتى معناه ولفظه وقد ينسب الشعر الشايع المشهور الى غير قائله ويعزوه الى غير أبيه) [٢٣].

يتضح لنا حرص الامام على الأمانة في النقل وخاصة مع النصوص القرآنية والحديث النبوي الشريف ،وتظهر لنا قدرة الامام اللغوية والأدبية في نقد النصوص ، فهو يرسم لنا طريقة الحوار في النقد البناء الذي يهدف الى إصلاح النصوص وتقويمها ، وهذا النوع من النقد يصح ان نطلق عليه بالنقد البناء الهادف .

المبحث الرابع : جهود الشيخ محمد حسين (قدّس)النقديّة :

تنوعت جهود الشيخ محمد حسين النقدية فقد عالج في مؤلفاته مختلف أنواع القضايا النقدية ، وقد انتشرت هذه القضايا في ثنايا مؤلفاته الأدبية ، ومنها كتاب مختار الأغاني الذي تعرض فيه الى بعض الشعراء الذين ورد ذكرهم في موسوعة كتاب الأغاني كما وانه اختار من شعر الشعراء ما يعطي القارئ صورة عن منزلته الشعرية ونواحي امتيازه فيه ، لقد مارس الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء دور الناقد الواعي بدا بقضية حذف السند واختصار النسب وذكر الأخبار المهمة وحذف كل ما هو ماجن طلبا للإيجاز ، فضلا عن غربلة وتنقيح الأشعار والأخبار الواردة في الكتاب فكان لا يدون الا القصيدة المستحسنة النظم ومعياره في ذلك جودة حسه وذوقه الرفيع المدرب كونه احد الشعراء الذين عرفوا مسالك الشعر ، ومن ثم قام بعملية نقدية أخرى تتعلق بالمنهج الإسلامي الملتزم الذي كان يتبعه في اغلب مؤلفاته فنجده يختار للشاعر الجيد من شعره والذي يحمل عادة مضمونا إسلاميا هادفا لا يتعارض وتعاليم الدين الإسلامي ، حتى انه كان ينتقد على صاحب الأغاني إيراده للنوادر التافهة او الماجنة ، فهو يأخذ على الأصفهاني إيراده لنماذج من شعر ابو الأسود الدؤلي لم تكن بالقوة القافية في قوله :" ثم ان ابا الفرج ذكر جملة وافية من شعره ولكنه ليس بتلك القوة والمتانة و نحن نذكر ما

ننتخبه من أشعاره ، وجميع ما أورده من شعره انما كان في وقايع خاصة ولكنه لا يخلو أكثره عن حكم وآداب من ذلك قوله :

وأهوج ملحاح تصاممت قبله الى سمعه وما بسمعي من باس "(٢٤)

بعدها يعلق الشيخ محمد حسين على هذه القصيدة بقوله :

" وهذه الأبيات أكثرها في غاية التعقيد ، وكذا أكثر شعره ، وليته حين اخذ النحو عن أمير المؤمنين (عليه السلام) اخذ منه علم المعاني والبيان حتى يفصح في بيان ما يريد " (٢٥).

اذا الشيخ كان مع الشعر الواضح البين الذي لا يحتاج معه القارئ الى كد الذهن وإتعاب الخاطر ، وان يتجنب التعقيد الذي تسببه استعمالات الشاعر لألفاظ مهجورة او تراكيب غامضة معقدة والمسالة لها علاقة بطريقة تركيب الشاعر للجمل ، ومدى التزامه بالقواعد النحوية ، وإشارة الناقد هنا الى ان يتسلح الشاعر بالبلاغة العربية المتمثلة بعلم المعاني والبيان ، وان يتخذ الشاعر من طريقة وأسلوب الامام علي عليه السلام منهجا يحتذيه فيما ينظم من قصائد .

ويتضح من هذا ان الشيخ عمل على إعادة إنتاج وإخراج كتاب الأغاني بروح نقدية ، فقد كثرت الملاحظات النقدية والمؤاخذات من قبل الشيخ رحمه الله على صاحب الأغاني .

ولا يخلو كتاب الشيخ الإمام محمد حسين النفيس المسمى بـ (المراجعات الريحانية) من وجود آراء نقدية ، فقد كان النقد الأدبي عنده لون من ألوان الحوار ، كما وللحوار والمناظرة أدب خاص ، فضلا عن النقد اللغوي الذي احتل حيزا لا بأس به ، وقد تطرق من خلاله الى مسائل لغوية منها قضية الاشتراك اللفظي والترادف وتأثيره على تفسير وفهم النص، فقد رد الشيخ على الأب انستاس عندما اتهمه بان

افة كلامه الإكثار والتفريط فقد رد عليه بان هذا الاستعمال اللغوي ليس من التكرير او الزيادة، انما هو محاكاة للكلام البليغ وقد استشهد على ذلك بنصوص من القران الكريم والشعر العربي الفصيح .

ومن القضايا النقدية المهمة التي تطرق إليها الشيخ محمد حسين قضية اللفظ والمعنى ، محاولا البحث عن سر الجمال في النصوص ، هل يرجع الى اللفظ ام المعنى أم الى تآزر اللفظ مع المعنى وجودة صياغتهما وهو الرأي الذي يميل اليه الشيخ ، ويعتمد الى إثبات جودة النص من خلال تحليل أجزاء النص ومكوناتها البنائية لكي يصل الى إثبات جودته ، وخاصة في معرض رده على بعض الرسائل التي تتهم بعض الخطب بعدم الاعتدال او الإيجاز المخل او ركاكة التركيب ، قائلا :

" اما الألفاظ فقد نظرنا كل واحد مما اشتملت عليه الخطبتان ... نظرناها بالعين المجردة فلم نجد فيهما ولا لفظة واحدة خارجة عن حد الاعتدال ، لا مرذولة سافلة ،ولا وحشية نافرة ،هذا من حيث مفردات الألفاظ ، واما من حيث الصياغة والتركيب فليس في شيء منهما إيجاز مخل او إطناب ممل ، او تقديم وتأخير موهم "(٢٦).

ومن الجدير بالذكر ان الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء تأثر بالتراث العربي القديم في مجال النقد ، وربما يعود السبب في ذلك الى ثقافته وتأثره بالموروث العربي من أدب ونقد ، فقد كان يحفظ الكثير من النصوص القديمة ، ويتضح هذا من كثرة استشهاداته بهذه النصوص والتي يعود بعضها الى أمراء البيان في العصر الجاهلي ،أمثال اكثم وقس بن ساعدة الأيادي.

إذا كثرت جهود الشيخ النقدية وتنوعت وتعددت مصادره في النقد ، وعلى الرغم من هذا التنوع والتعدد ،الا ان هناك خيطا يجمعها هو أسلوب الشيخ في النقد ، ومن ابرز ملامح هذا الأسلوب هو المنهج الذوقي ، فقد امتلك حاسة من الذوق المدرب الذي

استطاع من خلاله ان يميز بين الجيد والرديء في الأعمال التي تناولها بالدراسة والتحليل ومنها نقوده الأدبية التي اشتمل عليها كتابه (مختار من شعراء الأغاني) ولا عجب في ذلك (فالإمام كاشف الغطاء أديب بأدق معاني كلمة الأدب ، فقد كتب في جملة من الأنواع الأدبية ، وبرع في أكثر من فن ، وما خطبه وكتبه ، ومقالاته وكلماته ، الا دليل ذلك)[٢٧].

لقد اختار الشيخ من شعره المختار ما يعطي القارئ فيه صورة عن منزلته الشعرية ونواحي امتيازه فيه ، وهذه ناحية مهمة في تقريب الإفهام من تلك العصور المشرقة ... فانه ليس من المتيسر على كل قارئ تناول تلك الموسوعات [٢٨] .

اما عن المنهج المتبع في هذا الكتاب فقد وضع خطوطه الشيخ عبد الحليم كاشف الغطاء في قوله : (وقد انتهج سماحته في الاختصار الأمور التالية : حذف السند ، واختصار النسب ، وذكر الأخبار المهمة ، وحذف النوادر التافهة والماجنة ، وانتخاب الجيد من نظم الشاعر ، وذكر أبياتا قليلة من القصائد المشهورة)[٢٩].

لقد كان الشيخ يأخذ على أبي الفرج الاصفهاني اختياره لأشعار يرى أنها ليست من القوة والمنزلة الشعرية ومن ذلك حديثه عن ابي الأسود الدؤلي في قوله :

(ثم ان أبا الفرج ذكر جملة وافية من شعره ولكنه ليس بتلك القوة والمتانة و نحن نذكر ما ننتخبه من أشعاره ، وجميع ما أورده من شعره إنما كان في وقايع خاصة ولكنه لا يخلو أكثره عن حكم وآداب) [٣٠].

ومن ملامح النقد عند الشيخ ميله الى الأسلوب الواضح ، فقد كان الشيخ يرفض الشعر المعقد والغامض ، وذلك لأنه يؤمن بقضية ان الشعر رسالة ، ومطلوب منه ان يوصل هذه الرسالة الى كافة الطبقات فهو مع الشعر الهادف والموجه ، لهذا نجده يستنكر على بعض الشعراء استعمال الأسلوب المعقد ، الذي يبعد الفكرة

ويكد الذهن و يحتاج من المتلقي ان يفسر النص حتى يصل الى مراده ، وقد ورد هذا في تعليقه على أبيات من الشعر اختارها صاحب الأغاني ومنها :

وأهوَجِ مِلجاجٍ تصامَمتُ قيلَهُ أن اِسمَعَهُ وَما بسَمعيَ مِن باسِ

ولو شِئتُ ما أعرَضتُ حتى أصَبتهُ عَلى أنفِهِ خَدباءَ تعضِلُ بالآسي

فإنَّ اللسانَ ليسَ أهوَنَ وَقعِهِ بأصغَرَ آثارا مِنَ النحتِ بالفاسِ

وَذي إحنَةٍ لم يُبدِها غَيرَ أنَّهُ كَذي الخَبلِ تأبى نفسُهُ غَيرَ وَسواسِ

(٣١)

فقد علق الشيخ كاشف الغطاء عليها بقوله :

(وهذه الأبيات أكثرها في غاية التعقيد ، وكذا أكثر شعره ، وليته حين اخذ النحو عن أمير المؤمنين (عليه السلام) اخذ منه علم المعاني والبيان حتى يفصح في بيان ما يريد)(٣٢) .

اذا الشيخ لاحظ ان هذا الشعر يندرج ضمن شعر العلماء الذي يفتقر أحيانا الى الصورة الفنية المؤثرة ، لهذا يؤكد على مسالة مهمة وهي ان الشاعر عليه ان يتقن فن البلاغة العربية لأنه من خلالها يستطيع ان ينتقي الصور الفنية المؤثرة التي تستند الى فنون البلاغة البيانية من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية .

ومن الجدير بالذكر ان الامام كاشف الغطاء تنبه الى مسالة دقيقة تتعلق بصحة نسبة الأبيات الشعرية الى قائليها ، وهي قضية مهمة من قضيا النقد الأدبي ، فعلى الناقد ان يتأكد من قائل الأبيات الشعرية قبل القيام بعملية النقد والدراسة لأي نص من النصوص وهي تعد الخطوة الأولى وقد ورد هذا في حديثه عن الشاعر (ديك الجن) (٣٣)الذي ترجم له صاحب الأغاني واختار له من الأبيات قوله :

يا طلعَةً طلعَ الحِمَامُ عَليها وجَنى لها ثمَرَ الرَّدى بيَدَيها

رَوَيْتُ مِنْ دَمِهَا الثَرى ولطالما رَوَّى الهَوَى شَفَتَيَّ مِنْ شَفَتَيْها

قَدْ باتَ سَيْفي في مَجَالِ وِشَاحها ومَدامعي تَجْرِي على خَدَّيْها

فوَحَقِّ نَعْلَيْها وما وَطِئَ الحَصَى شَيءٌ أعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَعْلَيْها

ما كانَ قَتْليها لأنِّي لَمْ أكُنْ أبكي إذا سَقَطَ الذُبابُ عليْها

لكِنْ ضَنَنْتُ على العيونِ بحُسْنِها وأنِفْتُ مِنْ نَظَرِ الحَسُود إليها(٣٤)

فقد علق عليها الامام كاشف الغطاء بقوله :

(وذكر ابو الفرج هنا ان هذا الأبيات تروى لغير ديك الجن وذكر قصة لها ... أقول ولكن الأبيات المتقدمة الى شعر ديك الجن اقرب ، وهي بأسلوبه الصق وانسب كما تشهد بذلك بقية مراثيه مثل قوله :

أشْفَقْتُ أنْ يَرِدَ الزُمانُ بغَدْرِهِ أوْ أبْتلى بَعْدَ الوِصَالِ بهَجْرِهِ

قمَرٌ أنا اسْتخرجْتهُ مِنْ دَجْنِهِ لِبَلِيْتي وجَلوْتهُ مِنْ خِدْرِهِ

فقتلتهُ ولهُ عَلَيَّ كَرامَةٌ مِلْءَ الحَشا ولهُ الفُؤادُ بأسْرِهِ

عَهْدِي بهِ مَيْتا كأحْسَنِ نائمٍ والحُزْنُ يَسْفَحُ عَبْرَتي في نَحْرِهِ

لوْ كانَ يَدري الميْتُ ماذا بَعْدَهُ بالحيِّ حَلَّ بَكَى لهُ في قبْرِهِ

غُصَصٌ تكادُ تغيظُ منها نَفْسَهُ وتكادُ تخْرِجُ قلْبَهُ مِنْ صَدْرِهِ (٣٥)

نلاحظ ان الامام محمد حسين رحمه الله يلجا الى خبرته ومعرفته الفنية بأسلوب الشاعر ديك الجن ليحكم على نسبة الأبيات اليه وليس الى غيره كما رأى الاصفهاني ، أي ان لكل شاعر أسلوب خاص به ، وقد كان المعيار هنا هو الاحتكام الى طريقة الشاعر في الرثاء واستعماله للمفردة الشعرية ، كل هذه القرائن مكنت من الحكم على الأبيات الشعرية التي مر ذكرها .

اما عن النقد الذوقي فقد كثر عنده ومن أمثلة ذلك حديثه عن الأبيات الجيدة ، عند الشاعر ديك الجن في قوله :

(ومن جيد شعره قوله من قصيدة طويلة يرثى بها جعفر بن على الهاشمي :

على هذهِ كانتْ تدورُ النوائبُ ... وفي كُلِّ جَمْعٍ للذَّهابِ مَذاهِبُ

نزلنا على حُكْمِ الزمانِ وأمرِهِ ... وهل يَقْبَلُ النَّصْفَ الألدُّ المشاغِبُ

وتضحكُ سِنُّ المرءِ والقلبُ مُوجَعٌ ... ويرضى الفتى عن دهرِهِ وهوَ عاتِبُ

ألا أيُّها الرُكْبانُ والرَّدُ اجبٌ ... قِفُوا حَدِّثونا ما تقولُ النَّوادِبُ

إلى أيِّ فِتيانِ النَّدى قصَدَ الرَّدى ... وأيُّهُمُ نابَتْ حِماهُ النَّوائبُ

فيَا لأبي العَبَّاسِ كَمْ رُدَّ راغبٌ ... لِفَقْدِكَ مَلهوفا وكَمْ جُبَّ غَارِبُ(٣٦)

على الرغم من عدم ذكر السبب الذي يقف وراء اختيار الشيخ لهذه القصيدة الا ان كل صاحب ذوق يدرك جيدا القيمة الفنية التي تشتمل عليها بدا من التصوير الفني الى العبارات الشعرية التي تتناسب والغرض الشعري في انسجام تام ، فضلا عن المعاني الشريفة التي ضمنها الشاعر قصيدته .

ويبدو ان الشيخ محمد حسين كان يميل الى الشعر الرقيق دون غيره من الأغراض الشعرية ويكشف عن هذا تعلياقته النقدية التي تناثرت في مختاراته من كتاب الأغاني جاء هذا في حديثه عن الشاعر قيس بن ذريح :

(وله أشعار كثيرة اغلبها يشتمل من الرقة على ما يقطع قلب الصخر ، و يحق لو بكت الخنساء به على قاتلها وعلى صخر ، فمن مشجياته قوله :

إذا خَدرَت رِجلي تذكَّرتُ مَن لها ... فنادَيتُ لبنى باسمِها وَدَعَوتُ

دَعَوتُ التي لو أنَّ نفسي تطيعُني ... لفارقتُها مِن حُبِّها وقضَيتُ

بَـرَت نبلهـا لِلصـيدِ لبنـى وريَّشَـت ... وريَّشـت أخـرى مِثلهـا وبَرَيـت

فلمَـا رمَـتني أقصَـدَتني بسَـهمها ... وأخطأتهـا بالسَـهم حـين رَميـت

وفارقـت لبنـى ضَـلّة فكَـأنني ... قرِنـت إلى العُيـوقِ ثـمَّ هَوَيـت

فيـا ليـت أنـي مِـتُ قبـلَ فِراقِهـا ... وهَـل تـرجعَن فـوت القَضِـيَّة ليـت (٣٧)

وحديث الامام هنا يتعلق بقضية الصدق الفني في الشعر ، فهو قد لاحظ ان الأبيات قد امتازت بانها اشد إرهافا وتأثيرا في المتلقي نتيجة قوة الانفعال وعمقه ، وان الشاعر امتلك القدرة على نقل عاطفته في نوع من الأداء يثير الإحساس والمشاعر الوجدانية ومن ثم حقق الخاصية الفنية في الأداء، وهي سمة يشترك فيها الشعراء المبدعون أمثال قيس بن ذريح ومن الباحثين من يرى ان " السبب هو ان الفن لا يقتصر على علاج مشاكل وقتية ، او قضاء مصالح جزئية في هذا الجانب او ذاك من حياتنا ،بل هو يتناول هذه الحياة نفسها ، فينفذ الى صميمها ويضرب أعمق جذورها ، وهو يزيدنا فهما للحياة الإنسانية نفسها اذ يتعمق عواطفنا فيها ورد فعلنا على تجاربنا فوق ظهر هذه الأرض " (٣٨).

المبحث الخامس :ملامح الالتزام في أدب الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء :

مرت كلمة الأدب بمراحل متعددة وذهب بعض الباحثين الى ان هذه الكلمة من الكلمات التي تطور معناها بتطور حياة الأمة العربية وانتقالها من دور البداوة إلى ادوار الحضارة ، وقد اختلفت عليها معان متقاربة حتى أخذت معناها الذي يتبادر إلى أذهاننا اليوم وهو الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين سواء أكان شعرا أم نثرا (٣٩) .

وهذا الوصف ينطبق على ما تركه الشيخ (رحمه الله)من أدب امتاز فنه بمتعة جاذبة وتأثير كبير نتيجة سحر البيان الذي اشتمل عليه ، الا ان هذا الأدب اشتمل

على فوائد عظيمة ، لأنه كان يؤدي وظائف منها تهذيب النفوس وتعليم المتلقي ، خاصة وان الشيخ يعرف تأثيره في حياة الناس ، وذلك من خلال تذوقهم الفطري لسحر الأدب وجمال المعاني .

لقد كان الشيخ محمد حسين يسعى إلى ان ينبه الأمة الى ضرورة استكمال فكر النهضة الإسلامية في الجانب الأدبي والثقافي ، واثبات شمولية الإسلام وانه صالح لكل عصر وزمان .

فالأدب بطبيعته نشاط إنساني متميز يرتبط بشكل من الأشكال بطبيعة تكوين الأديب: النفسي والفكري والتأريخي. ويهتم بالعلاقات المختلفة بين الأديب وموروثه الثقافي من جهة والخطوط الرئيسة التي تحكم عصره وتشكل ظواهره العامة من جهة أخرى(١) .

وقد لاحظ اغلب الباحثين ان الدين كان رافدا من روافد الشعر في ذلك الوقت ، وان الالتزام في معناه الأدبي هو اعتبار الكاتب فنه وسيلة لخدمة فكرة معينة عن الإنسان لا لمجرد تسلية غرضها الوحيد المتعة بالجمال(٤٠) .

والملتزم هو الذي يتخذ موقفا في النزعات السياسية والاجتماعية معبرا عن أيدلوجية طبقة ما او نزعة كان تكون دينية تخدم الدين او المذهب الذي يعتنقه الأديب الملتزم (٤١).

لقد كان الشيخ رحمه اللّه من الأدباء الملتزمين بالعقيدة والأخلاق وهو يرى ان الأديب المسلم عليه ان يلتزم بالمبادئ الإسلامية وعليه ان يضع في اعتباره ضرورة ان يكون أديبا مسلما حقيقيا من جانب ، وانه يعيش في مجتمع مسلم لابد من مراعاة قيمه الأساسية من جانب اخر ، ولهذا ترجم هذه الفكرة في اغلب مؤلفاته التي وصلت الينا ومنها كتابه (العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية) فقد

كان يحرص على اختيار الأبيات التي تحمل مضمونا إسلاميا فيه دعوة الى الإصلاح ومحبة اللّه عز وجلّ ومن ذلك ما اختاره للشيخ خضر بن يحيى فقد كان فقيها متبتلا وزاهدا فقد قال عنه انه (كان يتضلع بعبادة ربه، ويشتاق السكون الى رحمته وقربه ، ويبرى قلبه من الذنوب ويمحو عن صحيفة نفسه درن العيوب مشتاقا الى رحمة مولاه طالبا الفوز برضاه قائلا :

طوبى لمن طيب اوقاته اذ نأى عنكم بمعناكم
وان نأت عن داركم داره داوى الحشى منكم بذكراكم

وقوله :

أكملت في ذا العام ستين سنة مرّت وكأنها الا سنة
لم تدخر فيها سوى توحيده وغير حسن الظن فيه حسنه
ماحال من لم يتعظ بزاجر وفي مراعى اللهو ارخى رسنه
وانما الناس نيام من يمت منهم ازال الموت عنه وسنه[٤٢]

وتركيز الشيخ رحمه اللّه على انتقاء الأشعار التي تتلاءم ومنهجه في التوجيه والإرشاد لأنه يرى ان الدين الإسلامي عقيدة راسخة هدفها سعادة الناس في الدارين ، وحل مشاكلهم وتوجيههم لكل خير ، واذا كان شان الأديب الملتزم (ان يكشف كل هذه الخيرات وينقلها الى الآخرين)[٤٣]، فانه ينطلق من عقيدته ، وحتما كانت عقيدة إسلامية لذلك راح يحارب الواقع غير المرضي محاولا حث النفوس على طلب المعالى والدفاع عن مذهب أهل البيت(عليهم السلام) لهذا نراه يختار نماذج من الشعر الرفيع تعود للشاعر سيد حيدر الحلي في قوله :

(منها ما كتبه إمام الشعراء في زمانه ، وزين الشرفاء من أقرانه ، الشاعر المشهور ذو الفضل الأشهر ، سيدنا السيد حيدر الحلي المعروف ، من أبيات كثيرة المحاسن وكأنه لم يعثر عليها جامع ديوانه فيرسمها في معجزات فرقانه ، او لسر آخر وهي :

وقائلة اين تبغي بها رويدا أخا المطلب النازح
أرح فلقد غاض ماء السماح فلا ري غاد ولا رائح
فقلت سأطرح ثقل الرجاء لدى صفوة الشرف الواضح
ثوت من مهديها المكرمات وقامت مع الخلف الصالح(٤٤)

اذا الشيخ محمد حسين يرى ان هذا النوع من الأدب يتيح قدرا كبيرا من الحرية والمرونة للأديب كي يعبر عن خلجاته وأشواقه في إطار التزامه بالفكرة الإسلامية .

لقد سعى الشيخ محمد حسين الى بلورة فكرة الالتزام في بقية أعماله الأدبية والثقافية وأراد تطبقها وخاصة في المقالات الموجهة التي كتبها حتى قال عنه الأستاذ عبد الحسن الغراوي :(لقد تقدم العلامة كاشف الغطاء خدمات طائلة وأيادي جلى يشكرها له العلم والأدب و نحن اذا ما استعرضنا خدمات الشيخ في كل فن وباب فلا نكاد نحصيها بالإحاطة الشاملة بل ولا نعطيها حقها من البحث والكتابة حيث تجاوزت حد الإحصاء ونأت عن العد والحساب) (٤٥).

والمعروف ان المقالة نوع من الأنواع الأدبية التي يعبر بها الأديب عن حالة من حالات مشاعره وعواطفه نثرا وبصفحات قليلة ، وانه في هذه الصفحات اشبه بالشاعر الوجداني وان مقالته اقرب الى القصيدة ، فأنت تحس تأثره وتألمه وانه ينقل إليك هذا التأثر وهذا التألم وما يصاحبهما من أفكار ونظرات وتأملات .

لقد كان الشيخ يحمل هم العراق بين جنباته ، فقد كان يطمح ان يصل أبناء العراق الى مستوى من الرقى الاجتماعي لهذا نجده وفي مقالة اخرى عنوانها (نهضة العراق الاجتماعية) يتحدث عن نهضة العراق الاجتماعية قائلا : (هو موضوع جدير بالبحث والعناية فان التقدم العمراني والاقتصادي لا يثمر الثمر الجني النافع ولا يعطي الغاية المتوخاة إذا لم يصحبه الإصلاح الاجتماعي، فيسير الرقى المادي للبلاد مع الرقي المعنوي والنفسي لأبنائها جنبا الى جنب ، وقد تطرقت لهذه المواضيع مفصلا غير مرة في أكثر خطبي ومؤلفاتي ولازالت هي دعواي واليها دعوتي)[٤٦].

ومن الجدير بالذكر ان دعوة الامام كاشف الغطاء لم تقتصر على العراق انما تعدته لتصبح دعوات اقليمية للدول العربية ومن هنا جاءت كلماته في المقالة التي يتحدث فيها عن وضع العراق الراهن ووحدة الدول العربية فهو يرى ان الوحدة سبب النهضة والانتعاش فالقصد على حد قول الشيخ هو :(تبليغ دعوتنا الصارخة الى إخواننا العرب بل وعامة المسلمين لا في العراق فحسب بل في عامة أقطار الأرض ان هذا هو يوم الوحدة المنشودة والضالة المفقودة) [٤٧].

ومن ملامح الالتزام في أدب المقالة عند الشيخ انه كان يوظف أبياتا من الشعر اغلب هذه الأبيات تدخل ضمن الأبيات الملتزمة ومنها حديثه عن فلسطين وما أصابها من نكبة في قوله :(وكنت لا أزال أتمثل في خطبتي وفتاواى في فاجعة فلسطين الدامية من مقاطيعي القديمة وهو :

الا هزة في الكون يعصف ريحها فسنترك ارض الظالمين بوارا [٤٨]

لقد كانت مقالات الشيخ طافحة بمعاني الوفاء والنبل ومنها مقالته التي يتحدث فيها عن الامام علي عليه السلام وقد حملت عنوان (علي فوق العبقريات)، فقد اشتملت هذه المقالة على معاني شريفة ومنها قوله :

(اما الكتابة عن شخصية كعلي بن ابي طالب (عليه السلام) الذي لا تعد مناقبه ، ولا تحصى فضائله بل لو أراد الكاتب مهما كان ان يكتب في كل واحدة من زواياه وخصائصه مؤلفا ضخما لما استطاع ان يوفيها حقها ويستوفي جميع خصوصياتها ، انظر مثلا الى ذلك شجاعته ، ومواقفه في سبيل الدعوة الى الإسلام ، وتضحياته العظمى وهو ابن عشرين او دونها)[٤٩].

الخاتمة :

وفي ختام هذا البحث أودُ ان أسجل بعض النتائج التي توصل إليها البحث واذكر منها:

١- اظهر البحث ان الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء تنبه الى ان للخطابة دورا هاما في حركة الكلمة في العقل والقلب وفي الواقع من خلال تأثيرها الايجابي على قناعات الناس في مختلف جوانب الحياة ، لهذا راح الامام يوظف هذا الفن خدمة للقضايا المصيرية التي تهم المجتمع كونه من المصلحين الكبار الذين قلّ نوعهم .

٢- بين البحث قدرة الشيخ الفنية على توظيف السمات الفنية في أدبه ومنها طريقته في البدء والعرض والختام ، فضلا عن التنويع بين الشعر والنثر ، وإجادته في كل منهما ، من خلال الاستفادة من تقنية الاقتباس والتضمين بين ثنايا ما يكتب وهذا يدل على كثرة خزينه الثقافي مما يمكنه من الاستفادة منه في المواضع الملائمة .

٣- كشف البحث عن سمة فنية لازمت اغلب نتاج الشيخ الأدبي والنقدي تتمثل في ميله الى فن الإيجاز في اغلب كتاباته الفنية ، ومرد ذلك يعود الى مهارة الشيخ الفنية وثروته الفكرية والثقافية .

٤. اثبت الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (قدس) ومن خلال مؤلفاته الأدبية والنقدية ، امتلاكه زمام الخطابة والشعر ، فعنده الخطيب والشاعر صنوان لا يفترقان في قوة الحس وجيشان العاطفة وسرعة البديهة وقوة التصوير ، ومن ثم هو يشرك السامعين معه في عاطفته ، بلسانه وقلمه .

٥. شخص البحث ظاهرة الالتزام في أدب الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، فقد كان أدبه ينطلق من رؤية أخلاقية تبرز مصداقيته في الالتزام بتوظيف الأدب لخدمة العقيدة والشريعة والقيم وتعاليم الإسلام ومقاصده .

وأخيرا آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

ملخص البحث:

فقد خلف الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمه الله تراثا أدبيا واسعا ، ترك بصمته الواضحة في مسيرة الأدب العربي ، وقد تنوع هذا التراث الأدبي ، ليشمل فن الشعر متمثلا بالمراثي الحزينة التي كتبها الإمام بحق أهل البيت عليهم السلام ، فضلا عن فن الخطابة ذلك الفن الرفيع الذي أجاد فيه الإمام كاشف الغطاء أيما إجادة ، فضلا عن اختيارات الشيخ الأدبية ، فقد برع في فن الاختيارات ليترك لنا أثرا أدبيا ونقديا مهما تمثل بـ (مختار كتاب الأغاني) إذ ركز فيه على الأدب الشيعي متمثلا بأشهر أعلامه من شعراء المذهب الأمامي (دعبل الخزاعي) و(الكميت بن زيد الاسدي) وسواهم ، وكذلك ناقش البحث فن المقالة عند الشيخ الإمام كاشف الغطاء والجهود النقدية فقد كتب عدة مقالات وقد نشرت اغلب هذه المقالات في مجلات متعددة منها مجلة البيان ومجلة العدل ومجلة الغري ومجلة الاعتدال وغيرها من المجلات والصحف التي كانت تصدر آنذاك ، فضلا عن الجهود النقدية التي تمثلت بملاحظاته النقدية التي انتشرت في طيات كتبه ومنها

كتابه (العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية)(٥٠) ، و(المراجعات الريحانية)، فضلا عن ديوان شعره .

اما عن منهج الدراسة فقد اتبعت فيه المنهج التحليلي الفني ، الذي حاول رصد جهود الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الأدبية والنقدية وتحليلها فنيا من خلال ربط السابق باللاحق لكي يقف القارئ على الإسهامات والإضافات المعرفية التي جاء بها ، اما عن الصعوبات التي واجهت الباحث فقد تمثلت في ان أكثر نتاج الشيخ محمد حسين كان مخطوطا فضلا عن تنوعه وكثرته ، اما عن مصـــــــادر الدراسة فقد تنوعت هذه المصادر لتشمل كتب الحديث والسيرة والأدب والتاريخ والنقد والمعاجم ، والدواوين الشعرية ، والمباحث الآتية تكشف عن طبيعة الدراسة واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

الهوامش:

---

[١] ـ الكتاب يقع في جزأين، حقق الجزء الأول منه الدكتور جودت القزويني ، اما الجزء الثاني فقد قام بتحقيقه لجنة التحقيق في مكتبة الامام كاشف الغطاء وعلى رأسهم حفيده الشيخ أمير شريف محمد الحسين كاشف الغطاء ، وقد استطعت من خلاله الاطلاع على هذا الجزء والاستفادة منه في موضوع بحثي .

[٢] ـ ينظر الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث : ٤٥٨ .

[٣] ـ ينظر معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام :١٠٤٨ ،. كتب الكثيرون عن شخصيته الفذة ومنهم الشيخ الكاظمي (ت١٣٩١هـ) في قوله : " العلامة الكبير ، والعلم الشهير ، والفقيه النحرير ، والمتكلم الخبير ، الشيخ محمد حسين بن الشيخ علي كاشف الغطاء النجفي قدس سرّهما ...، وكان رحمه الله مخلص الطوية ، دمث الأخلاق ، ليّن العريكة ، صادق النيّة ، خط على صفحات القلوب ورسم على صحف الجنان (حب الوطن من الايمان) وكان رحمه الله بعيدا عن التعصب ، كارها للتملق والريّاء ، كثير الحياء لطيف المعاشرة ، حسن المحاضرة " ينظر : فهرس التراث :٤١٤ـ ٤١٥ .

[٤] ـ أحسن الأثر : ٢٠ .

[٥] ـ ينظر أساليب المقالة وتطورها : ٣٠ .

[٦] ـشعراء الغري :٨\١١٥ .

[٧] ـ ينظر معجم مؤرخي الشيعة : ١٧٨ .

(١) "هذا أوان الشد فاشتدي زيم" مثل من أمثال العرب. وزيم أسم فرس.

ينظر : كتاب جمهرة الأمثال : ٢\٣٦٢.

(٢) الحسن من شعر الحسين. محمد حسين كاشف الغطاء. ديوان مخطوط في مكتبة كاشف الغطاء العامة في النجف الأشرف. تسلسل : ٣

(٤) الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه : ٥٧.

[٨] ـ سحر بابل وسجع البلابل : ٥ .

[٩] ـ ينظر : أدب الطف أو شعراء الحسين (ع) / من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، جواد شبر، ط١ ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان ـ ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م: ١ / ١٨، ٢١

[١٠] ـ ينظر العبقات العنبرية : ج١ : ٣٢ ، ٤١ ،٤٩ ، ٥١ ، ج٢ : ١١ ،٢٣ ،٢٤ ،٣٤ .

[١] ـ أساليب المقالة وتطورها في الأدب العراقي الحديث والصحافة العراقية، د. منير بكر التكريتي، ط١ ، مطبعة الإرشاد – بغداد ١٩٧٦م: ٣٨٨.

[٢] ـ هكذا عرفتهم : ٢٣٠

[٣] ـ العراق : ٢٢٤.

[١٣] ـ نشر هذا القال في مجلة العدل : ٣ ،العدد ١٩ـ٢٠ ،عام ١٣٨٦ .

[١٤] ـ ينظر : النقد الأدبي : علي جواد الطاهر :٨٨ .

[١٥] ـ نشرت هذه المقالات في مجلة الاعتدال والغري والبيان والعدل .

[١٦] ـ ينظر أدب المقالة ، زكي نجيب محمود .

[١٧] ـ ينظر : سلسلة رواد التقريب الامام كاشف الغطاء : ٨٧.

[١٨] ـ الشباب ، مقالة منشورة في مجلة الاعتدال .والاية ٢٩ من سورة الفتح .

[١٩] ـ علي فوق العبقريات : ٢ ، مقال منشور في مجلة العدل ،العدد ٢٤ ، شعبان ١٣٧٣هـ

[٢٠] ـ موقف الحسين يوم الطف : ٤٢٠ ، مقال منشور في مجلة النشاط الثقافي ،١٣٧٨هـ .

[٢١] ـ ينظر :جريدة النجف ، تحرير يوسف رجيب ٢٨ ما يس ١٩٢٦م مقال للشيخ كاشف محمد حسين كاشف الغطاء بعنوان (الريحاني في ميزان النقد) .

[٢٢] ـ مقال الريحاني في ميزان النقد ، جريدة النجف : ١.

[٢٣] ـ مقال الريحاني في ميزان النقد ،جريدة النجف : ٢ .

[٢٤] ـ مختار من شعراء الأغاني : ١١ـ١٢

[٢] ـ المصدر نفسه : ١٣

[٢٦] ـ المراجعات الريحانية : ٢\٤٣.
[٢٧] ـ أساطين المرجعية العليا في النجف الاشرف :٢٢٧ .
[٢٨] ـ ينظر مقدمة مختار من شعراء الأغاني : ٤ .
[٢٩] ـ المنتخب من شعراء الأغاني : ٦ .
[٣٠] ـ المختار من شعراء الأغاني : ١٠ .
[٣١] ـ مختار من شعراء الأغاني : ١١.
[٣٢] ـ المختار من شعراء الأغاني : ١٢ .والأبيات منسوبة الى أبي الأسود الدؤلي ، ينظر الديوان : ٩٦ وكتاب الأغاني ٢: ١٤٣
[٣٣] ـ ديك الجن لقب غلب عليه ، واسمه عبد السلام وهو شاعر مجيد يذهب مذهب ابي تمام في شعره وهو من شعراء الدولة العباسية وكان من ساكني حمص ، وكان يتشيع تشيعا حسنا .
[٣٤] ـ الأبيات في الديوان : ١٦٦ ، والمختار من شعراء الأغاني : ١٥٨ ، والأغاني ٤ :٢٢٣
[٣٥] ـ مختار من شعراء الأغاني : ١٥٩ .
٣٦ ـ المختار من شعراء الأغاني : ١٦٢ـ١٦٣ . وقد لاحظ بعض الباحثين وجود ظاهرة النقد الذوقي في نتاج الشيخ في قوله : "الذوق الرفيع السليم ودقة الحس، ولا بد أن يكون متوقد الفكر، ثاقب الرأي والبصيرة، وحنكته الحياة، ويمتلك ثقافة فنية واسعة في أنواع الفنون وطبيعتها وخاصة إيقاع الأصوات ودلالاتها وسر البناء وحقيقته. فيهتم ببناء النص والمضمون في وحدة واحدة، من دون ميل لكفة أو أخرى فيعتمد المنهج الفني في النقد" ينظر المنهج النقدي للإمام كاشف الغطاء في ((مراجعاته الريحانية)) :٣٠٦
[٣٧] ـ مختار من شعراء الأغاني : ٢٤ ، والأبيات في الديوان :
[٣٨] ـ مختار من شعراء الأغاني : ٢٤ ، والأبيا
ت في الديوان :
الأدب العربي ، د. شوقي ضيف: ٣.وينظر : نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد ،د. عبد الرحمن رأفت الباشا ، الرياض ، ١٩٨٥م.
(١) ينظر : تطور الشعر العربي الحديث في العراق، د. علي عباس علوان، منشورات وزارة الإعلام – الجمهورية العراقية. سلسلة الكتب الحديثة (٩١) سنة ١٩٧٥م: ١٥
[٤٠] ـ ينظر : في الأدب الإسلامي قضاياه وفنون ونماذج منه : ٧٥ ، د. محمد صالح الشنطي ، دار الأندلس ، حائل ، ط٢ ،١٤١٨هـ.
[٤١] ـ ينظر المصدر السابق ، والالتزام الإسلامي في الشعر : ٢٧ ، ناصر عبد الرحمن ، دار الأصالة ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٨هـ.
[٤٢] ـ العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية : ١\ ٣٩.

[٤٣] - ينظر : مجلة أضواء إسلامية ،مقالة بعنوان :حول الأدب الإسلامي في الملتزم ، العدد الأول : ٣٠ ،١٩٦٤م.

[٤٤] - العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية : ٩٠\٢ .وينظر عيون اخبار الرضا للشيخ الصدوق تحقيق حسن العلمي ج٢ ، ص١٢ .ومن الجدير بالذكر ان قضية رثاء الامام الحسين عليه السلام اشتهرت عند الشعراء حتى صاروا يتسابقون فيها حتى أصبحت مهمة من مهمات الشعراء ولغرض الوقوف على المزيد ينظر : تطور الشعر العربي في العراق :٤٣ .

[٤٥] - العلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ومقامه في التوجيه :مقال منشور في مجلة العرفان العدد ٩ ، ص ٩٥٨،لبنان ١٣٦٨هـ

[٤٦] - نهضة العراق الاجتماعية ، مقال منشور في مجلة الهاتف ، النجف الاشرف .

[٤٧] - مقال للشيخ محمد حسين يتحدث فيه عن وضع العراق ، مجلة الغري :١١٦٩،العدد ٦٨، النجف ،١٣٦٠هـ.

[٤٨] - المصدر نفسه .

[٤٩] - علي فوق العبقريات :٢ ، مقال منشور في مجلة العدل ،العدد ٢٤ الجزء ٣، ١٣٧٣هـ.

قائمة المصادر :

القران الكريم

١- الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ، انيس الخوري المقدسي ، الطبعة الاولى ، منشوراة كلية العلوم والاداب ،جامعة بيروت الامريكية ، (د.ت) .

٢- أدب الطف أو شعراء الحسين (ع) / من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، جواد شبر، ط١ ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

٣- أدب المقالة ، زكي نجيب ، الطبعة الاولى ، القاهرة .

٤- أساطين المرجعية العليا في النجف الاشرف ، الدكتور محمد حسين علي الصغير ، مؤسسة البلاغ ، دار سلوني .

٥- أساليب المقالة وتطورها في الأدب العراقي الحديث والصحافة العراقية، د. منير بكر التكريتي، ط١، مطبعة الإرشاد – بغداد ١٩٧٦م.

٦- الأغاني، لأبي الفرج الاصفهاني (ت٣٥٦هـ) تحقيق : الدكتور يوسف البقاعي، وغريد الشيخ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٠م

٧- الالتزام الإسلامي في الشعر ،د. عبد الرحمن ناصر الخنين ، دار الأصالة ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٨هـ

٨- تاريخ الأدب العربي، احمد حسن الزيات، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط٢٥، (د.ت).

٩- تطور الشعر العربي الحديث في العراق، د. علي عباس علوان، منشورات وزارة الإعلام – الجمهورية العراقية. سلسلة الكتب الحديثة (٩١) سنة ١٩٧٥م.

١٠- جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت – لبنان ، ط٢، ١٩٨٨م.

١١-ديوان ديك الجن الحمصى، تحقيق :عبد المعين الملوحى ومحي الدين الدرويشى، حمص، ١٩٦٠ .

١٢-الريحاني في ميزان النقد ، مقال للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، منشور في جريدة النجف ،٢٨ مايس ١٩٢٦م.

١٣-سحر بابل وسجع البلابل ، السيد جعفر الحلي ، تحقيق : الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، الطبعة الأولى ، دار الأضواء ، بيروت- لبنان، ٢٠٠٣م.

١٤-سلسلة رواد التقريب ، الامام كاشف الغطاء ، محمد جاسم الساعدي ، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ، إيران ، طهران ، ٢٠٠٧م.

١٥- الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه

١٦- العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية ، العلامة الكبير الامام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ،ج١ ، تحقيق : الدكتور جودت القزويني ، والجزء الثاني ، تحقيق لجنة التحقيق في مكتبة الامام كاشف الغطاء العامة ، النجف الاشرف ، ٢٠١١م.

١٧-علي فوق العبقريات ، مقال منشور في مجلة العدل ،العدد ٢٤ الجزء ٣، ١٣٧٣هـ .

١٨- في الأدب الإسلامي قضاياه وفنون ونماذج منه ، د. محمد صالح الشنطي ، دار الأندلس ، حائل ، ط٢ ،١٤١٨هـ .

١٩-محاضرات في عنصر الصدق في الادب ،الدكتور محمد النويهي ،معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٩م.

٢٠- المختار من شعراء الأغاني ، سماحة الامام الشيخ محمد حسين ال كاشف الغطاء ،النجف الاشرف ، ذي القعدة ،١٣٦٩هـ .

٢١-المراجعات الريحانية ، الامام محمد حسين كاشف الغطاء ، تحقيق وتعليق محمد عبد الحكيم الصافي، الناشر: ذوي القربى، إيران سنة (١٤٢٧هـ).

٢٢-معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف خلال ألف عام، محمد هادي الأميني ط ١ مطبعة الأداب، النجف ، ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤م .

٢٣-معجم مؤرخي الشيعة ، صائب عبد الحميد ، الجزء الثاني ، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي .

٢٤-النقد الأدبي ، الدكتور علي جواد الطاهر ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٦٢م.

٢٥ـ نهضة العراق الاجتماعية ، مقال للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ،منشور في مجلة الهاتف ،العدد ٢١٨ ،٢٣ ربيع الثاني ،١٣٥٩هـ .

الصحافة الغربية ودور السيد السيستاني في التطورات الداخلية العراقية

(٢٠٠٣-٢٠١٨) صحيفة الاندبيندت (The Independent) البريطانية

انموذجاً

ا.د. محمد حسين علي السويطي

أ.م.د. علي خيري مطرود

جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الانسانية

المقدمة

تشكل الصحافة اليوم بمختلف مسمياتها وانواعها واشكالها، رافدا مهما من روافد الحصول على المعلومة وتبيان الحقائق أو إخفائها، بل أن بعضها لاسيما العالمية منها تحولت الى اداة فاعلة من الادوات السياسية التي تستخدم للترويج لغرض ما يصل حد اسقاط الانظمة او تغيرها.

وعلى الرغم من تلك الاهمية غير أن التسليم المطلق لما يرد فيها يبقى مسألة نسبية، لاسيما أن بعض معلوماتها لا تتعدى كونها تحليلا أو رأيا أو رؤية لمحلل أو مراسل أو مسؤول، وبالتالي تحمل صفة شخصية تجانب الموضوعية في بعض الاحيان، لذلك فان الاخذ بها يحتاج غالبا الى تدقيق أكثر، لاسيما اذا كانت المعلومة تتحدث عن وضع مضطرب وغير مستقر لا يسمح بالحصول على المعلومة الدقيقة لغياب مصادرها أو ارتباكها، أو لسعي البعض المنظم لتضليلها، كما حدث ولازال يحدث في العراق منذ التغيير عام ٢٠٠٣، اذ تحول الحصول على المعلومة الدقيقة والموضوعية مسألة صعبة للغاية، للظروف المعقدة التي مر بها البلد منذ ذلك التاريخ حتى اليوم، ولذلك شهدنا تحريف كبير في الكثير من حقائق الاحداث والشخصيات

التي أسهمت في رسم معالم العراق الجديد، وفي مقدمتها جميعا رجال الدين والحوزة الشريفة وعلى رأسهم اية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام عزه)، الذي لم تخلو وسيلة اعلام عربية او غربية محلية او دولية من التعرض لشخصه ومواقفه سلبا او ايجابا، ولبيان صورة المرجع الاعلى ومدى دقة ومصداقية وموضوعية المعلومة التي تناقلتها الصحف بخصوص شخصه او مواقفه، سنعمد الى دراسة واحدة من أهم تلك الصحف واكثرها انتشارا في العالم وهي صحيفة الاندبيندت البريطانية (The Independent)، التي تأسست منذ عام ١٩٨٦، وهي من الصحف ذي الصبغة العالمية لما تمثله غالبا من ثقل ومصدر مهمة للمعلومة، بل ربما تشكل في مرحلة ما احدى ادوات توجيه الراي العام البريطاني تجاه القضايا المختلفة، ليتسنى لنا وضع خطوط عامة يمكن من خلالها استخدام المعلومة التي ترد في تلك الصحف أو الاعراض عنها.

أولا : صورة السيد السيستاني وصفاته ومكانته العامة.

ركزت الصحيفة في أعدادها التي رافقت عملية اجتياح العراق(١)، وتصدي مرجعية السيد السيستاني على دراسة تلك الشخصية لاسيما ما تعلق منها بمولده وأسرته وانحداره الاجتماعي فقد أورد تقرير للصحيفة نشر بتاريخ السادس من اذار عام ٢٠٠٤، الكثير من المعلومات عن مولده ودراسته ومما جاء فيه "ولد علي في إيران، قبل ٧٥ عاما، وبدأ بدراسة القرآن الكريم ...في سن الخامسة ودرس في مدينة قم ثم في العقود الأربعة الماضية في النجف التي كانت مركزا للتعلم الشيعي منذ ١٠٠٠ عام(٢)، ولم يكن ذلك التقرير هو الوحيد الذي أوردته عن سيرة الامام السيستاني بل خصصت العديد من تقاريرها لذلك الغرض فقد ذكرت على سبيل المثال في عددها الصادر في الصادي في السابع والعشرين من كانون الثاني ٢٠٠٥، مراحل دراسة

الامام وأهم اساتذته وشيوخه فكتبت : " وانتقل إلى النجف في عام ١٩٥٢ ، ودرس مع أهم رجل دين شيعي في عصره ، آية الله العظمى أبو القاسم الخوئي، ...عندما توفي خوئي في عام ١٩٩٢ ، تم اختيار السيستاني لرئاسة الحوزة ، شبكة المدارس الإسلامية في النجف ، مما جعله أكثر رجال الدين الشيعة تأثيرا(٣)، والجدير بالإشارة إلى أن الصحيفة لم تكتف بذكر معلومات عامة عن المرجع من باب المتابعة فقط بل نشرت العديد من المقالات التي احتوت معلومات تفصيلية عن دراسته وتقيم مدى العلمية التي تمتع بها فذكرت في أحدى تقاريرها الذي نشر في السادس من اذار عام ٢٠٠٤ تقول: "وقد درس الفلسفة والبلاغة والقانون في ظل كبار العلماء في عصره، واكتسب سمعة للتغلغل إلى "المعنى الحقيقي" وراء كلمات النصوص الإسلامية الرئيسية. يتحدث أتباعه عن قداسته ، ونسكته الشخصية ، ودقته الفكرية التي تتميز باهتمام شديد بالعلوم الحديثة والاقتصاد والسياسة الدولية، والأكثر من ذلك أنه مختص في الاجتهاد، واستخدام العقل لتطبيق القيم القرآنية في المواقف المعاصرة - وهو الانضباط الذي يسمح فقط لرجال الدين الشيعة البارزين بالتدرب عليه وهذا يسمح بإعادة تفسير الإسلام في ظل الظروف المتغيرة"(٤).

والغريب أن الصحيفة ركزت على مدة حداثوية السيد السيستاني بمعنى قدرته على التعامل مع الامور المستحدثة التي تتطلب رأيا أو فتوى وتابعت بدقة احكامه الشرعية واجاباته عن مسائل غاية في الدقة ونقلت في أحد اعدادها نماذج لتلك الفتاوى والاجابات عليهم فذكرت في نفس عددها الصادر في السادس من اذار ٢٠٠٤، ما نصه "وبالتالي ، فإن موقع السيستاني يهتم بمثل هذه الهواجس المعاصرة مثل ما إذا كان بإمكان المسلمين استخدام العطور التي تحتوي على الكحول ...فيجيب ب(نعم) ، واستخدام الاستثمارات التي تحمل فوائد (في بعض الظروف) ،

والمقامرة (على الخيول ولكن ليس اليانصيب) ، والاستمناء ..(لا) ، وأداء الجنس الشرجي (نعم ، على الرغم من أنه "غير مرغوب فيه بشدة") أو الجنس عن طريق الفم (نعم ، طالما لا يدخل السائل في الفم)" وخلصت الصحيفة في تقريرها إلى فكرة مفادها أ، فتاوى السيد السيستاني تلك وتعامله مع تلك الامر المستحدثة بواقعية وعملية تمكن من الارتباط مع الغرب بعكس الحركات الاصولية المتطرفة فكتبت تقول "كل هذا بعيد بعض الشيء عن القيم الغربية الحالية ، لكنه على الأقل يوفر إمكانية الارتباط مع الغرب بطريقة لا يمكن تصورها مع أولئك الأصوليين السنة مثل حركة طالبان أو القاعدة أو الوهابيين في المملكة العربية السعودية"(٥).

وفي سياق تقييمها وتحليلها لشخصية السيد السيستاني ومكانته وسلوكه العام والشخصي، لفت انتباه الصحيفة لجوء اية اللّه السيد السيستاني الى الامتناع عن مقابلة الصحافة واللقاءات التلفزيونية وقد اشارت في احد تقاريرها لذلك الموضوع بالقول" نادرا ما يشاهد علنا. لا يقوم بمقابلات تلفزيونية. ولا يتصل إلا من خلال مراسيم مكتوبة أو من خلال أعضاء أقل رتبة في شبكة العلماء الذين يدرسون القرآن والشريعة الإسلامية في مدينة النجف الاقليمية، ومع ذلك"(٦).

ثانيا/ موقف الصحيفة ورؤيتها لمكانة السيد السيستاني ورؤاه السياسية

وفي محل تقييمها لشخصية الامام السيستاني ورؤاه الفكرية التي ستشكل أساس العلمية السياسية في العراق بعد عام ٢٠٠٣، نشرت الصحيفة مقالا بعنوان (Cricket but no chess in Sistani's vision for democratic Iraq) (لعبة الكريكيت ولكن ليس الشطرنج في رؤية السيستاني للعراق الديمقراطي) للكاتب (Patrick Cockburn)، نشر في التاسع من شباط ٢٠٠٥، كتب الباحث

يقول "يسمح باللعب الكركيت ولكن الشطرنج "ممنوع تماما". .. لا تصافح النساء الرجال.... يسمح بالموسيقى أن لم تكن للهو. لا يستطيع الرجال الصلاة عند ارتداء الأقراط"(٧)، تلك آراء أقوى رجل في العراق بعد الغزو الأمريكي، اعتقد العديد من المسؤولين الأمريكيين والجنرالات أنهم احتلوا ذلك البلد ولكن تبين أنهم على خطأ، وكما أكد النصر الانتخابي للشيعة ، "فإن الشخصية الأكثر نفوذا في العراق ، وهي ترتدي ثوبا رماديا ممزقا وعمامة سوداء، هي آية اللّه العظمى علي السيستاني(٨)، وأرجعت الصحيفة تلك القوة وذلك النفوذ الى مجموعة من العوامل وأن نفوذ " آية اللّه السيستاني الرئيسي يأتي من وضعه كمرجع وهي مكانة رائدة في المذهب الشيعي، وهو لقب يمنح لرجل دين يعتبره ١٥ مليون مسلم شيعي في العراق بمثابة دليل في كل جانب من جوانب حياتهم"(٩).

أما في مجال رؤاه السياسية فكانت النقطة الرئيسة التي ركزت الصحيفة عليها في أغلب تقاريرها هي نوعية الحكومة والنظام الذي يتبناه السيد السيستاني نموذجا للحكم وبدأت تقاريرها بمحاولة أجراء مقارنة بيه وبين السيد الخميني رحمه اللّه انطلاقا من حقيقة أن الرجلين مرجعين دينيين ينتميان لنفس المذهب ووضعا في وضع تطبيق رؤاهما السياسية، وكانت النقطة الاولى التي ركزت عليها الصحيفة اختلافهما في شكل الحكم لاسيما حول مسألة " ولاية الفقيه" فكتبت تقول "هناك شيء آخر مثير للاهتمام في تفكيره [تقصد السيد السيستاني]. فأحد زملاء السيستاني في أيامه الأولى في النجف كان آية اللّه روح اللّه الخميني الذي أعتقد أن ...معظم الناس لم يكونوا يعيشون وفق مبادئ الإسلام، ولذلك طور مذهب الديكتاتورية الدينية ولاية الفقيه، الذي كان أساس الثورة الإيرانية. فيما على النقيض من ذلك ، فان السيستاني أكد مرارا وتكرارا أنه يجب فصل الدين عن

الحكومة[١٠]، وتستمر الصحيفة في تقيمها لتلك المقارنة فتقول " حيث جادل الخميني في سنواته الـ ١٤ في المنفى في النجف بأن "المجتمع الجيد هو الذي يستطيع خلق المؤمنين الجيدين"، أصر السيستاني على عكس ذلك: " وأمن بأن الرجال الجيدين فقط هم من يمكنهم خلق مجتمع جيد". اليوم، حوالي ثلث العراقيين الـ الخمسة عشر مليون شيعي يتبع الأغلبية منهم السيستاني[١١]،

وفي السياق نفسه ناقش الصحيفة موقف السيد السيستاني من تدخل رجال الدين في العمل السياسي، إذ رأت الصحيفة أن مواقف السيد السيستاني ركزت الضوء على ما اسمته "معضلة السيستاني" الحالية وهي مسألة تدخل رجال الدين في العمل السياسي من عدمه، إذ يصر موقفه اللاهوتي على أن رجال الدين لا يجب أن يتدخلوا في الحكومة، ونقلت عنه قوله "إن رجال الدين هم ضمير المجتمع" ، وانه "يجب ترك الجوانب الإدارية لحياة المجتمع لرجال السياسة". ومع ذلك فان السيد السيستاني يعتقد بحسب الصحيفة ، " أن الشيعة العراقيين في الوقت الحالي يحتاجون إلى بعض القيادة ، التي لا يمكن أن تأتي إلا من رجال الدين، لتطوير الإطار السياسي الذي يمكن أن يكون للدين والسياسة فيهما مساحاتهما الخاصة"[١٢]، واضافة تقول " وعلى النقيض من رجال الدين الإيرانيين، فقد عارض دورًا سياسيًا مباشرًا لرجال الدين الإسلاميين ، مؤيدًا لدولة إسلامية ولكن ليس دولة دينية[١٣].

وترى الصحيفة أن قناعة السيستاني بأن الدين الحقيقي يعني الابتعاد عن السياسة، وانه يتبع ما اسمته "النسخة الهادئة من الإسلام الشيعي وانه واحد أهم خمسة آيات اللّه العظماء في العالم، وقيل أن السيستاني كان من المدرسة "الهادئة" للتقاليد الإسلامية"[١٤]، وهي أمور تتناقض مع تلك التي تبناها آية اللّه الخميني قدس سره الذي أسس حكم رجال الدين في إيران بعد الإطاحة بالشاه عام ١٩٧٩. لكن السلطة

الأخلاقية للسيستاني على الأغلبية الشيعية في العراق بعد غزو عام ٢٠٠٣ أجبرت قوات التحالف بل ومن أسمتهم " المحتلين لن يتمكنوا من أنجاز شيء خارج موافقته فكتبت "أن المحتلين أدركوا أنهم لا يستطيعون الحكم بعكس رغباته"(١٥).

ثالثا: الموقف من الدستور وتشكيل نموذج الحكم الجديد في العراق.

كان موقف الحوزة الدينية عموما والسيد السيستاني خصوصا من التطورات الكبيرة التي شهدها العراق عام ٢٠٠٣، وما بعدها وأحدة من أكثر المواضيع التي كتبت عنها وفيها صحيفة الاندبيندت البريطانية، وخصصت في بعض الاحيان مساحات كبيرة من صفحاتها لتحليل موقف الحوزة والسيد السيستاني الذي شكل بحسب الصحيفة أكبر معضلة أمام مشروع التحالف، ففي مقال لها نشرته في السابع والعشرين من تشرين الاول ٢٠٠٧، وبعد أن أكدت فيه أن خطط إدارة جورج بوش(George W. Bush) تواجه مزيدا من التعقيدات مع ظهور علامات على معارضة شديدة من رجل الدين الشيعي الأكثر نفوذا في البلاد كتبت قائلة "أنهم يعرفون أن آية الله السيستاني يملك نفوذا كبيرا على الفقراء الشيعة في المناطق الحضرية ، الذين يشكلون ٦٠٪ من السكان البالغ عددهم ٢٥ مليون نسمة ، ولهم نفوذ على مجلس الحكم العراقي الذي عينته الولايات المتحدة ٢٥ مقعدا، على الرغم من أن الأميركيين لا يريدون سياستهم التي يحددها زعيم ديني شيعي ، إلا أنهم يعلمون أن العديد من العراقيين الشيعة لن يقبلوا على الأرجح أي مقترحات رفضها"(١٦).

الجدير بالإشارة أن الصحيفة لم تكتف بعرض أراء المرجع السيستاني فقط بل عززت مقالاتها بأدلة على مواقفه السياسية ومن تلك الأدلة ما ذكرته في مقال لها نشرته في حزيران أوردت فيه ما وصفته بانه دليل على موقف السيد السيستاني

المعارض للدستور المقترح وذكرت بانه أصدر فتوى أدت لإحباط خطة بول بريمر(Lewis Paul Bremer III) لتعيين مؤلفي الدستور العراقي الجديد(١٧)، ونص فتوى آية الله على "أنه لن يدعم سوى الدستور الذي كتبه العراقيون المختارون من خلال انتخابات عامة"، ثم ذكرت الصحيفة كيف ان الولايات المتحدة الامريكية اضطرت مرغمة على الاستجابة لتلك الفتوى فكتبت تقول "عدلت الولايات المتحدة استراتيجيتها، ووضعت خططا لعقد جمعية انتقالية تضم ٢٥٠ عضوًا ، والتي اختارتها المؤتمرات الحزبية الإقليمية، التي ستتولى السيادة ثم تبدأ في صياغة دستور"(١٨).

لقد فصلت الصحيفة في موقف المراجع من قضية الدستور وأن المسألة لديه لم تكن فقط رغبة في أن يكون واضعي الدستور عراقيون بل أشرت الصحيفة أن المرجع السيستاني حرص على أن تكون تفاصيل الدستور الجديدة مقبولة من الاغلبية الدينية في العراق اي الاسلام وأن لا يتضمن الدستور تشريع أو قانون يتعارض مع ثوابت الاسلام ونشرت الصحيفة حول ذلك الشأن مقالا نقلت فيه رأي المرجع بذلك الخصوص قائلة" قال السيستاني إنه يجب أن لا يتعارض أي قانون في العراق مع المبادئ الإسلامية ، وهو يريد أن يتم الاعتراف بالإسلام في القانون باعتباره ديانة أغلبية العراقيين. لكنه يريد تأمين نموذج يعني أن نظامًا علمانيًا مستقبليًا لا يمكنه تمرير قوانين تناقض الإسلام بدلا من تأسيس دولة على غرار النموذج الإيراني"(١٩).

ويظهر أن تلك الصحيفة كانت حريصة على ان تعزز معلوماتها بشهادات من أناس قريبين من المرجع السيستاني فقد حدث ان نقلت موقفه من الدستور عن السيد عبد العزيز الحكيم رحمه الله، الذي أبلغ الصحيفة بأنه ناقش مقترحات الولايات المتحدة

مع آية اللّه ، الذي أخبره "بأنها معيبة لأنها لم تتضمن حظرا على تشريع أي شيء يتناقض مع الإسلام. .. وقال الحكيم: "لقد أعرب عن قلقه إزاء الفجوات الحقيقية التي يجب التعامل معها، وإلا ستفتقر الخطة إلى القدرة على تلبية آمال الشعب العراقي"(٢٠).

وقد حللت الصحيفة موقف السيد السيستاني ذلك على أساس عدم رغبته في قيام أي من نموذجي الحكم سواء العلماني المتطرف أو الدولة الدينية البحتة ونقلت الصحيفة إلى أن افضل طريقة بالنسبة للسيد السيستاني لفعل ذلك " هي من خلال الديمقراطية النقية " صوت واحد شخص واحد". لهذا السبب يعارض الهيكل المعقد الذي صممه الأميركيون لضمان أن الأغلبية الشيعية لا تستطيع الركوب على النخبة السنية المتعلمة والأكراد المتلهفين للحكم الذاتي"، واعتبرت الصحيفة أن موقف السيد السيستاني ذلك يتسم "بالغرابة" وكتبت في مقال نشر على صفحاتها قائلة " إنها تثير مفارقة غريب لرجل دين غير منتخب يضغط على أعظم ديمقراطية في العالم لتنفيذ تقرير المصير الذي غزا ظاهريا العراق لتحقيقه" واشارت الصحيفة الى تلك الحقيقة باقتباس نقلته عن السيد السيستاني في رسالة وجهها إلى المسؤول الأمريكي الأول في العراق بول بريمر قال فيها: "السيد بريمر ، أنت أمريكي. أنا إيراني. أقترح أن نترك الأمر للعراقيين لوضع دستورهم"(٢١).

في الوقت ذاته نقلا الصحيفة مخاوف البعض من أن يكون سلوك السيد السيستاني نابع من طمع في السلطة والرغبة في الاستحواذ عليها وكتبت بهذا الشأن " هناك من ينتابهم القلق من أنه بمجرد أن يتذوق السيستاني طعم السلطة، فإن مطالبه سوف تنمو بدلا من أن تتراجع"، غير أن الصحيفة عادت في مقالها نفسه وفندت تلك المزاعم مستندة الى أراء عدد ممن زار السيد والتقى به وأستمع منه لاسيما من السنة والاكراد فكتبت قائلة" إن مجموعة من الناس - بمن فيهم السنة والأكراد

والعلمانيون وناشطون في مجال حقوق المرأة - ممن كان لديهم حديث مع آية الله في منزله المتواضع في شارع سوق مزدحم في النجف ، هم أكثر تفاؤلا[٢٢]، ونقلت الصحيفة عن احدهم أن السيد السيستاني في لقاءاته تلك لم يستخدم الخطابات الدينية المعتادة التي أعتاد الناس سماعها من رجال الدين فكتبت نقلا عنهم" "وقال أحدهم كان واضحا ومباشرا على الرغم من أنه كان يتحدث بهدوء شديد وكاد أن يغمز بلهجة فارسية ثقيلة." وقال اخر "الرجل كان علمانيا! لم اسمع قط رجل دين يقول الاشياء التي قالها[٢٣]، وقال ثالث "تحدث عن الركائز القديمة لعقيدة السنة وأشاد بها بالتفصيل وقال كيف كان الفرق بين الشيعة والسنة أقل أهمية بكثير من الخطر الذي يواجه الأمة العراقية في الوقت الحالي" قالت سيدة سياسية: "أخبروني أنه لن يلتقي بامرأة ، لكنني التقيت به وناقشت مع قضايا المرأة"[٢٤].

كما نقلت الصحيفة عن أحد السياسيين قوله بانه التقى السيد السيستاني الذي قدم له نصيحة حول كيفية وضع شخص ما في منصب. فذكر أنه قال له : "حينما ترشح شخص، تأكد من أنه لا يرتدي عمامة"[٢٥]..

وفي مقال للصحيفة بعنوان (Could Iraq's democratic future depend on an old man lying in a London hospital bed?) (هل يمكن أن يعتمد المستقبل الديمقراطي للعراق على رجل عجوز يرقد في سرير مستشفى في لندن؟) للكاتب (Johann Hari) نشر في الثامن عشر من اب ٢٠٠٥، يقول ريويل مارك جيريشت ، الخبير في الفكر السياسي الشيعي ، "إن حجج السيستاني الفلسفية من أجل الديمقراطية "غير مسبوقة في نطاقها. إنه يتحدث بلغة حقوق غير قابلة للتصرف: رجل واحد ، صوت واحد ، ودستور كتبه ممثلون منتخبون ووافق عليه الاستفتاء الشعبي: تمكن السيستاني من إطلاق مشروع لم يحلم به التقدميون

المسلمون إلا من خلال تأسيس نظام سياسي ديمقراطي يعاقب عليه رجال الدين ويحميهم. إليكم الجذور البطيئة والمؤقتة للإصلاح الإسلامي الذي هو في أمس الحاجة إليه في الشرق الأوسط"(٢٦).

وفي نفس المقال الذي نشرته الصحيفة حاول الكاتب أن يجعل من السيد السيستاني دليل على أن هزيمة التطرف والاصولية لا تتم عن طريق الغزو والعمل العسكري بل عبر العمل الفكري فكتب قائلا" لن تهزم الأصولية الإسلامية في نهاية المطاف من قبل الغرب الصليبي... لا ؛ بل المسلمون المعتدلون هم المفتاح ـ والسيستاني على الأرجح هو أكثر المسلمين اعتدالا على قيد الحياة اليوم، بالطبع ، لديه وجهات نظر حول القضايا الاجتماعية التي هي (في أحسن الأحوال) مكروه لدى الغرب، إنه ينتقد الطلاق، وبالتأكيد لن ينضم إلى أي مسألة تتعلق بالمثليين، لكنه يؤمن بفتح مجال ديمقراطي يمكن من خلاله مناقشة تلك الأفكار ، وهو يؤمن بالالتزام بقرار الأغلبية. هذا تقدم هائل"(٢٧)، واستغربت كاتبة المقال من أن تأتي الديمقراطية من رجل دين أو ما اسماه " ديمقراطية آية الله ؟ في البداية ، تبدو الفكرة غير معقولة ، مثل كو كلوكس كلانس أسود ، أو نازي يهودي.... لا يزال آية اللّه الخميني هو النموذج العقلي للغرب ، وهو ثيوقراطي مستبد ذبح أكثر من مليون إيراني وأصدر فتوى ضد سلمان رشدي"(٢٨)، واستمرت كاتبة المقال في محاولته لتبرير تلك الغرابة على حد وصفه بالقول "أن الغرائز الديمقراطية تظهر في أغرب الأماكن. وأصر العديد من الشيعة على أن الخميني كان "استثناءً" ، وهو اختلاف جذري عن تقاليد الشيعة القديمة "رجال الدين" الذين لم يسعوا للحصول على سلطة سياسية شخصية. كنت دائما متشككا إلى حد كبير، وأنا معادية بشكل غريزي للسلطات الدينية ـ لكن سلوك السيستاني منذ سقوط صدام أثبت أنه صحيح. من منزله في النجف ، كان السيستاني مناضلا ثابتا على الدوام

من أجل عراق حر وديمقراطي ، بينما يتجنب بدقة أي إغراء للبحث عن السلطة لنفسه"(٢٩).

واسترسلت كاتبة المقال في تحليل اراء السيد السيستاني وكيف ان قبول فكرة ان رجل دين يمكن ان يكون ملهما للديمقراطية هو ضرب من الخيال بالنسبة للغرب فكتبت "صحيح أن السيستاني كان له سمعة منذ أن تحدث عن حقوق الشيعة أثناء استبداد صدام، وأدخل بشجاعة تحذيرات مشفرة للديكتاتور في خطبه. لكن عندما دمرت دكتاتورية صدام أخيرا وبدأ السيستاني يدعو إلى الديمقراطية ، افترضت أن هذه كانت مجرد خدعة ساخرة. من المؤكد أن آية اللّه لا يمكن أن يريد رجلا واحدا ، صوت واحد ، لمدة خمس دقائق؟ ألم يكن السيستاني يأمل في انتخاب حكومة ثيوقراطية تجد بسرعة أعذارا لتصفية صحافة حرة وإجراء انتخابات شبه مزورة بعد ذلك"؟(٣٠).

ولعل أكثر ما يثير الانتباه أن صاحبه أطلع على بعض كتب السيد السيستاني ومن بينها "مدونة الممارسات للمسلمين في الغرب". إنه - من الناحية الإسلامية - نص تقدمي مذهل، يشدد السيستاني على أهمية احترام الديمقراطية ، معتبرا أنه يجب على المسلمين المشاركة في السياسة الانتخابية - كناخبين ومرشحين - على قدم المساواة مع غير المسلمين" وقد وجدت كاتبة المقال في تلك الدعوة خروجا على المألف الذي اعتادت الغرب على توقعه من "الجماعات الإسلامية الفاشية مثل "المهاجرون" ، التي تقول بانه يجب على المسلمين ألا يصوتوا لأي أحد في الانتخابات ... إنه عبادة الأوثان. لا يوجد مشرع سوى اللّه ، والقانون الوحيد يجب أن يكون الشريعة"(٣١).

وقد أستنتج الكاتب أن تشكيك البعض بنوايا السيد السيستاني ليست دقيقة وصاغ الرد على تشكيكهم بعدة تساؤلات فكتب بذلك الخصوص قائلا "لا يزال بعض الناس يشك في أن السيستاني هو ثيوقراطي سوف تذوب حججه الديمقراطية

بسرعة عندما يقترب من السلطة! إذ كان الامر كذلك فلماذا رفض مرارا وبشكل صارخ النموذج السياسي الإيراني ، حيث "يشرف الملالي" على البرلمان الديمقراطي والصحافة؟ كان بإمكانه وضع الملالي بمفردهم في قلب الجدل الدائر حول الدستور العراقي. بدلا من ذلك أصر على أنهم يجب أن يبقوا خارج هياكل الدولة ، في الحياة الديمقراطي"(٣٢).

رابعا : تحليل موقفه من الاجتياح الامريكي للعراق عام ٢٠٠٣.

في مقال للصحيفة كتبه بول فلي (Paul Vallely) تحت عنوان (هل كان رجل الدين المحبوس تحت الإقامة الجبرية من قبل صدام لمدة عقد ، سلاحا سريا بالنسبة للحلفاء؟) ونشرته الصحيفة في الرابع من نيسان ٢٠٠٣، ناقش فيه المؤلف موقف السيد السيستاني من عملية اجتياح العراق والدعوات التي رافقتها من بعض الجهات "للمقاومة" العسكرية المسلحة ونقل الكاتب ما قال انه فتوى اصدرها السيد وذكر قائلا "أصدر الزعيم الديني الأعلى في العراق فتوى أمس حثت فيها أغلبية الشيعة في البلاد على عدم عرقلة الجيوش الأمريكية والبريطانية"، واعتبر المؤلف ان تلك الفتوى تطور مهم لأنه منع اي صدام عسكري بين الاغلبية الشيعية وبين قوات التحالف واضاف قائلا " يمكن أن يؤشر ذلك أنه تطور مهم للقوات الغازية مثل الانتصارات العسكرية التي حققتها في الأيام القليلة الماضية"(٣٣)، ورأت الصحيفة أن سبب موقف المرجع ذلك انما يعود لرغبته في عدم تعريض الناس الى القتل أو البلاد الى الخراب بسبب التباين الكبير في القوة والامكانات بين الطرفين فكتب تقول " ودعت فتوى آية الله العظمى السيد علي السيستاني - وهو المرجع الشيعي الأول في العراق - المسلمين إلى التزام الهدوء والبقاء في المنزل وعدم تعرض أنفسهم للخطر وعدم القتال"(٣٤)، ونقلت الصحيفة ان موقف المرجع ذلك وبحسب المسؤولين من الامور التي

أسهمت في سرعة اسقاط النظام فذكرت على سبيل المثال تصريح لبريغادير جنرال فنسنت بروكس، من القيادة المركزية للحلفاء في قطر قال فيه "نعتقد أن هذه نقطة تحول مهمة ومؤشر آخر يقترب من أن النظام العراقي يقترب من نهايته"(٣٥)، ونقلت العديد من اراء ومواقف السياسيين ممن وجدوا إن الفتوى "قد تكون حاسمة" في نتيجة الحرب.

كما ناقشت الصحيفة فتوى منسوبة للمرجع، في سبتمبر على عكس الفتوى الاولى إذ يدعوا فيها بوجوب قتال القوات المحتلة وكتبت الصحيفة قائلة "أصدر آية الله السيستاني حكما دعا فيه الشيعة العراقيين لمحاربة الأميركيين، وجاء في نصها": "من واجب المسلمين ، في ظل هذا الوضع الحرج ، أن يكونوا موحدين وأن يبذلوا قصارى جهدهم للدفاع عن العراق وحمايته من مؤامرات المعتدين"(٣٦). ومن أجل ان تثبت الصحيفة ان تلك الفتوى مزورة ومنسوبه للمرجع فأنها نقلت عن عدد من المعارضين السياسيين تأكيدهم ذلك فكتبت " وقالت العديد من جماعات المعارضة في ذلك الوقت إن الفتوى صدرت عن مسؤولين في عهد صدام"(٣٧)، ويظهر أن النظام السابق اراد تزوير الفتوى على أمل دفع العراقيين عموما والغالبية الشيعية خصوصا لمقاتلة قوات التحالف، وعادت الصحيفة لتؤكد أن موقف السيد السيستاني من الغزو هو رفضه ولكن من دون الدعوة لمواجهة عسكرية مفتوحة مع القوات الاجنبية فنشرت في أحد مقالاتها ما وصفته "نصيحة السيستاني للمؤمنين" قائلة أنه نصح "المؤمنين بعدم عرقلة قوى التحرير، والمساعدة في جلب هذه الحرب ضد الطاغية إلى نهاية ناجحة للشعب العراقي"، ويلاحظ في النص أنها نسبت للسيد ما لم يدعوا لها فعلى الرغم من أن السيد السيستاني كان مع تغيير النظام في العراق الا انه لم يدعوا ابدا لان يكون ذلك التغيير عبر قوات اجنبية تجتاح العراق.

وقد وجهت الصحيفة في العديد من مقالاتها انتقادا شديدا لقوات التحالف عموما والولايات المتحدة خصوصا لعدم نجاحها في تشخيص المكانة والتقييم الحقيقي لموقع السيد بين المراجع وعموم الشعب فأشارت في أحدى مقالاتها والذي صدر في السادس من اذار عام ٢٠٠٤، الى المكانة والقوة والنفوذ الذي تمتع به السيد السيستاني وكيف أن الأمريكيين فشلوا في ملاحظة ذلك فكتبت تقول"، أن آية الله العظمى علي الحسيني السيستاني البالغ من العمر ٧٥ عاما هو بلا شك أقوى رجل في العراق، من الواضح أن الأمر استغرق قرابة العام كي يستيقظ جورج بوش على هذه الحقيقة"(٣٨)، ولم تكتف الصحيفة بذكر تلك الحقيقة بل حاولت ان تحدد اسباب تلك المكانة والنفوذ وأن الامريكيين فشلوا في تحديد تلك الاسباب فكتبت قائلة "لو كانوا أكثر اجتهادا لتوصلوا إلى تأثير السيستاني قبل ذلك الوقت بكثير، كان عليهم أن يلاحظوا أن السيستاني يتلقى ملايين الدولارات من التبرعات ويسيطر على شبكة من المدارس والمساجد والعيادات وغيرها من مؤسسات الرعاية الاجتماعية، كان عليهم أن يلاحظوا أن السيستاني" ولم تكتف الصحيفة بذلك بل وردت ما اعدته امثلة عملية على مكانة السيد السيستاني وتأثيره في الشارع العراقي وكتبت "، في الأيام الأولى للاحتلال ، تحدث ضد النهب ، فتلاشى بسرعة في المناطق الشيعية، وعندما أصدر فتوى ضد السوق السوداء في البنزين ، تقلصت طوابير محطات الوقود على الفور بنسبة ٧٥ في المائة"(٣٩).

ووجدت الصحيفة أن قدرة السيد السيستاني على التحكم بالشارع كبيرة حتى على اولئك الذين لا يخضعون له من جهة التقليد، واوردت أكثر من مثال على ذلك من بينها وأهما قضية موقف المرجع السيستاني من مشكلة الصدام بين قوات الائتلاف وبين مجموعات دينية اخرى كالتيار الصدري، فكتبت الصحيفة حول

هذا المضوع قائلة " إن الخطر الذي سيواجه الولايات المتحدة هو انضمام الشيعة إلى تمرد ضد الاحتلال كالذي ظهر في أبريل ٢٠٠٤ ، عندما استولى مقتدى الصدر، ابن القائد الديني محمد صادق الصدر، الذي قتل على يد صدام عام ١٩٩٩ ، على عدة مدن وجزء من شرق بغداد مزج حركته الدين الشيعي والقومية العراقية. قاد قيادة ميليشيا قوية إذا كانت غير منظمة ، جيش المهدي"(٤٠).

فحين كتبت عن الصدام المسلح الذي حدث بين القوات الامريكية ومقاتلي جيش المهدي أرجعت وقت وتاريخ اندلاعه لحالة "المرض" التي عانى منها السيد السيستاني وانه ربما لو كان في ذلك الوقت في النجف وبكامل صحته لما حدث ذلك الصدام من الاصل ونشرت في أحدى مقالاتها تقول " ليس من قبيل المصادفة أن وقف إطلاق النار بين الائتلاف وجيش المهدي قد انهار بينما كان السيستاني "عاجزا" لقد أثبت أنه قوة تقييد حاسمة لكل من الصدر والائتلاف، حاول توجيه غضب جيش المهدي (غالبًا ما يكون مشروعًا) عن البطالة وانتهاكات حقوق الإنسان بعيدًا عن الاحتجاجات العنيفة ونحو التنظيم الديمقراطي(٤١).

وبلغ حرص ودقة الصحيفة أنها لم تكتف بنقل خبر الصدام فقط بل تابعت طريقة حل تلك المشكلة وفي مقال نشرته الصحيفة في السادس والعشرين من اب ٢٠٠٤ للكاتب (Donald Macintyre) بعنوان (Sistani mobilises his 'believers' to march on Najaf in peace bid) (السيستاني يحشد "المؤمنين" للمسير باتجاه النجف في محاولة للسلام)، جاء فيه: " قام رجل الدين الشيعي الأكثر تبجيلا في العراق بالتدخل المفاجئ في أزمة النجف أمس بالعودة إلى البلاد ودعا أنصاره إلى السير إلى المدينة المقدسة المحاصرة ، وكان من المتوقع أن يصل آية الله العظمى علي السيستاني إلى النجف اليوم بعد وصوله إلى البصرة قادما من الكويت ، حيث أشار

مساعدوه إلى أنه كان لديه مقترحات لإنهاء القتال الذي استمر ثلاثة أسابيع في المدينة"(٤٢)، وهناك من البصرة قرأ السيد حيدر الصافي(٤٣)، مساعد السيستاني، بيانا قال أنه صدر عن آية الله جاء فيه: "نطلب من جميع المؤمنين التطوع للذهاب معنا إلى النجف. لقد جئت من أجل النجف وسأبقى في النجف حتى تنتهي الأزمة"(٤٤).

خامسا: الموقف من تشكيل الحكومة وكتابة الدستور.

حرصت الصحيفة في اغلب افتتاحياتها تقريبا في تلك المدة من تاريخ صدورها على تتبع التطورات الداخلية في العراق ومحاولات تشكيل الحكومة(٤٥)، وابرزت بصورة واضحة دور المرجعية الدينية في النجف لاسيما اية الله العظمى الامام السيستاني من تلك الاحداث وتابعته خطوة بخطوة، وكانت أولى التحولات السياسية في العراق التي تابعتها الصحيفة بعد الاجتياح العسكري هي قضية انتخاب المسؤولين عن كتابة الدستور وهي وأحدة من اكثر المسائل التي وقع الخلاف بينها بين قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة الامريكية من جهة والحوزة العلمية من جهة ثانية لاسيما وان المرجع الاعلى أبدى في تلك المسألة رأيا خالف فيه كل رغبات الامريكيين وأمالهم بكتابة دستور على "الطريقة الغربية" وتابعت الصحيفة ذلك الموقف بل ونشرت فحوى الفتوى التي اشار فيه سماحة لعدم جواز قبول دستور للعراق لم يكتبه عراقيون منتخبون وذكرت في أحد مقالاتها تقول " في حزيران ٢٠٠٣ ، أصدر رجل الدين فتوى ، أو حكمًا دينيًا ، ينص على أنه يجب انتخاب أولئك الذين يضعون الدستور العراقي الجديد بدلا من اختيارهم من قبل الولايات المتحدة وأعضاء مجلس الحكم العراقي"(٤٦)، وفي مقال بعنوان (Grand Ayatollah Ali Sistani: The real face of power in Iraq) (آية الله العظمى علي السيستاني: الوجه الحقيقي للقوة في العراق)، نشرته الصحيفة حول

نفس الموضوع ابرزت فيه قوة موقف السيد السيستاني وكيف انه نجح في ممارسة نفوذه سواء على الولايات المتحدة الامريكية ام على مجلس الحكم الذي شكلته لإدارة البلاد جاء فيه "كان سعيدا بإفساد توقيع مجلس الحكم الانتقالي العراقي على دستور مؤقت أمس لتمهيد الطريق أمام نقل السيادة إلى العراقيين وإجراء انتخابات كاملة. بناء على طلب من آية اللّه رفض خمسة أعضاء شيعة من المجلس إلحاق أسمائهم"(٤٧).

واضافة الصحيفة " لقد أصبح واضحًا كيف أن السيد السيستاني يمثل التحدي السياسي الأكثر أهمية الذي واجهه الائتلاف الذي تقوده الولايات المتحدة حتى الآن، فقد اضطرت واشنطن مرتين بالفعل لإعادة كتابة خارطة الطريق السياسية. بناء على طلب منه، فقد عدلت الولايات المتحدة عن خطتها لوضع دستور قبل الانتخابات والمجلس المنتخب الان سيكتب الدستور، كما طالب بنجاح أن يتم إحضار الأمم المتحدة لتقييم جدوى الانتخابات"(٤٨).

وفي متابعتها لتطور الاحداث في العراق وصولا الى الانتخابات اشارت الصحيفة في اكثر من مرة أن تلك الانتخابات لم تكن برغبة امريكية بل ضغط مباشر من السيد السيستاني مارسه على قوات التحالف لإجبارها على تشكيل حكومة تكتسب شرعيتها من ابناء الشعب العراق، ففي مقال نشرته الصحيفة للكاتب (Patrick Cockburn) حمل عنوان (The Grand Ayatollah Sistani may call the tune, but the US will still have the power) (قد يصدر آية اللّه العظمى السيستاني النغمة ، لكن الولايات المتحدة ستظل تملك القوة)، ونشر في ٢٧ كانون الثاني ٢٠٠٥، جاء فيه" أن الانتخابات في العراق يوم الأحد القادم هي نتيجة لضغوط من آية اللّه العظمى علي السيستاني ، رجل الدين البالغ من العمر

٧١ عاما ، الذي يمارس مثل هذا التأثير الهائل على الطائفة الشيعية التي تشكل حوالي ٦٠ في المائة من سكان العراق"(٤٩) ، واكدت الصحيفة أن المسؤولين الامريكيين عارضوا وجهة النظر تلك لكنهم مع لم يصرحوا علنا عن موقفهم خشية من موقف السيد السيستاني وما يمكن ان يترتب عليه في الشارع العراق فكتبت تقول " ومع انه لم يذكر المسؤولون الأميركيون يومًا أبدًا أنهن كانوا يعارضون الانتخابات في الشهور التي أعقبت الإطاحة بصدام حسين"(٥٠).

وحللت الصحيفة في مقالها سبب عدم رغبة الامريكيين في اجراء الانتخابات قائلة "أن السبب الحقيقي لقلق الولايات المتحدة من الانتخابات هو خشيتها من أن الأحزاب الشيعية، وخاصة تلك الدينية جدا والقريبة من إيران، سوف تفوز بالأغلبية، وكان يأمل بدلا من ذلك أن يحكم العراق من خلال سيطرة مركزية مباشرة تكملها عودة المنفيين العراقيين المقبولين من واشنطن"، وعلقت الصحيفة على الرؤية والرغبة الامريكية ومدى الحراجة التي وضعها فيهم موقف السيد السيستاني من قضية الانتخابات وعدم قدرتهم على التأثير عليه بالمطلق بالقول "أدرك المحافظون الجدد المتعجرفون المتحصنون في المنطقة الخضراء في وسط بغداد أن رجل الدين، الذي نادرا ما غادر منزله في زقاق ضيق في النجف، احتجزهم في كف يده، بول بريمر، الوالي الأمريكي في العراق، يمكنه أن يسافر في جميع أنحاء البلاد لكنه لم ينجح أبدا في مقابلة آية الله السيستاني(٥١)، واضافة الصحيفة سببا اخر من الاسباب التي دفعت الولايات المتحدة الامريكية الى الموافقة على الانتخابات وهو اندلاع تمرد سني فكتبت قائلة" بينما انتشر التمرد في جميع أنحاء المناطق المسلمة السنية في شمال ووسط العراق ، أدركت الولايات المتحدة أن عليها التوصل إلى اتفاق مع آية الله العظمى. تحت ضغط عسكري كبير من العرب السنة ، ٢٠ في

المائة من السكان ، لم تكن واشنطن قادرة على محاربة الشيعة أيضا. وافقت على الانتخابات"(٥٢)، وفي مقالها الذي نشرته في التاسع من شباط ٢٠٠٥ ، كتبت الصحيفة "في السياسة هو معتدل. وهو يعارض الاحتلال الأمريكي لكنه لم يصدر دعوة لمعارضته عبر السلاح. صمم على السماح للعراقيين بالتصويت ما أجبر الولايات المتحدة بعد المراوغة الطويلة الموافقة على الانتخابات، لقد تشكل تحت رعايته التحالف العراقي الموحد، الذي كان يضم أحزابًا متنوعة معظمها من الشيعة ومن المرجح أن يفوز على الأقل بنصف الأصوات(٥٣).

سادسا رؤية الصحيفة لموقف السيد السيستاني من الاقتتال الداخلي وحقوق الانسان والمرأة والاقليات.

ربما كان موقف السيد السيستاني من الاقتتال الداخلي أحد اكثر الامور التي تابعتها الصحافة العالمية ومنها صحيفة الاندبيندت وخصصت له صفحات عديدة ونشرت العديد من المقالات التي حللت ذلك الموقف ودوافعه ومدى تطابقه مع حقوق الانسان والاعراف الدولية، وكتبت كثيرا على دعوات السيد السيستاني لتجنب الاستفزاز الذي يقود الى الاقتتال الداخلي لاسيما في اعقاب عمليات القتل والتفجير التي كان يتعرض لها الشيعة ومزاراتهم المقدسة، وكيف ان السيد السيستاني طلب من العراقيين عموما واتباعه خصوصا عدم الانجرار خلف تلك الافعال بردود افعال غير مسؤولة، ففي مقال لها نشرته في السادس من اذار عام ٢٠٠٤، أورد فيه بعض من مواقف السيد السيستاني في اعقاب عمليات القتل والتفجير التي تعرض لها الشيعة واورد اكثر من مثال على ذلك فكتبت " في هذا الأسبوع ، عندما قتل ١٨٠ حاجا بسبب القنابل التي استهدفت الطائفة الشيعية ، كان من الممكن أن نشهد بداية حرب أهلية بين المسلمين الشيعة والسنة ، لكن آية الله سارع إلى فرض

قيود صارمة على الحديث عن الانتقام"(٥٤)، ونشرت في مقال اخر في التاسع من شباط عام ٢٠٠٥ كيف ان السيد السيستاني وفي أعقاب جريمة تفجير المزارات الشيعية وهو امر جلل كاد ان يجر البلاد الى حرب اهلية لا تحمد عقابها "نصح بضبط النفس عندما طالب زعماء الشيعة بالانتقام بعد التفجيرات الدموية للمعابد والمزارات الشيعية(٥٥).

لم يفت الصحيفة أن تشر الى كل مال له علاقة بالسيد السيستاني لاسيما تجاه القضايا العامة العصرية مثل الاقليات وحقوق المرأة والانسان وغيرها وكثيرا ما نقلت الصحيفة موقف السيد السيستاني من الاقليات وعدم التعرض لها وضرورة معاملتها بتسامح كبير فكتبت في أحدى المرات تقول " وأظهر التسامح مع الأديان الأخرى، وفي العام الماضي كان سريعا في إدانة الهجمات على الكنائس المسيحية في بغداد بأنها "جرائم بغيضة"(٥٦).

ولم تغفل الصحيفة تتبع فتواه ومواقفه حتى من اكثر الاشياء حساسية في المجتمع العراقي يومذاك فنقلت موقفه من قضايا متقدمة من حقوق الانسان من وجهة نظر الغرب مثل المثلية الجنسية وان السيد السيستاني أصدر أكثر من فتوى تحظ على عدم التعامل مع تلك الامور من وجهة نظر فردية من جون ضابط حكومي ومجتمعي، فنقلت الصحيفة عن سعادة بعض نشطاء حقوق الانسان بتلك المواقف المعتدلة فكتب في مقال نشرته في السادس عشر من ايار ٢٠٠٦، قائلة "وقد ادعا نشطاء حقوق الإنسان انتصارا معنويا بعد أن قام آية الله العظمى علي السيستاني بنبذ فتوى تدعو إلى قتل المثليين جنسيا "بأقسى طريقة"، وجاء قرار أبرز زعماء الشيعة في العراق لإزالة الدعوة إلى قتل مثليي الجنس من موقعه على الإنترنت بعد سلسلة من الهجمات ضد المثليين جنسيا"(٥٧)، وأنتهى المقال الى ما يمكن وصفه

"بأمنية ودعوة غريبة" فقد كتبت صاحبة المقال تقول "إن أنصار الحرية في العراق مثلي الآن يجدون أنفسهم في موقف غريب يأملون بشدة في بقاء آية الله على قيد الحياة. إذا مات قبل أن تفوز فلسفته السياسية بمعركة الأفكار في العراق ، فإن حججه يجب أن تعمر. لكنني أخشى من أنهم قد يغرقوا بسبب صوت إطلاق النار"(٥٨).

سابعا: رؤية الصحيفة لقضية داعش وفتوى الجهاد وتشكيل الحشد الشعبي.

ومع تطور الاحداث في العراق وصولا الى دخول داعش الاراضي العراقية استمرت الصحيفة في متابعة مواقف السيد السيستاني من مختلف التطورات غير ان متابعة موقفه من دخول داعش وفتواه التاريخية بالجهاد الكفائي شغلت مساحات واسعة من النقاش والجدل من صفحاتها حول طبيعة الفتوى واثارها الايجابية والسلبية وتأثيرها على الداخل والجوار العراقي، ففي مقال لها بعنوان (Isis: The real power in Iraq tells its neighbors to close borders to foreign fighters)(داعش: القوة الحقيقية في العراق تطلب من جيرانها إغلاق الحدود على المقاتلين الأجانب) نشر في ١٧ تموز ٢٠١٥ ، نقلت الصحيفة النداء الذي وجهه السيد السيستاني الى دول الجوار وخصوصا تركيا وسوريا الى ضبط حدودهما واغلاقهما امام تدفق المسلحين فكتبت تقول: "وقد وجه أقوى زعيم ديني شيعي في العراق نداء إلى المجتمع الدولي لإرسال المزيد من الأسلحة الحديثة لبغداد لمساعدته في محاربة داعش، كما يريد آية الله العظمى علي السيستاني ، الذي يعتقد على نطاق واسع أنه يتمتع بسلطة أكبر من جميع السياسيين العراقيين البارزين ، أن تقوم الدول المجاورة بإغلاق حدودها بحيث لا يستطيع المتطوعون الأجانب دخول العراق وسوريا للانضمام إلى الجماعة الإرهابية(٥٩).

وفي مقابلة نادرة مع صحيفة غربية قال الشيخ عبد المهدي الكربلائي ، المتحدث باسم آية الله العظمى: "أهم نقطة هي الأسلحة- فهم لا يقدمون للعراق ما يكفي من الأسلحة" وعلقت الصحيفة قائلة على الرغم من أنه لم يذكر الدول التي تسمح للمقاتلين بدخول العراق وسوريا للانضمام إلى داعش أو جبهة النصرة، فرع القاعدة في سوريا، إلا أنه كان يقصد بالتأكيد تركيا- وهي نقطة القفز الأكثر شيوعا للمتطوعين الأجانب "(٦٠).

وفي مقال أخر حول نفس الموضوع نشر تحت عنوان (فقط رجال الدين العراقيين يمكنهم الفوز ضد إيزيس) (Only Iraq's clerics can win against Islis) للمحرر باتريك كوكبيرن (Patrick Cockburn) كتبت الصحيفة قائلة " من سخرية القدر ، هم الذين يلهمون الرجال للقتال والذين يستطيعون منع الانقسام الطائفي" واضافة الصحيفة في مقالها "بعد تفكك الجيش في العام الماضي دعت فتوى أصدرها السيستاني في ١٣ حزيران إلى أن يحمل الرجال السلاح ضد داعش، وقد جلبت على الفور قوة تطوعية قوية ، متحمسة ، إن لم تكن مدربة تعدادها على الأقل ٥٠,٠٠٠ ، وقد تحولت القوة المحاربة الرئيسية لحكومة بغداد اليوم هي "وحدات الحشد الشعبي" التي قاتلت بنجاح ضد جيوب تسيطر عليها داعش حول بغداد"(٦١)، وخلصت الصحيفة إلى تقييم مفاده " أن آية الله ، الذي لا يتحدث علنا أبدا ، أقوى من رئيس الوزراء ، على الأقل لأنه أصدر فتوى في العام الماضي أدت إلى انضمام عشرات الآلاف من المتطوعين إلى الجماعات شبه العسكرية الشيعية للقتال ضد داعش ، وهي قوى أثبتت مؤخرا أنها أكثر عددا بكثير. أكثر فعالية من الجيش العراقي"(٦٢).

وفي صفحاتها حاولت الصحيفة دائما التركيز على حجم وقوة التأثير بين السيد السيستاني والحكومة لاسيما فيما تعلق بانهيار القوات العسكرية العراقية، فكتبت في أحدى مقالاتها تقييما لقوة وتأثير رجال الدين الشيعة البارزين ومكانتهم بين مؤيديهم ومما جاء في المقال "لطالما كان آية الله العظمى السيستاني ورجال الدين الشيعة مؤثرين بشكل كبير بين الشيعة الذين يشكلون ثلثي سكان العراق والبالغ عددهم ٣٣ مليون نسمة، إن هزيمة الجيش العراقي في الصيف الماضي ، عندما فر من شمال وغرب العراق ، وهزيمة أخرى مهينة من قبل داعش في الرمادي في ١٧ أيار من هذا العام ، أدت إلى المزيد من الضعف في مصداقية الحكومة العراقية، وحقيقة أن فتوى آية الله التي أعلنها الشيخ الكربلائي في ١٣ حزيران ٢٠١٤ ، وادى إلى جمع ٥٠,٠٠٠ رجل، الأغلبية العظمى منهم الشيعة عرضوا الذهاب إلى الجبهة ، أظهرت شعبية وفعالية القيادة الدينية الشيعية مقارنة بعدم الكفاءة، وفساد نظرائهم المدنيين"(٦٣).

وفي الوقت الذي نقلت فيه الصحيفة مخاوف وادعاءات بعض ابناء المناطق التي تم تحريرها مؤخرا من داعش حول تعرضهم الى مضايقات من قبل بعض فصائل الحشد الشعبي كالمخاوف التي نشرتها في مقالها الذي نشرته في السابع عشر من شباط عام ٢٠١٥ ، وجاء فيها " كانت هناك شكاوى من سكان معظمهم من السنة في المدن العراقية استردوا من داعش أن القوات العراقية والقوات شبه العسكرية الشيعية قد قاموا بعمليات انتقامية ضد السكان المحليين ، مشتبهًا في أنهم تواطؤوا مع الإرهابيين"(٦٤)، نقلت الصحيفة في المقابل تأكيدات المرجعية المتكررة لعدم طائفية تلك القوات وكتبت في احد صفحاتها قائلة " كما شدد الشيخ الكربلائي عدة مرات على أن مقاتلي الحشد ، ما يسمى بوحدات التعبئة الشعبية

التي أنشأتها الفتوى، والتي هي اليوم القوة المحاربة الرئيسية للحكومة العراقية، ليست هيئة طائفية". ونقلت الصحيفة قول الشيخ الكربلائي كيف ان اهم دليل على عدم طائفية تلك القوات هو انها لم تشكل من الشيعة لوحدهم بل من كافة فئات الشعب وطوائفه ونقلت قوله: "ليس الشيعة وحدهم ، بل كل العراقيين الذين يقاتلون هذا الشر "داعش" في هذه المعركة هناك شيعة وسنة ومسيحيون ويزيديون. أرى مقاتلين سنة في مكتبي، هذه ليست معركة طائفية"(٦٥)، واضافة الصحيفة نقلا عن الشيخ كربلائي قوله " إن مدنا مثل تكريت التي استعادها الحشد لا تزال مدنا سنية". وقال إن قوات الأمن العراقية لم تقم بأي مذابح، على عكس داعش. "على العكس ، فإنها توفر الطعام والمأوى للأشخاص الذين كانوا تحت حكومة داعش"، وأضاف أن آية اللّه أصدر مرسومًا يقضي بحماية أي شخص يحتاج إلى الحماية أو الطعام والمأوى، بما في ذلك الضحايا السنة تحديدًا"(٦٦).

وأوضح الشيخ "أنه نظر في التقارير التي تفيد بأن حاشد والجيش العراقي كانا يقومان بتطهير طائفي - بما في ذلك الروايات الممنوحة لهذه الصحيفة - كتشهير. وقال: "علينا أن نبحث عن الحقيقة للأحداث الحقيقية في الجبهة ، وليس من الإعلام الغربي". قد يكون بعض هذا من التمني ، لكن صحيح أنه لا يوجد أي طرف آخر في العراق يقوم بعمليات قتل جماعية بنفس حجم داعش ، التي قتلت ١،٧٠٠ مجند من القوات الجوية الشيعية في معسكر سبايكر العام الماضي ، إضافة إلى ٨٦٤ من أعضاء جماعة البويه السنية. قبيلة نمر"(٦٧).

وتستنتج الصحيفة بعد كل ذلك "إن هدف داعش في ارتكاب مثل تلك الفظائع، إلى جانب إراقة الدماء الهائلة، هو إثارة الانتقام الشيعي حتى لا يكون أمام السنة خيار سوى الاعتماد على الدولة الإسلامية. من المحتم أنه إذا ما تم هزيمة داعش في

العراق ، فسوف يتم ضربها من قبل قوة شيعية بشكل ساحق. فقط رجال الدين في النجف وكربلاء يملكون السلطة والرغبة في منع تحول المرحلة القادمة من الحرب إلى حمام دموي طائفي"(٦٨).

الاستنتاجات

مما لاشك فيه أن الصحف العالمية عموما وصحيفة الاندبيندت التي اخترناها نموذجا لتوضيح فكرتنا لم تترك صغيرة ولا كبيرة من تطورات الواقع العراقي بعد عام ٢٠٠٣ ، الا واحصتها سواء ما تعلق منها بالوضع العام في البلاد او مواقف السيد السيستاني منها وبنظرة سريعة لما اوردناها من امثلة ومقالات نشرتها الصحيفة على قلتها يمكن ان نثبت الاتي :

١ـ غطت الصحيفة عبر مقالاتها المتنوعة معظم أن لم نقل كل الاحداث والتطورات التي شهدها العراق بعد عام ٢٠٠٣ ولحد الان.

٢ـ تنوعت المواضيع التي تناولتها الصحيفة فكتبت في المجال السياسي والاجتماعي والاقتصادي والامني ومجالات الاقليات والمرأة وحقوق الانسان وغيرها.

٣ـ تنوعت مصادر معلوماتها التي استقتها عن العراق بين مصادر رسمية او شبه رسمية او حتى مدنية مستقلة.

٤ـ وبقدر تعلق الامر بالمرجع اية الله العظمى السيد السيستاني فقد واكبت وبدقة دوره في الحياة العامة العراقية وركزت بصورة خاصة على مواقفه من التطورات السياسية العامة التي شهدتها البلاد بعد عام ٢٠٠٣.

٥ـ لم تقتصر الصحيفة في مقالاتها على تناول مرحلة دون أخرى او جانب دون اخر من حياة السيد السيستاني فنشرت حول ولادته نشأته تعليمه اساتيذه وشيوخه

تصديه للمرجعية وانتقاله للنجف وغيرها من الامور المتعلقة بالحالة الشخصية للسيد السيستاني.

٦- خصصت الصحيفة مقالات عديدة لتقييم مكانته العلمية وعرضت العديد من اراءه وفتاواه التي عدتها حالة تقدمية قياسا بالحركات والفعاليات الاسلامية الأخرى.

٧- رسم السيد السيستاني بآرائه السياسية والعلمية صورة جديدة عند الغرب تختلف تماما عن تلك التي يحملوها عن رجال الدين لاسيما الشيعة منذ اندلاع الثورة الاسلامية في ايران وتشكيل السيد الخميني قدس سره لحكومة ولاية الفقيه التي لم يجد فيها الغرب نموذجا "ديمقراطيا" بحسب تصوراتهم .

٨- كثيرا ما اجرت الصحيفة وكما غيرها مقارنات ومقاربات سياسية بين نظرية السيد السيستاني في الحكم ونظرية السيد الخميني قدس سره لاسيما ما تعلق منها بولاية الفقيه ودور رجال الدين في الحكم .

٩- لم نلحظ في الصحيفة على الاقل في الاعداد التي اطلعنا عليها انها حملت على السيد السيستاني او انتقدت دوره او شككت فيه أو وجهت له مختلف الاتهامات كما فعلت الكثير من الصحف العربية .

١٠- ثمنت الصحيفة الكثير من الآراء والفتاوى التي اصدرها المرجع الاعلى لاسيما ما تعلق منها بحقوق الانسان والاقليات والمرأة، ووجدت في مشروعه السياسي قمة الحداثة والامل الوحيد في عراق جديد ديمقراطي.

١١-كانت الصحيفة ولحد ما حيادية فيما نقلت من اراء وتقييم عن السيد السيستاني.

١٢-وفي الختام فان الصحيفة مثل مصدرا مهما لدارسة تاريخ العراق الحديث بعد ٢٠٠٣ بصورة عامة ودور السيد السيستاني بصورة خاصة.

الهوامش:

(١) سعت الولايات المتحدة الامريكية ومنذ الاجتياح العراقي للكويت بدايات عام ١٩٩١، الى البحث عن مختلف السبل والذرائع لاجتياح العراق، وهو ما وفره لها في نهاية المطاف السلوك العدواني والتسلطي الذي مارسه الحزب الحاكم في العراق، وفسح المجال لها واسعا للتدخل في الشؤون العراقية وصولا للاجتياح الذي جاء خلافا لميثاق الامم المتحدة، عزري رحيمة، الغزو الامريكي سلطانللعراق سنة ٢٠٠٣، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد خضير –سكرة، ٢٠٠٤، ص٣٣.

(٢) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٣) The Independent, Thursday ٢٧ January ٢٠٠٥.

(٤) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٥) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٦) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٧) The Independent, Wednesday ٩ February ٢٠٠٥.

(٨) The Independent, Wednesday ٩ February ٢٠٠٥.

(٩) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(١٠) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(١١) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(١٢) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(١٣) The Independent, Thursday ٢٧ January ٢٠٠٥.

(١٤) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(١٥) The Independent, Saturday ١٨ July ٢٠١٥.

(١٦) The Independent, Thursday ٢٧ November ٢٠٠٣.

(١٧) كانت أولى خطوات تشكيل النظام الجديد في العراق تعيين حاكم عسكري عليه وتم اختيار السفير الامريكي جي غارنر(Jay Montgomery Garner) للقيام بذلك الدور، لكنه فشل في مهمته، فاختارت الوليات المتحدة ، السفير السابق بول بريمر (Paul Bremer) بدلا عنه ومنح صلاحيات واسعة لسلطة الاحتلال وما بات يعرف "سلطة الائتلاف (Coalition Provisional Authority) والتي قادت البلاد من ٢١ نيسان (**CPA**) التي تعرف اختصارا

٢٠٠٤ الى ٢٨ حزيران ٢٠٠٤، فشكل بريمر مجلس ادارة محلي استند على تقديرات خاصة بسلطة الائتلاف حول النسب السكانية لمكونات الشعب العراقي، محمد أحمد ،الغزو الامريكي-البريطاني للعراق ٢٠٠٣،بحث في الاسباب والنتائج، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٠، العدد ٣ـ٤، ص٢٣؛ عبد الكريم العلوجي ، الصراع على العراق من الاحتلال البريطاني الى سلطان الاحتلال الامريكي، الدار الثقافية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص١٠٣ـ١٠٤.

(١٨) The Independent, Thursday ٢٧ November ٢٠٠٣.

(١٩) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٢٠) The Independent, Thursday ٢٧ November ٢٠٠٣.

(٢١) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٢٢) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٢٣) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٢٤) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٢٥) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٢٦) The Independent, Wednesday ١٨ August ٢٠٠٤

(٢٧) The Independent, Wednesday ١٨ August ٢٠٠٤

(٢٨) The Independent, Wednesday ١٨ August ٢٠٠٤

(٢٩) The Independent, Wednesday ١٨ August ٢٠٠٤

(٣٠) The Independent, Wednesday ١٨ August ٢٠٠٤

(٣١) The Independent, Wednesday ١٨ August ٢٠٠٤

(٣٢) The Independent, Wednesday ١٨ August ٢٠٠٤

(٣٣) The Independent, Friday ٤ April ٢٠٠٣.

(٣٤) The Independent, Friday ٤ April ٢٠٠٣.

(٣٥) The Independent, Friday ٤ April ٢٠٠٣.

(٣٦) The Independent, Friday ٤ April ٢٠٠٣.

(٣٧) The Independent, Friday ٤ April ٢٠٠٣.

(٣٨) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٣٩) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٤٠) The Independent, Thursday ٢٧ January ٢٠٠٥ .

(٤١) The Independent, Wednesday ١٨ August ٢٠٠٤.

(٤٢) The Independent, Thursday ٢٦ August ٢٠٠٤.

سلطان(٤٣) هكذا ورد في المقال والصحيح أحمد الصافي

(٤٤) The Independent, Thursday ٢٦ August ٢٠٠٤.

(٤٥) تم تشكيل مجلس الحكم الانتقالي في ٢٠٠٣/٧/١٣، وانتهت مدة حكمه في الاول من حزيران ٢٠٠٤، وتكون من ٢٥ عضوا، وفي حزيران من نفس العام صدر قرار مجلس الامن الدولي المرقم ١٥١١، الذي اكد نقل السلطة من "سلطة الائتلاف المؤقتة" التي يديرها الاحتلال الى سلطة عراقية مؤقتة مؤلفة من مجلس وطني وحكومة مؤقتين في موعد اقصاه الثلاثين من حزيران عام ٢٠٠٤، ومن بعد ذلك تم تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة والتي تألفت من ٣١ وزيرا بما فيهم رئيس الجمهورية ونائباه، و٢٨ وزيرا، من بينهم رئيس الوزراء ونائبه والتي كان من مهامها العمل على ترتيب نقل السيادة العراقية للحكومة الانتقالية وكتابة الدستور واجراء الانتخابات النيابية، وفي ٢٨ حزيران ٢٠٠٤ اختير غازي عجيل الياور رئيس الجمهورية واياد علاوي رئيس الوراء وتسلما السيادة من السفير بريمر وتم تشكيل الحكومة، عبد الكريم العلوجي ، الصراع على العراق من الاحتلال البريطاني الى الاحتلال الامريكي، الدار الثقافية، القاهرة، ٢٠٠٧، سلطان ص١٠٣-١٠٤.ص١٠٥-١٠٩.

(٤٦) The Independent, Thursday ٢٧ January ٢٠٠٥ .

(٤٧) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٤٨) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٤٩) The Independent, Thursday ٢٧ January ٢٠٠٥ .

(٥٠) The Independent, Thursday ٢٧ January ٢٠٠٥ .

(٥١) The Independent, Thursday ٢٧ January ٢٠٠٥ .

(٥٢) The Independent, Thursday ٢٧ January ٢٠٠٥ .

(٥٣) The Independent, Wednesday ٩ February ٢٠٠٥.

(٥٤) The Independent, Saturday ٦ March ٢٠٠٤ .

(٥٥) The Independent, Wednesday ٩ February ٢٠٠٥.

(٥٦) The Independent, Wednesday ٩ February ٢٠٠٥.

(٥٧) The Independent, Tuesday ١٦ May ٢٠٠٦.

(٥٨) The Independent, Wednesday ١٨ August ٢٠٠٤.

(٥٩) The Independent, Friday ١٧ July ٢٠١٥

(٦٠) The Independent, Friday ١٧ July ٢٠١٥

(٦١) The Independent, Saturday ١٨ July ٢٠١٥

(٦٢) The Independent, Friday ١٧ July ٢٠١٥

(٦٣) The Independent, Friday ١٧ July ٢٠١٥

(٦٤) The Independent, Friday ١٧ July ٢٠١٥

(٦٥) The Independent, Friday ١٧ July ٢٠١٥
(٦٦) The Independent, Friday ١٧ July ٢٠١٥
(٦٧) The Independent, Friday ١٧ July ٢٠١٥
(٦٨) The Independent, Saturday ١٨ July ٢٠١٥

Abstract:

The objective of our research is the Western press and the role of ayatan allah. Sistani in the internal Iraqi developments (٢٠٠٣-٢٠١٨) The Independent newspaper (British as example) to study the nature of the position of the world press on the developments in Iraq in general after ٢٠٠٣ and its vision of the role of the supreme authority ayatan allah. Sistani These events, and we seek to prove that the press is a very important source of sources documenting the history of modern Iraq at least details from a Western point of view, and that our knowledge of these details enable us in the end to develop a research strategy and media to deal with these newspapers and try to keep pace or respond But our choice of the newspaper did not come randomly, but because it is issued from a country with a long history of relations with Iraq is Britain and therefore any rule of the newspaper stems from the background of intellectual and historical solid and it is characterized by its culture and spread and spread and possess the technical and practical qualifications make it a successful example Study

دور المرجعية في التصدي للحركات الإلحادية والتيارات المنحرفة

أ . م . د طارق حسن الأسدي – جامعة ذي قار كلية العلوم الإسلامية

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين وأفضل الصلاة والتسليم على نبينا محمد (ص) وعلى آله الطيبين الطاهرين

وبعد ...

إن الذي يطلع على تاريخ الحوزة العلمية والمرجعية الدينية يتبين له مدى الثروة العلمية الكبيرة لفقهاء أهل البيت (ع) وما تتضمنه هذه المدرسة من رؤى فقهية وأفكار عميقة ودراسات ومناهج في الاجتهاد والتجديد في مناهجه إلى أن أضحى صرحا علميا شامخا على امتداد التاريخ .

وعلى الرغم من أن البعض جعل دور المرجعية يقتصر على الناحية العلمية لكن في الحقيقة إن دور المرجعية كان اجتماعيا وسياسيا وفكريا أيضا ، ويشهد على ذلك التاريخ المشرف للمرجعية من خلال تصديها للتيارات الفكرية المعادية للإسلام والتي بثت سمومها في المجتمع الإسلامي فضلا عن بروز الجانب الاجتماعي لهذه الجهة الدينية العريقة والتي أخذت على عاتقها الاهتمام بمشاكل وهموم الناس ، إضافة إلى الأدوار السياسية الشجاعة ضد السلطة .

هذا وقد ظهرت على الساحة الفكرية والعقائدية حركات وتيارات فكرية منحرفة اكتسحت مدن العراق ونواحيه مستهدفة الإنسان المسلم في عقيدته ودينه ، فانبرت المرجعية للتصدي لها وكشف حقيقتها وتفنيد أفكارها وتحذير الأمة من خطر السقوط في مكائدها .

وقد اتخذ الباحث موضوع الدراسة (دور المرجعية في التصدي للحركات الإلحادية والتيارات المنحرفة) لبيان دور المرجعية في ضوء تنامي وتطور وسائل التواصل الحديثة والمعلومات السريعة فتعددت من خلالها الرؤى والأفكار المتنوعة ومنها الأفكار العلمانية ، مستغلة ذلك الوضع السياسي المتخلخل الذي يعيشه العراق وكذلك الوضع الإقليمي الذي شهد عدوانا صريحا على العراق وشعبه ، مما أضحى لقمة سائغة لأفواه الآخرين الذين يسعون لتدمير العراق وأهله .

هذا وقد قسمت البحث إلى مقدمة ثم تناولت البحث في فصلين ، تضمن الفصل الأول مكانة المرجعية ونشوء الحركات الإلحادية والمعادية للإسلام وآثارها وذلك ضمن مبحثين ، أما الفصل الثاني فتضمن المبحث الأول فيه تصدي المرجعية لهذه الحركات الفكرية المعادية للإسلام ومن ثم المبحث الثاني الذي اشتمل على دور الآخرين في مواجهة هذه الأفكار المضادة للإسلام .

والحمد للّه ربّ العالمين

تمهيد :

الإلحاد لغة واصطلاحا :

نجد أن الإلحاد هو الميل عن الاستقامة والانحراف عن طريق الحق والإيمان وقد ظهر هذا في كلمات اللغويين .

فقد قال ابن منظور : ((ألحد : مال ، وقيل : لحد مال وجار ، وقال ابن السكيت : الملحد : العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس فيه ، يقال : قد ألحد في الدين ، ولحد : أي حاد عنه ، وروي : لحدت : ملت وألحدت : ماريت وجادلت ، وألحد : مارى وجادل ومعنى الإلحاد في اللغة : الميل عن القصد .... لحد إليه بلسانه : مال))[1]

وقال آخرون : ((وألحد فلان : مال عن الحق، وألحد في دين اللّه، حاد عنه وعدل ، وسمي اللحد لحدا لأنه قد أميل عن وسط القبر إلى جانبه ، والملتحد : الملجأ، سمي بذلك لأن اللاجئ يميل إليه))[٢]

& الإلحاد اصطلاحا :

ذكر بأنه هو مصطلح عام يستعمل لوصف تيار فكري وفلسفي يتمركز حول فكرة إنكار وجود خالق أعظم، أو أية قوة إلهية بمفهوم الديانات السائدة. وببساطة شديدة فإن الإلحاد يعني إنكار وجود اللّه لعدم توافر الأدلة على وجوده، فمنطق الإلحاد هو " إن ما لم تثبته التجربة العلمية يكون خاطئا وتافها ومنقوصا من أساسه.[٣]

وكلمة الإلحاد في القرآن لا تأتي بمعنى الإلحاد بالمفهوم الحالي (المعاصر) المتعارف عليه. وكذلك الشخصيات المذكورة في القرآن من الذين كانوا لا يؤمنون بالرسالة النبوية كانت شخصيات غير ملحدة (بالمفهوم المعاصر) بل كانوا يؤمنون بتعدد الآلهة (مشركون) فرغم اعتقادهم بوجود الإله الأوحد فإنهم كانوا في نفس الوقت يؤمنون بأن التماثيل التي كانوا يعبدونها باستطاعتها الشفاعة لهم عند الإله الأعظم ، قال تعالى﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[٤]

وفكرة إنكار وجود الخالق من الأساس فكرة مستبعدة تماما في كل العصور، لأن الإنسان فطِر على وجود إله خالق، وهذه حقيقة لا ينكرها حتى الملحد، لكنه يعاند ويكابر ، قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [٥] .

هذا ويمكن تقسيم الإلحاد إلى قسمين :

إلحاد موجب : وهو نفي وجود إله .

وإلحاد سالب وهو عدم الاعتقاد بوجود إله.

فالفرق بين الملحد الموجب والسالب ـ عندهم ـ هو أن الملحد الموجب ينفي وجود اللّه تعالى، وقد يستعين بنظريات علمية وفلسفية لإثبات ذلك، بينما الملحد السالب يكتفي فقط بعدم الاعتقاد باللّه نظرا لعدم قناعته بالأدلة التي يقدمها المؤمنون .

لكن الملحدين عموما يركزون كثيرا على أن العلم الحديث ينافر الإيمان باللّه ويناقضه متشبثين بنتائج أثبتها علم الطبيعة والأحياء وعلم النفس[٦]

الفصل الأول : مكانة المرجعية ونشوء الحركات الإلحادية والمعادية للإسلام وآثارها

المبحث الأول : مكانة المرجعية وأهميتها

المرجع هو الذي ترجع إليه الأمة في أمورها كلها وبالخصوص الحوادث المستجدة. فمسألة المرجعية ليست رهبنة ولا مقتصرة على إعطاء الفتوى في الأمور العبادية فقط أو ما شابهها مما هو مدون في الرسائل العملية ، بل المرجعية شاملة لكل مجالات الحياة، وأبرزها الحوادث الواقعة المستجدة التي تواجه الأمة ، ولو اقتصرت المرجعية على الشؤون المدونة في الرسائل العملية لاكتفت الأمة بكتاب يدون فيه جميع المسائل ترجع إليه الأمة عند حاجتها ويكون شبيها بالكتب الدراسية التي يؤلفها المختصون في الجامعات والمدارس.

وأهمية المرجعية ترجع إلى قدرته على بناء وحفظ كيان الإسلام، وبسطه واعتلائه ، وذلك لأن المرجع هو الحافظ للإسلام والحارس لجميع ما يتعلق بالمنظومة الإسلامية. وهو الملاذ عند الفوادح والمخاطرات بجميع أشكالها سياسية واقتصادية وفكرية وغيرها.

وهو الجبل الأشم أمام التيارات المضادة الداخلية والخارجية الآتية من أعداء الإسلام وأصحاب المذاهب الفكرية والاعتقادات الباطلة مثل الماسونية والوهابية والبهائية، وأصحاب القوانين الوضعية المخالفة للإسلام

ولا ملاذ للمسلمين اليوم إلا المرجعية لصيانة دينهم وحفظ قرآنهم، وتماسك كيانهم، وبقاء قبلتهم.

قال الإمام الصادق عليه السلام : (إن العلماء ورثة الأنبياء. وذاك أن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا، وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ شيئا منها فقد أخذ حظا وافرا. فانظروا علمكم هذا عمَّن تأخذونه فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولا ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)[٧]

إنّ أهمّ ما يميّز المرجعيّة الصالحة تبنّيها للأهداف الحقيقيّة التي يجب أن تسير المرجعيّة في سبيل تحقيقها لخدمة الإسلام ، وامتلاكها صورة واضحة محدّدة لهذه الأهداف ، فهي مرجعيّة هادفة بوضوح ووعي ، تتصرّف دائما على أساس تلك الأهداف بدلا من أن تمارس تصرّفات عشوائيّة وبروح تجزيئيّة وبدافع من ضغط الحاجات الجزئيّة المتجدّدة .

وعلى هذا الأساس كان المرجع الصالح قادرا على عطاء جديد في خدمة الإسلام وإيجاد تغيير أفضل لصالح الإسلام في كلّ الأوضاع التي يمتدّ إليها تأثيره ونفوذه .

ومن أهم أهداف المرجعية هو نشر أحكام الإسلام على أوسع مدى ممكن بين المسلمين والعمل لتربية كلّ فرد منهم تربية دينيّة تضمن التزامه بتلك الأحكام في سلوكه الشخصي .

وتعمل المرجعية على إيجاد تيّار فكري واسع في الامّة يشتمل على المفاهيم الإسلاميّة الواعية ، من قبيل المفهوم الأساسي الذي يؤكّد بأنّ الإسلام نظام كامل شامل لشتى جوانب الحياة ، واتّخاذ ما يمكن من أساليب لتركيز تلك المفاهيم .

وكذلك تعمل على إشباع الحاجات الفكريّة الإسلاميّة للعمل الإسلامي ، وذلك عن طريق إيجاد البحوث الإسلاميّة الكافية في مختلف المجالات الاقتصاديّة والاجتماعيّة ، والمقارنات الفكريّة بين الإسلام وبقيّة المذاهب الاجتماعيّة ، وتوسيع نطاق الفقه الإسلامي على نحو يجعله قادرا على مدّ كلّ جوانب الحياة بالتشريع ، وتصعيد الحوزة ككلّ إلى مستوى هذه المهام الكبيرة .

وتمارس المرجعية القيمومة على العمل الإسلامي والإشراف على ما يعطيه العاملون في سبيل الإسلام في مختلف أنحاء العالم الإسلامي من مفاهيم وتأييد ما هو حقّ منها وإسناده وتصحيح ما هو خطأ .[٨]

إذن يتضح أن المرجعية هي القيادة العليا للأمة، وبانية الحضارة الإنسانية العريقة، وحافظة التراث الإسلامي الناصع، والذائدة عن حريم الإسلام المقدس، والمعايشة لآلام الناس، والمطلع على مشاكلهم، والمدافعة عن مظلوميتهم والحافظة لحقوقهم .

ومن المعلوم إن الأحكام العامة ثابتة لا تتغير قال الإمام الصادق ع : (حلال محمد حلال أبدا إلى يوم القيامة وحرام محمد حرام أبدا إلى يوم القيامة)[٩] ، ولكن الفتاوى خاضعة للظروف الزمكانية والموضوعية والشخصية ووضع الأمة ، وهذا يتطلب معرفة كل ذلك حين إصدار الفتوى ، فالفقيه الذي يحق للمجتمع تقليده واتباعه، وتسليمه أزمة الأمور كلها والقيادة هو الفقيه الذي يتصف بما ذكرنا عالما بجميع تعاليم الإسلام العبادية والمعاملاتية وكل ما يمت إلى الحياة العامة بصلة.

لذلك أمرنا باتباع الفقيه الجامع للشرائط باعتبار ان المكلف بل كل إنسان يسأل عما يجهله ومن أهل الاختصاص وذلك باعتبار انهم اعرف به من غيرهم قال تعالى : ((فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون))[١٠] فهي دلت على وجوب

السؤال عند الجهل ، ومن الظاهر أن السؤال مقدمة للعمل ، فيكون معنى الآية ((فأسألوا أهل الذكر)) لأجل أن تعملوا على طبق الجواب ، لا أن المقصود الأصلي هو السؤال نفسه ، لوضوح أنه لغو لا أثر له ، فلا مصحح للأمر به لو لم يكن مقدمة للعمل ، فتدلنا الآية على جواز رجوع الجاهل إلى العالم وهو المعبر عنه بالتقليد))[١١]

وقد أكد الأئمة عليهم السلام على الرجوع إلى الفقهاء في أمور دينهم وان عليهم أن يقلدوه في مسائل دينهم فقد قال الإمام العسكري عليه السلام: (فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه، حافظا لدينه، مخالفا على هواه مطيعا لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه)[١٢]

المبحث الثاني :

المطلب الأول : نشوء الحركات الإلحادية والمعادية للإسلام

ذكر القرآن الكريم هذا الأمر، حيث عبّر عن الملحدين بالدّهريّين في قوله تعالى : (وَقالوا ما هِيَ إِلا حَيَاتُنا الدُنيا نَمُوتُ وَنَحيا وَما يُهْلِكُنا إِلا الدَهرُ وَما لَهُم بِذَلِكَ مِن عِلمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُون)، وتشير هذه الآية إلى أنّ هذا النّمط من الاعتقاد مبنيّ على الظنّ وليس على علم، ما يعطي المسألة جدلا مستمرا، لأنّ القاعدة عندما تبنى على أسس ظنيّة بعيدة عن العلميّة والموضوعيّة، فلن يغيّر الحوار في هذا الواقع على المستوى المطلوب، لأنّ الظنّ لا يولد حقيقة،

والتاريخ يشهد بنشوء الحركات الإلحادية على مستوى أفراد أو جماعات وكانت تنتهز الفرص للتأثير على معتقدات المسلمين والعمل على إضعافهم وتوهين مذهبهم.

وهي نتاج تلقائي وإفراز طبيعي عند مراجعة السنن التاريخية وما يحدث فيها من حركات الضلال والانحراف التي تسعى لزعزعة كيان الأمة الإسلامية .

وعند مراجعة ما قام به الأئمة ع في مواجهة هذه الفئات الضالة ، نجد كيف أنهم قاموا بالرد عليهم وكيف أدحضوا حججهم الباطلة ، فقد ذكر كل من الشيخين الصدوق والطبرسي وغيرهما جملة من المواقف التي واجهها الإمام عليه السلام مع الزنادقة والملحدين، وهي تدل على غزارة علمه ووضوح نهجه وإيمانه بحرية الرأي، مع ثقته بالقدرة على دفع شكوك سائليه دون أن تبدر منه بادرة غضب مهما كان السؤال منكرا أو بادرة ضعف، بل قد يبلغ في إجاباته مبلغا من العمق لم تصله الفلسفة فيما بعد .[١٣]

وأيضا قد تعرض المسلمون في عهد الإمام الصادق عليه السلام، إلى هزة فكرية وعقائدية عنيفة بسبب السياسات المتبعة من قبل من كانوا ينعتون أنفسهم بـ "الخلفاء" من بعد النبي الأكرم صلى اللّه عليه وآله، فقد كانت المرحلة الانتقالية من الحكم الأموي إلى الحكم العباسي، بمنزلة الأعاصير التي تضرب إيمان وعقيدة وأخلاق المسلمين التي شيدت خلال حوالي قرن من الزمن، بجهاد وتضحيات النبي وأهل بيته وأصحابهم. فلم يرى المسلمون آنذاك، سوى الاستئثار بالمال العام والاستغلال البشع للسلطة وتفشي الطبقية وضياع القيم الأخلاقية والإنسانية، وعودة الكثير من القيم الجاهلية وأبرزها تحكيم منطق القوة بهدف الهيمنة والتسيّد، الأمر الذي فتح الأبواب أمام الأفكار الفلسفية القادمة من الغرب والتي تدّعي البحث عن الحقائق في الحياة والكون، فبدأت شريحة كبيرة من المجتمع الإسلامي آنذاك، تشكك بمساعدة هذه الأفكار بما آمنت به من قبل، بالعدل والمعاد والثواب والعقاب وحتى التشكيك بالنبوة والتوحيد.

في مثل هكذا أجواء عاش الإمام الصادق، عليه السلام، فإذا كان كما يقول المؤرخون بأن عهده كان أفضل العهود التاريخية لنشر علوم وثقافة أهل البيت، عليهم السلام، فانه كان من أصعبها وأكثرها تعقيدا في التعامل مع المخلفات

الفكرية والثقافية للصراع الدموي على السلطة وانحراف الحكام وطغيانهم. وهذا ما دعا الإمام، عليه السلام، لأن يتعامل مع مجتمع ذلك الوقت بمنتهى الذكاء والحنكة بإتباع منهج العقل والحكمة ومطابقة الأحكام والتعاليم مع الفطرة الإنسانية. وهذا ما كان يعجز أكثر الملحدين جدلا وأشد المعاندين، فينسحبون بهدوء من أمام الإمام، عليه السلام، ويقرون بحقانيته.

وللإمام الصادق (عليه السلام) مناظرات علمية كثيرة مع الملحدين والزنادقة، منهم من كان يأتيه ويسأله سؤال استفهام واسترشاد، ومنهم من كان على عناده وسابق رأيه ، ولكن الكل يكن له الاحترام والتبجيل ، ويقتنع بما طرحه الإمام عليه السلام من حجج تبطل أفكار من يشكك بالدين الإسلامي .

وأيضا قد انتشرت في عصر الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) الكثير من الفرق والتيارات والمذاهب والنحل المنحرفة والضالة كالزنادقة والملاحدة ، وقد اعتمد الإمام الكاظم عليه السلام على مناظرتهم ومحاورتهم بالأساليب العلمية القوية التي ينهزم أمامهم أصحب الفكر السقيم، ويعود بعضهم إلى الحق، كما اتبع الإمام الكاظم (عليه السلام) الإقناع بأدوات العقل والبديهة، وهو الأمر الذي لا سبيل لإنكاره من قبل أصحاب الأفكار المنحرفة.

وأيضا قد انتشرت في عهد الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) الحركة الإلحادية، وأخذت تدعو إلى التفسخ والتحلل من الأخلاق والدين، وإنكار الخالق تعالى، أو وجود بعض صفاته الثبوتية أو السلبية، وعدم الإيمان بالأنبياء والرسل والأوصياء، وإنكار المعاد. وأخطر أشكال الإلحاد هو نكران وجود الله تعالى وهي الفكرة التي ترتكز عليها الشيوعية ومختلف أنواع التيارات الملحدة

وقد تكاثرت الدعوة إلى الإلحاد والزندقة في العصر العباسي الأول، وتبنت أفكار الإلحاد والانحراف والزندقة مجموعة من التيارات الملحدة، ومنها:

المانوية التي قامت ببث الأفكار الإلحادية في العصر العباسي الأول .

ومنها المزدكية وقد انتشرت هذه الفرقة في العصر العباسي الأول، لأنها تدعو للتحلل من الالتزامات الدينية، والقيم الاجتماعية، وتدعو للتحرر من كل القيود الأخلاقية، وتنكر القيم الدينية، فاعتنقها خلق من الناس للانسياق مع شهواتهم وأهوائهم، والتخلص من التزاماتهم الدينية.

ومنها الزرداتشية وقد راجت الزرادشتية في العصر العباسي الأول، واعتنقها خلق من البسطاء المغرر بهم، وقد عملت على محاربة القيم الإسلامية، وتفكيك الروابط الاجتماعية، وتحلل المسلمين من الخلق والآداب الإسلامية. [١٤]

وعلى أي حال، فإن هذه المبادئ التي انتشرت في العصر العباسي تكشف لنا بوضوح عن الفراغ العقائدي، وضحالة التفكير، وسيادة الجهل، وعدم إحاطة المسلمين بواقع دينهم الذي يدعو إلى اليقظة الفكرية، والتحرر من جميع رواسب الجهل والجمود . [١٥]

وقد أشار المترجمون لسيرتهم إلى بدعهم وأضاليلهم التي تدل على كفرهم وزندقتهم، ومروقهم من الدين. يقول الشيخ باقر شريف القرشي : ((عمد هؤلاء الملحدون إلى إفساد المجتمع الإسلامي، وإشاعة الفوضى والتحلل بين المسلمين، كما عمدوا إلى تشويه الإسلام، وذلك بافتعال الأخبار الكاذبة التي تحط من كرامة الإسلام، وقد اعترف عبد الكريم بن أبي العوجاء بذلك، فقد صرح قبل أن ينفذ فيه حكم الإعدام، فقال: «لئن قتلتموني فلقد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوب)) [١٦].

اتخذ الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) مواقف حازمة تجاه الملاحدة والزنادقة، وتبيين فساد معتقداتهم وانحرافاتهم العقائدية والفكرية، وذلك بالمنطق العلمي، وإتباع المنهج العلمي في الرد عليهم، وبيان انحرافاتهم، كما

كان للإمام (عليه السلام) الكثير من المواقف في التبرؤ منهم، ولعنهم، وتحذير المسلمين من التأثر بهم، وأهمية الابتعاد عنهم، وعدم مجالستهم أو مؤاكلتهم أو مناكحتهم؛ حتى لا يتأثروا بفكرهم المنحرف.

وقد ذكر العلامة الطبرسي في كتاب الاحتجاج[١٧]، بعض احتجاجات ومناظرات الإمام الكاظم (عليه السلام) مع الزنادقة والملاحدة، والتي بينت زيف وضعف أفكارهم، ورد الشبهات التي كانوا يبثونها بين الناس، وخصوصا في الحقل العقائدي والكلامي.

ويطول الكلام بذكر مواجهة هذه الحركات الإلحادية على مر التاريخ ، لكن الأهداف واحدة بل إن الحركات المعاصرة قد اجترت من الماضي الإشكالات والحجج الواهية ، فمنذ منتصف الخمسينات تأسس عداء الحزب الشيوعي العراقي للمرجعية الدينية الإسلامية بالتحديد وخصوصا الشيعية في العراق، وذلك على خلفية تحريم الشيوعية وإطلاق فتوى المرجع الديني الأعلى أنذلك السيد محسن الحكيم والتي كان نصها " الشيوعية كفرٌ والحاد " وكان لصدور هذه الفتوى سببين الأول إن الحزب الشيوعي أشاع مظاهر الانحلال الأخلاقي الجنسي كما يرى رجال الدين وذلك حين دعا إلى المشاعية الجنسية والاختلاط بين الجنسين بدون ضوابط أؤكد بدون ضوابط وكان هتافه الشهير بالعامية العراقية (بعد شهر ماكو (لايوجد) مهر و القاضي نذبه (نرميه) بالنهر)، وهذا ما يتنافى والشريعة الإسلامية ويضع علماءها تحت التهديد والمسؤولية.

إما السبب الثاني والأهم هو ما تبناه الفكر الشيوعي وما اعتبره جزءً من مبادئه وهي نظرية " الدين أفيون الشعوب "وان عليها ان تتخلص من الأديان للتخلص من البؤس والشقاء فهم بهذا يقيسون على الدين الذي هو وليد السلطة الظالمة وعلى ما يفعله من يحسب على الدين ، فغاب عن الملحد إن الدين أمر الهي وان السلطة زائلة .

المطلب الثاني : آثار الأفكار الإلحادية في المجتمع :

أوّل الآثار التي يخلفها الإلحاد في نفوس الأفراد هو القلق والحيرة والاضطراب والصراع النفسي. وذلك أن داخل كل إنسان منا فطرة تلح عليه، وأسئلة تتلجلج في صدره: لماذا خلقنا؟ ومن خلقنا؟ وإلى أين نسير؟ وإذا كانت زحمة الحياة، وشغلها الشاغل يصرف الإنسان أحيانا عن الإمعان في جواب هذه الأسئلة، والبحث عن سر الحياة والكون فإن الإنسان يصطدم كثيرا بمواقف وهزات تحمله حملا على التفكير في هذا السؤال، فالأمراض والكوارث، وفقد بعض الأهل والأحبة، والمصائب التي تصيب الإنسان لابد أن تفرض على الإنسان أن يفكر في مصيره ومستقبله. ولما كان الإلحاد عقيدة جهلانية ـلأنه يقوم على افتراض عدم وجود إله ـ فإنه لا يقدم شيئا يخرج هذا الإنسان من الحيرة والقلق والالتباس ويبقى لغز الحياة محيرا للإنسان، ويبقى رؤية الظلم والمصاعب التي يلاقيها البشر في حياتهم كابوسا يخيم على النفس ويظل الإلحاد عاجزا عن فهم غاية الحياة والكون، ولا يقدم للإنسان إلا مجموعة من الظنون والافتراضات لا تقنع عقلا ولا تشفي غليلا. ومع إلحاح نداء الفطرة الداخلي وتردد تلك الأسئلة الخالدة في النفس يظل الإنسان قلقا معذبا .

ومن الآثار الأخرى هو أن الإلحاد يقطع صلة الإنسان بالآخرة، كدار أخرى للنعيم إذا ما آمن وأحسن العمل في الدنيا؛ فلا يبقى للإنسان منظور لهذه الدنيا غير المتعة واللذة الشهوانية الخالصة. ومع قصر عمر الإنسان يصبح التلذذ بالشهوات والتمتع بها في ظل التنافس عليها والتباهي بها والصراع من أجلها غايته الأسمى وهدفه الأول.

فالملحد يعيش ليتمتع بالشهوات فقط، وكل جهده في الحياة مبذول لهذه الغاية؛ حتى العلم يخوضه استمتاعا ويوظفه للمتعة، أو مقابل الحصول على مردود مالي يوصله للمتعة.

وأيضا من الآثار التي يمكن ذكرها هو دفع الفرد إلى الأنانية المطلقة والنظرة المنفعية التي تدور حول لذاته هو ومتعه، غير مبالٍ بمن حوله، طالما وأنه لا غاية خلف الوجود والحياة غير الفناء ، فيعيش الملحد فراغا روحيا .

لكن قد تنعكس الآثار على المجتمع إذ نرى شيوع حالات الانتحار وخاصة الشباب منهم ، ورغم أنّ هناك أسباب عدة خلف الانتحار، وتختلف الدوافع من شخص إلى آخر، إلا أنّ كثيرا من الدراسات النفسية تؤكد أن الاضطرابات النفسية –مثل القلق والاكتئاب والانهيار النفسي- تحت تأثير ضغوطات الحياة المادية والاجتماعية تقف وراء هذه الظاهرة بالدرجة الأولى.

فإذا كان الإلحاد سببا من أسباب هذه الاضطرابات النفسية النابعة من فقدان الهوية وتيهان الوعي وغياب أي معنى رسالي للوجود وغائي للحياة، فإن من الطبيعي أن يكون الانتحار أثرا من آثاره.

ومما دمره الإلحاد في البشرية الأسرة، الخلية الأولى للبناء الاجتماعي. فقد أدى الإلحاد إلى إشاعة الفواحش وإطلاق الغرائز الجنسية خارج إطار الزوجية. فنشأ عن هذه الممارسات ضياع الأنساب واختلاط الأرحام، فلا يجد المولود رعاية ولا أسرة مرتبطة ينتمي إليها.

فنشأ جيل لا يعرف من العلاقات التي تحكم تصرفه في الحياة غير علاقات المنافع المادية والمصالح الشخصية، أو الجنس والمتعة. فنظرته للارتباطات الزوجية نظرة للقيود، فلا يوجد شعور بأهمية الأسرة والأبناء، وإنما هي المتع. كما أنّ فكرة

المساواة المطلقة التي جعلت من المرأة ندا للرجال في ميادين العمل أخرجت المرأة من دورها الطبيعي كزوجة وأم. لذا يعيش الكثير من الأفراد خارج إطار الزوجية وتبعاتها، وتنتشر العلاقات الجنسية كعلاقات متعة لا تهدف للإنجاب.

بينما اللّه سبحانه يقول اللّه : ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند اللّه أتقاكم إن اللّه عليم خبير))[١٨]

ويقول سبحانه أيضا : ((فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم سلطان أولئك الذين لعنهم اللّه فأصمهم وأعمى أبصارهم))[١٩].

الفصل الثاني : تصدي المرجعية لهذه الحركات الفكرية المعادية للإسلام ودور الآخرين في مواجهتها المبحث الأول : تصدي المرجعية للحركات الفكرية المعادية للإسلام

لقد عمت العالم الإسلامي تيارات فكرية وعقائدية مختلفة ، وكان من بينها التيارات الإلحادية ، وذلك بسبب ظروف الصراع بين أمريكا والاتحاد السوفيتي (سابقا) ، وكان الكثير من مستضعفي العرب والمسلمين يجدون أن الملجأ لمواجهة الاستكبار الغربي هو الاتحاد السوفيتي والأحزاب الشيوعية التي انتشرت في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، وهذا اللجوء لم يكن سياسيا فقط ، بل كان في كثير من الأحيان ينجر الوقوع تحت التأثير الفكري للشيوعيين والماركسيين إلى حالة الإلحاد ومحاربة الدين ، حيث قام التيار الشيوعي بمساعدة وإسناد المجتمع الإسلامي في التحرر من الاستعمار الغربي ، مقابل مكاسب مادية ومعنوية وهي القضاء على العدو الغربي الذي كان ينافسه وكذلك إسقاط المجتمع المسلم تحت تأثير الأفكار الإلحادية التي كان يتبناها الشيوعيون ،فكان للإمام محسن الحكيم[٢٠] دور كبير ودقيق في هذه المسألة لأنه من ناحية يحاول أن يحافظ على

المواجهة مع الغربيين والدول الاستعمارية ومن ناحية أخرى يحافظ على دين الناس وثقافتهم حيث تمكن من عزل الحزب الشيوعي من ناحية ومن ناحية أخرى أخذ يتصدى للأمور السياسية العامة لمواجهة الحكومات العميلة للغرب وللاستكبار، وذلك جراء الفتوى الكبيرة التي أصدرها فيما يتعلق بتحريم الانتماء للحزب الشيوعي والتي جاء فيها { الشيوعية كفر وإلحاد } وقد صدرت هذه الفتوى عام ١٩٥٩م.

سئل السيد الحكيم يوما عن رأيه في السياسة وتدخل العلماء فيها فأجاب: "إذا كان معنى السياسة هو إصلاح أمور الناس بحسب الأصول العقلائية الصحيحة والعمل على تحقيق رفاهيتهم كما هو المعنى الصحيح للسياسة فإن الإسلام كله هو هذا وليس هو غير السياسة وليس للعلماء وظيفة غير هذه وأما إذا كان المقصود من السياسة معنى آخر فإن هذا شيء غريب عن الإسلام".

ولما أنزلت بريطانيا قواتها في منطقة الفاو الواقعة في الخليج العربي بهدف السيطرة على العراق وقامت طائراتها بقصف مدنه و قتل أبناء الشعب العراقي أصدر أستاذه المرحوم السيد محمد سعيد الحبوبي أمرا بالجهاد وذهب بنفسه إلى مدينة الناصرية الواقعة في جنوب العراق فرافقه السيد محسن الحكيم في سفره الجهادي هذا وأظهر السيد الحكيم وأستاذه صبرا واستقامة في تلك الجبهات.موسوعة أنصار الحسين

كما وقف الإمام الحكيم (قدس سره) موقفا بطوليا ضد النظام الاشتراكي حيث أصدر الإمام الحكيم (قدس سره) فتواه بتحريم الاشتراكية عام ١٩٦٥م وكان لهذه الفتوى الأثر الكبير جدا في العالم الإسلامي ، فبدأ التحرك ضد الشيوعية والاشتراكية ، ففي أفغانستان مثلا كان هذا التحرك بزعامة السيد الواعظ (محمد سرور) وهو من كبار علماء أفغانستان والذي استشهد على يد

السلطات الأفغانية آنذاك ، وكان السيد محمد سرور في النجف الأشرف ومن طلاب الإمام الحكيم (قد)، وتبنى خطه الجهادي ثم ذهب إلى أفغانستان في وقت كانت الشيوعية نشطة هناك ، ولما جاء داود خان للحكم قاومه السيد محمد سرور حتى يوم اعتقاله

وفي لبنان انطلق السيد موسى الصدر والسيد محمد حسين فضل اللّه ، والشيخ شمس الدين ، وغيرهم من العلماء لمحاربة التيار الشيوعي مع المحافظة على المواجهة مع الحالة الغربية ، ونفس الأمر كان في باكستان إذ جاءها السيد مهدي الحكيم (قد) وكان الرائج في الأوساط الشيعية في باكستان ، هو تبني الأفكار اليسارية والاشتراكية ، ودخل الإمام الحكيم إلى باكستان من خلال نجله السيد مهدي الحكيم (قد) الذي قام بحملة واسعة من الخطابات والبيانات وجمع العلماء ليشكل جبهة دينية إسلامية مقابل التيار الشيوعي في باكستان ، كما قام الإمام الحكيم بإرسال العلماء إلى المناطق الشيعية في المدن والقرى والأرياف البعيدة والمجهولة لنفس هذا الأمر.

وهو أول من دافع عن الحكم الإسلامي في الجهاد ضد الانكليز. كما دافع عن المسلمين السنة عام ١٩٥٨ و ١٩٥٩، حيث كانت هناك محاولات لضرب العلماء السنة. كما دافع عن الأكراد في شمال العراق وأكثريتهم الساحقة من السنة. وكذا موقفه من قضية فلسطين، وموقفه ضد المحاولة التي تبناه آنذاك النظام المصري من الاشتراكية؛ لتحريف الإسلام وجعل المنهج الاشتراكي وكأنه يمثل الخط الإسلامي الأصيل..

وكذلك موقف الإمام الحكيم (قدس سره) من قضية إعدام قادة الإخوان المسلمين بمصر وشجبه لعملية الإعدام ... وتعامله ومواقفه مع التيارات الكافرة التي

اجتاحت الساحة الإسلامية، الغربية منها والشرقية، فالإمام الحكيم (قدس سره) حفظ التوازن بين وحدة المسلمين من ناحية، والدفاع عن الشيعة من ناحية أخرى؛ لذلك أصبح للمرجعية الدينية كيانها السياسي القوي المتفاعل في أوساط الأمة، وله أجهزته الناشطة فيها.[٢١]

هذا وقد تأسست جماعة العلماء سنة ١٩٥٨م ، وذلك بمبادرة من بعض العلماء القياديين في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف، وكان الغرض الأساسي من تأسيسها هو سد الفراغ الديني الذي انتشر بين صفوف الأمة آنذاك بسبب تصاعد المد الإلحادي والعلماني بحكم سيطرة قوى(عميلة) تتبنى تلك المناهج الكافرة، ونتيجة لهذه الأوضاع القلقة واجه علمائنا الأعلام هذه المحنة بالثبات والصمود ،وبدأوا يعالجون الداء الخبيث بصورة سريعة قبل إن يسري إلى جسد الأمة الإسلامية ، فعقدوا لذلك اجتماعات سرية وعلنية ليضعوا منهاجا للعمل وليحددوا إبعاد خطة المجابهة، وقد تمخض عن هذه الاجتماعات ولادة جهاز ديني قيادي يدعى ب(جماعة العلماء)،الذي ضم نخبة ممتازة من الشخصيات الدينية والعلمية البارزة في الحوزة العلمية في النجف الأشرف من أمثال الشيخ محمد رضا المظفر، والشيخ محمد زين الدين والشيخ محمد حسن الجواهري، والشيخ محمد طاهر ال راضي... وغيرهم من العلماء

ذكر السيد كاظم الحائري بخصوص نشأة (جماعة العلماء) : ((لا بدّ من أجل أن نفهم عمق الأحداث التي سوف أتناولها و المواجهة التي وقعت بين الإمام الشهيد الصدر رضوان الله عليه و حزب البعث في العراق من أن نرجع إلى بدايات سنة ١٣٧٨ أي بعد التغيير في الحكم الذي حصل في العراق بعد انقلاب الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ م.

فقد ظهرت على سطح المسرح السّياسي في العراق مجموعة من التيّارات السياسيّة و الفكريّة بعد أن حصل الشعب العراقي نتيجة الانقلاب على بعض المكاسب السياسيّة و الاجتماعيّة.

و قد احتدم الصراع في المرحلة الأولى بين التيار الماركسي - الذي كان يقوده الحزب الشيوعي العراقي و الذي كان يحصل على الدعم المعنويّ من قائد الانقلاب عبد الكريم قاسم من جانب و مجموعة التيارات السياسية الأخرى، كالتيّار القومي الذي كان يجمع بين الناصريين و البعثيين و غيرهم و الذي كان له وجود سياسي في الحكم و في الشارع بسبب الدعم الذي كان يحصل عليه من الجمهورية العربية المتحدة حينذاك بقيادة جمال عبد الناصر، و كالتيار الإسلامي الذي كانت تتعاطف معه جماهير واسعة من الشعب العراقي المسلم دون أن يكون له وجود سياسي قوي عدا بعض الأحزاب السياسية الإسلاميّة الصغيرة. و قد وجد علماء النجف الأشرف أنّ من الضروري أن يطرح الإسلام كقوة فكريّة و سياسيّة أصيلة تنتمي إلى السماء و تمتدّ جذورها في الشعب المسلم.

و ولدت من أجل ذاك أطروحة (جماعة العلماء) التي يمكن أن نقول بحق أن وجودها يرتبط بشكل رئيسي بعقليّة السيّد الشهيد الصدر و اهتمامات المرجعيّة الدينية و طموحاتها الكبيرة التي كانت تتمثل بالمرحوم الإمام السيد حسن الحكيم بالإضافة إلى الشعور بالحاجة الملحّة لمثل هذه الأطروحة لدى قطاع واسع من الأمة. و رغم أن السّيد الشهيد رضوان الله عليه لم يكن أحد أعضاء جماعة العلماء لصغر عمره إلا أنه كان له دور رئيسي في تحريكها و توجيهها كما ذكرت ذلك في مذاكراتي عن جماعة العلماء في النجف الأشرف ، و من خلال ذلك تمكن علماء النجف الأشرف أن يطرحوا الخطّ الإسلامي الصحيح، و يعملوا على إيجاد القوّة السياسيّة الإسلاميّة المتميّزة.

و قد باشرت جماعة العلماء - بالرغم من قوّة الأحداث و عدم توفر الخبرة السياسيّة الكافية و تخلف الوعي الإسلامي السياسيّ في الأمّة - عملها من أجل إرساء قواعد هذا الخط الأصيل و ذلك من خلال بعض المنشورات و الاحتفالات الجماهيريّة و الاتصالات ببعض قطاعات الشباب و إصدارها لمجلّة الأضواء الإسلامية التي كانت تشرف عليها لجنة توجيهيّة مكوّنة من شباب العلماء كان لها اتصال وثيق بالسيد الشهيد الصدر... بعد مضي أقل من عام تمكّنت جماعة العلماء من بناء قاعدة إسلاميّة شابّة، و لذا قرّرت هذه الجماعة إصدار نشرة الأضواء الإسلاميّة كأداة للتعبير عن وجودها من ناحية و لمواصلة السير في الطريق الذي رسمته من ناحية ثانية... و قد بعثت مجلّة الأضواء من خلال خطها الفكريّ و السياسيّ و من خلال ما رسمته من معالم الطريق الإسلامي و خطوطه العريضة و بالأخص الخطوط التي كانت ترسم ضمن موضوع (رسالتنا) الذي كان يكتبه السيد الشهيد الصدر باسم جماعة العلماء و بإذنها طبعا بعث الروح الإسلاميّة في قطاعات واسعة من الجماهير)) [٢٢]

وعندما مرض الإمام الحكيم (قدس سره) في آخر حياته في المستشفى مرض الوفاة، تحدث إليه بعض ولده وسأله عن موقفه من الحكم الظالم الكافر، حكم العفالقة البعثيين المجرمين ، وتقييمه لهذا الموقف، بعد الآلام والمعاناة التي لاقاها من هؤلاء المجرمين ، فقال لهم : (إني أشعر بالرضا تجاه هذا الموقف لأني لو لم أصنع شيئا في موقفي هذا إلا أن أضع حاجزا بين البعثيين المجرمين والشعب العراقي ، ولو لمدة عشر سنوات لكان هذا الموقف يستحق كل هذه التضحية)[٢٣]

. وقد أفتى السيد الشهيد محمد باقر الصدر ـتصدى (قد) بحرمة الانتماء لحزب البعث، حتى لو كان الانتماء صوريا، وأعلن ذلك على رؤوس الأشهاد، فكان هو

المرجع الوحيد الذي أفتى بذلك، وحزب البعث في أوج قوته وكان ذلك جزءا من العلة وأحد الأسباب التي أدت إلى استشهاده.[٢٤]

وأما في الوقت الحاضر نجد كيف أن آية الله السيد السيستاني قدس سره واجه هذه التحديات والشبهات المثارة حول الاسلام وذلك من خلال عدة أساليب ومنها الحضاري العلمي الدقيق ولعله هو الاول في العالم وذلك من خلال تاسيس مركز الابحاث العقائدية ١٤١٩ هـ وبتوكيل السيد جواد الشهرستاني للمتابعة والرد

ولم يقتصر المركز في الدفاع عن الشيعة ورد الشبهات الواردة بحقهم فقط وانما اعتمد في منهجيته واسلوبه الدفاع عن عن الدين الاسلامي امام الاعداء الذين يريدون تشويه صورته الصحيحة في مسألة القرآن والمعاد والنبوة والمسائل الاخرى

وأيضا أكد على دور الخطيب الحسيني عند تصديه للخطاب من على المنبر الحسيني فمما ورد في توجيهاته وتوصياته العامة قدس سره وهذا نص أهم التوجيهات[٢٥] :

بسم الله الرحمن الرحيم .... وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين

ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب((يطل علينا شهر محرم الحرام ونستذكر من خلاله اعظم حركة قادها المصلحون في مجال تطوير المجتمعات وبعث ارادة الامم واصلاح الاوضاع، الا وهي الحركة الحسينية المباركة، واستذكار هذه الحركة المباركة يلقي على عواتقنا نحن اتباع الامام الحسين بن علي (عليه السلام) مسؤولية كبرى وهي مسؤولية الحفاظ على استمرار هذه الحركة وترسيخ اثارها وابعادها في النفوس والقلوب، ولا يخلو انسان حسيني من نوع من مسؤولية سواء كان عالما دينيا او مثقفا او متخصصا في مجال من مجالات العلوم المادية والانسانية المختلفة، فكل منا يتحمل مسؤولية الحفاظ على هذه

الثورة الحسينية المباركة من خلال اصلاح نفسه واهله واسرته ومن خلال قيامه بتوعية المجتمع الذي حوله بأهمية هذه الحركة وعظمة هذا المشروع الحسيني العظيم، ولكن الخطباء يتحملون المسؤولية الكبرى بلحاظ انهم يجسدون الوجه الاعلامي لحركة عاشوراء ولمشروع سيد الشهداء (عليه السلام) ، ولذلك نحتاج ان نتوقف قليلا لنتساءل: هل ان المنبر الحسيني يقوم بتجسيد وتفعيل هذه المسؤولية بما ينسجم مع مقتضيات الزمان ومستجدات العصر بحيث يحقق الاثار الحسينية الشريفة في النفوس والقلوب؟

وانطلاقا من هذه النقطة نستذكر بعض الارشادات والنصائح لكل من يعلو منبر سيد الشهداء (عليه السلام)

١ ـ تنوع الاطروحات، فان المجتمع يحتاج الى موضوعات روحية وتربوية وتاريخية وهذا يقتضي ان يكون الخطيب متوفرا على مجموعة من الموضوعات المتنوعة في الحقول المتعددة تغطي بعض حاجة المسترشدين من المستمعين وغيرهم.

٢ ـ ان يكون الخطيب مواكبا لثقافة زمانه، وهذا يعني استقراء الشبهات العقائدية المثارة بكل سنة بحسبها واستقراء السلوكيات المتغيرة في كل مجتمع وفي كل فترة تمر على المؤمنين، فان مواكبة ما يستجد من فكر او سلوك او ثقافة تجعل الالتفاف حول منبر الحسين (عليه السلام) حيا جديدا ذا تاثير وفاعلية كبيرة.

٣ ـ تحري الدقة في ذكر الآيات القرآنية او نقل الروايات الشريفة من الكتب المعتبرة او حكاية القصص التاريخية الثابتة حيث ان عدم التدقيق في مصادر الروايات او القصص المطروحة يفقد الثقة بمكانة المنبر الحسيني في اذهان المستمعين.

٤ - ان يترفع المنبر عن الاستعانة بالاحلام وبالقصص الخيالية التي تسيء الى سمعة المنبر الحسيني وتظهره انه وسيلة اعلامية هزيلة لا تنسجم ولا تتناسب مع المستوى الذهني والثقافي للمستمعين.

٥ - جودة الاعداد، بأن يعنى الخطيب عناية تامة بما يطرحه من موضوعات من حيث ترتيب الموضوع وتبويبه وعرضه ببيان سلس واضح واختيار العبارات والاساليب الجذابة لنفوس المستمعين والمتابعين، فان بذل الجهد الكبير من الخطيب في اعداد الموضوعات وترتيبها وعرضها بالبيان الجذاب سيسهم في تفاعل المستمعين مع المنبر الحسيني.

٦ - ان تراث اهل البيت (عليهم السلام) كله عظيم جميل ولكن مهارة الخطيب وابداعه يبرز باختيار النصوص والاحاديث التي تشكل جاذبية لجميع الشعوب على اختلاف اديانهم ومشاربهم الفكرية والاجتماعية انتهاجا لما ورد عنهم (عليهم السلام) (إنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا)، ومحاسن كلامهم هو تراثهم الذي يتحدث عن القيم الانسانية التي تنجذب اليها كل الشعوب بمختلف توجهاتها الثقافية والدينية.

٧ - طرح المشاكل الاجتماعية الشائعة مشفوعة بالحلول الناجعة، فليس من المستحسن ان يقتصر الخطيب على عرض المشكلة كمشكلة التفكك الاسري او مشكلة الفجوة بين الجيل الشبابي والجيل الاكبر او مشكلة الطلاق او غيرها، فان ذلك مما يثير الجدل دون مساهمة من المنبر في دور تغييري فاعل، لذلك من المأمول من رواد المنبر الحسيني استشارة ذوي الاختصاص من اهل الخبرة الاجتماعية وحملة الثقافة في علم النفس وعلم الاجتماع في تحديد الحلول الناجعة للمشاكل الاجتماعية المختلفة ليكون عرض المشكلة مشفوعة

بالحل عرضا تغييريا تطويريا ينقل المنبر من حالة الجمود الى حالة التفاعل والريادة والقيادة في اصلاح المجتمعات وتهذيبها.

٨ - ان يتسامى المنبر الحسيني عن الخوض في الخلافات الشيعية سواء في مجال الفكر او مجال الشعائر فان الخوض في هذه الخلافات يوجب انحياز المنبر لفئة دون اخرى او اثارة فوضى اجتماعية او تأجيج الانقسام بين المؤمنين، بينما المنبر راية لوحدة الكلمة ورمز للنور الحسيني الذي يجمع قلوب محبي سيد الشهداء (عليه السلام) هي مسار واحد وتعاون فاعل.

٩ - الاهتمام بالمسائل الفقهية الابتلائية في مجال العبادات والمعاملات من خلال عرضها باسلوب شيق واضح يشعر المستمع بمعايشة المنبر الحسيني لواقعه وقضاياه المختلفة.

١٠ - التركيز على أهمية المرجعية والحوزة العلمية والقاعدة العلمائية التي هي سر قوة المذهب الامامي ورمز عظمته وشموخ كيانه وبنيانه.

نسال الله تبارك وتعالى للجميع التوفيق لخدمة طريق سيد الشهداء (عليه السلام) وان يجعلنا جميعا وجهاء بالحسين (عليه السلام) في الدنيا والاخرة.

والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد واله الطيبين الطاهرين.

وأشار الشيخ الكربلائي إلى رأي المرجعية في خلال أحد خطب الجمعة إلى أن "من نتائج الأخطاء الماضية الانحراف الحاصل بين الشباب في موضوع الإلحاد وعملية انتشاره، بسبب الانحرافات والتأثيرات والتدهور الثقافي والاقتصادي في البلد[٢٦]."

المبحث الثاني : دور الآخرين في مواجهة هذه الأفكار المضادة للإسلام

قال تعالى : ((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)) [٢٧]، إن الملحدين يبررون إلحادهم بالكشوفات العلمية والنظريات العلمية

كنظرية التطور الحديثة وقوانين الفيزياء الكمية وغيرها في إثبات إما عدم الحاجة للإله ، إذ يكتفى بوجود القانون مثلا ، أو نفي فكرة الإله أصلا ، فالإلحاد يعطي الذريعة للملحد لكنه لا يقدم المبررات للإيمان بالإلحاد.[٢٨]

وقد استغل الملحدون الظروف الاجتماعية للبلد وما يمر به من بؤس وشقاء لإلقاء اللوم على الدين الذي هو السبب في هذه التعاسة التي يمر بها بلدنا ، ويقارنون الوضع القائم مع الوضع الحاصل في المجتمعات الغربية التي تنعم بالخير والرفاه ، عن أبي عبد اللّه ع : ((لو أن العباد إذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا لم يكفروا))[٢٩]

واليوم نرى أن الإلحاد قد انتشر في أوساط المجتمع العراقي بعدما استغل الظروف التي حصلت في العراق فهو يسعى لخلخلة النظام وإفساد عقول الناس ولا سيما الشباب منهم ، ولذلك عليهم أن يدافعوا عن الدين والمذهب وأن يشمروا عن سواعدهم لمحاربة هذه الأفكار والرد عليها وذلك من خلال عقد الندوات والمؤتمرات التي تعنى بشؤون الإلحاد والرد عليه واستئصاله كما هو حال هذا المؤتمر الذي تشكر عليه مؤسسة الهدى وهذا إنما ينم على حرص هذه المؤسسة على إشاعة الثقافة الإسلامية والدفاع عن الإسلام والمذهب .

لذلك علينا معالجة أسباب هذه الظاهرة واجتثاثها ، وأول هذه الأمور التربية الصحيحة لأبنائنا وتعليمهم القيم العالية للإسلام وزرع الخير في نفوسهم وتحميلهم المسؤولية والمشاركة في بناء الأسرة التي هي نواة المجتمع ، وأما الانشغال عن الأولاد وعدم هديهم سينعكس عليهم ويؤول بهم إلى الا نحراف ومن ثم تأثره بالإلحاد .

وأيضا تحصين شبابنا مما يبث من القنوات الفضائية ووسائل التواصل الاجتماعي والبرامج الإباحية والتي لها الدور الكبير في ا نحراف شبابنا ، وهذا بحاجة إلى جهد من قبل العاملين في مجال التعليم وعلماء الدين إضافة إلى الأسرة ،لذلك على

مؤسسات التربية من تعليم ومعاهد وجامعات أن تقوم بأنشطة عديدة ضد موجة الإلحاد الجديدة، ، وان لا يغيبوا عن المشهد الثقافي ولا بد أن يشاركوا في الوضع الاجتماعي.

وأيضا لا بد من التصدي للشبهات والعمل بكل وسيلة لإيصالها لشبابنا وان لا تكون عن طريق التأليف والكتابة فقط بل لا بد من التطبيق العملي لها في حياتنا ، ولو باستغلال النشاطات الرياضية والفنية والأمور اللاصفية والتي تنمي فكر الطالب وتوجهه نحو البناء الفعال في المجتمع وان لا شعر بفراغ روحي فتتلقفه أيادي الإلحاد ، وأخيرا على المرجعية أن تقوم بوظائفها وهي تعلم بها أكثر منا ، ومن جملتها :

١ ــ نشر أحكام الإسلام على أوسع مدى ممكن بين المسلمين.

٢ ــ إيجاد تيار فكري واسع في الأمة. ٣ ــ إشباع الحاجات الفكرية الإسلامية للعمل الإسلامي.

٤ ــ القيمومة على العمل الإسلامي.

٥ ــ والمرجعية الدينية ليست مسؤولة فقط، بل هي وحدها القادرة على توجيه الأمة، وقيادتها ثم ضمان المسيرة، وتأمينها من الانحرافات المحتملة. وهذا جانب من أطروحة (خط المرجعية) الذي تبناه الشهيد الصدر.[٣٠]

الهوامش:

[١] ـ ابن منظور، لسان العرب : ٣٨٨ لسان العرب ٣ : ٣٨٨ـ ٣٨٩

[٢] ـ الجوهري ، الصحاح ٢ : ٥٣٥ ، ظ : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ٤ : ٢٣٦

[٣] ـ رأفت شوقي ـ الإلحاد بعض مدارسه.. والرد عليها ٢ : ٧٣، ٧٤

[٤] ـ (العنكبوت ٦١).

[٥] ـ (النمل: ١٤)

[٦] ـ شبهات الملحدين والإجابة عنها ، محمد جواد مغنية ص ٨

[٧] ـ الكافي – الكليني ١ : ٣٢

[٨] ـ ظ : : مباحث الأصول ، الحائري ١ : ٩٣

[٩] ـ الكافي للكليني ١ : ٥٨

١٠ ـ النحل ٤٣

١١ ـ عباس بن نخي ص ٣٨ مواصفات المرجعية الدينية من الفقه إلى الفكر

١٢ ـ وسائل الشيعة للحر العاملي ٢٧ : ١٣١

١٦ ـ ظ : الشيخ الصدوق، التوحيد، باب الرد على الثنوية والزنادقة ٢٤٣ ، ٢٧٠ والطبرسي، الاحتجاج، فصل احتجاج الصادق عليه السلام على الزنادقة ٣٣١ ، ٣٥٩.

١٧ ـ الملل والنحل، الشهرستاني، المكتبة العصرية، بيروت، طبع عام ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م، ٢٠٩ ـ ٢١٣

١٨ ـ ظ : موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام موسى بن جعفر، باقر شريف القرشي٢٩ : ١٣٢.

١٩ ـ موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام موسى بن جعفر، باقر شريف القرشي ٢٩ : ١٣٢.

٢٠ ـ الاحتجاج للطبرسي ٣٣١ – ٣٥٩

٢١ ـ الحجرات: ١٣

٢٢ ـ محمد: ٢٢ـ ٢٣

٢٣ ـ أبو يوسف مرجع الطائفة الشيعية الإمام السيد محسن الطباطبائي الحكيم (قدس سره)، ولد عام (١٣٠٦ هـ) في اليوم الأول من شهر شوال ، ولد في أوساط عائلية علمية حيث كان والده آية الله السيد مهدي الحكيم (قدس سره)، أحد الأعلام في الحوزة العلمية العربية في النجف الأشرف. كما كان زوج أخته العلامة السيد أحمد الحكيم (قدس سره) احد الأعلام العلمية في الأوساط الاجتماعية العراقية، خصوصا في أوساط الشيعة المؤمنين في بغداد (الكرخ). ، بدأت حياة الإمام الحكيم (قدس سره) باليتم، حيث فارقه والده وهو في السنتين الأوليتين من عمره، وتوفي عنه والده في بلاد الهجرة، بل في (جبل عامل) في بيروت عام (١٣١٢ هـ) وعمره آنذاك ست سنوات، وتركه مع والدته وأخيه الأكبر آية الله السيد محمود الحكيم (قدس سره) الذي كان

يكبره بعشرة سنوات، لتتولى الأم والأخ الكبير تربيته ورعايته، في ظروف معاشية وعائلية صعبة؛ ولذا بدأ حياته إنسانا مجاهدا لنفسه، وفي مجتمعه، وكان عليه أن يختار نهجه، ويشق طريقه معتمدا على الله سبحانه وتعالى، وعلى النفس، والإدارة وحسن الاختيار.

ويبدو أن الأجواء الروحية والمعنوية إلى خلفها والده وراءه، وكذلك أصحابه، كان لهم دور في هذه الرؤية، والتصميم، والاختيار، إذا لاحظنا بدقة طبيعة المنهج العلمي والسلوك الأخلاقي والعلاقات الاجتماعية التي كانت تحيط الإمام الحكيم (قدس سره) في بداية شبابه. المصدر : مركز الحكيم الوثائقي

٢٤ـ موقع مركز آل الحكيم الوثائقي

٢٥ ـ مباحث الأصول الحائري ١ : ٧٢ نقلا عن مجلة الجهاد العدد ١٤ ١٤٠١ مقال للسيد محمد باقر الحكيم

٢٦ـ موقع مركز آل الحكيم الوثائقي

٢٧ـ المصدر نفسه

٢٨ـ توصيات عامة من المرجعية الدينية العليا للخطباء والمبلغين في شهر المحرّم الحرام لعام ١٤٣٨ هـ

٢٩) خطبة المرجعية في يوم الجمعة ٢٠١٧/١٢/٢٩

٣٠) النحل : ١٢٥

٣١) (أنواع الإلحاد نظرة مجملة علي حمزة زكريا ص ٨ـ ١١

٣٢) بحار الأنوار ، المجلسي ٢ : ١٢٠

٣٣)ظ : مباحث الأصول الحائري ٩٢ـ ٩٣

المصادر :

& القرآن الكريم

١ـ ابن الأثير، المبارك بن محمد / النهاية في غريب الحديث والأثر ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ١٤١٨ – ١٩٩٧

٢ ـالجوهري ، إسماعيل بن حماد ، تاج اللغة وصحاح العربية ، ط ٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت –لبنان ١٩٨٧

٣ـ الحائري ، كاظم ، مباحث الأصول ، الناشر : دار البشير ، قم المقدسة ، ط١ ، ١٤٢٨ هـ

٤ـ الحر العاملي ، محمد بن الحسن ، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، تحقيق ونشر مؤسسة آال البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، ط٢ ، مطبعة : مهر / قم ، ١٤١٤ هـ

٥ ـ زكريا علي حمزة (أنواع الإلحاد نظرة مجملة ، شبكة الفكر الالكترونية ، ١٤٣٨

٦ ـ الشهرستاني الملل والنحل، ، المكتبة العصرية، بيروت، طبع عام ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م،

٧ ـ شوقي رأفت ، الإلحاد بعض مدارسه.. والرد عليها ، خاتم الشهداء ، الإسكندرية

٨ ـ الشيخ الصدوق، محمد علي بن الحسين بن بابويه ، التوحيد ، تحقيق : هاشم الحسيني ، قم المقدسة ، الناشر : جماعة المدرسين ، ١٣٨٧ هـ

٩ ـ الطبرسي، أحمد بن علي ، الاحتجاج ، تحقيق : محمد باقر الخرسان ، طبع ونشر : دار النعمان

١٠ ـ القرشي باقر شريف موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام موسى بن جعفر، ، دار المعروف، قم، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩ م ،

١١ ـ الكليني ، محمد بن يعقوب ، الكافي ، الناشر : دار الكتب الإسلامية ، مطبعة : حيدري ، ط٣ ، ١٣٨٨هـ

١٢ ـ المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار ، ط٢ ، طبع ونشر : مؤسسة الوفاء ، بيروت – لبنان ١٩٨٣ م

١٣ ـ مغنية محمد جواد ، شبهات الملحدين والإجابة عنها ، دار مكتبة الهلال ومكتبة الجواد ، ١٩٨٦ بيروت – لبنان

١٤ - ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ط١ ، المطبعة : دار إحياء التراث العربي، نشر : أدب الحوزة ، ١٤٠٥ هـ

١٥ - نخي عباس ، مواصفات المرجعية الدينية من الفقه إلى الفكر الطبعة الأولى ٢٠١٤ – إصدار مؤسسة الإمام للنشر والتوزيع

١٦ - موقع مركز آل الحكيم الوثائقي.

Conclusion:

The role of reference in addressing atheistic movements and deviant trends

a . M . Dr. Tariq Hassan Kassar .... University of Dhi Qar Faculty of Islamic Sciences

Praise be to Allah, the Lord of the Worlds, and the best prayer and the delivery to our Prophet Muhammad and his good and pure family

And after ... The one who learns about the history of the scientific estate and religious reference shows the extent of the great scientific wealth of the scholars of Ahl al-Bayt (p) and the implications of this school from the visions of jurisprudence and deep ideas and studies and curricula in Ijtihad and innovation in the curriculum until it became a scientific monument high throughout history.

Although the role of the reference is limited to the scientific aspect, but in fact the role of the reference was social, political

and intellectual as well, and attests to the history of the supervisor of the reference by addressing the currents of thought hostile to Islam, which broadcast its poison in the Islamic community as well as the emergence of the social side of this body Which took it upon themselves to take care of people's problems and concerns, as well as courageous political roles against power.

In the intellectual and ideological arena, there have been movements and deviant intellectual currents that have swept the cities of Iraq and its targets, targeting the Muslim man in his faith, his religion and his mushroom, and the reference to confront them, uncover their truths, refute their ideas and warn the nation of the danger of falling into their machinations.

The researcher took the subject of the study (the role of reference in dealing with atheistic movements and deviant trends) to show the role of reference in the light of the development and development of modern means of communication and quick information, through which various visions and ideas, including various secular ideas, taking advantage of the political situation in Iraq, as well as the regional situation witnessed An open aggression against Iraq and its people, which has become a mouthpiece for the mouths of others who seek to destroy Iraq and its people.

The first chapter deals with the status of the reference and its importance and the definition of atheism and the emergence of atheistic movements and anti-Islam and its effects. The second chapter was the response of the reference to these movements of anti-Islamic ideology and then the role of others in the face of these ideas against Islam.

Today, we see that atheism has spread among the Iraqi society after exploiting the circumstances that have taken place in Iraq. It seeks to disrupt the system and corrupt the minds of the people, especially young people. Therefore, we must defend religion and doctrine by holding seminars and conferences dealing with atheism, responding to it and eradicating it. Is the case of this conference for the purpose of spreading Islamic culture and defending Islam and doctrine.

Therefore, we must address the causes of this phenomenon and eradicate it, and the first of these things is the proper education of our children and teach them high values. And also to immunize our youth from the broadcast of satellite channels and means of social communication and pornography programs, which have a significant role in the deviation of our youth. This requires an effort by education workers, religious scholars and the family, so education institutions, institutes and universities must carry out many activities against the new wave of atheism, should not lose

sight of the cultural scene and must participate in the social situation. It is also necessary to address the suspicions and work in every way to communicate them to our youth and not only by writing and writing, but must be applied to them in our lives, even through the exploitation of sporting activities and technical and extra-curricular activities that develop the student's thinking and directed towards effective construction in society and not feel void My soul is seized by the hands of atheism.

and thank Allah the god of everything...

ظاهرةُ الاقتباس في شعر أبي الفضل الطهراني دراسة بلاغية

أ.م.د حسين عبد العالي اللهيبي
كلية الفقه / جامعة الكوفة

المقدمة:

يعدُ الاقتباس واحدا من أبرز فنون البديع ، يعتمد تضمين الكلام شيئا من القرآن الكريم ، طلبا لتدعيم المعنى وتقويته ، وما يضفي على النصّ المقتبس من الجمال والرقة والبهجة ؛ لما فيه من محاسن انتزاع الأدباء ، وبدائع اختراعاتهم ، وعجائب استنباطاتهم.

ويظلُ الاقتباس مظهرا من مظاهر التعبير الفني الذي يستعين به الأديب في التعبير عن مشاعره وأحاسيسه ، بما يؤدّي دلالة تعبيرية تسهم في تقرير المعنى في ذهن المتلقي وتجعله مقبولا لديه ، كما يشهد لصاحبه بتمكنه من القرآن الكريم ، والبصر بدقائق أسراره ، وقدرته على الإفادة منه.

ويمتلك الاقتباس خصائص إبداعية ، بعيدة الغور ؛ كونه يجمع بين معنيين مختلفين أحدهما المعنى الذي يريده النص القرآني المقتبس ، والمعنى الذي ساقه الشاعر ؛ مع ما يثيره في نفس المتلقي من تأملات ، ويدفع إليه من مقارنات ؛ وذلك عن طريق تسخير قدرة الاقتباس الخارقة في تلوين المضمون بضلال مبتكرة ، وألوان متنوعة ، فتضفي على المعنى جمالا ، وتزيده قوة ، فضلاً عن عمق التأثير ، وجمال الأسر ، وروعة الأداء.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة محاولة جادة للوقوف على القيمة البلاغية والجمالية لهذا الفن من خلال دراسة بنيته دراسة تحليلية ، وكان شعر أبي الفضل الطهراني مادة تطبيقية لهذا الفن ، إذ ألف فيه الاقتباس ظاهرة أسلوبية متينة لا تقلّ شأنا عن غيره

من فنون البديع الأخرى الواردة في شعره ؛ فضلاً عن الصور والمشاهد الغنية والدقيقة التي استعارها من القرآن الكريم ، قصد الاستعانة على تأييد المعنى المقصود وتقويته ، وإضفاء صفة القداسة والتبجيل للأمر الذي يتحدّث عنه ؛ كلّ هذا أكدّ لي أهمية الموضوع ، إذ وجدته موضوعا جديرا بالبحث وبذل الجهد ؛ ليكون بحثا علميا في الدراسة البلاغية . وقد اقتضت خطة البحث أن يقسّم إلى تمهيد ومبحثين: تناولنا في التمهيد حياة الشاعر أبي الفضل الطهراني فيما يتعلق بنشأته وثقافته وآثاره .

في حين تطرّقنا في المبحث الأول إلى حدّ الاقتباس وقيمته البلاغية وموقف البلاغيين منه .

أمّا المبحث الثاني فقد تحدّثنا فيه عن أقسام الاقتباس في شعر أبي الفضل الطهراني .

التمهيد :(حياة الشاعر أبي الفضل الطهراني)

هو الميرزا أبو الفضل أحمد بن الميرزا أبي القاسم بن الحاج محمد علي بن الحاج هادي النوري الكلنتري(١) ، وأصل أسرته من بلدة نور من أعمال مازندران ، أصل جدّه منها(٢) ، وإليها نسب . وكنيته أبو الفضل وقد غلبت على اسمه ، فكان لا يعرف إلا بها ، وبها اشتهر .

أما لقبه الذي اشتهر به ، وكان لا يعرف إلا به فهو الطهراني ؛ لأنّ مولده ونشأته في مدينة طهران ، ولقّب بكلنتري نسبة إلى خاله محمود خان كلنتر الذي صلبه ناصر الدين شاه القاجاري عام المجاعة(٣) .

أمّا أسرته فهي من الأسر العلمية المعروفة في إيران ، فقد كان والده الميرزا أبو القاسم ناب درس الشيخ مرتضى الأنصاري وصاحب التقريرات المعروفة في الأصول .

ولد أبو الفضل سنة ١٢٧٣هـ = ١٨٥٧م ، في مدينة طهران[٤] ، وإليها نسب ، وقد فارقها في أول شبابه مهاجرا إلى مدينة النجف الأشرف ، فدرس بها علوم الدين والعربية من : فقهٍ وأصول وتفسير وحديث و نحو ، وكان مشغوفا بالدرس والبحث والمطالعة ، وقد حاز قصب السبق فصار العلم الذي يشار إليه . وكان من بين من اتصل بهم ، وأخذ عنهم من العلماء الأفذاذ :

١ـ السيد محمد حسن الشيرازي .

٢ـ الشيخ محمد تقي الشيرازي

٣ـ السيّد محمد الأصفهاني[٥] .

مكث أبو الفضل في النجف عشر سنوات من الدراسة والبحث ، عاد بعدها إلى طهران فسكنها ، وفيها افتتح مدرسة سبهسالار ، وأسكن فيها الطلبة ، واشتغل بالتدريس فيها سنة ١٣١٢هـ[٦] .

عرف أبو الفضل الطهراني بشرف النفس ، وكرم الطباع ، وحسن السلوك ، وقد شهد له مترجموه بالفضل والتفوق فقد كان ـ كما يقول السيد محسن الأمين (عالما فاضلا ، فقيها أصوليا ، متكلما عارفا بالحكمة والرياضيات ، مطلعا على السير والتواريخ ، مشاركا في علوم شتى أديبا شاعرا ، حسن المحاضرة ، لطيف المحاورة ، حسن المعاشرة)[٧] . وقال فيه الدكتور حسن الحكيم (وأصبح العلامة عالما فاضلا ، مجتهدا وأديبا شاعرا ، وحكيما رياضيا ، ومؤرخا رجاليا ، ومفسّرا بارعا)[٨] .

كان أبو الفضل الطهراني على جانبٍ كبير من العلم ، موفور الحظّ من الثقافة ، وقد برع في نظم الشعر من خلال إطلاعه الواسع على دواوين الشعراء ، وإلى ذلك ألمع الأستاذ على الخاقاني (أنه حفظ الشعر العربي حتى صارت له فيه ملكة ، وكان ينظم الشعر الجيّد)[٩] .

وأبو الفضل الطهراني يعدُ في الذروة من الشعراء العلماء الإيرانيين الذين يجيدون النظم في اللغة العربية ، وعلى الرغم من شهرته عالما فقيها أصوليا إلا أن الغالب عليه الأدب والشعر . فقد كان أديبا شاعرا ، ومؤلفا ، واسع الاطلاع ، ذا ذوق رفيع ، له قدرة تامة على النظم ، وكان على فارسيته عربي النظم ، وكانت له أشعار جيدة تحتوي على نكات بديعة ، ومعان دقيقة ، ويوشك أن يكون جرى في طريق مهيار من نظم المعاني الفارسية بالألفاظ العربية(١٠) .

مات أبو الفضل في طهران سنة ١٣١٧هـ ، أو سنة ١٣١٦هـ ، ونقل إلى النجف فدفن فيها . وقد ترك آثارا كثيرة منها :

١ـ ديوان شعر كبير باللغة العربية .

٢ـ شفاء الصدور في شرح زيارة عاشور .

٣ـ أرجوزة في النحو

٤ـ ميزان الفلك منظومة في الهيئة .

٥ـ كتاب في التراجم

٦ـ صدح الحمامة في ترجمة والده(١١) .

المبحث الأول:((حدّ الاقتباس وقيمته البلاغية))

يعدُ أبو الفضل الطهراني بحقّ من أبرز شعراء إيران في القرن الماضي ؛ لما له من أسلوبٍ خاص في النظم ، يغلب عليه اللطف والسهولة والبراعة ، وقدرة فائقة في التعبير عمّا يجيشُ في صدره من انفعالاتٍ وأحاسيس تمثل ترجمة حيَّة لنوازع النفس وخلجاتها ، وما يعتريها من مظاهر السخط والرضا ، والحبّ والبغض ، والفرح والحزن ..... لقد كان الشعر من أهمّ آثار أبي الفضل الطهراني ، وأعظم مجالاته نبوغا ، وشهرته فيه أعظم من شهرته عالما وفقيها

ويشكّل الاقتباس ظاهرة فنية برزت في شعر أبي الفضل الطهراني .. فقد كان أبو الفضل شديد العناية بالاقتباس ، ومن يتأمل شعره وما تضمنه من اقتباسات يشهد له : بطول الباع ، وسلامة الطبع ، وأصالة الفن ؛ حرصا منه على بلوغ السبق الأدبي ، وإظهار مهارته الفنية ، وكان لا بدّ لنا في هذا المبحث من التعريف بالاقتباس ، وإظهار قيمته الفنية ، وموقف البلاغيين منه ، وأول ما نقف عنده ، هو :

أولا – حدُّ الاقتباس :

ويراد به تعريف الاقتباس لغة واصطلاحا :

١ـ الاقتباس لغة :

الاقتباس في اللغة هو طلب القبس ، وهي الشعلة من النار ، وهو مأخوذ من اقتباس النار والضوء ، واقتباس نور المصباح من نور القبس ، وهو الشهاب على نحو ما جاء في القرآن الكريم (أنظرُونا نقتبس منْ نورِكُم) [الحديد : ١٣] ، ثمّ استعير اللفظ لطلب العلم ، يقال اقتبستُ منه علما أي استفدته[١٠] ، وقبس علما تعلمه ، ثمّ استعير اللفظ للقرآن والحديث الشريف ؛ لأن (القرآن والحديث أصل الأنوار العلمية)[١٢] ، وإذا كان الاقتباس بمعناه اللغوي هو (أخذ النار ، واستفادة العلم ، ومناسبة كلا المعنيين بصنعة الاقتباس ظاهرة ؛ فإنّ المتكلم أخذ من القرآن والحديث في كلامه ما هو بمنزلة جذوة نارٍ تضيءُ في كلامه)[١٣] .

٢ـ الاقتباس اصطلاحا :

والاقتباس في اصطلاح علماء البلاغة له أكثر من تعريف ، وهذه التعريفات وإن اختلفت لفظا ، فإنها متفقة معنًى ، وبدو أنّ أوّل من عرّفه هو الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) ، بقوله (اقتباس الناس على اختلاف طبقاتهم ، وتفاوت درجاتهم من كتاب اللّه ـ عزّ اسمه – في خطبهم ومخاطباتهم ، حكمهم وآدابهم ، وأمور معاشهم ومعادهم ، وفي

مكاتباتهم ومحاوراتهم ، ومواعظهم وأمثالهم ، ونوادرهم وأشعارهم ، وسائر أغراضهم)[١٤] .

وحاول ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) أن يحدّ الاقتباس ويرسم معالمه ، إلا أنه لم يأت بالتعريف الجامع المانع ، وهو يرى أن الأديب إذا أراد يقتبس من القرآن فعليه (أن يُضمّن كلامه بالآيات في أماكنها اللائقة بها ، ومواضعها المناسبة لها ، ولا شبهة فيما يصير للكلام بذلك من الفخامة والجزالة والرونق)[١٥] . فهو إذن يشترط في الاقتباس ألا ينقل فيه اللفظ المقتبس منه عن معناه الأصلي إلى معنًى آخر .

أمّا شهاب الدين الحلبي (ت ٧٢٥هـ) فإنه يرى في الاقتباس (أن يُضمّن الكلام شيئاً من القرآن والحديث ، ولا ينبّه عليه للعلم به)[١٦] .

وعرّفه يحيى بن حمزة العلوي (٧٤٩هـ) بأنه (ما كان من الكلام مشتملاً على ذكر آية من كتاب الله تعالى ، أو كلمة جيء بها من أجل فخامة شأنه ، وتحسينا لنظامه ، فتكون ياقوتة لوشاحه ، وشعلة في مصباحه ، ودرة في تاجه ، وزيتونة سراجه ، وزبدة في ثمرته وكريم نتاجه)[١٧] .

والاقتباس عند ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ) هو (أن يأتي المتكلم في كلامه المنظوم ، أو المنثور بشيء من ألفاظ القرآن ، أو الحديث مع قطع النظر عن كونه لفظ المقتبس منه)[١٨] .

ويرى ابن معصوم (ت١١٢٠هـ) أنّ الاقتباس (هو تضمين النظم أو النثر بعض القرآن لا على أنه منه ، بأن لا يقال فيه : قال الله أو نحوه ، فإن ذلك حينئذٍ لا يكون اقتباسا)[١٩] . ومراد ابن معصوم (لا يكون اقتباسا) ، هو أن الاقتباس قد يختلط بمحسّنٍ بديعي آخر هو العقد وهو أن ينظم نثرا أو حديثا أو مثلا ، أو غير ذلك لا على طريق

الاقتباس بأن يقع تغيير كثير ، ويشير إلى أنه من القرآن[٢٠] . وهذا يعني أن العقد يشترط فيه التنويه بأن المقتبس منه هو جزء من القرآن الكريم .

وإذا كان الاقتباس هو أن يضمن المتكلم كلامه شيئا من القرآن الكريم ، والمراد هنا (بتضمينه أن يذكر كلاما وجد نظمه في القرآن أو السنة مرادا به غير القرآن ، فلو أخذ مرادا به القرآن لكان ذلك من أقبح القبيح)[٢١] .

ومن هنا فإن الاقتباس هو تضمين الكلام شيئا من القرآن الكريم ، والحديث الشريف دون الإشارة إليهما ، لتقوية المعنى ، وتأكيد الكلام ، ويشترط فيه أن يحتفظ فيه اللفظ المقتبس منه عن معناه الأصلي إلى معنى آخر ، ويجوز أن ينقل فيه اللفظ المقتبس منه عن المعنى الأصلي إلى معنى آخر[٢٢] . أو بعبارة أخرى : يصح القول إن ما اقتبس من القرآن الكريم أن يكون غير خارج عن معناه الذي ورد به القرآن ، ويصح أن يكون خارجا بشيء من التصرف ، وفي الحالة الأولى يُعدّ المقتبس منه قرآنا ، بشرط أن لا يكون فيه أدنى تحريف لفظي ، وفي الحالة الثانية لو اقتبس منه بشيءٍ من التغيير اللفظي لا يعدُ قرآنا ؛ لأنه حينئذٍ نقل بالمعنى .

يتألف الاقتباس في بنائه التعبيري من ثلاثة أركان هي المقتبس والمقتبس منه والمقتبس له ، فالمقتبس هو الأديب سواء كان شاعرا أم كاتبا أم خطيبا ، والمقتبس له النص الأدبي سواء أكان شعرا أم نثرا ، والمقتبس منه هو القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وسواهما لا يعدُ اقتباسا .

ثانيا ـ أهمية الاقتباس وقيمته البلاغية :

يبقى القرآن الكريم معجزة الرسول محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تلك المعجزة التي أبهرت العقول ، وأدهشت النفوس ، وقد تحدّى بها العرب مع فصاحتهم وبلاغتهم ، فألجم ألسنتهم ، وعقل بيانهم ، وعجزوا عن مجاراته ، مع جدّهم واجتهادهم في إزالة

أمره ، وإبطال دعواه ، هذا والقرآن يقرع أسماعهم بين الحين والآخر متحديا لهم بقوله تعالى :(قلْ فأتوا بعشْرِ سوَرٍ مثلِهِ مُفتَرياتٍ وادعُوا مَنِ استطعتمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إنْ كُنتمْ صادقين) [هود : ١٣] ، وقوله تعالى : (فأتوا بسُورةٍ مِنْ مثلِهِ) ، [البقرة : ٢٣]. ويظهر أثر القرآن الكريم في الأدب العربي منذ نزوله ، والمتمثل بما اصطلح عليه البلاغيون بالاقتباس ، فهذا (النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – هو أفصح العرب لهجة ، وأعذبهم عذبة ، وأحسنهم إفصاحا وبيانا ، وأرجحهم في الحكمة البالغة ميزانا ، قد اقتبس من معاني القرآن وألفاظه في الكثير من كلامه ، والجمّ الغفير من مقاله ، وكذلك السلف الأفضل من الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم أجمعين – ومن بعدهم إلى يومنا من كلّ طبقة ، فما أكثر ما عوّلوا على الاقتباس من القرآن، فرصّعوا كلامهم ترصيعا ، وتعاطوا فنونه جميعا)[٢٣] .

لقد ترك القرآن بصماتِهِ على الشعر والنثر على حدٍّ سواء ، وكان أثرُهُ فيهما عميقا ، كما بعث في نفوس الأدباء حسّا جماليا ، دفعهم إلى مجاراةِ أسلوبهِ ، وترسُّم خطاه (وكفى بالقرآن وحده آلة وأداة في استعمال أفانين الكلام)[٢٤] ، فهو (أنجح ما ضمّنه المرتجل ، وأرجح ما استعان به المحتفل؛ لأنه الموعظة الحسنة ، والحجّة البالغة ، والحكمة الباهرة)[٢٥] ، فأخذوا يرتشفون من فيضِهِ ، وينهلون من معينهِ الثر ، وقصارى جهدهم فيه : (أن يقتبسوا من ألفاظه ومعانيه في أنواع مقاصدهم ، أو يستشهدوا ويتمثلوا في فنون مواردهم ومصادرهم ، فيكتسي كلامهم بذالك الاقتباس معرضا ما لحسنه غاية ، ومأخذا ما لرونقه نهاية ، ويكسبُ حلاوة وطلاوة ما فيها إلا معسولة الجملة والتفصيل)[٢٦] .

ومن غير شكٍّ أن القرآن الكريم يبقى ميدانا فسيحا للأدباء ينهلون من معينه ، ويتحسّسون مواطن الجمال فيه ، فلم يألوا جهدا في مجاراته ، والإفادة من أساليبه ،

وإظهار مهاراتهم الفنية ، وقدراتهم الإبداعية على النظم فيه ؛ فاقتبسوا من ألفاظه ومعانيه وصوره ، متمثلين بآياته الكريمة في مخاطباتهم وأشعارهم .

لقد هام الأدباء بالاقتباس من القرآن الكريم ، من خلال نزوعهم إلى توشية كلامهم نثرا وشعرا بالآيات القرآنية ، فهم يتذوقون بلاغة القرآن ، وينهلون من معينه ، فاستمدّوا منه ألفاظهم ومعانيهم وصورهم .. وفي هذا ما يكفي للاستدلال على سموّه وجلالته وروعته ، وحسن موقعه من النفوس .

ونزوع الأدباء إلى توشيح كلامهم بشيءٍ من القرآن الكريم ؛ لأنه كتاب اللّه الذي (يملأ القلوب بشرا ، ويبعث القرائح عبيرا ونشرا ، ويحيي القلوب بأوراده)[٢٧] ، فضلا عن أنه يزيّن الكلام لدى المتلقي بما يضفي عليه من التأثير والقوة عن طريق تداعيات المعاني ، وإيحاءات الألفاظ ، فتعظم به الفائدة فيه ، كما أنهم : (وجدوا فيه لإقامة الحجّة ، وقطع النزاع ، وإذعان الخصم ، وقد تقوم الآية الواحدة المستشهد بها في بلوغ الغرض ، ما لا تقوم به الكتب المطوّلة ، والأدلة القاطعة)[٢٨] .

ويظهر أثر القرآن في مجال خصائص الشعر وسماته ، فالشعراء يحرصون على تطعيم نتاجهم بفيض القرآن الكريم ؛ طلبا لتدعيم المعنى وتقويته ، وما يضفي عليه من الجمال والرقة والبهجة فهو (يورث الكلام البهاء والوقار ، والرقة وسلس الوقع)[٢٩] ، مما يؤدّي به إلى الوضوح والتأثير ؛ أضف إلى ذلك ما للقرآن (من حسن الطلاوة ، ولطف الرونق ، ما يدرك بالضرورة ، ويظهر التفاوت بينه وبين غيره بالحسن والذوق ، وما ذاك إلا إنه كلام لم تقتضيه مدارج الألسنة ، ولا سمحت قريحته بمعارضة لفظةٍ من ألفاظه على تكرّر الأيام والأزمنة)[٣٠] .

لقد اتكأ الشعراء على مفردات القرآن ؛ لما لها من صلة بكلام اللّه عز وجل ؛ ولما توفره هذه المفردات من قدرات إيحائية وتعبيرية تعظم الفائدة بها ، ويستثمرها

الشعراء في شتى الظروف والمناسبات التي يمرّون بها ، وتمرُ بهم ؛ فلكلّ شاعرٍ قدرته في التعبير ، وموهبته المميّزة التي تمكنه من التعامل مع معطيات النص القرآني ، وما من ريبٍ في أن (الألفاظ المقتبسة من القرآن ، أو الحديث تزيد الكلام قوة وبلاغة ، كما تضفي عليه حسنا وجمالا ، إذ تبدو وسطه كالضياء اللامع ، والنور المشرق ... والمتكلم عندما يقتبس يبني كلامه على الالتئام والتلاحم ، وبهذا يبدو كلامه قويا بليغا)[٣١] .

وإذا تأملنا شعر أبي الفضل الطهراني نجده مفتونا بالاقتباس افتنانا جعله يستعمله كثيرا حتى أصبح سمة بارزة ، ومعلما واضحا في شعره ، وقد تهيأ له من القدرة الفنية ، والطاقة الشعرية ما جعله في طليعة الشعراء المشهورين بهذا الفن ، وهو دليل على تمكنه من كتاب اللّه واستظهاره له ، وتدبّره لمعانيه حتى غدا (مصوّرا في فكره ، دائرا على لسانه ، ممثلا في قلبه ، ذاكرا له في كلّ ما يرد عليه من الوقائع التي تحتاج إلى الاستشهاد به فيها ، ويفتقر إلى إقامة الأدلة القاطعة به عليها وكفى بذلك معينا في قصده ، ومغنيا له عن غيره)[٣٢] .

وصفوة القول في الاقتباس : إنه أحد فنون البديع الذي عرفته البلاغة العربية منذ عهدٍ مبكر ، وكان يعرف بالذوق ، ويتأتى بالسليقة ، بعيدا عن التكلُف والصنعة ، ثم ما لبث أن شاع في العصور المتأخرة حتى غدا ظاهرة لها أهميتها في الدرس البلاغي شأنه في ذلك شأن غيره من المحسّنات البديعية : كالجناس والتورية ، وإذا كان الاقتباس يتمثل بتضمين المتكلم كلامه شيئا من القرآن الكريم والحديث الشريف ؛ فإنّ ذلك مما يزيد النص الذي يرد فيه وضوحا وتأثيرا ، ويكسبه حينئذٍ حسنا وقوة ، ويملأه إشراقا وبهاءً ؛ وهو أكثر فنون علم البديع أثرا وجذبا وتأثيرا ؛ لما للقرآن من موقع مستحسن في النفوس .

المبحث الثاني: أنواع الاقتباس في شعر أبي الفضل الطهراني

استعان أبو الفضل الطهراني بالقرآن كثيرا في التعبير عمّا يجيشُ في صدره ، من خلال نزوعه إلى الأخذ منه مرارا وتكرارا ، وكأنما جعل ذلك خاصة فنية له تميّزه من نظرائه الذين غرقوا بفنون البديع الأخرى : كالتورية والجناس وغيرها ، بما يشهد له بطول الباع ، والفهم الدقيق ، والذوق الصحيح في اختيار المناسبة من غير أن يعتري اللفظ شذوذ أو قلق أو حرج ، ومن غير أن يبدو الكلام مرذولا مردودا . وفي ديوان أبي الفضل الطهراني نتلمس كثيرا من الاقتباس الذي يدلُ على طاقة إبداعية هائلة ، وقدرة فنية واسعة في استثمار النصّ القرآني استثمارا يليق بالمعنى الذي يروم إيضاحه ، وإبراز صورته .

وإذا كان أبو الفضل الطهراني قد نشأ نشأة دينية وأدبية ، فإنّ هذه النشأة جعلته يتفاعل مع القرآن الكريم ، متأثرا به ، منفعلا بمعانيه ، ناطقا بألفاظه ، فهو ينهل من معينه ، ويعتمد عليه في ألفاظ شعره ومعانيه وصوره اعتمادا كبيرا ، ويأخذ منه أخذا مباشرا ، ويبدو ذلك جليا من خلال تناثر الألفاظ القرآنية في تضاعيف شعره بشكلٍ ينمّ عن ثقافةٍ قرآنية واسعة ، مسخرا إياها لفظا ودلالة ، وإذا تأمّلنا شعر نستطيع أن نتلمس ملامح هذا الاقتباس في نوعين ، هما :

أولا – الاقتباس النصي (المباشر) :

يتمثل الاقتباس النصّي بما يؤثره الشاعر من آي الذكر الحكيم : سواء كان آية ، أم جزءا من آية، أم حديثا شريفا يقتبسها نصا ، فيودعها في تضاعيف شعره من دون أن يتصرّف بألفاظها على وجهٍ لا يشعر به أحد ، وكأنه جزءٌ من شعر الشاعر ؛ بل من دون أن ينبّه هو عليه ؛ (لأن القرآن أبين من أن يحتاج إلى بيان ، وكيف يخفى وهو المعجز الذي لو اجتمعت الجن والإنس على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله)[٣٣] . وهذا

يعني أنه لا يحوّل المقتبس منه عن لفظه ، بل يورده الشاعر بلفظه كما هو من غير تغيير شيء من لفظه بغيره ، وإنما يوظف الشاعر النص المقتبس منه في معنى آخر ، خدمة للغرض الذي يرمي إليه الشاعر ، والموقف الذي يمرّ به .

ويظهر الاقتباس في شعر أبي الفضل الطهراني – في هذا الجانب – من خلال ما ضمّنه من آيات قرآنية تصرّف بها بما ينسجم ودلالة الغرض الشعري الذي نظمت لأجله . وكثيرا ما يقع اقتباسه لها في قوافيه ، وفي هذا دليل على براعته الفائقة ، وقدرته الفنية المتمكنة ، مما جعله فيما بعد يُعنى باقتباس كثير من النصوص القرآنية في شعره ، والأمثلة في هذا الباب كثيرة جدا ، ومن أمثلة هذا النوع قوله[٣٤] : [الكامل]

نحن الألى ملكوا البرية بالعلى وعلى الأنام استوجبوا التفضيلا

ليس امرؤ إلا وصحف علائنا (تملى عليه بكرة وأصيلا)

في هذا النصّ يتحدث عن أصله ، ويفتخر بأرومته ، ويعتد بقوميته ، وما لقومه من الفضل ونبل الأصل ، وكرم المحتد ، فسجلهم حافل بالمآثر والمفاخر لا يخفى على أحد ، فهي تملى على من أراد يعرف حقيقة ذلك بكرة وأصيلا ؛ معتمدا في إبراز المعنى على الآية الكريمة (تملى عليه بكرة وأصيلا) ، [الفرقان ٢٥] ، مع أن المعنى الذي يرمي إليه الشاعر لا يتفق ومدلول الآية المقتبسة .

ومن روعة الاقتباس الذي جاء رافلا بحلية التورية قوله يرثي الشيخ عباس والد الحاج فضل الله النوري[٣٥] : [الطويل]

لعمري لئن أودى فقد عاش مجده بخير سليلٍ فيه يغدو منعّشا

وأبقى فتى ملأ المسامع فضله و(ذلك فضل الله يؤتيه من يشا)

فالشاعر في هذا النص يرثي عزيزا عليه هو الفقيد عباس النوري ، ويعزّي ولده (فضل اللّه) فهو خير سليل للفقيد ، وقد ملأ السمع فضلا وعلما وشرفا ، وهو في ذلك يستحضر مقام وسياق الآية القرآنية الكريمة (ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء واللّه واسع عليم) ، [المائدة : ٥٤] . والتورية واضحة في لفظة (فضل اللّه) التي استعملت في معنيين أحدهما يحتمل أن يكون اسم المعزى وهو فضل اللّه بن الحاج عباس النوري ، وهو المعنى القريب الموزى به ، والثاني يحتمل أن يكون المعنى الحقيقي (فضل اللّه) وهو المعنى البعيد الموزى عنه ، بقرينة ملأ المسامع فضله ، وهذا هو مراد الشاعر .

ونمضي معه في طائفة جميلة من اقتباساته التي أدرجها في تضاعيف شعره ، ومن ذلك قوله لمحبوبه الذي تعجب حين رأى شيبه وقد علا مفرقه[٣٦] : [الوافر]

أتعجب إن رأيت بي المشيبا وهجرك (يجعل الولدان شيبا)
قد انتهبت عيونك رحل عقلي ومن يسترجع الرحل النهيبا

وقع الاقتباس كأحسن ما يكون في البيت الأول حيث أخذه الشاعر من قوله تعلى (فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا) ، [المزمّل : ١٧] . مع أنّ المعنى الذي يرمي إليه الشاعر لا يتفق ومدلول الآية فهو يتحدّث عن هجر المحبوب وتعلقه به ، وقد ذاب فيه صبابة ووجدا ، ولم يبق منه إلا الجفاء والهجر ؛ ذلك الهجر الذي عجّل عليه بالشيب ، إنه هجر المحبوب الذي يجعل الولدان شيبا مستثمرا معنى الآية الكريمة للتدليل على المعنى الذي قصد إليه الشاعر ، وكأنه أراد أن يقول لمحبوبه : لا تتعجب إذا رأيت الشيب وقد علا مفرقي ، فقد ملكت قلبي بجمالك، وأسرت

عقلي بهواك ، ومع هذا فأنت معرضٌ عنّي لا تأبه بي حتى عجّل هجرك عليّ بالشيب ، بل إنّ هجرك يشيب له الولدان .

ومن جميل اقتباساته التي تضيء بأشعتها القريحة ، وتجذب إليها القلوب والأفئدة ، وقد جمع بين الاقتباس وروعة الاكتفاء[٣٧] : مخلع البسيط

جواي وجدي هواي شوقي بهم عليهم لهم عليهم
تسرّني لوعة التصابي و (كل حزب بما لديهم)

يحاول الشاعر في هذا النصّ أن يستشعر عمق مأساته ، وشجو نفسه لمن كلف بحبّهم ، وملّكهم قلبه ، فما وجد عندهم ما كان يؤمّله من وصالٍ ووداد ، ومع ذلك فإن لوعة التصابي ، وألم الفراق مما يسرّه ويفرحه ، وقد سخّر هذا المعنى معتمد في ذلك قوله تعالى (وكانوا شيعا كلّ حزب بما لديهم فرحون) ، [الروم : ٣٢] .

ومن جميل الاقتباس الذي جاء مقرونا بالاكتفاء قوله[٣٨] :

لعمري لو أنصف العاذلو ن فيما يقولون أو أمعنوا
رأوا منه وجها يضاهي البدو ر بل هو من شمسها أحسن
فيا ليت شعري ما وجهه (وما منع الناس أن يؤمنوا)

يقسم الشاعر أن عذاله لو رأوا حسن محبوبه ما عذلوه على حبّه له ؛ وكان عليهم أن يصدّقوا ما قاله في حسن محبوبه وجماله ، منطلقا في هذا المعنى من قوله تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا) ، [الإسراء : ٩٤] .

ويمضي على هذا النحو من الاقتباس في كلّ مناسبة ، أو ظرف يمرُّ به ، فيجلو شعره ، ويكسوه رونقا وطلاوة ، ذلك متى ما وضعت الآية القرآنية في مواضعها الملائمة من النص وقعت في النفس موقع الاستحسان ، قوله[٣٩] : [الكامل]

وإذا دهتكَ صوارفُ الأيام من سود الخطوب بما يهدّ ثبيرا

فثقنْ بربّكَ فهو أكرمُ ناصرٍ (وكفى بربّكَ هاديا ونصيرا)

فالشاعر يدعو إلى التحلي بالصبر ، وعدم الاستسلام إلى الجزع عند حلول البلاء ، وأن يثق الإنسان بربّه فيما قدّره عليه وقضاه ، فاللّه – عزّ وجل – وحده القادر على كشف الكرب والبلاء ، وقد هذا المعنى متسقا مع دلالة الآية الكريمة (وكفى بربّكَ هاديا ونصيرا) ، [الفرقان : ٣١] .

وكذلك قوله فيمن أساء إليه وآذوه فشفع لهم ولده عنده ، فما قبل شفاعته لهم ، وحينما أراد أن يعبر عن شدّة امتعاضه وانزعاجه منهم لم يجد أبلغ من العذاب الوبيل حتى صار لمهلكهم موعدا ، وهو في ذلك يستحضر معنى الآية القرآنية (وتلك القرى أهلكناها لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا) [الكهف : ٥٩][٤٠] : [المتقارب]

فلا تشفعنْ يا حبيبي فقد عتوا وليُجاوزا بورد الردى

نريهم عذابا وبيلا ، وقد (جعلنا لمهلكهم موعدا)

ومن خلال هذا الاقتباس الذي ورد في شعر أبي الفضل الطهراني نجد انسجام الألفاظ القرآنية المقتبسة مع ألفاظ الشاعر وتفاعلها ، فليس ثمة غرابة بينها وبين النص المقتبس ، فهي تمتزج بعلاقات جديدة في نطاق العبارات ، كما يشهد هذا الاقتباس لأبي الفضل الطهراني بتمكنه واستظهار ما تيسّر من القرآن الكريم ، والبصر بدقائق أسراره .

ونكتفي بهذا القدر بيانا للشواهد التي أوردناها دون النظر إلى غيرها ، وفيها ما يدلّ على ذوق الشاعر ، ودقة اختياره للنص المقتبس منه .

ثانيا – الاقتباس الإشاري :

ويراد به أن يقتبس الشاعر من معاني القرآن وصوره ، وهنا يحقّ للشاعر أن يغيّر اللفظ المقتبس من القرآن بزيادة أو نقصان ، أو تقديم أو تأخير ، أو إبدال الظاهر من المضمر ، كون (المقتبس منه ليس بقرآن حقيقة بل كلام يماثله ، بدليل جواز النقل عن معناه الأصلي، وتغيير يسير فيه)[٤١] .

ومن غير شكّ أن المعنى القرآني الذي يقتبسه الشاعر شيءٌ ، والمعنى الذي يريده الشاعر شيء آخر ؛ لأنّ اتحاد المفهوم في ضمير الشاعر لا يتم إلا أن يكتفي ببقاء أكثر الألفاظ على مفهومه . وهذا النوع من الاقتباس الإشاري يقع في وجهين :

١ـ المعاني :

وفي إطار المعنى القرآني يلجأ الشاعر أبو الفضل الطهراني في كثير من نصوصه الشعرية إلى توظيف المعنى القرآني ، وإدراجه ضمن معاني نصوصه ، رغبة منه في تقوية المعنى الذي يريده ، وطلبا للوضوح والتأثير ، لاسيما وأن القرآن غنيٌّ بمعانيه ، والمعروف أن أبا الفضل الطهراني يهتمُ بمعانيه اهتماما كبيرا ، بل يفتن في الغوص عن المعنى الجميل ؛ لهذا يستثمر معانٍ القرآن للتعبير عمّا يجيش في صدره من انفعالاتٍ وأحاسيس هي ترجمة حيّة لنوازع نفسه وخلجاتها . وهذا النوع من الاقتباس في شعره كثير بالنسبة إلى باقي الأنواع الأخرى .

ومن المعاني التي تداولها في شعره ، قولهُ[٤٢] : [الوافر]

لنا قومٌ من الضعفاء لكن لهم من حمقهم أعلى نصاب

وإن يسلبهمُ شيئا ذبابٌ فلن يستنقذوه من الذبابِ

في هذا النص يصف الشاعر قوما حمقى لا قدرة لهم في مواجهة الأمور لضعفهم ، وبلغ من ضعفهم أنهم لا يقدرون على دفع أذى الذباب عن أنفسهم ، واستطاع الشاعر إن

يتكأ في معناه على قوله تعالى (وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه) ، [الحج : ٧٣].

ومن جميل معانيها المقتبسة قوله(٤٣) : [المنسرح]

فقهٌ وأصولٌ وكلامٌ وأدبْ طبٌّ وتفلسفٌ وأيّامٌ عَرَبْ

إنْ لم يزدِ القلب بهاءً وصفا فخرٌ وتكاثرٌ ولهوٌ ولعبْ

إنّ المعنى الذي ساقه الشاعر في هذا النص مقتبس من قوله تعالى (إنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر) ، [الحديد : ٢٠].

وقوله(٤٤) : [الخفيف]

عجبا قد غدا أولو الألبابِ يدخلون البيوت من غير بابِ

قد تولوا نيل الحقائق لكن زعموا اللفظ فيه فصل الخطابِ

في هذا النص نجد الشاعر مندهشا من أولئك الذين يشتغلون بظاهر العلوم دون الالتفات إلى الباطن ، مستثمرا المعنى القرآني الذي أرشدت إليه الآية القرآنية (وأتوا البيوت من أبوابها)، [البقرة : ١٨٩].

وقوله(٤٥) : [الطويل]

أرى كلّ حسنٍ غير حُسنك ذاهبا وحسنك مما ينفع الناس يمكثُ

لحى اللّه أقواما رأوك فأعرضوا وقد جاءهم ذكرٌ من اللّه محدثُ

يصف الشاعر في البيت الأول جمال المحبوب الذي لا يضاهيه جمال ، بل يرى أن كلّ حسن غير حسنه ذاهب ، وأن حسنه مما ينتفع به الناس كلما كحّلوا عيونهم بجماله الأخّاذ ، وقد اتكأ في هذا المعنى على قوله تعالى (فأمّا الزبدُ فيذهب جفاء وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) ، [الرعد : ١٧]. وفي البيت الثاني نرى الشاعر

غير راض عن الذين أعرضوا عن هذا الجمال، بل يدعو عليهم فهم (ما يأتيهم من ذكر محدث إلا كانوا عنها معرضين) ، [الشعراء : ٥] .

وكذلك قوله(٤٦) : [البسيط]

أحلى وأطيب ما كان الزمان لنا يومٌ أراني ذاك المنظر الحسنا

قرأتَ من وجهه آيَ السُرور فيا طوبى له فهو عنّي أذهب الحزنا

إن من يتأمل هذا النص يستحضر مقام وسياق الآية (وقالوا الحمد الله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفورٌ شكور) ، [فاطر : ٣٤] .

وقوله في البشارة بظهور المهدي عليه السلام(٤٧) : [الوافر]

أبشركم وإن جلّت خطوبٌ فإن تغدوا عليها صابرينا

يقرّ الله أعينكم بمولى به تعمى عيون الناصبينا

ويخزيهم وينصركم عليهم ويشف صدور قومٍ مؤمنينا

مقتبس من قوله تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم و يخزهم وينصركم عليهم ويشفي صدور قوم مؤمنين) ، [التوبة : ١٤] .

٢- الصور :

تعدُ الصورة الشعرية من العناصر الأساسية في عملية التقويم الفني للشعر ، فهي أشدّ العناصر تأثيرا في النفس ، بل هي (الوسيلة التي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معا إلى قرّائه أو سامعيه)(٤٨) .

لقد اتخذ أبو الفضل الطهراني من الصورة الشعرية وسيلة مهمة للتعبير عن رؤاه وأفكاره في تجسيد الأبعاد المختلفة التي تعكس مهارته الفنية في صياغة (نسخة جماليّة تستحضر فيها لغة الإبداع ؛ الهيئة الحسيّة ، أو الشعوريّة للأجسام ، أو المعاني

؛ بصياغة جديدة ؛ تمليها قدرة الشاعر ، وتجربته ، وفق تعادليَّة فنيَّة بين طرفين ، هما : الحقيقة ، والمجاز)[٤٩] .

ويستمدُ الشاعرُ صورهُ ومعانيه من القرآن الكريم ، معتمدا في ذلك على ملكة التخييل ، وقدرته على التأليف بين الصور والمعاني ؛ إذْ أنَّ الصورة قوام المعنى ، ولا قيمة للصورة من دونه ؛ لهذا نجده يرسم الصورة الرائعة ، ويختار لها أجمل إطار ، ويلجأ إلى إثارة الخيال كونه عنصرا مهما من عناصر تشكيل الصورة الفنيَّة الحيَّة من خلال تضمين النصّ الشعري صورا من القرآن مستثمرا الصورة التي استخدمها في رسم مشهدٍ معين ؛ لأن القرآن قد حوى بين دفتيه طائفة كبيرة من الصور المبتكرة التي أغنت الخيال العربي ، وفي هذا ما يدلُ على شاعرية خصبة ، وإن كان ما يزال يغوص وراء الصور حتى يأتي منها بفرائد عجيبة مع حلاوة الأسلوب وعذوبته ، مما يدلُ على أنه كان شاعرا مبدعا متمكّنا من فنه ، ذا طاقة إبداعية هائلة ، وقدرة فنية واسعة في استثمار النصّ القرآني استثمارا يليق بالمعنى الذي يرومه إيضاحه ، وإبراز صورته . وهو في ذلك يستند إلى ضروب البيان المعروفة كالتشبيه والاستعارة والكناية . ومن ذلك قوله[٥٠] : [الطويل]

وهبّت سمومٌ لو سرت في جهنّم لفرّت وهل يجدي الفرار إلى قطر

تزحزح جسم الأرض منها مزلزلا إذ الريح ترمي بالشرارة كالقصرِ

نجد الشاعر قد استعمل لفظ (القصر) وما تمنحه هذه اللفظة من دلالة إيحائية ، وصورة جميلة تتضاءل دونها أيّ صورة أخرى في هذا الموضع من خلال هذا التشبيه المرسل مقتفيا في ذلك أثر القرآن الكريم في قوله تعالى (إنها ترمي بشررٍ كالقصر) ، [المرسلات : ٣٢] .

ومن جميل صوره قوله[٥١] : [البسيط]

في كلِّ معترَكٍ بالحرب مستعر بالنقع معتجر بالدم ريّان

ترى الأعادي به صرعى كأنهم أعجازُ نخلٍ فصنوانٍ وصنوانِ

تمثلت الصورة في البيت الثاني حيث يشبّه الأعداء وهم صرعى بأعجاز النخل ، والجامع بينهما الانعدام ، وهو مقتبس من قوله تعالى (فترعى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخلٍ خاوية) ، [الحاقة : ٧].

ومن الاستعارة قوله(٥٢) : [الرمل]

ظلماتٌ بعضها فو ق بعض أم سطورٌ تدرّجتْ في كتابِ

ولعمري ما حاولوا الكشف إلا وتوارت شمس الهدى بالحجابِ

إنّ من يتأمل البيت الثاني يجد كلمة لم تستعمل في معناها الحقيقي ؛ فكلمة (وتوارت شمس الهدى بالحجاب) ، فالشاعر هنا يتجوّز في الكلمة فيطلقها على غير معناها في اللغة ولا يكمل تعلق الهدى من دون الشمس تحقيقا للمبالغة في التشبيه ، وقد استمد هذه الصورة من قوله تعالى (فقال إني أحببتُ حبَّ الخير عن ذكر ربّي حتى توارت بالحجاب) ، [ص : ٣٢] . فالصلة بين الآية الكريمة والبيت واضحة ، ولكن أبا الفضل الطهراني مع ذلك حاول أن يحدث تحويرا في الصورة عندما استعمل لفظ (شمس الهدى) .

وقوله(٥٣) : [المنسرح]

رحمٌ وجفاءٌ ووصالٌ ونوى منها اعتدلت لليلنا منك قوى

لم أهتدِ هل أحزن أم أفرحني قد ضلّ به صاحب عقلي وغوى

وهذه صورة جميلة مستوحاة من قوله تعالى(مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى)، [النجم : ٢] ؛ فالآية فيها دلالة بيانية هي كناية عن موصوف وهو النبي محمد ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلم ـ إلا أن الشاعر غيّر شيئا من ألفاظ الآية فجاء (بصاحب عقلي) بدل

صاحبكم ، وهو من باب الاستعارة ؛ حيث عبرَّ عن العقل تعبيرا دقيقا من خلال هذا التشخيص الذي جعل من العقل شخصية قابلة للضلال ؛ ولا شكَّ أن العقل لا يضلّ ، وإنما الضلالة للإنسان ، ومراد الشاعر ، ما تاه عقلي عن هواكم ولا صدّ ، بل بقي محافظا لودادكم ، راعيا لعهدكم .

وقوله(٥٤) :

قد وردنا من المكارم دارا علّها من يد الخطوب تقينا
فرأينا لما أجلنا لحاظا في رباها من حسنها تلتقينا
جنّة عرضها السّموات والأر ض أعدّت بالخير للمتقينا

فالصورة في هذا النص مستقاة من قوله تعالى (وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربّكم وجنّة عرضها السّموات والأرض أعدّت للمتقين) ، [آل عمران : ١٣٣] . وقد عبّرت الآية بالكناية عن سعة الجنة ، إلا أن الشاعر لم يرد هذا المعنى فهو يصف دارا لأحد الوجهاء ، لهذا شبّهها بالجنة في حسنها وسعتها .

هذا آخر ما اخترته من سائر ديوان أبي الفضل الطهراني ، وبديع نظمه في الاقتباس ؛ لتكون مثلا على اقتباساته الباقية التي وردت في شعره ، فأضفت عليه هذه النفحة الزكية من الرقة والجمال ، وقد جرت في شعره في بساطة ويسر ، فأكسبته حلاوة وقوة .

سلطان سلطان سلطان

الخاتمة

وكان مما افرز البحث من نتائج نحسب أنها ذات أهمية :

١- يعدّ أبو الفضل الطهراني في الذروة من شعراء إيران الذين يجيدون النظم في اللغة العربية ، وعلى الرغم من شهرته عالما فقيها أصوليا إلا أن الغالب عليه الأدب والشعر ، وكانت له أشعار جيدة تحتوي على نكات بديعة ، ومعان دقيقة .

١- أبرز البحث عن مجيء الاقتباس كأحسن ما يكون عليه في إبراز المعنى ، وإيضاح الصورة ، ولا ريب من أن الألفاظ المقتبسة من القرآن تزيد الكلام قوّة وبلاغة ، كما تضفي عليه حسنا وجمالا .

٢- إن ما اقتبس من القرآن الكريم أن يكون غير خارج عن معناه الذي ورد به القرآن ، ويصح أن يكون خارجا بشيءٍ من التصرّف ، وفي الحالة الأولى يعد المضمّن قرآنا ، بشرط أن لا يكون فيه أدنى تحريف لفظي ، وفي الحالة الثانية لا يعد قرآنا ولو لم يتغيّر لفظه .

٤- إنّ أثر القرآن الكريم بدا واضحا في الشعر العربي منذ نزول القرآن على النبي محمد – صلى الله عليه وآله وسلم- ويظهر أثره في مجال خصائص الشعر وسماته ، بما يضفي على النص من دلالات عظيمة ، ومعاني راقية تكشف عن حفاوة الشاعر واهتمامه بكتاب الله عز وجل .

٣- أبان البحث أن أبا الفضل الطهراني كان مفتونا بالاقتباس وقد استعمله كثيرا في شعره حتى أصبح يشكّل ظاهرة بارزة في شعره ، وافتنّ في صياغته ، وأظهر حرصه على استعارة ألفاظ القرآن ومعانيه وصوره ، والإفادة منه قصدا للاستعانة على تأييد المعنى المقصود ، وإظهار مهاراته الفنية ، وقدراته الإبداعية على النظم فيه.

٤- استعان أبو الفضل الطهراني بالقرآن كثيرا في التعبير عمّا يعتلج في صدره ، من خلال نزوعه إلى الأخذ منه مرارا وتكرارا ، بما يشهد له بطول الباع ، والفهم الدقيق ، والذوق الصحيح في اختيار المناسبة بما يتلائم والمقتبس منه ، من غير أن يعتري اللفظ شذوذ ، أو قلق ، أو حرج ، ومن غير أن يبدو الكلام مرذولا مردودا .

٦- إن جنوح أبي الفضل الطهراني إلى الاقتباس من القرآن الكريم ؛ لما للقرآن الكريم من موقع مستحسن في النفس ، فضلا عمّا يمنحه الاقتباس من تقوية المعنى ، وما يضفي عليه من دلالات إيحائية ذات تأثير وقوة .

٧- وأبرز البحث أن الاقتباس في شعر أبي الفضل الطهراني قد جاء على نوعين هما الاقتباس النصي ، وقد تمثل بما أودعه الشاعر من آي الذكر الحكيم ، دون أن يتصرّف بألفاظه ، أو أن ينبّه عليها أحد ، وكأنه جزءٌ من شعره . والاقتباس الاشاري وقد تلمسنا فيه كيف غيّر الشاعر لفظ المقتبس منه بزيادة أو نقصان ، أو تقديم أو تأخير ، أو إبدال الظاهر من المضمر ، وقد وقع هذا الاقتباس في المعاني والصور .

الخلاصة :

يعدُّ الاقتباس أحد فنون البديع الذي عرفته البلاغة العربية منذ عهدٍ مبكر ، وكان يعرف بالذوق ، ويتأتى بالسليقة ، بعيدا عن التكلف والصنعة ، ثم ما لبث أن شاع في العصور المتأخرة حتى غدا ظاهرة لها أهميتها في الدرس البلاغي شأنه في ذلك شأن غيره من المحسّنات البديعية : كالجناس والتورية ، وإذا كان الاقتباس يتمثل بتضمين المتكلم كلامه شيئا من القرآن الكريم والحديث الشريف ؛ فإنّ ذلك مما يزيد النص الذي يرد فيه وضوحا وتأثيرا ، ويكسبه حينئذٍ حسنا وقوة ، ويملأه إشراقا وبهاءً ؛ وهو أكثر فنون علم البديع أثرا وجذبا وتأثيرا ؛ لما للقرآن من موقع مستحسن في النفوس .

ويظلُ الاقتباس مظهرا من مظاهر التعبير الفني الذي يستعين به الأديب في التعبير عن مشاعره وأحاسيسه ، بما يؤدّي دلالة تعبيرية تسهم في تقرير المعنى في ذهن المتلقي وتجعله مقبولا لديه ، كما يشهد لصاحبه بتمكنه من القرآن الكريم ، والبصر بدقائق أسراره ، وقدرته على الإفادة منه .

ويمتلك الاقتباس خصائص إبداعية ، بعيدة الغور ؛ كونه يجمع بين معنيين مختلفين أحدهما المعنى الذي يريده النص القرآني المقتبس ، والمعنى الذي ساقه الشاعر ؛ مع ما يثيره في نفس المتلقي من تأملات ، ويدفع إليه من مقارنات ؛ وذلك عن طريق تسخير قدرة الاقتباس الخارقة في تلوين المضمون بضلال مبتكرة ، وألوان متنوعة ، فتضفي على المعنى جمالا ، وتزيده قوة ، فضلاً عن عمق التأثير ، وجمال الأسر ، وروعة الأداء .

ومن هنا جاءت هذه الدراسة محاولة جادة للوقوف على القيمة البلاغية والجمالية لهذا الفن من خلال دراسة بنيته دراسة تحليلية ، وكان شعر أبي الفضل الطهراني مادة تطبيقية لهذا الفن ، إذ ألف فيه الاقتباس ظاهرة أسلوبية متينة لا تقلّ شأنا عن غيره من فنون البديع الأخرى الواردة في شعره ؛ فضلاً عن الصور والمشاهد الغنية والدقيقة التي استعارها من القرآن الكريم ، قصد الاستعانة على تأييد المعنى المقصود وتقويته ، وإضفاء صفة القداسة والتبجيل للأمر الذي يتحدّث عنه . . .

الهوامش:

(١) ينظر في ترجمته : أعيان الشيعة : ٤٧٥ ، شعراء الغري : ٣٣٤/١ ، معجم الشعراء : ، المفصل في تاريخ النجف الأشرف : ٣٧/٩ .

(٢) أعيان الشيعة : ٤١٣/٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٤١٣/٢ .

(٤) المفصل : ٣٧/٩ .

(٥) ينظر أعيان الشيعة : ٤٧٥/٢ ، المفصل : ٣٧/٩ .

(٦) أعيان الشيعة : ٤٧٥/٢ .

(٧) أعيان الشيعة : ٤٧٥/٢ .

(٨) المفصل ٣٧/٩ .

(٩) شعراء الغري : ٣٣٤/١ .

(١٠) أعيان الشيعة : ٤٧٥/٢ .

(١١) ينظر عن مؤلفاته : أعيان الشيعة : ٤٧٥/٢ ، معجم المؤلفين العراقيين : ٧١/٨ ، المفصل في تاريخ النجف : ٣٨/٩.

(١٠) لسان العرب (مادة قبس) : ٢٠١/٦ـ٢٠٢ ، والمصباح المنير (مادة قبس) : ٢٨٢ .

(١٢) مواهب الفتاح : ٦٨٣/٢ .

(١٣) الأطول (شرح تلخيص مفتاح العلوم) : ٥٠٩/٢ .

(١٤) كتاب الاقتباس من القرآن الكريم : ٨١ .

(١٥) المثل السائر : ٤٢/١ .

(١٦) حسن التوسل : ٣٢٣ .

(١٧) الإيجاز لأسرار كتاب الطراز : ٤٣٨ .

(١٨) خزانة الأدب للحموي : ٣٥٧/٤ .

(١٩) أنوار الربيع : ٢١٧/٢ .

(٢٠) شرح عقود الجمان : ٣٨٣ .

(٢١) عروس الأفراح : ٤٢١/٢ .

(٢٢) الإيضاح : ٣٤٣ .

(٢٣) كتاب الاقتباس من القرآن الكريم : ٨٢ .

(٢٤) المثل السائر : ٤٢/١ .

(٢٥) إحكام صنعة الكلام : ١٦٩ .

(٢٦) كتاب الاقتباس من القرآن الكريم : ٨٢ .
(٢٧) البرهان في علوم القرآن : ٢٣ .
(٢٨) حسن التوسل : ٧٦ .
(٢٩) البيان والتبيين : ٧٣/٤ .
(٣٠) الإيجاز : ٤٣٩ .
(٣١) علم البديع : ٢٢٥ .
(٣٢) حسن التوسل : ٧٣ .
(٣٣) المثل السائر : ٢٨٧/٢ .
(٣٤) ديوان أبي الفضل الطهراني : ٤٥٥ .
(٣٥) الديوان : ٣١٢ـ٣١٣ .
(٣٦) الديوان : ٧١ .
(٣٧) الديوان : ٤٩٧ .
(٣٨) الديوان : ٥٦٧ .
(٣٩) الديوان : ٢٩١ .
(٤٠) الديوان : ١٩٢ .
(٤١) أنوار الربيع : ٢١٧/٢ .
(٤٢) ديوان أبي الفضل الطهراني : ٧٩ .
(٤٣) الديوان : ٧٧ .
(٤٤) الديوان : ٦٨ .
(٤٥) الديوان : ١١٦ .
(٤٦) الديوان : ٥٥٩ .
(٤٧) الديوان : ٥٦٢ .
(٤٨) أصول النقد الأدبي : ٢٤١.
(٤٩) الصورة الفنيّة معيارا نقديا : ١٥٩ .
(٥٠) الديوان : ٢٥٤ .
(٥١) الديوان : ٥١٩ .
(٥٢) الديوان : ٦٨ .
(٥٣) الديوان : ٥٣ .
(٥٤) الديوان : ٥٦٦ .

المصادر والمراجع:

١ـ القرآن الكريم .

٢ـ إحكام صنعة الكلام : لأبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الأندلسي (أحد أعلام القرن السادس الهجري) ، تحقيق : د . محمد رضوان الداية ، مطبعة النجوى ، بيروت ، ١٩٦٦م ،

٣ـ الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة : لركن الدين محمد بن علي بن محمد الجرجاني (ت : ٧٢٩هـ) ، علق عليه : إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

٤ـ أصول النقد الأدبي : د . أحمد الشايب ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٤٢م

٥ـ الأطول (شرح تلخيص مفتاح العلوم) : لإبراهيم بن محمد بن عربشاه الحنفي(ت : ٩٤٣هـ) تحقيق : د . عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

٧ـ الاقتباس من القرآن الكريم : لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) تحقيق: د . ابتسام مرهون الصفار ، عالم الكتب الحديث ، أربد ، ط١ ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م .

٨ـ الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز : ليحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩هـ) تحقيق : د . بن عيسى باطاهر ، دار المدار الإسلامي ، ط١ ، ٢٠٠٧هـ .

٩ـ الإيضاح في علوم البلاغة : لجمال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) تحقيق : د . علي بو ملحم ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الأخيرة ، ٢٠٠٠م.

١١ـ البرهان في علوم القرآن : لبدر الدين أبي عبد الله محمد بن بهادر الزركشي (ت : ٧٩٤هـ)، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

١٢ـ البيان والتبيين : لأبي عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) تحقيق : محمد عبد السلام هارون ، دار الفكر ، بيروت ، ط٢ .

١٣ـ التبيان في علم المعاني والبديع والبيان : لشرف الدين الحسين بن محمد الطيبي (ت ٧٤٣هـ)، تحقيق : د . توفيق الفيل ، مطبعة ذات السلاسل ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

ـ التعريفات : للشريف علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

١٥ـ حسن التوسل إلى صناعة الترسل : لشهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي (ت : ٧٢٥هـ) ، تحقيق : أكرم عثمان يوسف ، دار الحرية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٠م.

١٧ـ ديوان أبي الفضل الطهراني (ت ١٢٧٣هـ) ، تحقيق محمد الكاظم ، مطبعة مؤسسة العروج ، طهران ، ١٤٢٨هـ.

١٨ـ زهر الربيع في شواهد البديع : لناصر الدين محمد بن قرقماس (ت : ٨٨٢هـ) تحقيق : د . مهدي أسعد عرار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

١٩ـ شرح عقود الجمان في المعاني والبيان : لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت : ٩١١هـ) تحقيق : د . إبراهيم محمد الحمداني ، ود . أمين لقمان الحبّار ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ٢٠١١م .

٢٠ـ شرح الكافية : لصفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي (ت : ٧٥٠هـ) تحقيق : د . رشيد عبد الرحمن العبيدي ، مطبعة الوقف السنّي ، بغداد ، ط١ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

٢٢ـ الصنيع البديع في شرح الحلية ذات البديع : لمحمد بن قاسم بن زاكور الفاسي (ت١١٢٠هـ) ، تحقيق : بشرى البداوي ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، ط١ ، ٢٠٠١ـ ٢٠٠٢م .

٢٣ـ الصورة الفنيّة معيارا نقديا (منحى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير) : د . عبد الإله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .

٢٤ـ عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : لبهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٧٣هـ) تحقيق : د . خليل إبراهيم خليل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

٢٥ـ علم البديع : الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

٢٦ـ لسان العرب : لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي (ت : ٧١١هـ) ، تحقيق : عامر أحمد حيدر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

٢٧ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : لضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم بن محمد المعرف بابن الأثير الجزري (ت : ٦٣٧هـ) تحقيق : كامل محمد عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

٢٩ـ المصباح المنير لأحمد بن محمد الفيومي (ت : ٧٧٠هـ) اعتنى به : أحمد جاد ، دار الغد الجديد ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .

٣٠ـ المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم : لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت: ٧٩٢هـ) تحقيق : د . عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

٣٢ـ مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح : لأبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب المغربي (ت : ١١٢٨هـ) تحقيق : د . خليل إبراهيم خليل ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

فتوى الجهاد الكفائي ودورها في بناء الإنسان (رؤية قرآنية معاصرة)

أ.م.د. نضال حنش شبار الساعدي
جامعة بغداد – كلية التربية ابن رشد
قسم علوم القرآن الكريم والتربية الإسلامية

خلاصة البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آل بيته وصحبه الغر الميامين.

استجابة لنداء المرجعية الدينية العليا في فتواها المباركة فتوى الدفاع الكفائي في ٢٠١٤/٦/١٣ التي اطلقها آية الله العظمى السيد علي السيستاني (دام ظله) لمواجهة المد الوهابي التكفيري الارهابي المقيت على امتنا الاسلامية عامة ، وعلى اتباع اهل البيت (عليهم السلام) خاصة ، كان للعتبات المقدسة الاستجابة الفورية لهذه الدعوة المباركة ، والمبادرة لنيل شرف الدفاع عن العراق ارض المقدسات والأنبياء (عليهم السلام) مستمدة مسيرتها المقدسة من عاشوراء الحسين (عليه السلام) ، ومن مقولته التاريخية (هيهات منا الذلة)

كما لا يخفى على كل مؤمن أن الجهاد عبادة وطاعة وفضيلة وهو ذروة سنام الإسلام وناشر لوائه ، وحامي حماه ؛بل لا قيام لهذا الدين في الأرض إلا به ، لذلك قال تعالى:(إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[1] وفي رواية عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أنه سئل :أي العمل أفضل :(الإيمان بالله ورسوله)، قيل ثم ماذا ؟ قال:(الجهاد في سبيل الله)[2].

لذلك صار لزاما علينا بيان مفهوم المعنى الحقيقي للجهاد وبيان أفضل أنواعه ورتبه وتحديدا الجهاد الكفائي بين النظرية والتطبيق من حيث معناه العام وبجوانبه الفكرية والاجتماعية ، والسياسية ،والاقتصادية ، وإيمانا منا بانتفاضة المرجعية العليا في إعلانها الجهاد الكفائي ضد العصابات الارهابية التي استباحت الدين والوطن فكانت بالفعل الهام إلهي جسد أروع مبادئ الاسلام في التضحية والدفاع عن الدين ومقدساته ، وانبل القيم الاجتماعية ، والوطنية ، والانسانية ، والتي وجدناها في نصوص عديدة من القرآن الكريم ستكون ان شاء الله موضع بحثنا والذي سنفصل القول في مفهومه ومراتبه كونه واجب على كل مكلف ، ومنها ما هو واجب على الكفاية إذا قام به بعض المكلفين ، سقط التكليف عن الباقين ، ومنها ما هو مستحب فجهاد النفس وجهاد الشيطان واجبان على كل مكلف ، وجهاد المنافقين والكفار وأرباب الظلم واجب على الكفاية الذي سيلقى منا دراسة معاصرة لفتوى السيد السيستاني (حفظه الله) ، وجاءت الدراسة على فصلين وخاتمة .

الفصل الأول

التعريف بالجهاد

سنحاول بإذنه تعالى التعريف بالجهاد من حيث اللغة والاصطلاح ثم نتدرج إلى ماهية الجهاد الكفائي في التشريع الإسلامي .

الجهاد لغة: مصدر من الجهد ، والجهد بفتح الجيم وضمها ؛ والمراد بهما الطاقة والمشقة وفي الحديث الشريف :(لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية)[٣] ، وفي القول: جهد دابته ؛أي أجهدها ؛أي بلغ جهدها وحمل عليها في السير فوق طاقتها[٤]، وتقول : جهد الرجل في الشيء ؛أي جدّ فيه وبالغ ، وجاهد في الحرب مجاهدة وجهادا ، والجهاد مأخوذ من الجُهد بالضم في الحجاز وبالفتح في غيرهم الوسع والطاقة ،

وجاهد في سبيل اللّه جهادا واجتهد في الأمر ؛بذل وسعه وطاقته في طلبه ليبلغ مجهوده ويصل إلى نهايته[٥].

وذهب الإمامية والمالكية في معنى الجهاد بأنه القتال لإعلاء كلمة اللّه وإقامة شعائر الإيمان[٦]،وعند الشافعية هو الجهاد الأصغر في إقامة الدين ، والجهاد الأكبر في مجاهدة النفس ومصداقه قول رسول اللّه (صلى اللّه عليه واله وسلم):(رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)[٧] ،وعند الحنابلة هو في قتال الكفار خاصة[٨].

ومن تلك المعاني يتضح لنا أن الجهاد له اربعة مراتب ألأولى جهاد النفس ، والثانية جهاد الشيطان ، والثالث جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات.

المبحث الأول

مبررات الجهاد الكفائي في الشريعة الإسلامية

اتفق جمهور علماء المسلمين على أن الجهاد للكفار وقتالهم لنشر دين اللّه فرض ، ولكنه فرض كفاية ، وهو واجب على كل مكلف ، وهو فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين بدليل قوله تعالى:(لا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ والمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى القَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاً وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)[٩]وهذا يعني أن القاعدين غير آثمين مع جهاد غيرهم[١٠]،كما نفى الشارع الحكيم أن ينفر المسلمون للجهاد كافة ؛بل يكفي أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة تقوم بفرض الجهاد الذي يسقط عن الطائفة الأخرى كما جاء في قوله تعالى:(وَمَا كَانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)[١١].

ومنها ما جاء في النهي عن الفرار من الزحف قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتمُ الذِينَ كَفَرُوا زَحْفا فَلا تُوَلوهُمُ الأَدْبَارَ[١٢]، وَمَن يُوَلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلا مُتحَرِّفا لِقِتَالٍ أَوْ مُتحيِّزا إِلى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءِ بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ)[١٣].

أما إذا نزل الكفار أرض المسلمين توجب عليهم مقاتلتهم والدفاع عن أنفسهم واجبا مقدسا وهو واضح في قوله تعالى:(وقَاتِلوا فِي سَبِيلِ اللهِ الذِينَ يُقَاتِلونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ)[١٤].

ويمكن لولي الأمر أن يستنفر المسلمين في قتال الكفار ، وكما هو الحال في فتوى المرجعية الرشيدة التي انطلقت من قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَاقَلْتمُ إِلى الأَرْضِ أَرَضِيتم بِالحَيَاةِ الدُنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ ،إِلا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[١٥].

ومن الواضح من الآيات أعلاه صراحتها الدالة على أنَ وجوب القتال على الجميع وهو من الواجبات الكفائية إذ يسقط بفعل البعض لتحقيق المقصد الشرعي منه ،والأصل أنَ يُحمل العام على عمومه كما هو مقرر في علم الأصول ، ولا يُصار إلى تخصيصه إلا بدليل مخصص[١٦]

و بذلك يتضح لنا أنَ من متطلبات الجهاد في سبيل اللّه تعميم الإعداد والتعبئة الشاملة للأمة بما يكفل دفع العدوان عنها[١٧] ، وحماية الإسلام والعدل والسلام ، وكذا تحقيق الاكتفاء الذاتي في جميع متطلبات الحياة الإنسانية ، وبما يكفل القيام بواجب الإعداد دون الإعتماد الكلي على الغير

المبحث الثاني

ما العلاقة بين الواجب الكفائي والواجب العيني؟

ذهب الزركشي في معنى هذه العلاقة إلى أن :(فرض الكفاية لا يباين فرض العين بالجنس ...،بل يُباينه بالنوع ؛ لأن كلا منهما لا بد من وقوعه غير أن الأول شمل جميع المكلفين ، والثاني ليس كذلك ؛بدليل تأثيم الجميع عند الترك ،لكنه يسقط بفعل البعض ؛لأن المقصود منه تحصيل المصلحة من حيث الجملة)[١٨].

ومعنى القول أنهما من جنس واحد وهو الوجوب إلا أنهما يختلفان بالنوع ،فالواجب الكفائي لا إثم في من تخلف عنه إذا ما تحقق بهم الكفاية لسقوط علته ؛إذ أن علته وقوع مطلق الفعل ، وهو بخلاف الواجب العيني الذي لا يسقط إلا أن يأتي به جميع المكلفين.

ونفهم من ذلك أن فرض الكفاية هو أمر كلي تتعلق به مصالح دينية ودنيوية ،لا ينتظم الأمر إلا بحصولها ولذلك بيّن الشارع الحكيم القصد من تحصيلها ، ولا يُقصد التكليف العيني لكل فرد أو اختباره بها كما هو الحال في الفروض العينية ؛إذ أن الكل مكلفون بها[١٩].

المبحث الثالث

أقسام الجهاد الكفائي

ومن الصعب التفصيل في اقسام الجهاد الكفائي ، وذلك لضيق مقام البحث ، ولكننا سنبينها بإيجاز شديد :-

وهذا النوع لا يقتصر على أحكام الجنازات ؛بل في اقامة الحجج والبراهين على وجود الخالق عز وجل ، ودفع الشبهات لبعض التيارات المنحرفة واثبات النبوات ،ومصداقها قوله تعالى:(وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)[٢٠] ، وكما جاء على لسان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):(طلب العلم فريضة على

كل مسلم)[٢١]، كما انها تضم القضاء والفتوى ،وتحّمل الشهادة وأداؤها حفاظا على حقوق الناس من الضياع ، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو أصل الدين والحفاظ على مصالح الخلق ،التي قد لا تتحقق إلا بالجهاد في سبيل اللّه وهو ما يتوجب على علماء الأمة ومراجعها التعبئة الشاملة للأمة لمن يستطيع الدفاع والذود عن الدين والعرض وملاحقة الأعداء حتى القضاء

.القسم الثاني : الواجب الكفائي الدنيوي:

ولا تقل أهمية هذا القسم عن سابقه لما فيه من منفعة وصيانة لحقوق الناس ومصالحهم، وهو يحمل أيضا مدلولات وقيم اجتماعية ، ووطنية ، وإنسانية سامية تسهم في سعادة الأمة الإسلامية في الدنيا قبل الآخرة كالاهتمام بالعلوم الدنيوية من طب وهندسة وكيمياء وغير ذلك من علوم الاقتصاد والاجتماع والإعلام مما فيه من منفعة للمسلمين ودفع الضرر عنهم كما ورد عن الجويني :(و لا أعرف خلافا أنّ سدّ خلات المضطريّين في سنّي المجاعات محتوم على الموسرين)[٢٢]

وهنالك الواجب الكفائي باعتبار حصول المراد منه،ومنه ما تتكرر مصلحته بتكرر الفاعلين،كحفظ القرآن ، وطلب العلم ،وقسم آخر يحصل بتمام المراد منه بمجرد إيقاعه وهذا قليل مقارنة بقسميه ويتضمن على سبيل المثال إطعام الجائع ، وكسوة العاري وهذا الفعل لا فائدة في تكرار فعله فإذا أطعم الجائع أو كُسي العاري فقد انتهت حاجته بفعل واحد ، وبذلك فقد ارتفعت علة التكليف بالفعل[٢٣].

وبذلك يتضح لنا أن مفهوم الجهاد تتسع دائرته بالمفهوم الإسلامي ،إذ لم تكن محصورة في قتال فحسب ؛بل ترتبط بمجالات الحياة كلها ، وهكذا حتى عندما يكون هناك قتال مع العدو ،فإن جهاد كل مسلم بحسبه ،من اختصاص وخبرة وقدرة فالطبيب بخبرته الطبية وأهل الإغاثة بإغاثتهم ،وأهل الإعلام بإعلامهم وأهل

الموال بأموالهم ، ويبقى غيرهم من المسلمين يقومون بشؤونهم و يخلفون المجاهدين في أهليهم بالخير والرعاية والحراسة .

المبحث الرابع

فضل الجهاد

ورد في فضل الجهاد آيات بينات في القرآن الكريم وروايات لا حصر لها في السنة النبوية الشريفة نستدل على بعض منها لضيق مقام البحث:-

قال تعالى:(لا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى القَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاً وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) ، دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)[٢٤]، وقال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)[٢٥].

أما في السنة المطهرة قال ابن مسعود :سألت رسول اللّه (صلى اللّه عليه واله وسلم) ،فقلت : يا رسول اللّه :أي العمل أفضل ؟ قال :(الصلاة على ميقاتها ، قلت ثم أي؟قال :ثم بر الوالدين ،قلت :ثم أي ؟قال : الجهاد في سبيل اللّه)،فسكت عن رسول اللّه ، ولو استزدته لزادني [٢٦]، وفي رواية أخرى عن أبي سعيد الخدري قال: قيل يا رسول اللّه ،؟أي الناس أفضل ؟ فقال:رسول اللّه (صلى اللّه عليه واله وسلم) :(مؤمن يجاهد في سبيل اللّه بنفسه وماله) قالوا ثم من؟ قال :(مؤمن في شعب من الشعاب يتقي اللّه ويدع الناس من شره)[٢٧]، وعن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال:(الجهاد أفضل الأشياء بعد الفرائض)[٢٨]، وعنه (عليه السلام) قال:(ثلاثة دعوتهم مستجابه أحدهم الغازي في سبيل اللّه فانظروا كيف تخلفوه)[٢٩].

وفي رواية عن أنس بن مالك – عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:(ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها ،إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة... وفي لفظ (ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة)[٣٠]

وبذلك يتبين لنا أن الجهاد الكفائي حلقة من حلقات الجهاد التي عبّر عنها سيدي ومولاي أمير المؤمنين (عليه السلام) بالقول:(الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة[٣١]،وقد فضله الله عز وجل على الأعمال ، وفضّل عامله على العمّال تفضيلا في الدرجات والمغفرة ، وبه ظهر الدين ، وبه يُدافع عن الدين ، وبه اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة بيعا مفلحا[٣٢]

.المبحث الخامس

أهداف الجهاد

مما لاشك فيه أن إعلاء ذكر الله تعالى من الأهداف الأساسية لتشريع الجهاد في سبيل الله قال تعالى:(الذين أخرجوا من ديارهم بغير حقٍّ إلا أن يقولوا ربُّنا الله ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعضٍ لهُدِّمتْ صوامعُ وبيعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذكرُ فيها اسمُ اللهِ كثيرًا ولينصرنَّ اللهُ من ينصرُهُ إنَّ اللهَ لقويٌّ عزيزٌ)[٣٣].

ومن الواضح أن في الآية الكريمة تشريع إلهي للجهاد الكفائي لما فيه من حماية للمسلمين ، ودفعا لشرور أعداء الدين ،الذين يسعون إلى إطفاء نور الله وذكره ، ولولا ذلك لهدمت المعابد الدينية والمشاعر الإلهية ونسخت العبادات والمناسك ،فلولا

دفع اللّه الناس بعضهم ببعض عن طريق الإذن بالجهاد لهدمت أماكن العبادة والمساجد التي يذكر فيها أسم اللّه .

ومن أهداف الجهاد نصرة المظلومين قال تعالى:(وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا)[٣٤]والمعنى أن جهاد المسلم يأتي نصرة للمسلم أينما يكون امتثالا للعدالة الإلهية ، كما جاء من أهدافه كف بأس الكفار وردّ كيدهم في نحرهم قال تعالى(فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلا)[٣٥].

والمعنى في الآية الكريمة أن اللّه سبحانه بعد أن أمر نبيه محمد (صلى اللّه عليه وسلم) بمواجهة أعداء الاسلام وجهادهم رغم قلة الناصر بيّن له ألأهداف الأساسية لهذا التكليف المقدس ألا وهو الجهاد في سبيل اللّه ،كما أمره بالالتزام بهذا التكليف ولو كان وحيدا فريدا معتمدا على اللّه تعالى مصدر كل قدرة وقوة في العالم .

الفصل الثاني

فتوى المرجعية العليا وأثرها في تعبئة أبناء الحشد الشعبي

المبحث الأول

الجهاد الكفائي رؤية قرآنية معاصرة

بعد أن مرت الأمة الإسلامية بأحداث مريرة وأوقات عصيبة استنزفت قدراتها الإقتصادية ، ودمرت بنيتها التحتية ، وشوهت قيمها الدينية والاجتماعية كان للمرجعية الدينية موقف حازم منذ تسعون عاما أعلنت فيه الجهاد على قوى البغي والظلام دفاعا عن الأرض والعرض والمقدسات حتى زلزلت الأرض تحت أقدام الطغاة ،وهاهو التاريخ يعيد نفسه بأحداث ارهابية دامية ، على يد الزمر التكفيرية

الضالة التي طغت في البلاد وأهلكت الحرث والنسل تهجيرا وقتلا وتدميرا لكل معاني الحياة متسترين بالدين وبراية لا إله إلا الله والله بريء عما يفعلون ولولا وما اعظم لولا عندنا لما تحمله من معاني الإنقاذ لشعب عريق كادت قوى الظلام تبيده عن بكرة أبيه فلولا فتوى المرجعية الدينية العليا المتمثلة بسماحة الإمام آية الله العظمى السيد علي الحسيني السستاني (دام ظله الوارف) بالجهاد الكفائي والتي جاءت بنص المرجعية العليا والتي اتسمت بعباراتها التي سُكبت بدقة فقهية وفق معطيات الهجمة التكفيرية الشرسة ، والتي ركزت فيها على ضرورة التحلي بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر وتوحيد الكلمة ونبذ الخلافات الطائفية أو العنصرية أو القومية مؤكدة في أن من يُقتل في هذا الجهاد فهو شهيد الدين والوطن مستهلة فتواها في التشديد على الحكومة والقيادات السياسية إلى ضرورة توحيد كلمتها وتعزيز جهودها في سبيل الوقوف بوجه التكفيريين القتلة الذين أرهبوا الناس بدمويتهم وإرهابهم واستباحتهم لأرواح الناس وأعراضهم وممتلكاتهم كما حثتهم على الصبر والثبات في مواجهة الطغاة مستدلة بقوله تعالى :(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ)[٣٦] مترحمة على الشهداء الأبرار والدعاء إلى الجرحى بالشفاء العاجل .

ومن الجدير بالذكر أن فتوى المرجعية العليا لاقت قبولا من جماعة علماء العراق وأكدت على أهمية الجهاد الكفائي بحمل السلاح وطرد داعش ومرتزقته والمأجورين من الخونة وملاحقتهم والقصاص منهم لما ارتكبوه من مظالم ومجاز ليس بحق المسلمين فقط ؛بل بحق جميع فئات المجتمع باختلاف دياناتهم ومذاهبهم وقومياتهم.

والجدير بالذكر أن فتوى المرجعية العليا نصت على محاور عدة ذات أبعاد دينية وسياسية، وإنسانية بيّنها ممثل المرجع الديني الأعلى سماحة السيد علي الحسيني السيستاني في لقاء هام عبر قناة العراقية ،يمكن الإشارة إليها بإيجاز :-

الأول: متابعة التطورات الأمنية الأخيرة في محافظة نينوى والمناطق المجاورة لها،بحيث تجعل المسؤول أمام وضوح في اتخاذ قرار يمكن من خلاله معالجة المشكلات التي قد تحدث مستقبلا أو مراجعة المشكلات السابقة.

الثاني: أكدت جميع خطابات المرجعية على توحيد الصفوف والكلمة لجميع الكتل السياسية ،وأن حياة الناس ودماؤهم ووحدة العراق هي خط أحمر وهي من الأمور التي على الجميع أنْ يؤمنوا بها وأن يتكلموا ويعملوا بها من أجل توحيد صفوفها إذا تعرّض العراق للخطر.

الثالث : شحذ الهمم للمجاهدين من أبناء القوات المسلحة والحشد الشعبي وأيدهم الكامل في مواجهة التحديات الكبيرة في صد قوى التكفير والظلام ، وأن التصدي للتكفيريين هو واجب مقدس أزاء حماية العراق العظيم، وأبنائه ومقدساته ،كما يتوجب عليهم الضرب بيد من حديد لقوى التكفير والإرهاب التي لا عقل لها ولا ضمير ولا تنتمي لأي قيمة سماوية أو أرضية ،كما أكدت المرجعية على أمر آخر وهو الصبر والثبات إيمانا بقوله تعالى:(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ)[٣٧].

الرابع: التأكيد على قدسية المعركة التي يقودها ابناء الشعب العراقي بمختلف صنوف الجيش العسكرية والوطنية كالحشد الشعبي من خلال الترحم على الشهداء والتضحيات الغالية التي بذلوها رفعة للدين والوطن ،كما أشارت إلى أنّ هناك أمران مطلوبان في الجانب العسكري ،وهما :أحدهما المهنية في القيادة وثانيهما:الانتماء إلى العراق ووحدته الوطنية ؛فالإنسان يُدافع عن ترابه وهذه

مسألة في غاية التقديس ليس في الديانات السماوية فحسب ؛بل في كل الديانات السماوية والوضعية فهو يحتاج إلى إستراتيجية واضحة المعالم وخطط أمنية قابلة للتطبيق في الواقع وتسهم في تحقيق الأمن على الأرض .

والجدير بالذكر أن هناك مجموعة من خطباء بعض المساجد وخاصة في اقليم كردستان[٣٨] شنوا هجوما شرسا لاذعا على فتوى السيد السستاني واصفين الفتوى بأنها تهييج لفتنة وضعت شرخا بين ابناء الشعب الواحد ؛ بل وتمادى البعض منهم بالقول:(إن اخواننا من أهل السُنة والجماعة يتعرضون لإبادة منظمة في بغداد والأنبار وأن القتلة يستندون على فتوى السيد السيستاني في قتل كل سُنّي باعتباره داعشي..)

قبحهم الله من خطباء فتنة يعتلون منابر التكفير والقتل فهم بقولهم هذا فضحوا تآمرهم وحقدهم ليس على الشيعة فقط بل على الإسلام وأهله ،وأن هذه الفتوى قد أصابت كل المتآمرين على العراق بالرعب والصدمة ، وأن الفتوى لم تكن للشيعة فقط بل لكل مسلم سُنّي أو شيعي ولكل عراقي بغض النظر عن قوميته ،فقد استهتر أولئك المتآمرين وهم يعلقون كل ارهابهم الاجرامي على جماعة أهل السُنة وقتل أهل السُنة ،وأنهم من سرق اراضي أهل السُنة وتخلوا عنهم فسلموهم لقمة سهلة إلى داعش الذين استباحوا أعراض أهلهم وحرماتهم وتركوهم لا حول ولا قوة إلا بالله وفروا إلى أوكارهم من قصور وفنادق في أربيل ودول الجوار ينعمون بالحياة الفارهة وتركوا أهلهم الذين غرروا بهم يواجهون مصيرهم المحتوم لولا فتوى السيد السستاني لما بقيت لإهلهم باقية وبفضل الفتوى هب ابناء الشعب العراقي وخاصة من ابناء بغداد والجنوب لإنقاذ إخوانهم في الدين في تكريت والأنبار وما زال الأبطال من ابناء الجيش والحشد الشعبي يواصلون انتصاراتهم على أولئك الكفرة الفجرة ، وهو وثبت كذبهم وادعائهم بوصفهم لأبناء الحشد الشعبي

بالمليشيات وهاهم يحررون نسائهم من قبضة داعش ، ويرجعونهم إلى منازلهم معززين مكرمين وهذا ما أثبته واقع المعارك الدائرة وما تبثه الفضائيات من صور حية تجسد اللحمة الوطنية بين الجيش والحشد الشعبي في مواجهة قوى الكفر والطغيان.

ونحن على يقين أن الارهاب الداعشي التكفيري العالمي في العراق سينهار ويتحطم على أعتاب فتوى السيد السيستاني التي تمثل النهج المحمدي الحسيني ضد النهج التكفيري اليزيدي عليهم لعنة اللّه جميعا.

المبحث الثاني

صدى فتوى المرجعية العليا بخصوص الجهاد الكفائي

أبدت جماعة علماء المسلمين بالغ اهتمامها في تفعيل فتوى المرجع الأعلى السيد السستاني بخصوص الجهاد الكفائي ضد عصابات داعش الإرهابية ،موكدة على ضرورة توظيفها وطرحها طرحا روحانيا يتعانق مع القلوب كي لا تهفت الحماسة لدى الشباب[٣٩] وقائلا:(الإرهاب مشروع كبير وأبناءنا قدر المسؤولية ؛لذا علينا الاهتمام بالفتوى ؛لأنها لاقت بعض الأجندات الخارجية وبعض الأبواق الداخلية من أجل أن تضعف جذوتها وأهميتها وواجبنا كمسلمين وعراقيين أن نُحيي هذه الفتوى ونعطيها دورها لتأخذ كل الدور لدى العراقيين ليقفوا بالواجب الكفائي للدفاع عن العراق وكرامته) ، وعليه أفتت جماعة علماء العراق / المقر العام في بغداد بحمل السلاح لمحاربة داعش وطردهم من العراق ؛بل والقضاء عليهم أينما كانوا.

كما لاقت فتوى المرجعية العليا صدى ليس على مستوى الداخل فقط ؛بل وفي مختلف دول العالم التي ترفض التكفير وتمقت الارهاب بجميع صنوفه وأهدافه.

وهي بذلك صمام الأمان لكل ما حدث و يحدث في عراقنا الصابر ،إلا أن صدى فتوى المرجعية نجد أنه زلزل الأرض تحت أقدام التكفيريين والمعتدين الطغاة من الدواعش وإذنابهم القذرة ، وارعبت أصحاب المخططات الظلامية التكفيرية ؛وهي بلا شك تركت بصمة واضحة في تاريخ العراق المعاصر كتلك التي أحدثتها آخر فتوى جهادية أصدرتها المرجعية العليا في النجف الأشرف أبان ثورة العشرين المباركة عام(١٩٢٠م).

وكانت ملامح التسديد الإلهي واضحة وجلية في البيان الجديد للمرجعية الدينية العليا حول أحداث نينوى وما تلاه من توضيحات وتفصيلات من ممثلي المرجعية الدينية العليا ؛إذ أنها جاءت وفق معطيات الظروف الحرجة التي يمر بها البلاد ولو تأملنا ثنايا أسطر الفتوى المباركة لاستكشفنا أمورا ومسائل تستدعي منا وقفات تأملية طويلة ، ولعل من اهمها التركيز على ضرورة التحلي بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر وتوحيد الكلمة ، ونبذ الخلافات ، ولعل أروع ما في الفتوى إضفاء صفة الشهيد على من يسقط مدافعا عن حياض الوطن ضد الارهابيين المعتدين[٤٠] ، وفي ذلك دلالة واضحة على شرعية المواجهة وقداسة التحرك لوقف هذه الهجمة الشرسة ضد عراقنا الحبيب وأهله الطيبين.

وختاما نقول أن الجهاد الذي أعلنته المرجعية العليا في النجف للتصدي لخطر الدواعش هو جهاد كفائي ،حيث استنفر أهل العراق بجميع طوائفهم كافة لمكافحة شرهم وقتلهم بجميع الوسائل ،وفضح بدعهم من جهاد النكاح واستباحة اعراض الناس وممتلكاتهم ، والكشف عن جرائمهم ونفاقهم وهجومهم ضد الإسلام والمسلمين ، وهذه الحشود المؤمنة التي التحقت لمساندة القوات المسلحة عازمة بمعنويات عالية في القضاء على داعش وأعوانهم ،والتذكير بدين الله الذي

يوحد المسلمين ولا يفرقهم ، ويعلمهم الموعظة الحسنة وإماطة اللثام عن مصالح المنافقين من الدواعش في الداخل والخارج الذين ينعقون بين الفينة والآخرى بسمومهم اللئيمة من خلال بعض الفضائيات الداعشية وفضحهم أمام ابناء جلدتهم ممن يدعون أنهم جاؤا لنصرتهم والحقيقة أنهم فتنوا الناس واغروهم ثم تركوهم لقمة سائغة لفلول داعش القذرة ولولا نصر اللّه الذي تحقق بسواعد ابناء القوات المسلحة والحشد الشعبي لما بقيت لهم من باقية.

الخاتمة

بحمد اللّه وفضلة نختم بحثنا بأهم النتائج المستخلصة من رحلة البحث والتي يمكن إيجاز القول فيها بما يأتي :-

١-من متطلبات الجهاد في سبيل اللّه تعميم الإعداد والتعبئة الشاملة للأمة بما يكفل دفع العدوان عنها ، وحماية الإسلام والعدل والسلام ، وكذا تحقيق الاكتفاء الذاتي في جميع متطلبات الحياة الإنسانية ، وبما يكفل القيام بواجب الإعداد دون الاعتماد الكلي على الغير .

٢-تبيّن لنا صراحة الآيات الدالة على أنّ وجوب القتال على الجميع وهو من الواجبات الكفائية إذ يسقط بفعل البعض لتحقيق المقصد الشرعي منه ،والأصل أنّ يُحمل العام على عمومه كما هو مقرر في علم الأصول ، ولا يُصار إلى تخصيصه إلا بدليل مخصص.

٣-الجهاد الكفائي هو باب من أبواب الجنّة فتحه اللّه لخاصّة أوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع اللّه الحصينة وجنته الوثيقة.

٤-يُعد الجهاد الذي أعلنته المرجعية في التصدي لخطر داعش الإرهابي هو جهاد كفائي استنفر فيه الشعب العراقي بمختلف طوائفه وقومياته وسخر جميع

طاقاته المادية والمعنوية في الوقوف والتصدي لقوى البغي والظلام وفضح جرائمهم وأفكارهم النتنة التي عاثوا بها في الأرض فسادا ، وكشف مخططاتهم الصهيونية والإسرائيلية التي تهدف إلى النيل من وحدة الشعب العراقي وتفتيت نسيجه الوطني ، وتشويه مبادئ الإسلام الحقيقية التي تدعو إلى المؤاخاة والمحبة والتسامح لا التكفير والقتل والفساد ، وهو ما شجع ابناء الحشد الشعبي الذي تكون بفضل فتوى المرجعية العليا فوقفت وقفة واحدة مع جميع صنوف قواتنا المسلحة عازمة بمعنويات عالية على طر البغاة المحتلين ، ونشر الأمن والسلام وقيم المحبة والتسامح بعيدا عن الطائفية المقيتة والعنصرية الظالمة ،مذكرة بمبادئ ديننا الحنيف الذي يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة وفضح مخططات داعش التكفيرية وافكارهم المسموم القائمة على القتل والترهيب لعنهم الله .

٥-نحن على يقين أن التاريخ على المدى القريب والبعيد لن ينسى صدى هذه الفتوى المدوية التي تركت بصمة واضحة في تاريخ العراق المعاصر ،كتلك التي أحدثتها آخر فتوى جهادية أصدرتها المرجعية العليا في النجف الأشرف أبان ثورة العشرين عام ١٩٢٠.

٦-إضفاء صفة الشهيد في فتوى المرجعية على جميع من يسقط دفاعا عن الدين والوطن مما شكلت حافزا معنويا عظيما لجميع متطوعي الحشد الشعبي وهو أروع ما الفتوى ؛إذ أظهر قداسة التصدي لهذه الهجمة الشرسة التي لا دين لها ولا مذهب وإنما القتل والإفساد في الأرض عليهم لعنة الله أجمعين.

٧- لاقت فتوى المرجعية العليا صدى ليس على مستوى الداخل فقط ؛بل وفي مختلف دول العالم التي ترفض التكفير وتمقت الارهاب بجميع صنوفه وأهدافه.

٨- أكدت جميع خطابات المرجعية على توحيد الصفوف والكلمة لجميع الكتل السياسية ،وأن حياة الناس ودماؤهم ووحدة العراق هي خط أحمر وهي من الأمور التي على الجميع أنْ يؤمنوا بها وأن يتكلموا ويعملوا بها من أجل توحيد صفوفها إذا تعرّض العراق للخطر.

٩- أن مفهوم الجهاد تتسع دائرته بالمفهوم الإسلامي ،إذ لم تكن محصورة في قتال فحسب ؛بل ترتبط بمجالات الحياة كلها.

١٠-لم تختص فتوى المرجعية العليا بطائفة معينة أو قومية محددة بل الجميل فيه تأكيدها في كل خطبة من خطب الجمعة أن مسؤولية التصدي للقتلة الإرهابيين هي مسؤولية الجميع ولا تختص بطائفة دون أخرى أو طرف دون آخر ،وشددت على أنّ طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن الوطن ومواطنيه هو واجب كفائي.

الهوامش:

---

[١] سورة التوبة : الآية ١١١.

[٢] صحيح البخاري

الجهاد اصطلاحا: له اطلاقان :احدهما خاص والمعنى فيه بذل الجهد في القتال للكفار والبغاة ، وثانيهما عام في اجتهاد الإنسان في الحصول على ما يرضي اللّه ويحبه من الإيمان ، والعمل الصالح ، ومن دفع ما يبغضه من الكفر والفسوق والعصيان[٣].

[٣] النهاية في غريب الحديث والأثر :لأبن الأثير ٣١٩/١.

[٤] ينظر: لسان العرب :لإبن منظور ١٦٣/٢.

[٥] ينظر: مصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١١٢/١،باب مادة (جهد).

[٦] منهاج الصالحين (العبادات):للسيد الخوئي(قدس سره) ٣٦٣/١.

[٧] حاشية الشيخ إبراهيم البيجوري:لمحمد عبد السلام شاهين٤٨٩..

[٨] ينظر: معونة أولي النهي :لإبن النجار ٣١٧/٤.

[٩] سورة النساء : الآية ٩٥.

[١٠] ينظر: المغني :لأبن قدامة ٦/١٣.

[١١] سورة التوبة : الآية ١٢٢.
[١٢] الأنفال : الآية ١٥.
[١٣] سورة الأنفال : الآيتان ١٥ـ١٦.
[١٤] سورة البقرة : الآية ١٩٠.
[١٥] سورة التوبة :الآيتان ٣٨ـ٣٩.
[١٦] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :للآلوسي ٩٣/١٠.
[١٧] ينظر: المنثور في القواعد الفقهية :للزركشي ٣٥٢/٣ـ٣٥٤، وروضة الطالبين :للنووي ٢٢١/١٠ـ٢٢٢.
[١٨] البحر المحيط :للزركشي ١٩٥/١.
[١٩] ينظر:المنثور في القواعد الفقهية :للزركشي ٣٣/٣.
[٢٠] سورة التوبة : الآية ١٢٢.
[٢١] سُنن ابن ماجه ،باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ٨١/١،رقم الحديث ٢٢٤.
[٢٢] غياث الأمم في التياث الظلم٢٠٥.
[٢٣] ينظر: البحر المحيط :للزركشي ٢٠٣/١.
[٢٤] سورة النساء : الآيتان ٩٥ ـ٩٦.
[٢٥] سورة الصف :الآيتان ١٠ـ١٣
[٢٦] صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب فضل الجهاد والسير ١٤/٢ ، رقم الحديث ٢٧٨٢.
[٢٧] صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٧٨٦,١٤، وصحيح مسلم رقم الحديث ١٨٨٨,٣٩.
[٢٨] تهذيب الاحكام ،كتاب الجهاد ،١٣/٦.
[٢٩] المصدر نفسه ١٣٤/٦.
[٣٠] صحيح البخاري:كتاب الجهاد ، باب الحور العين وصفتهن ،رقم الحديث ٢٧٩٥،والطرف رقم الحديث ٢٨١٧،وصحيح مسلم ،كتاب الإمارة باب فضل الشهادة في سبيل الله رقم الحديث ١٨٧٧.
[٣١] نهج البلاغة :الخطبة ٢٧.
[٣٢] الكافي : للشيخ الكليني ٣/٥
[٣٣] سورة الحج : الآية ٤٠.
[٣٤] سورة النساء : الآية ٧٥.
[٣٥] سورة النساء : الآية ٨٤.
[٣٦] سورة الصف :الآية ٤.

[٣٧] سورة الصف : الآية ٤ .

[٣٨] جامع مزكة وته سه فار(جامع الصفار في أربيل.

[٣٩] وكالة هنا الجنوب الإخبارية ،رقم الاعتماد في نقابة الصحفيين العراقيين ١٢/٥ بتاريخ ٢٠١٤/٧/٥..

[٤٠] ينظر الموقع الالكتروني www.alkafeel.aet .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١-تهذيب الأحكام :لأبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت٤٦٠ه)،صححه وعلق عليه :علي الغفاري ،مكتبة الصدوق ،الطبعة الأولى ١٩٩٧.

٢- البحر المحيط :للزركشي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى (د – ت)

٣-حاشية الشيخ إبراهيم البيجوري ، ضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، الطبعة الثانية (١٤٢٠ه – ١٩٩٩م).

٤-سنن أبي داود :لسليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير بن عمرو الأزدي السجستاني (ت٢٧٥ه)،تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ،المكتبة العصرية ،صيدا – بيروت

٥-سنن الترمذي :محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي (٢٧٩ه)، تحقيق وتعليق :أحمد محمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي ،وإبراهيم عطوة ،مكتبة مصطفى البابي الحلبي – مصر،الطبعة الثانية (١٣٩٥٠ه – ١٩٧٥م).

٦-شرح نهج البلاغة :لعز الدين عبد الحميد بن محمد بن أبي الحديد المعتزلي المعروف بابن أبي الحديد ،تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار إحياء التراث – بيروت ،الطبعة الثانية ،(١٣٨٧ه).

٧ـصحيح البخاري :لأبي عبد اللّه محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ه)،دار ابن الجوزي ،القاهرة ، مصر ،الطبعة الأولى (١٤٣٢ه – ٢٠١١م).

٨ـصحيح مسلم:للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (ت٢٦١ه)،تحقيق :محمد فؤاد عبد الباقي ،الطبعة الثانية ،(١٤٢١ه ٢٠٠٠م)،مطبعة دار السلام ، الرياض.

٩ـ حاشية الشيخ إبراهيم البيجوري:لمحمد عبد السلام شاهين،الطبعة الثانية ،(د – ت).

١٠ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي ،تحقيق :السيد محمد السيد ،والأستاذ سيد عمران ،دار الحديث ،القاهرة ،(١٤٢٦ه – ٢٠٠٥م).

١١ـ زاد المعاد :لإبن القيّم ،المكتب الإسلامي ،بيروت ،الطبعة الثالثة ،١٩٨٤م

١٢ـالكافي : لثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٨ـ ٣٢٩ه)،دار المرتضى ،بيروت ،الطبعة الأولى (١٤١٨ه – ٢٠٠٧م).

١٣ـلسان العرب :لجمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري (ت ٧١١ه)،تحقيق :عامر أحمد حيدر ،راجعه:عبد المنعم خليل إبراهيم،دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى(١٤٢٤ه – ٢٠٠٣م)

١٤ـالمصباح المنير في غريب الشرح الكبير :لأحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي (ت٧٧٠ه)، المكتبة العلمية – بيروت.

١٥ـالمغني :لإبن قدامه :أبو محمد موفق الدين عبد اللّه الحنبلي المقدسي (ت٦٢٠ه)،مكتبة القاهرة ،(١٣٨٨ه – ١٩٦٨م).

١٦ـ المنثور في القواعد الفقهية :للزركشي، المكتبة العلمية – بيروت (د – ت)

١٧ـمنهاج الصالحين :للسيد أبو القاسم الموسوي الخوئي ،مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي،إيران – قم ،الطبعة الثلاثون،١٤٢٢هـ ٢٠٠٣م).

١٨ـالنهاية في غريب الحديث والأثر:لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري – ابن الأثير (ت٦٠٦ه)،تحقيق طاهر أحمد الزاوي ،المكتبة العلمية ،بيروت (١٣٩٩ه – ١٩٧٩م).

١٩ـالبحر المحيط :لمحمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي ،تحقيق : الشيخ أحمد عبد الموجود وآخرون ،الطبعة الأولى ،(١٤٢٢ هـ ٢٠٠١م)،دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان.

٢٠ـ وكالة هنا الجنوب الإخبارية ،رقم الاعتماد في نقابة الصحفيين العراقيين ١٢/٥ بتاريخ ٢٠١٤/٧/٥..

Search Summary

Assistant Professor Dr. Nidal Hanash Shubar / University of Baghdad College of Education Ibn Rushd Department of Quran Sciences

Praise be to Allah, the Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the Messenger of Allah and his family and companions.

In response to the appeal of the supreme religious authority in its fatwa, the fatwa of ١٣ June ٢٠١٤, issued by the Grand Ayatollah Ali al-Sistani, to confront the takfiri-terrorist tide that is offensive to our Islamic nation in general and to the followers of the people

of the house, The holy shrines had an immediate response to this blessed call, and the initiative to gain the honor of defending Iraq, the land of holiness and prophets (peace be upon them) derived its sacred path from Ashura Hussein (peace be upon him) It is also necessary for us to clarify the concept of the true meaning of jihad, and to show the best types and types of jihad, namely, the efficient jihad between theory and practice. And the belief that the uprising of the supreme authority in its declaration of an effective jihad against the terrorist gangs that have expended religion and the homeland was indeed the divine significance of the most noble principles of Islam in the sacrifice and defense of religion and its sanctities, Social, national, and humanitarian, which we found in many texts of the Holy Quran will be God willing, the subject of our research, which we will separate the saying in the concept and orders as a duty to all expensive, including what is the duty of sufficient if done by some of the taxpayers, And the jihad of the hypocrites and the infidels and the enemies of injustice is a duty to be sufficient. A contemporary study of the fatwa of Sayyid al-Sistani (may Allah preserve him) will be presented to us. The research plan also included two chapters after the introduction. With his permission, the definition of jihad in terms of Language and standard and then fall into the meaning of the Islamic Jihad in the Islamic

legislation, which included five topics: the first: the justification of the Islamic Jihad in Islamic law and the second relationship between the duty of duty and duty in-kind?

The second topic is entitled: The fatwa of the supreme authority and its impact on mobilizing the sons of the crowd. PDF, included

The first topic was entitled: "Al-Jihad Al-Kafa'i", a contemporary Quranic vision. The fatwa was the reference of the supreme authority regarding the "Al-Jihad Al-Kafa'i", then the conclusion and the list of sources and references.

(العلامة محسن الأمين وآراءه في الشعائر الحسينية، التطبير أنموذجاً)

أ.م.د أمل سهيل عبد الحسيني/جامعة الكوفة/كلية التربية المختلطة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

قال الرسول (ص): (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: ولدٌ صالح يستغفر له، أو علم ينتفع به الناس، أو صدقة جارية)[1]، ونحن نقول: أن هذا الحديث قد تجلى مصداقه في العلامة محسن الأمين الذي جمع تلك الخصال الثلاث، فهو قد ترك أولاد صالحين، ومؤلفات جمة كان ابرزها كتاب (اعيان الشيعة)، والمدارس التي انشأها، فكانت احداها المدرسة المحسنية في دمشق، ونحن إذ نقدم شذرات من حياته لا يعني هذا انه لم يكن معروفا وقمنا نحن بالتعريف به، بالطبع لا؛ لأنه كان عملاقا بلا منازع عملاقا بكل شيء، حتى في فتواه الخاصة بتحريم التطبير إذ وقف شامخا لم يأخذه في الحق لومة لائم بل صدع بالحق بما أملاه عليه دينه، فرميً بالزندقه وحتى التكفير، فلم يردعه هذا عن موقفه الصلب فصار نبراسا ومتراسا مدافعا عن دينه ودين آباءه وما آمن به وتربى عليه، نحاول الوقوف بهذه الوريقات القليلة للتعرف عليه عن كثب متناولين فتواه في تحريم التطبير عسى ان نوفق ولو بالشيء القليل.

المطلب الأول: شذرات من سيرته العطرة

هو أبو محمد الباقر محسن بن الصالح العابد الزاهد التقي الورع السيد عبد الكريم ابن العلامة الفقيه الرئيس الجليل السيد علي بن الرئيس محمد الأمين ابن العالم الفقيه الرئيس الجليل السيد ابي الحسن موسى ابن العالم الفاضل الرئيس حيدر ابن العالم الفاضل السيد أحمد ابن الفاضل السيد ابراهيم المنتهي نسبه إلى الحسين ذي الدمعة بن زيد الشهيد ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين الشهيد ابن

الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) العلوي الفاطمي الحلي العاملي الشقراني[٢].

ولد العلامة في قرية شقراء من بلاد جبل عامل (١٢٨٤ هـ)، يعود أصله إلى مدينة الحلة حيث رحل أحد اجداده منها إلى جبل عامل بطلب من أهلها ليكون مرجعا دينيا ومُرشدا[٣].

تربى في عائلة عُرفت بالعلم والتقى، فأبوه كان تقيا نقيا صالحا صواما قواما طيب السريرة بكاء من خشية الله، حجّ بيت الله الحرام وزار بيت المقدس وزار المشاهد المقدسة في العراق، جده لأبيه السيد علي كان فقيها رئيسا ذا شهرة واسعة، كذلك كان جده لأمه الشيخ محمد حسين فلحة العاملي الميسي من آل رزق، فكان هو الآخر عالما فاضلاً صالحا ورعا تقيا شاعرا، كذلك كان خاله غاية في الفهم والذكاء شهما كريما سخيا أبيّ النفس عالي الهمة[٤] فمن ذا وذي صار عالما جليلا، (قضى الأمين حياته في خدمة الدين والدنيا، واقتنع باليسير من الحياة، فكانت عيشته عيشة الزهاد)[٥]، حتى قال عن نفسه:

قنعت من الدنيا ببلغة عيشة سلطان سلطان سلطان سلطان سلطان وليس الغني في الدهر إلا القانع[٦]

فتجرد من زخارف الدنيا كلها ليبيع روحه لربه ليتاجر بها معه من أجل وطنه ومجتمعه، (فما ذكرت الوطنية إلا وكان أسم الأمين مرادفا لها في تاريخ أمتهِ، هذا ولم يسلم الاقطاع من حربه ولا المستعمر، كما استنفذت المسائل القومية الكثير من وقته وجهده)[٧].

وقد كان جُل عمله نابعا من (الإخلاص لا من باب الرياء والتضليل، ولا على الانساب والالقاب وهل يفخر بأكفان الأموات وترابهم غير الحقير من سلام الحياة، وقد

انتسب إلى حقيقة الدين وجوهره لا إلى اسمه ومظهره، فانتسب إليه العلم والدين، فهذه المدرسة المحسنيه مضى على خدمتها للعلم والانسانية نصف قرن، وهذه المؤلفات تعد بالعشرات)[٨].

عندما كان في لبنان كانت دراسته الحوزوية بجهود شخصية في التعلم، لكن عينه شابحة إلى ضرورة الدراسة في النجف الأشرف مهد الحضارة الإسلامية والمرجعية الدينية، وعاصمة الثقافة الإسلامية، بل هي المكان المانح لشهادة المجتهدين، بل ان العلاقة بين جبل عامل والنجف علاقة توأمة، لكنه مع ذلك لم يذهب إلى العراق لوجود عائقان هما: طلبه إلى الخدمة الإلزامية في الجيش العثماني، إذ لم يكن طلاب المدارس الدينية في جبل عامل معفوّن من الخدمة الإلزامية في الجيش العثماني إلى بعد ان يؤدوا امتحانا مدرسيا يؤهلهم للدراسة الدينية ويكون مبررا لإعفائهم من الخدمة[٩]، وثانيهما: اهتمامه بوالده الذي فقد بصره، وإعالته شقيقاته اللائي فقدن الأم سنة ١٨٨٣م/١٣٠٠هـ فشكلا عقبة في طريق الوصول إلى العراق حيث يتحقق مبتغاه لإكمال دراسته وحصوله على الاجتهاد لكن شاءت الإرادة الإلهية بتذليل تلك الصعوبات إذ تمت تسوية موضوع الخدمة الإلزامية، كما وافق والده على سفره إلى العراق لتحقيق ما كان يصبوا إليه[١٠]، فوصل إلى النجف الأشرف في العام ١٨٩٠م ومكث فيها عشر سنوات أي إلى العام ١٩٠٠م، وهي مدة دراسته فيها حتى نيله الاجتهاد لأنه لم يكن فيها طالبا عاديا[١١]، بل وصل الحد به أنه كان يختار اساتذته بنفسه لا كما يصفه له بعض زملاؤه بالدراسة؛ لعدم قناعته بإمكانياتهم العلمية[١٢]، وبعد ان أكمل دراسته الحوزوية في النجف بعد ما نال درجة الاجتهاد عاد إلى بلاد الشام في العام (١٩٠٠م) اثر طلبات وصلته من أهلها يطالبون فيها مرجعا دينيا ومعلما، ومرشدا، وحالما وصلها وضع على الفور منهاج

عمل لإصلاح مجتمعه الجديد، ركز فيه على أمور ثلاثة: الأمية والجهل المطبق أولها توحيد كلمة المجتمع في دمشق عموما والشيعي منه على وجه الخصوص، ثانيها، أما ثالثها فهو إصلاح المنبر الحسيني والشعائر الحسينية[١٣].

وقد اسهمت عوامل عديدة في نشأة السيد الأمين الفكرية كان (في مقدمتها امكاناته الذاتية ورغبته الصادقة في التعلم وتملكه لحافظة قوية)[١٤].

الشيخ موسى شرارة (١٨٥٠ ـ ١٨٨٦م) أبرز اساتذة السيد محسن الأمين في جبل عامل وقد تأثر به السيد الأمين خصوصا مشروعه الإصلاحي المتمثل بإصلاح الشعائر الحسينية فألف في ذلك كتابان اصبحا وسيلة الخطباء ومنهج الواعظين هما:ـ

١ـ لواعج الاشجان في مقتل الإمام أبي عبد الله الحسين.

٢ـ المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية.

تتلمذ على يد أعاظم الاساتذة الحوزويين في النجف الأشرف كان أبرزهم:

١ـ محمد كاظم الخراساني الذي ثنيت له وسادة المرجعية في العراق وخارجه.

٢ـ الشيخ فتح الله الاصفهاني (١٨٥٠م ـ ١٩٢٠م) المعروف بشيخ الشريعة، الذي كان ابرز المجتهدين آنذاك وقد درسه في مرحلة السطوح[١٥] تأثر بالكثير من المصلحين الذين كانوا موجودين في ذلك الزمان فكان من ابرزهم:

١ـ الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء الذي جبل على الإصلاح في ميادين مختلفة كان في مقدمتها الإصلاح الديني وقد كانت بينه وبين السيد محسن الأمين مراسلات عديدة.

٢ـ السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، وكان من أبرز المصلحين المجددين في عصره التقى معه في رؤى كثيرة وافكار متعددة، وكانت له معه مراسلات أيضا خصوصا من خلال مجلته مجلة العلم، التي كان السيد الأمين أحد وكلاء هذه المجلة

في دمشق.

أما أهم نتاجاتهِ العلمية فقد بلغت العشرات بين مطبوع ومخطوط في ميادين المعرفة

أما أهم مؤلفاته:ـ

١ـ اعيان الشيعة: هذا الكتاب الذي لم يؤلف احدا مثله والذي قال عنه قبل تأليفه: (قد كنت من زمن بعيد أحدث نفسي بتأليف كتاب جامع لتراجم اعيان الشيعة الإمامية الإثني عشرية عموما)[١٦].

٢ـ أصدق الاخبار في قصة الأخذ بالثأر.

٣ـ كشف الارتياب في اتباع محمد بن عبد الوهاب.

٤ـ في رحاب ائمة أهل البيت (عليهم السلام) وهو عبارة عن دراسات دقيقة مفصلة عن حياة ائمة أهل البيت (عليهم السلام) وعلومهم ومناهجهم وتوجيهاتهم.

٥ـ مفتاح الجنات في الادعية والاعمال والصلوات والزيارات.

٦ـ كشف الغامض في احكام الفرائض: وهو عبارة عن دراسة لمبحث الفرائض والمواريث وهو اليوم احد المقررات الدراسية الحوزوية ويكون مبحث من كتاب شرح اللمعة، وقد اختصره فيما بعد في كتاب آخر سماه (سفينة الخائض في بحر الفرائض) ثم نظم فيه ارجوزة شعرية على طريقة الشعر التعليمي في ألفية ابن مالك سماها (جناح الناهض إلى تعلم الفرائض)[١٧].

ومن مؤلفاته الفقهية الاخرى:

١ـ الروض الاريض في حكم تصرفات المريض.

٢ـ ضياء العقول في حكم إذا مات احد الزوجين قبل الدخول.

٣ـ الدرة البهية في تطبيق الموازين العرفية.

٤ـ مناسك الحج.

اما كتبه الاخرى في كافة المجالات:

١ـ كتاب عن حياته طبع بعنوان (السيد محسن الامين بقلمه وقلم آخرين).

٢ـ خطط جبل عامل.

٣ـ الشيعة بين الحقيقة والأوهام، ونقض الوشيعة.

٤ـ رحلات السيد محسن الامين بقلمه.

٥ـ البحر الزخار في شرح الائمة الاطهار.

٦ـ الدر الثمين في اهم ما يجب معرفته على المسلمين.

٧ـ الصحيفة السجادية (أدعية).

٩ـ رسالة التنزيه: وهي عبارة عن رسالة إصلاحية لأعمال عاشوراء.

١٠ـ الدروس الدينية: كتب مدرسية من تسعة اجزاء.

١١ـ الشيخ زين الدين العاملي (الشهيد الثاني) سيرته وما يتعلق به[١٨].

هذه تقريبا أهم الكتب التي ألفها العلامة المصلح والتي وضع فيها عصارة أفكاره.

مشاريعه الإصلاحية:

أما فيما يخص مشروعه الإصلاحي فقد بدأه في التعليم، فقد استطاع المساواة بين البنين والبنات فأسس مدرستين نظاميتين تدرسان العلوم التقليدية والحديثة على ايدي مربين مختارين.

واحدة: للبنين هي المدرسة العلوية ثم سميت بعد ذلك بالمدرسة المحسنية.

واخرى: للبنات هي اليوسفية، ولعلها الاولى في بلاد الشام من حيث تاريخ إنشاءها، فكانت هذه المدرسة الخطوة الأولى في بلاد الشام بل في المجتمع الشيعي عامة، أما المجتمع الشامي عامة فلم يكن سوى مدرستين في صيدا للبنات تابعتين للأرساليات الاجنبية.

أما اهم الاهداف التي توخاها السيد الأمين من انشاء مدارس للبنات فكانت تتمحور في:-

١- مواصلة عملية إصلاح المجتمع وبنائه التي ينهض بأدائها.

٢- للحيلولة دون تفرد مدارس الارساليات بالتعليم خصوصا تعليم البنات؛ لكي لا يتم إلحاقهن بالمشروع الغربي.

٣- بيان رؤية الاسلام في المرأة خصوصا بعد الحملة المسعورة التي قادها الغرب لتحرير المرأة المسلمة فأوعزت إلى عملائها في الداخل للوقوف مع هذه الحملة، فأصدر قاسم أمين كتابين يدعوان إلى تحرير المرأة أحدهما اسمه (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) على التوالي في عامي ١٨٩٩م و ١٩٠٠م، أثار على اثرهما عاصفة من الردود[١٩] وعندما اسس مدرسة حديثه للبنات كأنه ارسل رسالة صامته لدعاة التحرر فقال لهم: (ان المسألة ليست مسألة حجاب وسفور، بل مسألة علم وجهل ومسألة تربية تقضي اما إلى العفاف والتقييد بمبادئ الدين والاخلاق أو إلى الاباحة، فالإسلام كرم بني آدم وخلق الإنسان من نفس واحدة، ولم يميز بين رجل وامرأة)[٢٠].

وقد حركت هذه الرؤية دعاة الإصلاح العامليون في إرجاع العالم الغربي؛ لذا حققت مجلة العرفان الصادرة عام ١٩١٠م بابا للنساء سمته (حديث القوارير) فكتبت في هذا الباب الكثير من النساء فكانت زينب فواز ابرزهن خصوصا ما كتبه تحت عنوان (الرسائل الزينبية) من ابرز الاعمال النسائية التي انتشرت في العالم العربي في نهاية القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين؛ لذا لقبوها بـ(درة الشرق) و(حجة النساء)، وكل هؤلاء محركهم الاول العلامة محسن الأمين الذي أسهم عمليا في بلورة الرؤية الإسلامية إلى قضية المرأة[٢١].

ومَن يتوقع من مرجع معروف يصل به الحرص على تنقية مجتمعه من العيوب إلى ان

يحمل عددا ممن عثر بهن الحظ حتى أبحن عفتهن وتجردن من عصمتهن، للرجوع إلى حظيرة العفة والتزام التوبة فدفع بهن إلى من هيأ لهن ازواجا، فعشن شريفات، ورزقن بأولاد صالحين ببركة مساعيه[٢٢].

هذا فيما يخص مكانة المرأة في مشاريعه الإصلاحية. أما فيما يخص الفقراء والمحتاجين والايتام فقد ألف (جمعيات منها: جمعية الاهتمام بتعليم الفقراء والايتام، وجمعية الاحسان وجمعية المؤاساة، وهذا يعني اعتماده على العمل الجماعي الاهلي القائم على التكافل الاجتماعي)[٢٣].

وكان اكثر شيء واجهه مرارة في نفسه ثلاث أمور:ـ

١ـ الأمية والجهل.

٢ـ الانقسام احزابا.

٣ـ اخطاء مجالس العزاء فهذه الامور الثلاثة واجهها الأمين ووضع لكل منها حلا[٢٤].

أما حلوله للأمية والجهل فقد تحدثنا عنه إذ قضى عليه بإنشاء المدارس، ومدارس البنات.

أما انقسام الناس احزابا وجماعات فقد استطاع ان يقضي عليه بوسطة التفاف الناس حوله فقد (استطاع ان يكون المحور الذي يجمع بين المواطنين بجميع فئاتهم، فقد أنسوا إليه واطمأنوا إلى تصرفاته عبر ممارسات كثيرة شهدوها وتضحيات بذلوها، فهذه التضحيات استطاعت ان تجمع شمل المتخاصمين فنزع ما علق بنفوسهم من حقد وكراهية وبغضاء وتحاسد واصبحوا بفضل سعي الأمين اخوانا يعملون يدا واحدة تحت إشرافه)[٢٥].

أما فيما يخص مجالس العزاء الحسينية، فأول خطوة أتخذها هو انه ألف كتابين ـ وقد ذكرنا اسميهما سابقا ـ جعلهما المحور لخطباء المنابر الحسينية، ثم بعد ذلك

اعلنها صرخة مدوية فأول (عمل قام به بعد ذلك هو تحريم الضرب بالسيوف والسلاسل يوم عاشوراء، ومقاومته الذين يستعملون الطبول، والصنوج، والابواق وغيرها في تسيير مواكب العزاء بيوم عاشوراء)[٢٦]، فكانت هذه الفتوى أول ذريعة اتخذها مخالفوه وخصومه لمهاجمته، فرمي بالفسق والمروق عن الدين حتى راح (حمله القرب وسقاه الماء في مأتم الحسين بيوم عاشوراء ينادون القول: (لعن اللّه الأمين ـ ماء) بينما كان نداؤهم من قبل يتلخص في ترديدهم القول: (لعن اللّه حرملة ـ ماء) فأبدلو الأمين بحرملة نكاية وشتما)[٢٧].

وهذه الفتنة سوف نقوم بالحديث عنها في حديثنا عن فتواه بمنع التطبير ان شاء اللّه تعالى في المطلب الثالث.

المطلب الثاني: الشعائر الحسينية وتاريخها ومشروعيتها.

لقد رفض الامام الحسين (ع) الواقع المنحرف بكل ابعاده ومظاهره فأحدثت قضيته هزة عنيفة في المجتمع فكانت من أكثر القضايا حساسية واستقطابا للاهتمام من قبل اتباع اهل البيت (ع) لتعميق الالتزام بنهجهم ، او من قبل المناوئين لهم الذي يسعى جاهدا وبكل ما أتيء من قوة الى تمييع القضية ، والتقليل من شأنها مرة ، ومهاجمتها ووصفها بما لا يليق بها مرات اخرى كما هو الحال في يومنا الحاضر ، وبين هذا وذاك تبدو الحاجة ضرورية لان نعي الامام الحسين (ع) كحركة في الامة ، لا ان نعيشه عاطفة وحزنا وبكاءً فقط ، وان كان هذا مطلوبا لانه من الشعائر ، الا أننا كأمة بحاجة ماسة وملحة الى ان نعيش كربلاء كحالة أنسانية واسلامية ارادت تحرير الانسان كل الانسان من قيود الجهل والتخلف والذل ، وهذا ما يدعونا الى ان نعيش الحسين (ع) من خلال العقل لا من خلال العاطفة المجردة ، لان العاطفة وحدها لا تكفي لخلق المواقف فكان لزاما ان يمتزج العقل والعاطفة معا لنعيش حالة من الارتباط الانساني عامة والاسلامي خاصة .

ولما كان المسلمون الشيعة الاثنا عشرية يحتفلون بذكرى استشهاد الامام الحسين (ع) بطريقة مخصوصة وتحت عنوان لم يكن خافيا على أحد الا وهو (الشعائر الحسينية) وقبل التعرض لهذه الشعائر لابد من تعريفها ليتسنى لنا العيش معها .

الشعائر : قال الجواهري انها اعمال الحج وكل ما جعل علما ([٢٨]) . وعرفها ابن فارس قائلا : (الشعيرة واحدة الشعائر ، وهي اعلام الحج واعماله) ([٢٩]) .

أذا هي عند اللغوين : الاعلام والايضاح واخفاء المستور واعلاء الحق وتعظيمه ، كشفا للحقيقة ، وقد وردت هذه المفردة في القرآن الكريم بأربع مواضع :

١ـ قال تعالى : {إِنَّ الصَّفا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرا فَإِنَّ اللّهَ شاكِرٌ عَلِيمٌ }[البقرة:١٥٨]

٢ـ قال تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللّهِ وَلا الشَّهْرَ الحَرامَ وَلا الهَدْيَ وَلا القَلائِدَ وَلا آمِّينَ البَيْتَ الحَرامَ يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوانا وَإِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطادُوا وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوى وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوانِ وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ العِقابِ) (المائدة ٢).

٣ـ وقال ايضا : (ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى القُلُوبِ)[الحج: ٣٢]

٤ـ وأخيرا قوله تعالى (وَالبُدْنَ جَعَلْناها لَكُمْ مِنْ شَعائِرِ اللّهِ لَكُمْ فِيها خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللّهِ عَلَيْها صَوافَّ فَإِذا وَجَبَتْ جُنُوبُها فَكُلُوا مِنْها وَأَطْعِمُوا القانِعَ وَالمُعْتَرَّ كَذلِكَ سَخَّرْناها لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[الحج: ٣٦]

وهناك آيات اخرى ذكرتها بصيغة المشعر ، مثل قوله تعالى {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اللّهَ عِنْدَ المَشْعَرِ الحَرامِ وَاذْكُرُوهُ كَما هَداكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضّالِّينَ }[البقرة:١٩٨] وهذه

الايات وان كانت قد اعتنت ببعض الابواب الدينية الا انها تشترك جميعا بوجوب نشر احكام اللّه وتعاليم رسالة السماء ، لذا عرفها القرطبي بأنها : جمع شعيرة ، وهو كل شيء للّه تعالى فيه امر أشعر به واعلم وشعائر اللّه اعلام دينية) ([٣٠]

وعليه فالشعائر هي (سلوك يمارسه الفرد او الجماعة بدلالات خاصة بها ، تنتقل تلقائيا بين الجماعات من جيل لاخر على وفق التزامات ثابتة لممارستها) ([٣١]

واذا كان الاسلام قد دعا الى العمل والدعوة الى اللّه والموعظة الحسنة وذلك في قوله تعالى { ادْعُ إِلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجادِلهُمْ بِالتي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدين }[النحل: ١٢٥] ، ولما كان اساس حركة الامام الحسين (ع) ، هو الدعوة الى اللّه من خلال الاصلاح الذي نشده في دين جده المصطفى ، وقد نوه الى ذلك بمقولته الشهيرة : (اني لم أخرج اشرا ، ولا بطرا ، وانما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي اريد ان امر بالمعروف وانهى عن المنكر) ([٣٢]) ، وبما ان الشعائر هي اعلام لتعاليم دينية لذا فأن الشعائر الحسينية : هي اعلام وصدى تلك الحركة الاصلاحية ، والاستشهاد الحسيني .

وقد كانت تلك الشعائر (احدى الخطوط الهامة التي اعتمدها اهل البيت (ع) في بناء الجماعة الصالحة عموما ، كما انها القاعدة الهامة التي يرتكز عليها تحركهم في الامة ؛ لانها تستلهم من ثورة الحسين (ع) وتمجدها وتؤكد اهدافها ، وهي اهداف ذات جوانب متعددة سياسية وثقافية وعقائدية وروحية ، وقد وضع الائمة (ع) التصميم العام لهذه الشعائر ، واعطوها ابعادها الدينية الكاملة وحددوا الشكل والمضمون الذي يتناسب مع الدور المهم الذي لابد لها ان تؤديه ، بحيث تنسجم من ناحية الشكل مع ظروف المأساة واتباع اهل البيت (ع) ومن ناحية المضمون مع الابعاد السياسية والروحية والثقافية والعقائدية) ([٣٣]) .

واخيرا لابد من التنويه ان (احياء الشعائر الدينية من المسائل التي اختص بها الاسلام ، وان كان للاسلام خاصيته في ابعاد واشكال احياء الشعيرة الاسلامية ؛ لذا فأن علينا ان نحفظ القيم الشكلية والمعنوية في ممارسة الشعيرة الاسلامية .

ومن الديانات والمعتقدات القديمة التي أقامت طقوسا وشعائر : السومرية ، والاكادية ، البابلية ، والاشورية مرورا بالفرعونية ، والكنعانية الفينيقية واليونانية والرومانية ، والهندوسية والعبرية والكتابه والتلمودية) ([٣٤]) .

أقسام الشعائر الحسينية :

وكما أسلفنا فقد حث أهل البيت (ع) على القيام بالشعائر الحسينية ، كذلك يكاد يكون هناك اجماعا ودعما منقطع النظير لدى علماء وفقهاء الشيعة على أقامة وأحياء الشعائر بأعتبارها تمثل صدا واعلاما ناطقا لحركة الامام الحسين (ع).

فقد ورد عن الامام الصادق (ع) على ما نقله الازدي أنه (ع) قال لفضيل : تجلسون وتتحدثون ؟ قال نعم جعلت فداك ، قال : ان تلك المجالس أحبها فأحيوا أمرنا يا فضيل ، فرحم اللّه من أحيى امرنا ، يا فضيل دكرنا او ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر اللّه له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر ...) ([٣٥]) .

وقد قسمها العلماء الى قسمين هما :

أولا : الشعائر الحسينية المنصوصة :

وهذه الشعائر تتمحور في ما ورد فيه نص ثابث وصريح عن أهل البيت (ع) وتتصف بالثبات بحسب الاداء وهي ثلاثة أنواع :

١ـ المجلس الحسيني : وهي (المجالس التي تعقد لسرد مصائبه فيها ، واقامته للحسين موجيه لاقامة ثورة الحسين حيه خالدة ، وتفسر خططها واهدافها والظروف والملابسات التي دفعتها الى الوجود ، حتى تبرز الى الاذهان) ([٣٦])

وكانت السباقة الى تلك المجالس هي مجالس النساء العلويات وممن كان معهن من نساء انصار الامام الحسين (ع) فقد وقفن على مصارع الشهداء (فلطمن النسوة ، وصحن حين مررن بالحسين ، وجعلت زينب بنت علي تقول : يا محمداه صلى عليك ملك السماء هذا حسين بالعراء مرمل الدماه مقطع الاعضاء يا محمداه ، وبناتك سبايا وذريتك مقتله تسفي عليه الصبا فأبكت كل عدو وولي) (٣٧)

واما المجلس الثاني فأنعقد في الكوفة وقد ذكره ابن طيفور بقوله : (عن خدام الاسدي انه قال : دخلت الكوفة سنة احدى وستين ، وهي السنة التي قتل فيها الحسين بن علي (ع) فرأيت نساء الكوفة يومئذ يلتدمن(٣٨) ، مهتكات الجيوب ورأيت علي بن الحسين (ع) وهو يقول بصوت قد نحل من المرض : يا أهل الكوفة صأنكم تبكون علينا فمن قتلنا غيركم) (٣٩) .

٢ـ البكاء : عرف البكاء بأنه (طبيعة بشرية وصفة أنسانية ، وحالة تظهر على الانسان لتعبّر عن الحزن الذي يكتنف صدره نتيجة اسباب مادية ومعنوية) (٤٠) .

والبكاء من الناحية الشرعية مباح ، بينما يكون مكروها احيانيا اخرى اذا كان لأسباب مادية ، كفقد الانسان امواله ويستحب من خشية اللّه ، والبكاء على مصائب ال البيت (ع) (ويمثل بكاء النبي الاقدس (ص) بحد ذاته تشريعا للامة في صحة العمل وجوازه ، وقد وردت حالات عدة عن بكائه (ص)) (٤١) وقد اعتبر البكاء عمدة أقسام الشعائر الحسينية ، بينما فضل البعض ان يقول عنه انه (الشريان الدموي للعديد من الاقسام في الشعائر الحسينية.... مثلا أنظر الى الخطابة او الى الشعر او النثر او الرثاء ، او التمثيل ـ التشبيه ـ او أنظر الى اللطم والعزاء او لبس السواد فأن كل هذه الظواهر المختلفة من الشعائر الحسينية ، حينما تريد ان تتألق وتحلق وتبلغ ذروتها تصل الى حد البكاء) (٤٢) ، ولاهمية البكاء عقد العلامة

المجلسي في (بحار الانوار) بابا خاصا للبكاء على مصيبة سيد الشهداء ([٤٣]) ، وكذلك فعل صاحب الوسائل (الحر العاملي) كتاب المزار اخر كتاب الحج بابا جمع فيها بالتحديد عشرين رواية او طريق في ثواب البكاء .... وهناك ابواب اخرى ذكرها صاحب الوسائل تقرب من اربعين بابا (في ابواب المزار) اشتملت على اقسام في الحث على الشعائر الحسينية من قبيل زيارته (ع) واقامة المآتم عليه ، والبكاء ، وانشاء الشعر وانشاده ([٤٤]) .

وهناك ما يسمى بالتباكي اي (تمثيل البكاء ويكون بالصوت او بتنغيص عضلات الوجه ، او بالحركة والضرب على الجبهة ـ احيانا ـ بدون ذرف دمع ، والتباكي يكون دائما بالنسبة الى من آمن بلزوم البكاء على فاجعة ولكن استعصى عليه الدمع لاسباب صحية ترجع الى نفاذ الدمع ـ الذي هو بخار الدم ـ في عروق المقلة او لعدم أنقطاع المشهد في خاطرة حتى يجرح شعوره فيتأثر ويبكي) ([٤٥]) ، والبكاء والتباكي عملية واحدة ، ولها أثر واحد وثواب واحد ، نجد أنها لو صدرت ممن جمع المؤهلات الصحية والنفسية تكون بكاءا ([٤٦]) ، وقد قال الرسول (ص) ، ففي الرواية المروية عن جريرانه (ص) قال :(اني قاريء عليكم (الهاكم التكاثر) من بكى فله الجنة ، ومن تباكى فله الجنة) ([٤٧])

٣ـ الزيارة الحسينية : تعد زيارة قبر الامام الحسين (ع) من الممارسات الاساسية لاداء الشعائر الحسينية الى ذلك اشارت الاخبار الواردة عن رسول اللّه (ص) في فضل زيارة الامام الحسين والى الرؤية المستقبلية التي سيؤول اليها امر زيارة قبر الحسين (ع) وقد (كانت تلك الاخبار تمثل بعدا لاستشراف المستقبل ، ولكن ليس الاستشراف المرتبط بقراءة اجتهادية انما هو مرتبط بأخبار السماء وهو يدلل على أهمية الحدث وفضل صاحبه وما يمثله بالامتداد الزماني والمكاني اذ هو شعار يمثل عمق النبوة

ودلالتها الاصلاحية في بعدها التاريخي الماضي والمستقبلي) ([٤٨]) ، ومن تلك الاخبار الاستشرافية للمستقبل ما جاء عن الامام امير المؤمنين انه قال:(زارنا رسول اللّه (ص) ذات يوم فقدما اليه طعاما ، وأهدت الينا أم ايمن صحفة من تمر وقعبا من لبن وزبد فقدمناه اليه ، فأكل منه ، فلما فرغ فقمت وسكبت على يديّ رسول اللّه (ص) ماءً ، فلما غسل يديه مسح وجهه ولحيته ببلة يديه ثم قام الى مسجد في جانب البيت وصلى وخر ساجدا فبكى واطال البكاء ، ثم رفع رأسه ، فما أجترأ منا اهل البيت احد يسأله عن شيء فقام الحسين (ع) يدرج حتى صعد على فخذي رسول اللّه (ص) فأخذ برأسه الى صدره ، ووضع ذقنه على رأس رسول اللّه (ص) ثم قال : يا أبتِ ما يبكيك ؟ فقال له : يا بني نظرت اليكم اليوم فسررت بكم سرورا لم أسرَ بكم قبله مثله فهبط جبرائيل فأخبرني أنكم قتلى وان مصارعكم شتى فحمدت اللّه على ذلك وسألت لكم الخيرة ، فقال له : يا أبه فمن يزور قبورنا ويتعاهدها على تشتتها؟ قال : طوائف من أمتي يريدون بذلك بري و صلتي ، أتعاهدهم في الموقف وآخذ بأعضادهم فأنجيهم من أهواله وشدائده) ([٤٩]) ، كما استشرف الامام علي امير المؤمنين (ع) هو الاخر المستقبل فقال : (كأني بالقصور قد شيدت حول قبر الحسين (ع) وكأني بالأسواق قد حفت حول قبره ، ولا تذهب الايام والليالي ، حتى يسار أليه من الافاق وذلك عند انقطاع ملكُ بني مروان)([٥٠])، وقد وصل استشرافيهما الى مسامع السيدة زينب (ع) فوعته وأوصلته الى ابن اخيها الامام السجاد (ع) حينما مرَ بساحة المعركة :(لا يجزعنك ما ترى فو اللّه ان ذلك لعهد من رسول اللّه (ص) الى جدك وابيك وعمك ولقد أخذ اللّه ميثاق اناس من هذه الامة لا تعرفهم فراعنة هذه الارض وهم معروفون في اهل السماوات انهم يجمعون هذه الاعضاء المتفرقة فيوارونها ، وهذه الجسوم المضرجة فيدفنونها ، وينصبون بهذا الطف علما لقبر أبيك سيد الشهداء ، لا يدرس اثره ولا يعفوا رسمه على كدور الليالي والايام وليجتهدن أئمة الكفر

وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره الا ظهورا وأمره الا علوا .....) ([٥١]) . لذا تراها عليها السلام عند مخاطبتها ليزيد اللعين اشارت الى ذلك الاستشراف بقولها : (كد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك ، فو الله لا تمحو ذكرنا ، ولا تمت وحينا ولا تدرك أمرنا .....)([٥٢]).

وقد اقيم للإمام الحسين قبرا في وقت مبكر يتصل بأيام الحادثة وهذا ما أكده السيد ابن طاووس: (انهم اقاموا رسما لقبر سيد الشهداء)([٥٣]) ، ولعل هذه البناية الصغيرة الرمزية تدل على مكان القبر الشريف ، وبعدها وضعت علامات تدل عليه وترشد اليه ، ومما يدل على ذلك انه لما جاء جابر بن عبدالله الانصاري لزيارة قبر الامام الحسين في العشرين من صفر قال لعطية العوفي : ألمسني القبر) ([٥٤]) ، وهذا دليل على وجود بناء على القبر وان كان بسيطا وكذلك يؤيد ذلك ان التوابين عندما جاءوا لزيارة القبر عام ([٦٥])هـ وكان عددهم أربعة ألاف شخص ([٥٥]) ، وكان القبر ظاهرا معروفا ، وقام ايضا المختار الثقفي ايام امرته على الكوفة في العام ([٦٦])هـ ببناء قبة تعلو فوق القبر ([٥٦]) وحديث الامام الصادق التالي يبين انه كان هناك بناء على القبر ، فقد كان يصف كيفية الزيارة فقال : (اذا أتيت الباب الذي يلي الشرق فقف على الباب وقل ....)([٥٧]) وقد أهتم أئمة اهل البيت (ع) كثيرا بزيارة الامام الحسين (ع) ولعل اقدم زيارة قام بها الامام السجاد (ع) في يوم الاربعين من شهادته([٥٨])، بعدما امر يزيد النعمان بن بشير وجماعة معه ان يسيروا معهم الى المدينة مع الرفق بهم ([٥٩]) ،

ثانيا : الشعائر المبتكرة :

(وهي الشعائر التي لم يرد بها نص عن اهل البيت (ع) على مستوى القول او الفعل او الاقرار ، بل تم ابتكارها واختراعها من قبل اتباعهم) ([٦٠]) ، وهذا النوع من الشعائر

يمكن ان يتغير حسب مقتضيات الظروف والاوضاع والاهداف التي يراد منها خدمة شعائر اهل البيت (ع) ([٦١]) ، وهذه الشعائر ـ اي المبتكرة ـ تكون على خطين اساسين منها ما كان خطه ايجابي : اي انه مساير للأهداف التي وضعت للشعائر الحسينية ، وبقدر ما تحققه هذه الشعائر من اهداف تصبح هذه الممارسات تعظيما لشعائر اللّه تعالى .

ومنها ما كان خطه سلبي : وهو ما تكون ممارسته سببا لهتك حرمة الاسلام او مذهب اهل البيت (ع) او تشويه الرؤيا له ([٦٢]) ، وسوف نأتي على هذه الشعائر كل على حده :

أ ـ الشعائر المبتكرة الايجابية.

١ ـ المواكب الحسينية.

٢ ـ شعائر التشبيه وتمثيل المشاهد المأساوية التي جرت على ال الرسول (ص) .

٣ ـ المسيرات الشعبية التي يقوم بها اتباع اهل البيت (ع) وفي عصرنا الحديث بالخصوص ، لاسيما في الدول الاجنبية التي يقطنها الشيعة .

٤ ـ لبس السواد وتغطية الجدران بالسواد : القصد من ذلك خلق جوا حزينا على البلاد ، يكفي للتسرب الى القلوب ، واحياء ثورة الامام الشهيد عن طريق التألم والاكتئاب ، وهو أيضا يؤثر على لابسيه تأثيرا قويا يثير اعصابهم ، ويوحي اليهم أبدا بأنهم مفجوعون بكارثة الطف ([٦٣]) .

٥ ـ اللطم وشق الجيوب : اللطم : دليل على تألم كل شيعي عاصر فاجعة الطف ، وكل شيعي يولد بعدها الى يوم القيامة تألما عاطفيا وعقائديا لا يوازيه التألم بالكوارث الشخصية ([٦٤]) اما شق الجيوب : هذه الشعيرة تصدر عن المصاب بمصيبة بصورة طبيعية عفوية ، اذا احلت عليه المصيبة أكثر من احتمال اعصابه ، لان

الانسان لا يقاسي مصيبة الا وترتفع درجة حرارته ، وتزداد ضربات قلبه تحتاج الى مزيد من التهوية حتى لا ينصدع ([٦٥]) .

بـ الشعائر المبتكرة السلبية :

وهي عبارة (عن ممارسات ينفر منها الوجدان الصافي والذوق الانساني السليم ، او التي لا يوجد لها تفسيرا منطقيا ينسجم مع العقل والفطرة الانسانية السليمة ، بل هي تعبر عن انفعالات صاخبة ، وعواطف هوجاء ، وتصورات لا تستند الى مستند شرعي ، اذ لا يوجد لها اي نظير في الممارسات الشرعية ، لذلك تمارس في الاوساط التي تتسم بالسذاجة وقلة المعرفة بالثقافة الاسلامية ، ولا يمارسها الفقهاء او العلماء الربانيون) ([٦٦]) ومن هذه الشعائر :

ضرب السلاسل : ويتكون من جمع غفير من الناس في مركز معين ، يقيمون فيه مأتما على الامام الحسين(ع) يصحبها قرعا للطبول بطور حربي عتيق ، وقد ابتكر هذه الشعيرة الاتراك وعنهم اخذه باقي الشيعة ([٦٧])

وقد انتقد السيد الامين هذه الظاهرة او الشعيرة وقال ان التطبير والضرب بالسيوف والسلاسل فيه إيذاء للنفس ... وهو ما لا ينسجم مع القيم الاسلامية ، فقال :(قلما تكون عبادة من العبادات او سنة من السنن لم يدخل فيها ابليس واعوانه ما يفسدها .... فمن ذلك اقامة شعائر الحزن على سيد الشهداء ابي عبدالله الحسين بن علي (ع) التي استمرت عليها طريقة الشيعة من عصر الحسين (ع) الى اليوم ..... ولما رأى ابليس واعوانه ما فيها من المنافع والفوائد وانه لا يمكنهم ابطالها بجميع ما عندهم من الحيل والمكائد توسلوا الى اغواء الناس بحملهم على ان يدخلوا فيها البدع والمنكرات وما يشينها عند الاغبياء) ([٦٨]) ، ونحن اذ نتكأ على فتوى مرجع من المراجع ، لا يعني هذا بالضرورة أننا نؤيده فيما كان لكن اتكأنا على فتواه لأننا نرى ان نحكم العقل فيها ، فأنا شخصيا انقل لكم ما شاهدته في يوم الجمعة

الموافق ٢٠١٧/٩/٢٩ في مدينة كربلاء المقدسة وبحدود الثامنة والنصف صباحا ، اذ جاء موكب حسيني فيه شباب بعمر الورود يحملون معهم السلاسل ، ليست سلاسل من النوع المألوف بل كانت عبارة عن سكاكين صغيرة بدل الزنجيل وأخذوا يضربون ظهورهم العارية ــ وهذا شاهدته بنفسي ـ الى حد ان لحم ظهورهم اخذ بالتناثر يمينه ويساره ، فأنا اقول بالله عليكم : ألسنا اليوم بأمس الحاجة لوقفة هؤلاء الشباب على جبهات القتال لاننا اليوم نواجه عدو شرس اباح هتك الحرمات ، اليست لنا حاجة ان نثبت له اننا على طريق الحسين عندما نضحي بالغالي والنفيس على الجبهات لا ان ننزف دما امام الاف الزائرين لنشيع حالة مريعة لنفوس الاطفال ، لجعل الاطفال والنساء يركضون خوفا وذعرا ألا يكفي ما شاهده ابناءنا من دماء في العمليات التفجيرية الاجرامية الارهابية التي يقوم بها الدواعش المجرمين نحن اليوم نحتاج لشاب نشيعه الى مثواه الاخير نفتخر به امام الجميع انه ضحى في سبيل هذا الوطن الذي تكالب عليه الشرق والغرب، الكل يريد ان ينهشه بحجة او بأخرى حتى وصل الحد بمسعود البرزاني ان يطالب بتقسيم العراق، بل باقتطاع قطعة من كبد العراق ويسلمها لإسرائيل المجرمة التي باتت تسرح وتمرح في شمال العراق بدون رادع.

المطلب الثالث: محسن الأمين وفتوى منع التطبير

قبل الخوض بهذا الموضوع لابد من إلقاء نظرة ولو فاحصة على تعريف التطبير، بعد ان فهمنا من الاحاديث أهل بيت العترة ان الشعائر الحسينية منها ما هو منصوص عليه من قبلهم (عليهم السلام)، ومنها ما هو مبتكر دخيل على الشعائر وحتى المبتكرة فأن منها ما هو إيجابي، وما هو سلبي فكانت شعيرة التطبير من الشعائر المبتكره السلبية وقد عرف من قبل العلماء بتعريفات شتى منها:ـ

قيل أنه: لفظ عامي مأخوذ من طبر الشيء بالسكين، واللفظ مستخدم بصورة واسعة في العراق ربما حادرة من عرب الجزيرة الشمالية والجنوبية والخليج والاهواز[٦٩]، وتطلق على مراسم عاشوراء وعلى وجه التأكيد في اليوم العاشر منه إذ تستعمل الاسنة والرماح والقامات والصنوج والطبول والابواق في مواكب كبيرة تجللها رايات حمراء يلبس اصحابها الاكفان يتقدمهم مجموعة من الرجال يحملون مشاعل حمراء، فينفخون بالأبواق ويقرعون الطبول والصنوج بقوة وعنف ويهتفون بشعار (حسين ... حسين ... حسين) بطور حربي مميز[٧٠].

ويقال ان أصلها يعود إلى العهد القاجاري، الذي تميز بكثرة الابتكارات والمستجدات في الشعائر الحسينية إلى حد المغالاة، (وقد تمادوا في ذلك إلى حد انهم لم يكترثوا بمخالفة رأي علماء الشريعة والفقهاء والمتصدين ولم يعتنوا بتهمة الخروج عن الشرع واحكام الدين حتى تخيل عوام الناس ان للملوك القاجار مذهبا خاصا بهم يميزهم عن الجسم الشيعي وان خالفوا في ذلك الفقهاء وفتاوى العلماء)[٧١]، وكانت شعيرة التطبير واحدة من الممارسات المستحدثة التي ابتدعها الحكام القاجاريين والتي عكرت أجواء الشعائر الحسينية، وكذلك شوهت ذلك المشروع الإصلاحي العظيم الذي نهض من أجله الإمام الحسين (ع) إذ قال: (ما خرجت لا اشرا ولا بطرا وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي)[٧٢]، وهذه الظاهرة اهتمت بشج الرؤوس بالسيوف، وجلد الظهور والاجساد بالسكاكين الحادة وغيرها من من المظاهر البشعة التي طرأت على الشعائر الحسينية، مما ادى بعلماء الدين الشيعة ومراجعه برفضها في ذلك العهد، وإلى يومك هذا إذ انها عَرَّضت الشعائر الحسينة إلى التشويه، وجعلها تنحسر عن الأوساط غير الشيعية، وسببت النقد والتوهين لمذهب أهل البيت[٧٣] (عليهم السلام)، ونحن إذ تتحدث عنها تخشى الحديث من باب: انها تمس

أمور المعتقدات والمقدسات؛ لأنها تكون الخطوط الحمراء التي لا يسمح بتجاوزها وقد تطورت واخذت شكل تراكمي بحيث تغيرت مظاهرها الأولى، ولكن الذي يشجعنا للحديث عنها: ان أجلاء العلماء الاعلام من مجتهدي الإمامية قد وقفوا ضدها والتي ما زادت المذهب إلا خبالا).

وقد ذهب بعض المؤرخين إلى ان (المؤسس لظاهرة التطبير الملا (الفاضل الدربندي، ت ١٢٨٥ هـ) الذي روج لها في اوساط الاتراك والفرس، بحيث تقر لهذه الفعل الحرام بأنه موجب للثواب، وهو تنظير بائس يخالف منطق العقل واصول الفقه)[٧٤]، وقد ألف في هذا المجال كتاب اسماه (اسرار الشهادة) مليء بالخرافات والقصص التي تخالف الذوق السليم، بلا دليل نقلي أو عقلي على حد تعبير محسن الأمين (قدس سره).

ويذهب العلامة حسين النوري (ت ١٢٢٠ هـ) عند الحديث عن كتاب (أسرار الشهادة) إلى قصته تأليف هذا الكتاب كانت كالآتي: وفد يوما سيد خطيب عربي من الحلة إلى كربلاء، وقدم للشيخ عبد الحسين الطهراني مخطوطات قديمة، ورثها عن أبيه، بقلم أحد علماء جبل عامل، تتضمن روايات أهل البيت ومصائبهم، فأراد ان يستعلم حال أحد الكراسات التي ورثها عن ابيه هل هو المعتبر أم غير معتبر؟ ولم يكن لذلك الكراس بداية ولا نهاية وقد كتب في حاشيته هذا من مؤلفات العالم الفلاني ـ هو العالم شهاب الدين العاملي ـ من علماء جبل عامل من تلامذة المحقق صاحب المعالم، وبما أن اسمه كان موجودا في تراجم الرجال، فقد أمكن الاستعلام عن حاله فلم يوجد بين مؤلفاته اسم ذلك المقتل وعندما طالع (رض) في ذلك الكتاب أدرك انه لكثرة اشتماله على الاكاذيب الواضحة والاخبار الواهية لا يحتمل ان يكون مؤلفه عالما فنهى ذلك السيد عن نشره والنقل عنه، ولكن بعد أيام أطلع في بعض المناسبات، الفاضل الدربندي من السيد، وكان حينها مشغولا بتأليف

كتاب (اسرار الشهادة) فأخذ روايات ذلك الكتاب وادرجها في كتابه دون تحقيق، واضاف اخبار هذا الكتاب إلى اخبار كتابه تلك الأخبار الواهية التي لا حصر لها فاتحا بذلك للمخالفين ابواب الطعن والسخرية والاستهزاء، فقد اوصلته همته إلى درجة انه جعل جيش الكوفة مليونا وستمائة الف منهم مليون راجل والباقي فرسان[٧٥]، ورغم اخلاص الفاضل الدربندي وولائه لأهل البيت (ع) إلا ان هذا الكتاب ليس له أي وقع ولا اعتبار لدى علماء هذا الفن وجهابذة الحديث والسير، بل ان الاخذ عنه والاعتماد عليه يدل على ضعف الناقل وقلة بصيرته في الأمور[٧٦].

من هنا كانت دعوة أجلاء العلماء[٧٧] إلى ضرورة إعادة قراءة التاريخ قراءة تأنٍ لأن فيه ما هو حقيقي وما هو من صنع خيال بعض الكُتاب وعدم التسليم لما هو موجود في كتب التاريخ فكما يكتب اليوم التاريخ بأيد واقلام مأجورة، كذلك كتب بالأمس بأيد مأثومة، فما أدرانا بعد (١٥٠ عام أو ٢٠٠) يكتب عن الدواعش وعن دولتهم المزعومة أنها كانت الدولة الإسلامية الحقه وان من قتل منهم من الشهداء، وان من قاتلهم هم أعداء الإنسانية جمعاء وهذا بالفعل اليوم حاصل على يد حفنة من الوهابيين المرتزقة.

وقد حظيت أمثال هذهِ الكتب ـ وللأسف الشديد ـ وبما فيها من مغالطات بقبول العامة من الناس، ولم يتصدى أكثر العلماء لمعارضتها والوقوف بوجهها ومناقشتها وفق أصول البحث العلمي، وهذا بدوره هيأ الارضية الخصبة لظهور كتب اخرى تتبع بنفس المنهج، فيها من الحكايا والوقائع ماليس له أصل ولا سند من ذلك كتاب (طوفان البكاء) للميرزا مهدي الجوهري، وكتاب (محرق القلوب) للملا مهدي النراقي، وهذا كله قد حصل بسبب شدة تعلق الناس وحبهم للقضية الحسينة، فعمدوا إلى إضافة اشياء جديدة ومبتكرة في كل سنة تعكس بعمق المأساة

وفداحة الظلامة التي وقعت على أهل بيت النبوة (ع)، ولكن يجب القول: ان هذا الحب والتفاعل مع أهل البيت (ع) وقضاياهم المهمة، خصوصا قضية الإمام الحسين واهل بيته (عليهم السلام) يجب ان يكون منسجما مع أصول العقيدة وأحكام الشريعة، وخاضعة للنصوص الثابتة في إطار مدرستهم (عليهم السلام) الحقة لا ان يتبع العاطفة والرأي المنفرد، بل الاحتكام إلى القواعد الشرعية والفقهية لدى الفقهاء والعلماء، فهذه الشعائر واحيائها شكّل عاملا مهما ساعد على ترسيخ المبادئ الإسلامية والقيم الأخلاقية والإنسانية، أضف إلى ذلك التأكيد على المشروع الإصلاحي الحسيني الهادف إلى القضاء على دول الطواغيت، وإطلاع العالم على حجم المأساة التي تعرض لها أهل بيت الرحمة (عليهم السلام) والتي صورها عباس محمود العقاد بأنها (تمثل نكسة الضمير الإنساني)، لا ان نجعل هذه الشعائر وسيلة للطعن على مذهب أهل البيت وتوهين عقائد الإمامية، وقد كانت شعيرة التطبير واحدة من هذه الشعائر التي شوهت المذهب، وجردت المشروع الإصلاحي الحسيني عن مضامينه العظيمة ومحتواه الرحب والتي لم نجد لها دليلا، واحدا على حليتها، ولا مستند شرعي تتكأ عليه، وان حاول البعض المكابرة لإضفاء الطابع الشرعي عليها بحجج واهية منها:

١ـ أنها تذكر الناس بمأساة الحسين (ع) وأهل بيته المظلومين (عليهم السلام).

٢ـ ان عملهم هذا هو جزء من الوفاء لأهل بيت النبوة (عليهم السلام).

٣ـ ان المطبر يريد ان يقول للإمام الحسين (ع) هذا دمي الذي هو أغلى شيء عندي قد بذلته في سبيلك ولأجلك.

٤ـ ان المطبر يريد من الإمام الحسين ان يشفع له يوم لا ينفع مال ولا بنون.

وهؤلاء المبررون نسوا أو تناسوا ان الشعائر مفهوم إسلامي وعبادي لا يمكن إثباته

إلى بنص صريح من الشرع المقدس، أضف إلى ذلك ان هذه الممارسات حديثة العهد من الناحية التاريخية، فهي لم تكن موجودة إلى عصور متأخرة، بل ان بعض العلماء ذهب إلى انها جاءتنا من قبل شعوب وأقوام أخرى، ولا دخل للأصالة الإسلامية فيها، ومن هؤلاء:

١ـ العلامة مرتضى مهدي المطهري في كتابه (الملحمة الحسينية).

٢ـ ابراهيم الحيدري في كتابه (تراجيديا كربلاء)[٧٨].

٣ـ طالب علي الشرقي في كتابه (النجف الأشرف عاداتها وتقاليدها) يتحدث عن تاريخ ظاهرة التطبير فيقول: (كل ما يعرف عن التطبير في النجف هو الشائع على السنة معمري البلدة، وهو ان الشيعة من القفقاسيين عندما يأتون إلى زيارة الائمة في كربلاء والنجف كانوا يستخدمون ظهور الحيوانات في سفرهم، واسلحتهم السيوف وتستغرق مدة السير من ثلاثة إلى اربعة اشهر حتى يصلوا الى العتبات المقدسة وكلهم لهفة لرؤية قبور الائمة ونفوسهم مفعمة بالحب لآل البيت، فصادف ان دخلت احدى قوافل الزائرين القفاقسين إلى كربلاء يوم العاشر من محرم وكانت المدينة صورة صادقة للحزن، فقد سودت المساجد والجوامع وواجهات المحال، والبكاء واللطم على أتمّه، ومقتل الحسين يُقرأ في الشوارع أو في الصحن الحسيني الشريف. واتفق ان يكون أحد القفاقسيين جاهلا بهذه الأمور فشرح له احد العارفين باللغة التركية معركة الطف، واظهر له بشكل لا يطيقه قلب محب، الصورة المؤلمة التي مرت على الحسين (ع) ومن معه، فأثر ذلك في نفسه، وافقده صوابه، فسل سيفه وضرب رأسه ضربة منكرا مات على اثرها، وتحولت مواكب العزاء إلى تشييع ذلك الرجل الزائر.

استحسن أحد رؤساء مواكب العزاء (وكان تركيا) هذه العملية ، فنظم في السنة

التي تلت تلك الحادثة عزاء مكونا من مجموعة صغيرة من الافراد يلبسون الاكفان ويحملون السيوف . ذهب بهم إلى المكان المعروف اليوم بالمخيم (خيمكاه) وجاء بحلاق فحلق شعر رؤوسهم وجرح كل منهم جرحا بسيطا في رأسه، وخرجوا بهذه الهيئة متجهين إلى مرقد الحسين وهم يندبون (يا حسين) حتى وصلوا إلى الصحن الشريف. وبعد عويلٍ وبكاء تفرقوا)[٧٩]

ثمة رواية أخرى نقلها الشرقي في كتابه عن تاريخ ظهور ظاهرة التطبير في العراق نحجم عن نقلها هنا كونه قد استحسن الرواية التي راقت لنا ايضا، والذي نريد ان تقوله هنا: (إن التطبير لم يكن معروفا قبل حادثة الزوار الاتراك وانما هو حدث طارئ فرضته الظروف النفسية التي مر بها اولئك الزوار)[٨٠].

٤ـ اسحاق النقاش في كتابه (شيعة العراق) يقول ابراهيم اسحاق: (ونقلت ممارسة شق الرأس الى مدن العتبات المقدسة في القرن التاسع عشر بواسطة شيعة من أصل تركي وكانت تقتصر في العراق على الشيعة الاتراك والفرس بالأساس، ويروي تاريخ النجف المحكي أن شق الرأس لم يلاحظ في كربلاء والنجف قبل منتصف القرن التاسع عشر، ومارسه لأول مرة في العراق الزوار الشيعة من القفقاس أو اذربيجان أو تبريز، فقد وصل هؤلاء الزوار الذين لربما كانوا من قزلباش، إلى كربلاء حاملين اسلحتهم الشخصية وخاصة السيوف (القامات) التي استخدموها في شق الرأس، كما يقال انه في الوقت الذي بدأ فيه النجفيون يمارسون شق الرأس في وقت ما من خمسينيات القرن التاسع عشر فان منظمي هذه الفعالية والمشاركين فيها بالدرجة الرئيسية من الاتراك، والفرس المقيمين في المدينة)[٨١].

وفي بداية الامر أي في القرن الثامن عشر كان عدد المطبرين محدودا جدا، وهذا ما اثبته التقرير البريطاني عن (عاشوراء) في النجف عام ١٩١٩م، إذ ذكر التقرير ان

نسبة واحد من مئة شخص فقط كانوا يمارسون شق رؤوسهم في ذلك الوقت[٨٢]، وهذه الإحصائية البريطانية تذكرني بقول أحد المطبرين النجفيين: (انا كنت في طليعة المطبرين ايام الاحتلال الانكليزي للعراق، ولكنني تركت التطبير واقسمت ان لا اطبر ابدا بعدما شاهدت المندوب الانكليزي يتبرع بألف كفن في شهر محرم للمطبرين) وهذه الحقيقة التي اثبتها الشيخ محمد جواد مغنية، إذ قال: (ان السبب لهذه التفرقة هو الاستعمار وعملاء الاستعمار يثيرونها وينفذونها بكل وسيلة، ومن هذه الوسائل، ان الانجليز يهدون الف كفن في شهر محرم للضاربين انفسهم بالسيوف والسلاسل وارادت امريكان لا تفوت الفرصة فأهدت هؤلاء الفين كفن، وهنا يتوقف العلامة مغنية ويقول معلقا: ((لقد حز آلام في نفسي لهذه الحقيقة المرة واحسست عند سماعها ان كل عضو من جسمي ينتزع قصرا ولكني تجلدت واخفيت ما انا فيه))[٨٣]، وهكذا انتشرت هذه الشعيرة بين الناس بشكل أذهل كل من تابع مسيرها التاريخي، اضف إلى ذلك الحملات الشعواء التي كانت تمارسها الحكومات الظالمة التي تعاقبت على حكم العالم الإسلامي، والتي تعرضت لشعائر الشيعة في كل مكان بالمنع تارة، وبالعنف ضد مقيمي هذه الشعائر تارة اخرى، خصوصا في العراق الجريح، إذ انها منعت في اكثر الاحيان الشيعة من إقامة شعائرهم الحسينية حتى اضطروا إلى إقامتها سرا في السراديب والازقة البعيدة عن عيون السلطات الحاكمة فكان هذا التمسك بهذه الاعمال والتظاهر بها من قبل الجماهير الشيعية المضطهدة وسيلة من وسائل المحافظة على الذات والهوية، وطريقة للرفض والتحدي لتلك الانظمة الاستبدادية الجائرة، ولعل هذا الامر (هو السبب الذي دفع بالبعض من العلماء الكبار ان يركن إلى السكوت وعدم بيان الموقف الصريح، إزاء هذه الممارسات المستجدة والاعمال المبتكرة غير المشروعة ـ مثل شعيرة التطبير ـ لمصلحة اقتضتها تلك الفترة؛ لأن الشعائر سواء أكانت الصحيحة

منها، أم المبتكرة غير المشروعة كانت تشكل إنذاك مصدر تحدي للحكومات الطائفية الظالمة بشكل عام)[٨٤]، فكانت مواقف الفقهاء إزائها غير واضحة وصريحة أو لنقل غير حاسمة في جواب الاسئلة والاستفتاءات التي تطرح عليهم باستمرار عن هذه الافعال المألوفة والمراسم المستجدة والمبتكرة غير الشرعية لأحداث الطف ويوم عاشوراء، إضافة إلى عدم طاعة العوام للعلماء بسبب غلبة العواطف وطغيانها على الجانب العقلي والشرعي في هذه المسألة.

إلا ان السيد محسن الامين، كان الوحيد من بين العلماء جريئا في انتقاد الطريقة التي يقوم بها عوام الناس في إقامة العزاء العاشورائي من ضرب الرؤوس بالسيوف وضرب الظهور بالسلاسل والنفخ بالبوق وضرب الطبول وغيرها من الاعمال التي صارت موجبة لوهن المذهب وهتك اتباعه ورميهم بالوحشية والتخلف، في الوقت الذي امرنا فيه ائمتنا (عليهم السلام) بضرورة عدم فعل ما يسيء إليهم فأوصونا بقولهم: (شيعتنا كونوا زينا لنا، ولا تكونوا شينا علينا)[٨٥] فانتفض مضطلعا بأعباء المهمة، فحرم ذلك واعتبره حراما بنص الشرع من حيث إيذاء للنفس المحترمة، وموجب لسخرية المشاهدين، ولا ترضي هذه الاعمال الله ورسوله والائمة (عليهم السلام)، فأصدر (رض) رسالته المعروفة بـ(رسالة التنزيه)، في سنة ١٢٤٤هـ، طالبا فيها تنزيه المآتم الحسينية ومجالس العزاء من غير المشروع من الاعمال، ووجوب التحرر عن إدخال بعض المحرمات فيها ونستطيع تلخيص اهم ما جاء في هذه الرسالة:ـ

١ـ اكد على اعتبار التمثيل والتشبيه قبيح لما فيه من التشبيه بأولياء الله، وهذا بحد ذاته توهين لهؤلاء العظام.

٢ـ اعتبر ان تشبيه الرجل بالمرأة في تمثيل الواقعة حرام لأنه لم يكن عند الشيعة في العصور الغابرة، فهو إذا بدعة فعليه لا يجوز تمثيل الواقعة.

٣ـ اعتبر ان شعيرة التطبير وضرب الظهور بالسلاسل من البدع التي لا اساس لها في شرعنا؛ لما فيها من ضرر على النفس، والاضرار بالنفس حرام شرعا، اضف إلى تشويهه لصورة الشيعة والسخرية منهم.

٤ـ حرم اللطم المؤدي إلى اسوداد أو احمرار الصدر، معتبرا ان تجوال مواكب اللطم في الازقة والشوارع مدعاة للخروج عن حدود الآداب الإسلامية ومجلبة للسخرية.

٥ـ حرم استعمال الآت اللهو في المواكب العزائية كالطبل، والصنج والبوق، جميع الآلات التي صنعت اصلا للهو.

٦ـ انتقد بعض قراء المنابر الحسينية لإتيانهم بالأمور المكذوبة، والتي ثبت كذبها بالدليل القاطع، داعيا إلى إصلاح المنبر الحسيني، وان لا يرقى المنبر إلا من توفرت فيه الكفاءة واللياقة؛ لذا نراه قد (عمل على خلق جيل جديد من الخطباء، يجيدون إلى جانب العربية لغة اجنبية طالبا ان يكونوا ممن اسعت ثقافتهم وتعمقت مداركهم)[٨٦] وراح يدربهم على القراءة الصحيحة فيمرنهم على الخطابة من جهة ويضع لهم كتابا خاصا هو كتاب المجالس السنية الذي يمكن اعتباره (احدى محاولاته الإصلاحية، لشدة ارتباط استشهاد الحسين بحياة الشعب، ولتأثير ما يلقى في الاحتفالات التذكارية الحسينية في نفوس الناس)[٨٧].

وقد اثارت هذه الرسالة ـ رسالة التنزيه[٨٨] ـ فتنة شعواء أدت إلى حدوث مشاكل ما كادت تبدأ من سوريا ولبنان حتى وصل فتيلها إلى العراق، فضج أهل العراق وماجوا حتى راجعوا كبار العلماء في النجف يستفتوهم في أمر التطبير والتمثيل وغيرها من الامور التي انكرتها الرسالة، فعم الوجوم في برانيات العلماء. إلا ان السيد ابو الحسن الاصفهاني كسر ذلك الوجوم بفتواه المباركة المساندة لتلك الدعوى المباركة التي اطلقها الامين فقال: (أن استعمال السيوف والسلاسل والطبول،

والابواق وما يجري اليوم من امثالها في مواكب العزاء بيوم عاشوراء باسم الحزن على الحسين إنما هو محرم وغير شرعي)[٨٩]، وقد اصدر رسالته العملية باللغة الفارسية، ولم يجرؤ على اصدارها باللغة العربية خوفا من هياج الناس على ما قيل، حتى قيل انه اضطر إلى سحبها وحذفها من الرسالة خوف الفتنة والاضطرابات التي احدثتها فتواه[٩٠].

علما ان العلامة السيد حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٣٠هـ) قبلهما قد دعى إلى ذلك في كتابه (اللؤلؤ والمرجان في آداب اهل المنبر) وقد اعتبر كتابه هذا في ذلك الوقت ثورة إصلاحية رائدة لتنزيه قضية الإمام الحسين والشعائر من الشوائب والشعائر الغير نزيهة ولكن (الغريب في الامر ان كتابه هذا لم يواجه بردات فعل عنيفة من قبل الاتجاه التقليدي وخطباء المنبر الحسين آنذاك، على الرغم من صراحته وشدته في طرح الافكار، واسلوبه الجريء في النقد، لما تعارف عليه الناس من اعمال وممارسات في المنبر وغيره)[٩١]، واعتقد ان هذا راجع إلى المناوئين وكثرتهم بالنسبة للسيد محسن الامين؛ لأن الانسان إذا كثر حساده ومناوئيه نجحوا في اغراء عوام الناس للوقوف ضده، فيعلوا عند ذلك صوت الباطل، و يخمد صوت الحق واهله.

وقد تعرض اثر ذلك القدح والتشويه، حتى رمي بالزندقة، لكنه وقف كالجبل الاصم صامدا لم يتراجع ولم يعتذر، فكانت دعوته الإصلاحية هذه مشروعا إصلاحيا شاملا للاوضاع الدينية والاجتماعية، بل هي دعوة جادة ومخلصة من محب لرسول اللّه(ص) وأهل بيته (عليهم السلام) لتنزيه الشعائر الحسينية من المدخولات عليها، فوقف بشخصه وطلعته النورانية وقلمه وخطابه بوجه المناوئين من المدافعين عن هذه العادات الدخيلة والمستجدات غير المشروعة.

وقد فتح (رض) الباب على مصراعيه لدعاة الإصلاح من بعده للإنطلاق إلى تأييد

رأيه فصدرت الفتاوى والرسائل المساندة له فكان منها:ـ

١ـ صولة الحق على جولة الباطل: للسيد مهدي القزويني طبع في العام ١٣٤٥هـ.

٢ـ كشف التمويه عن رسالة التنزيه للشيخ محمد الكنجي. طبع في سنة ١٣٤٥هـ.

بينما أيد آخرون هذه الفتوى منهم:ـ

١ـ العلامة محسن شرارة (ت ١٣٦٥هـ).

٢ـ السيد هبة الدين الشهرستاني (ت ١٣٨٧هـ).

٣ـ اية الله الشيخ عبد الكريم الجزائري (ت ١٣٨٢هـ).

٤ـ العلامة الشيخ جعفر البدري (ت ١٣٦٩هـ).

٥ـ العلامة الشيخ علي القمي (ت ١٣٧١هـ)[٩٢].

وخالف هؤلاء كثيرون:ـ

١ـ الميرزا محمد حسين النائيني: الذي افتى بشرعية التطبير وذلك من خلال الرسالة التي وجهها إليه أهالي البصرة يستفتونه بها عن الاعمال التي يقومون بها في ايام عاشوراء، وجاءت استفساراتهم هذه بعد صدور فتوى التحريم من قبل الامين والسيد ابو الحسن الاصفهاني، فرد عن الاستفسار قائلا (... بل الاقوى جواز الضرب بالسلاسل ايضا على الاكتاف والظهور إلى الحد المذكور...وأما اخراج الدم من الناصية بالسيوف والقامات فالاقوى جواز ما كان ضرورة مأمونا وكان مجرد اخراج الدم من الناصية بلا صدمة على عظمها ولا يتعقب عادة بخروج ما يضر خروجه من دم و نحو ذلك كما يعرف المتدربون العارفون بكيفية الضرب، ولو كان عند الضرب مأمونا ضرورة بحسب العادة ولكن اتفق خروجه قدر ما يضر خروجه ولم يكن ذلك موجبا لحرمته)[٩٣]، وجل احترامنا وتقديرنا لهذا العالم الجليل النائيني، الذي لا يشك احدا في

حبه ووفائه لآل الرسول (ص)، ولكن كان عليه عدم مجاراة العوام وان يكون موقفه جريئا كما كان من سبقه في ذلك جريئا ولكن وكما علمنا ان فتواه هذه جاءت بالضد مع فتوى السيد ابو الحسن الاصفهاني، يقول جعفر الخليلي: (فلم يخف السيد ابو الحسن على مركزه الديني الذي كان ينافسه عليه انداد لهم شأنهم في الزعامة الدينية كالميرزا حسين النائيني)[٩٤] يجب على العالم ان يلزم العوام بما يؤمن به، بل يجب عليه ان لا يجاريهم وان كلفه ذلك الكثير، كما حصل للسيد ابو الحسن الاصفهاني إذ ذبح ابنه السيد حسن وهو قائم يصلي بعد صدور فتوى التحريم من قبل والده مباشرة[٩٥]، ليس هذا فقط بل انه عندما هُجيً من قبل صالح الحلي عميد المنبر الحسيني آنذاك، ثم ندم صالح الحلي على ذلك الهجاء جاء فيها معتذرا من السيد ابو الحسن ورامياً نفسه على قدميً السيد لم يلن السيد ولم يعتبر رأيه فيه قائلا: ان السيد صالح كحرف (أي) التي قيل عنها (أي كذا خلقت) وبهذا يكون السيد قد علم الكثير من العلماء (درسا لم يعرفه إلا القليل منهم وهو ان مجاراة العوام إلى منتهى حدود المجاراة على حساب المصالح العامة يجب ان يتجنبها المجتهد، والزعيم الديني، وان كان في ذلك خسران لزعامته، وفقدان لمركزه)[٩٦] وليت هذا الدرس يعيه الكثير من علماءنا الاعلام فلا يجاروا العوام على حساب شعائر الحسين (ع) بل يعلنونها صرخة مدوية بوجه كل دخيل كما فعل الامين والاصفهاني والحكيم وفعلها اليوم الإمام محمد باقر الصدر والخميني والشيخ بهجت ونوري الهمداني والخامنائي وغيرهم كثير.

والسيد محسن الامين بعد ان افتى بحرمة التطبير هوجم من قبل المتشددين، معرضا نفسه إلى القدح والتشويه والعنت والتجني، لكنه بقى صامدا على موقفه ولم يتراجع، أو يتردد في رسالته الاصلاحية الرائدة، حتى وصل الحد بعالم كتب على الصفحة الاولى لكتابه (النقد النزيه لرسالة التنزيه) (حضرة الاستاذ العلامة مؤيد

الدين ورافع اعلام الحق المبين المحقق المتتبع الشيخ عبد الحسين الحلي النجفي ان يرد عليه ويقول في بعض صفحاتهِ: (ولعمري لقد كانت الانباء تحمل لنا من دمشق عظمة هذا المؤلف وسمو منزلته في العلم والعرفان ولكن اوراقه التي رأيناها لا تجعل لتلك الانباء قيمة تذكر)[٩٧]، وغيرها من الاهانات التي وجهت إلى السيد محسن الامين الذي أتهم بعدم ولائه لأهل بيت الرحمة (عليهم السلام)، رغم ان الرجل كان من ذريتهم، ولا يشك في ولائه لهم وما اعماله الكثيرة ومؤلفاته التي طفح بها الوادي إلا دليلاً على ذلك كذلك فان السيد الامين في كتابه (اقناع اللائم في إقامة المآتم) رد على بعض الاتهامات التي توجه للممارسات الخاطئة في المذهب الشيعي مدافعا عن الشعائر الحسينية، ومؤكدا على ضرورتها مستعرضا لما يقرب من تسع عشرة فائدة لتلك المآتم، مضيفا إلى ذلك آراء بعض المستشرقين في النهضة الحسينية واهميتها، لكن من تصدى لدعوته هذه (لم يأخذ بنظر الاعتبار التطور الزماني والمكاني وتأثيراته على ممارسة الشعائر وانعكاساتها على اشراقة الصورة للذكرى الحسينية)[٩٨]، ناسين ان لكل عصر وسائله في التعبير عن صور الحزن، وقد اجاد (فضل اللّه) حينما عبر عن هذا بقوله: (ان لكل عصر وسائله التعبيرية في دلالتها الايحائية على المضمون الحقيقي للمأساة الحقيقية في التاريخ وفي الحاضر، فقد يصلح لعصر ما لا يصلح لعصر آخر)[٩٩] وهذا هو بعينه الذي حاولت مرجعيتنا الرشيدة إيصاله هذا العام لعوام الناس حينما امرت بإخراج موكب تطبير ولكن بلا تطبير في مدينة كربلاء المقدسة، وقد كان الامر كالآتي:ـ ذهبت في العاشر من محرم للعام الحالي (١٤٣٩هـ) المصادف يوم الاحد ٢٠١٧/١٠/١ إلى كربلاء المقدسة وإذا بي اشاهد موكب تطبير والمطبرين الشباب فقط ممن يرتدون العمائم السوداء والبيضاء ويحملون بأيديهم القامات ووجوههم تشع نورا وحالما

وصلوا مقابل ضريح الإمام الحسين (ع) اشاروا بالقامات إلى رؤوسهم وكأنهم يطبرون ثم دخلوا الضريح المبارك وادوا الزيارة وكل الانظار موجه إليهم - وانا شخصيا كنت واحدة منهم- كنا نخاف ان يطبر هؤلاء وهم القدوة- على اعتبارهم يرتدون العمائم- لكنهم فاجئوا الجميع حينما وقفوا صفا واحدا أمام احدى المفارز الطبية للتبرع بالدم فحينها ادرك جميع من كان هناك ان هذه رسالة صامتة حاولت المرجعية إيصالها إلى عوام الناس إلا وهي: بدل ان تريق دمك بلا فائدة، تبرع به للمقاتلين في جبهات القتال.

وبهذا يكون السيد الامين قد صدع بالحق رغم مرارته واراد من العلماء الاعلام ان يحذوا حذوه لأن (واجب العلماء ان يبينوا ما هو من اصل الشعائر الحسينية عمن سواه؛ لتبقى تلك النهضة مصدر اشعاع فكري وجهادي عبر التاريخ، وقد استثمر موقعه كمجتهد ديني لابد له من الإصلاح في المجتمع بقدر استطاعته)[١٠٠]، وهذا ما اكده في رسالة التنزيه عندما قال: (ان اللّه سبحانه وتعالى اوجب انكار المنكر بقدر الإمكان بالقلب واليد واللسان، ومن اعظم المنكرات اتخاذ البدعة سنة والسنة بدعة)[١٠١] وبهذا يكون السيد الامين قد فتح الباب على مصراعيه لمن جاء من بعده الذي وقف ضد شعيرة التطبير بل وحرمها، لذا اعتبر احد المعاصرين ان رسالة التنزيه بمثابة (اول هذه حقيقة في مسيرة إصلاح الشعائر الحسينية)[١٠٢]

الخاتمة والنتائج

وفي اخر المطاف وجني القطاف نود ان نذكر اهم ما توصل اليه البحث من نتائج :

١- تبين ان من الشعائر الحسينية ما فيه نص شرعي فهي الاصل والاساس امثال شعائر اقامة المجالس والبكاء والزيارة وابراز السواد .

٢- تبين ان من الشعائر ما لم يرد فيه نص شرعي ولكنها امور مبتكرة وفي اصلها مباحة ولم يرد عليها منع شرعي ، بل قد تكون مستحبة ، لما لها من مواساة لمحمد (ص) واله الاطهار (ع) ونبذ الظلم والاستبداد .

٣- لوحظ ان بعض تلك الشعائر كان بدعة ، كونها غير ثابتة او محدد بشكل معين وعليه فبالامكان اندثارها او تطورها او نشوء غيرها .

٤- ان بعض الشعائر الدخيلة على الشعائر الحسينية قد عرضت المذهب لسخرية الاخرين مثل شعيرة التطبير والزنجيل لما فيها من الالم وسفك للدماء .

٥- تبين ان اكثر علماء الشيعة اتفقوا على تحريم ما هو دخيل على الشعائر ، بينما اباحه البعض الاخر .

٦- ثبت أن العلامة محسن الامين أول المصلحين الذين نهوا عن التطبير وأنه قد صدع بالحق رغم ارتفاع الصيحات عالية ضده حتى كُفر ورُمي بالزندقة.

الهوامش

[١] المعتبر/الحلي ١/٣٤١

[٢] المصلح الإسلامي السيد محسن الامين/ مجموعة باحثين/١١.

[٣] المصدر نفسه/ ١٣.

[٤] أنظر المصدر نفسه ١٤ ـ ١٥.

[٥] السيد محسن الامين المناحي الفكرية والمواقف الإصلاحية/ هادي فضل الله ص ٥٩.

[٦] السيد محسن الامين/ سيرته بقلمه واقلام آخرين/١٣٦.

[٧] السيد محسن الامين/ هادي فضل الله/ ٥٩.

[٨] السيد محسن الامين/ محمد جواد مغنية مقاله بعنوان الزاهد / ٢١٧.

[٩] سيرة السيد محسن الأمين/ هيثم الامين/ ٧٢.

[١٠] أنظر المصدر نفسه ٧٢ ـ ٨٤.

[١١] انظر مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها/ محمد مهدي الاصفي ٨ ـ ١٢.

[١٢] لمعرفة المزيد عن هذا الموضوع راجع سيرة السيد محسن الامين تحقيق هيثم الامين/ ١١٨.

[١٣] محسن الامين العاملي/ اسماعيل طه الجابري/٤٢.

[١٤] السيد محسن الامين سيرته ونتاجه/ علي مرتضى الامين/٣٤.

[١٥] أنظر محسن الامين العاملي/ اسماعيل طه الجابري ٥٠ ـ ٥١.

[١٦] أنظر المصدر نفسه ٥١ ـ ٥٤.

[١٧] اعيان الشيعة/ محسن الامين ١/١٣.

[١٨] أنظر محسن الامين العاملي/ اسماعيل الجابري/ ٥٥ ـ ٥٦.

[١٩] انظر السيد محسن الامين سيرته ونتاجه/ علي مرتضى الامين ١٤٥ ـ ١٥١.

[٢٠] انظر محسن الامين العالم المجتهد وحركته الاصلاحية/ عبد المجيد زراقط ١١٥ ـ ١١٦.

[٢١] المصدر نفسه ١١٦.

[٢٢] انظر هكذا عرفتهم / جعفر الخليل ١/ ١٨١.

[٢٣] السيد محسن الامين عبد المجيد زراقط/ ١٢٠.

[٢٤] السيد محسن الامين سيرته ونتاجه/ علي مرتضى الامين ٥٠ ـ ٥١.

[٢٥] المصدر نفسه/ ٥٧.

[٢٦] هكذا عرفتهم/ جعفر الخليل ١/ ١٧٤.

[٢٧] المصدر نفسه ١/١٧٧.

[٢٨] تاج اللغة / الجوهري ١/٥٧٠ .

[٢٩] مقاييس اللغة/ابن فارس ٣/١٩٣

[٣٠] تفسير القرطبي / القرطبي ١٢/٣٨

[٣١] الشعائر الحسينية الاثر والاهمية / سعد الحداد /

[٣٢] بحار الانوار/ المجلسي/ ٤٤/٣٢٩

[٣٣] الشعائر الحسينية / محمد باقر الحكيم /٧ .

[٣٤] الشعائر الحسينية من المظلومية الى النهوض / شفيق جرادي /١٤ .

[٣٥] بحار الانوار / المجلسي ٤٤/٢٨٢

[٣٦] الشعائر الحسينية /حسن الشيرازي /٥٦

[٣٧] انساب الاشراف / البلاذري ٣/٤١١

[٣٨] يلتدمن : لدمت المرأة وجهها : اي ضربته .

[٣٩] بلاغات النساء / ابن طيفور /٢٣

[٤٠] مشروعية الشعائر الحسينية / مهدي معاش /٥٧

[٤١] الشعائر الحسينية / محمد باقر موسى جعفر /٥٥ .

[٤٢] الشعائر الحسينية بين الاصالة والتجديد / محمد سند /٢٥٧

[٤٣] في الجزء ٤٤ باب ٣٤ في تاريخ الحسين (ع) باب ثواب البكاء على مصيبته .

[٤٤] وسائل الشيعة في كتاب الحجج باب ٦٦ .

[٤٥] الشعائر الحسينية / السيد حسن الشيرازي /٥٣ .

[٤٦] المصدر نفسه /٥٥

[٤٧] كنز العمال/ المتقي الهندي/ ١/٥٩٦ .

[٤٨] الشعائر الحسينية بين العصرين الاموي والعباسي / محمد باقر جعفر /٢٤٦ .

[٤٩] كامل الزيارات / ابن قولوية القمي ١٢٥

[٥٠] مسند زيد بن علي /زيد بن علي / ٤٧٠

[٥١] بحار الانوار / المجلسي ٤٥ / ١٨٠ .

[٥٢] المصدر نفسه ٤٥ / ١٣٥

[٥٣] الاقبال / ابن طاووس / ٣٦

[٥٤] بشارة المصطفى / الطبري الشيعي / ١٢٥

[٥٥] تاريخ الطبري / الطبري ٢/٤ .

[٥٦] نزهة اهل الحرمين / حسن الصدر / ٢١

[٥٧] المزار / الشهيد الاول / ١٧١

[٥٨] الاثار الباقية / البيروني ٣٢١

[٥٩] الارشاد / المفيد /٢٣٥

[٦٠] الشعائر الحسينية / محمد باقر الحكيم / ٥٥

[٦١] المصدر نفسه /٥٧ .

[٦٢] انظر المصدر نفسه ٥٨ ـ ٥٩ .

[٦٣] الشعائر الحسينية / السيد حسن الشيرازي ٧١ ـ ٧٢

[٦٤] المصدر نفسه / ٨٨ .

[٦٥] انظر المصدر نفسه / ٨٤ .

[٦٦] الشعائر الحسينية / محمد باقر الحكيم / ٥٩

[٦٧] الشعائر الحسينية / السيد حسن الشيرازي / ١٠٢

[٦٨] رسالة التنزيه / محسن الامين / ٢٠

[٦٩] التطبير تاريخه وقصصه / احمد العامري الناصري / ١٨.

[٧٠] المصدر نفسه/ ١٧.

[٧١] مقدمة في الاصلاح والتجديد للشعائر الحسينية/ حسين بركة الشامي/ ١٦٨.

[٧٢] بحار الانوار/المجلسي ٢٣٩/٤٤

[٧٣] مقدمة في الاصلاح والتجديد/ حسين بركة الشامي ١٨١ ـ ١٨٢.

[٧٤] المصدر نفسه ١٨٤.

[٧٥] اسرار الشهادة/ ٤١٨.

[٧٦] انظر اللؤلؤ والمرجان في اداب اهل المنبر/ حسين النوري ٢٠٠ ـ ٢٠١.

[٧٧] من هؤلاء العلماء كما الحيدري.

[٧٨] تراجديا كربلاء/ ابراهيم الحيدري/ ٦١.

[٧٩] النجف الأشرف عادات وتقاليد/ طالب علي الشرقي/ ٢٢٠.

[٨٠] المصدر نفسه ٢٢١.

[٨١] النجف الاشرف عاداتها وتقاليدها/ طالب علي الشرقي ٢٢٠.

[٨٢] شيعة العراق/ اسحاق نقاش ٢٦٩.

[٨٣] GREAT BRITAIN. ADMINISTRTATIOM REDON OF THE SHAMIYY A DIVISION.

[٨٤] كتاب محمد جواد مغنية بعلمه ٧٤ ـ ٧٥.

[٨٥] مقدمة في الإصلاح والتجديد/ حسين بركة الشام/ ٢١١.

[٨٦] سيرة الأمين محمد علي مروه ص٧٦ نقلا عن كتاب محسن الأمين المناحي الفكرية هادي فضل الله ٢٢٣.

[٨٧] سيرة الامين محمد علي مروة ص ٧٦ نقلا عن كتاب الامين الناهي الفكرية والمواقف الاصلاحية/ هادي فضل الله/ ٢٢٣.

[٨٨] المصدر نفسه ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

[٨٩] مطبوعة بأسم (التنزيه) بيروت دار الغدير ط ٢.

[٩٠] هكذا عرفتهم/ جعفر الخليل ١/ ٩٠.

[٩١] السيد ابو الحسن الاصفهاني/ كامل سلمان الجبوري ٢/ ٤٤.

[٩٢] مقدمة في الاصلاح والتجديد للشعائر الحسينية / حسين بركة الشامي/ ٢٢٥.

[٩٣] السيد ابو الحسن الاصفهاني/ كامل سلمان الجبوري ٢/ ٤٥.

[٩٤] المصدر نفسه/ ٤٦.

[٩٥] هكذا عرفتهم/ جعفر الخليل/ ٩٤.

[٩٦] المصدر نفسه ١/ ٩٥ حيث شرح جعفر الخليل صادفه مقتل السيد لأنه حرم التطبير.

[٩٧] هكذا عرفتهم/ جعفر الخليل ١/ ٩٥.

[٩٨] النقد النزيه لرسالة التنزيه/ عبد الحسين الحلي النجفي/ ٤.

[٩٩] الجانب الاجتماعي والاصلاحي من حياة العلامة السيد الامين/ محمد حسين فضل الله/ ٨٨، مؤتمر دراسة افكار المصلح الامين.

[١٠٠] المصدر نفسه/ ٨٨.

[١٠١] محسن الامين العاملي اسماعيل طه الجابري/ ٨٨.

[١٠٢] رسالة التنزيه لأعمال التشبيه/ محسن الامين/ ٧.

المصادر والمراجع

١. الاثار الباقية عن القرون الخالية : البيروني : ابو الريحان محمد بن احمد الخوارزمي،(ت ٤٤٠هـ) ، مكتبة المثنى ـ بغداد .

٢. الاختلاف والنقد ثم الإصلاح رؤية نقدية لإصلاح الشعائر الحسينية/ مختار الاسدي ـ دار الكتب العراقية ـ بيروت لبنان ط٢ ٢٠١١م.

٣. الارشاد : المفيد : محمد بن النعمان العكبري (ت ٤١٣هـ) ، مؤسسة التاريخ العربي بيروت ـ لبنان / ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٤. اسرار الشهادة، الشيخ اغا بن عابد الشيرواني الحائري المعروف بـ الفاضل الدربندي (ت ١٢٨٥هـ) طبعة حجرية قياس عادي.

٥. اعيان الشيعة/ محسن الامين/ تحقيق حسن الامين دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان ط٥ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٦. اقبال الاعمال / ابن طاووس : رضي الدين ابو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن

محمد، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت ـ لبنان / ط١/ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م. وطبعة مكتب الاعلام الاسلامي، قم المقدسة / ط١ / ١٤١٤هـ

٧. انساب الاشراف / البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر (من اعلام القرآن الثالث الهجري) تحقيق: محمد باقر المحمودي ، منشورات الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ط١ /١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

٨. بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار / المجلسي محمد باقر (ت ١١١١هـ) دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ط٣ / ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م.

٩. بشارة المصطفى لشيعة المرتضى / الطبري الشيعي : محمد بن رستم (من اعلام القرن السادس الهجري) تحقيق جواد القيومي الاصفهاني ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم المقدسة / ط٢، ١٤٢٢هـ ـ ١٩٩٥م.

١٠. تاريخ الطبري / الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) دار الكتب العلمية (بدون تاريخ) بيروت ـ لبنان .

١١. تجارب محمد جواد مغنية/ بقلمه/ تحقيق رياض الدباغ انوار الهدى ١٤٢٥هـ.

١٢. تراجيديا كربلاء (سوسيولجيا الخطاب الشيعي/ ابراهيم الحيدري، دار الكتاب الإسلامي، مطبعة السرور ط١ ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

١٣. التطبير تاريخه وقصصه / احمد العامري الناصري ، دار المحجة ، بيروت ـ لبنان / ط١ /

١٤. التطبير تاريخه وقصصه/ احمد العامري الناصري، دار المحجة بيروت ـ لبنان ط١.

١٥. الجامع لاحكام القرآن (تفسير القرطبي) / القرطبي : ابو عبدالله محمد بن احمد

، تحقيق سالم البدوي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م. وطبعة دار احياء التراث العربي-بيروت -لبنان، ١٩٦٦م.

١٦. رسالة التنزيه لأعمال التشبيه/ محسن الامين صيدا - مطبعة العرفان ١٣٤٧ هـ -١٩٢٧م.

١٧.السيد ابو الحسن الاصفهاني (١٢٨٤ - ١٣٦٥هـ) سيرته واضواء على مرجعيته ومواقفه ووثائقه العلمية والسياسة/ د. كامل سلمان الجبوري - دار الضياء للطباعة-العراق-النجف الأشرف ط١ ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

١٨.السيد محسن الامين (سيرته بقلمه واقلام آخرين).

١٩.السيد محسن الامين (سيرته ونتاجه)/ علي مرتضى الامين دار الهادي - بيروت - لبنان ١٩٩٢م.

٢٠. السيد محسن الامين المناحي الفكرية والمواقف الاصلاحية/ هادي فضل الله، دار البلاغة-بيروت-لبنان ط١ ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢١.سيرة السيد محسن الامين وهي جزء من كتاب اعيان الشيعة تحقيق وشرح هيثم الامين وصابرين ميرفان شركة رياض الرئيس/ بيروت-لبنان ط١ ٢٠٠٠م.

٢٢.الشعائر الحسينية ، حسن الشيرازي ، ياس الزهراء ، قم المقدسة - ايران ، مطبعة نينوى،ط٣ / ١٤٢٦ هـ .

٢٣.الشعائر الحسينية ، محمد باقر الحكيم ، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم ، مطبعة العترة الطاهرة ،النجف الاشرف،ط١ / ٢٠٠٥م .

٢٤.الشعائر الحسينية في العصرين الاموي والعباسي / محمد باقر موسى جعفر /

العتبة الحسينية المقدسة ، وحدة الدراسات التخصصية في الامام الحسين / كربلاء المقدسة / ط١ / ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

٢٥. الشعائر الحسينية من المظلومية الى النهوض / شفيق جرادي / معهد المعارف الحكمية للدراسات الدينية والفلسفية ، بيروت - لبنان / ٢٠٠٧م.

٢٦. شيعة العراق، اسحاق نقاش، ترجمة عبد الآله النعيمي دار المدى للثقافة والنشر، سوريا - دمشق ط١ ١٩٩٦.

٢٧.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية / الجوهري اسماعيل بن حماد تحقيق احمد عبد الغفورعطار ، دار العلم للملايين - بيروت لبنان ، ط١ / ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.

٢٨.كامل الزيارات : ابن قولويه القمي ابو قاسم جعفر بن محمد بن جعفر (ت ٣٦٨هـ)، طهران ط١ / ١٣٧٥ هـ

٢٩.كنز العمال في سنن الاقوال والافعال/ المتقي الهندي، علاء الدين بن حسام الدين(ت:٩٧٥هـ) تحقيق: بكري حياني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٣٠.اللؤلؤ والمرجان في آداب اهل المنبر/ حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٣٠هـ) تعريب ابراهيم البدوي، دار البلاغة بيروت - لبنان ط١ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٣١.محسن الامين العاملي ١٨٤٧م - ١٩٥٢م ومنهجه في كتابه (التاريخ واعيان الشيعة نموذجا)، اسماعيل طه مقتوك الجابري، ايران - قم المقدسة، مؤسسة تاريخ العلوم الثقافة ٢٠١٥/ ١٤٢٦هـ

٣٢.محسن الامين القائم المجتهد وحركته الإصلاحية/ عبد المجيد زراقط، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي بيروت لبنان ط١ ٢٠١٢م.

٣٣.مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها/ محمد مهدي الاصفي النجف الأشرف ـ مطبعة النعمان ١٩٦٤م.

٣٤.المزار / الشهيد الأول : محمد بن مكي العاملي الجزيني (ت ٧٨٦هـ) تحقيق : محمود البدوي، مؤسسة المعارف الاسلامية ، مطبعة باسدار اسلام ، ط١ / ١٤١٦ هـ .

٣٥. المصلح الاسلامي السيد محسن الامين في ذكراه السنوية الاربعين المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق ٢٢ ـ ٢٣ نيسان ١٩٩٢هـ ٢٠ـ ٢١ شوال ١٤١٢هـ

٣٦. المعتبر: المحقق الحلي(ت٦٧٦ه)تحقيق مجموعة افاضل، مؤسسة السيد الشهداء مطبعة مدرسة الامام امير المؤمنين، ١٣٦٤ه.ش

٣٧.النجف وعاداتها وتقاليدها. طالب علي الشرقي، مطبعة الآداب النجف الاشرف ١٩٧٨م.

٣٨.نزهة اهل الحرمين في عمارة المشهدين / حسن الصدر الكاظمي ، مطبعة اهل البيت ـ كربلاء / ط٢ / ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م .

٣٩.النقد النزيه لرسالة التنزيه/ الشيخ عبد المحسن النجفي (ت ١٣٧٧هـ) المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف ١٣٤٧هـ

٤٠.هكذا عرفتهم/ جعفر الخليلي/ تدقيق محسن عقيل، دار المحجة البيضاء ـ بيروت لبنان ط١ ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

٤١.وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة / الحر العاملي محمد بن الحسن (ت ١١١٤هـ) تحقيق مؤسسة ال البيت لاحياء التراث، ط١ / ١٤٠٩ هـ .

٤٢.وقفة مع التطبير (القول المتين في التطبير والمطبرين) توفيق بو خضر / دار الصفوة - بيروت - لبنان / ط١ / ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م.

الشيخ الطوسى؛ الرائد فى اعتبار العقل مرجعاً فى الآراء التفسيرية

أ.م.قاسم درزى
جامعة الشهيد بهجتي / ايران

خلاصه
يعدّ الشيخ الطوسى فى العالم الاسلامى من روّاد الإتّجاه العقلى فى التفسير وكان المسلمون يتفقون على كون الشيخ رائدا فى هذا المجال قبل أن يتعرفوا على الوزير المغربى (م .٤١٨) الذى كان يعيش قبل الشيخ ويروّج منهج التفسير العقلى. ومن جهة أخرى يعدّ الشيخ موسّسا لحوزه النجف الدينية وهذا الأمر يتمتع بأهمية أيضا. من تراث الشيخ الفكرى الذى قلّ الاهتمام به ، آراءه التفسيرية التى تكشف لنا براعته وذكاءه فى المباحث العقلية بل العلميه. تعتبر نظريتا «كروية الارض» و «الصرفة» من مواقفه وإتجاهاته التفسيرية وتدلّان على كمال ذكاءه ومرجعيته و تقدّمه فى عصره. ورغم أنّ هيئة بطليموس كانت تسود المنهج العلمى و تسيطر على الأجواء العلمية ولم تكن هناک أدلة قاطعة على كروية الارض خالف الشيخ بعض المفسرين كأبى الحسن البلخى (م. ٣٢٥ق) الذى كان يصرّ على كون الارض مسطّحة وكان يرى نظريته هذه؛ مناسبة للآيات القرآنية فخالفه الشيخ واعتبر الادلة العقلية اكثرتلائما لكرويّة الارض و فى مبحث الصرفة اعتقد زميله واستاذه السيد المرتضى بالصرفه فى كتابه الهامّ «الموضح عن جهة اعجاز القرآن» ولكنه مع ذلک خالفه بصراحة وأردف أدلة مقبولة لدى العقل لنقده . فهذان الموضوعان يعتبران أدلة تقنع أنّ الشيخ كان رائدا فى المنهج العلمى وفى نقد آراء الذين كانوا يعاصرونه من السنة والشيعة ومن هنا يتبين أنّ الشيخ كان مرجعا علميا فى العالم الاسلامى ليس فى الشيعة فحسب

الكلمات المفتاحيه: الشيخ الطوسى؛ الوزير المغربى؛ المرجعية العلمية؛ حوزة النجف؛ كروية الارض؛ نظريه الصرفة.

١- محمدبن الحسن الطوسى رائد التفسير العقلى فى العالَم الاسلامى

تشير وجهة نظر الشيخ الطوسي في تفسير الآيات القرآنية، وبخاصة الآية ٢٢ من سورة البقرة، ونظرية الصرفة، إلى أن وظيفته الرئيسية في سلطة الشيخ الطوسي هي أن يعرف أنه رائد في التفسير العقلاني للقرآن في العالم الإسلام. قبل الشيخ ، عالِم القرآن الوحيد ، الذي يمكن التنافس معه حول هذا الموضوع، هو الوزير المغربى (م ٤١٨ هـ) . تفسيره "المصابيح فى تفسير القرآن" هو واحد من أهمِّ مصادر الشيخ في تجميع "التبيان فى تفسير القرآن".

وبصرف النظر عن النقاط المذكورة أعلاه ، فإن مكان تفسير "التبيان" في بناء المنهج العقلاني والإجتهادي لتفسير الآيات القرآنية واضح جداً. لا يولي الشيخ الطوسي ، في تفسيره القيّمة، الكثير من الاهتمام بالروايات التفسيرية، على عكس التفاسير السابقة. هو يتم النظر في قراءات ومعاني الكلمات، وقد استخدمت المصادر الهامة للسنة، مثل تفسير الطبري وروايات الصحابة و التابعين، في الوصول إلى معنى وتفسير الآيات. كل هذه أدوات لاستنباط وترجمة المترجم من الآيات القرآنية. يدخل الشيخ الطوسي بالضرورة المناقشات اللفظية والعقلانية عند الضرورة، موضحاً مواقفه في مثل هذه المناقشات.

نفس المنهج العقلاني والإجتهادي و قيادةُ الشيخ الطوسي فيه، تُبيِّنُ شكل مواجهته، مع الآية ٢٢ من سورة البقرة وهو يفسر كيف تمكن التبيان من تقديم طريقة دقيقة للاجتهاد والاستدلال. وجهة نظر الشيخ إلى كروية الأرض وعدم الدخول في مناقشات فكرية ولفظية حول هذا الموضوع جعل اجتهاده لا تزال غير قابلة للجدل ومشكلة. لكن كثير مِن أسلافه، أقرانه وأتباعه لم يعيروا بالضرورة الانتباه إلى مثل هذه النقاط المنهجية الهامة، وبالتالي، فقد وقعوا في شرك الأخطاء الكبيرة. كانت الدقة المنهجية للشيخ طوسي في الإشارة إلى القرآن وتفسيره العقلاني واحدة من الأسباب المهمة لتأسيس سلطته في العالم الإسلامي، وليس فقط الشيعة. من بين القضايا التي يمكن أن تصور

بدقة سلطة الشيخ طوسي، فإن نوع اللقاء معه بالنظرية الصرفة مهم جدا. سنشرح الآن كلا الموضوعين:

٢- الشيخ الطوسى و فراش [و كروية] الارض

كما أشار الشيخ الطوسي، يعتقد أبو على الجبائى وأتباعه أن "فراش" الأرض في الآية ٢٢ من البقرة: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»، تدلُّ على أنَّ الارضَ بسيطه و ليس بجدير ان يكون كُرة:

«و استدل ابو علي الجبائي بهذه الآية، على أن الأرض بسيطة ليست كرة كما يقول المنجمون و البلخي بأن قال: جعلها فراشاً. و الفراش البساط بسط الله تعالى إياها. و الكرة لا تكون مبسوطة. قال: و العقل يدل ايضاً على بطلان قولهم، لأن الأرض لا يجوز أن تكون كروية مع كون البحار فيها، لأن الماء لا يستقر إلا فيما له جنبان يتساويان، لأن الماء لا يستقر فيه كاستقراره في الأواني. فلو كانت له ناحية في البحر مستعلية على الناحية الأخرى، لصار الماء من الناحية المرتفعة الى الناحيةالمنخفضة. كما يصير كذلك إذا امتلأ الإناء الذي فيه الماء. و هذا لا يدل على ما قاله، لأن قول من قال الأرض كروية، معناه إن لجميعها شكل الكرة.»(طوسى، بى¬تا، ١٠٢-١٠٣)

هذا العباره تحتوي على العديد من النصائح: أولاً ، خلال زمن الشيخ الطوسي ، كانت هناك مجموعات وآراء مختلفة حول كروية الأرض أو تسطيحها. كان هناك رأي مشترك في علم الفلك كان مراقبًا على كروية الأرض، لكن بعض المتكلمين، وخاصة المعتزلة، اعتبروا هذا الرأي غير مكشوف كسطح الأرض. ثانياً، حذر الشيخ الطوسي فى اختيارنظرية مختار جدير بالثناء. عندما يقبل الشيخ كُرةُ الأرض، يعترف بالقدرة على العيش فيه. هذا النهج الحذر و ذو الدقّه، لا يرى في عيون بعض معاصريه، وبالتالي أدى إلى أخطاء كبيرة. يبدو أن نظرة إلى آراء سيد مرتضى في هذا الصدد مهمة.

انتقد السيد المرتضى، الأستاذ و التلميذ الشيخ طوسي ، وجهة نظر أبو علي الجبائى، و يراه مخالفاً للرأي السائد في علم الفلك لكن حذر الشيخ الطوسى لا يعبر عن رأيه و بينما تقبل كروية الأرض، فإنها تقبل أيضًا التسطيح للأجزاء الصالحة للبشر للبشر: «و قال الشريف الأجل المرتضى قدس الله روحه استدل أبو علي الجبائي بقوله تعالى: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً» و في آية أخرى «بِساطاً» على بطلان ما يقوله المنجمون من أن الأرض كروية الشكل قال و هذا القدر لا يدل لأنه يكفي من النعمة علينا أن يكون في الأرض بسائط و مواضع مفروشة و مسطوحة و ليس يجب أن يكون جميعها كذلك و معلوم ضرورة أن جميع الأرض ليس مسطوحا مبسوطا و إن كان مواضع التصرف فيها بهذه الصفة و المنجمون لا يدفعون أن يكون في الأرض سطوح يتصرف فيها و يستقر عليها و إنما يذهبون إلى أن جملتها كروية الشكل.»(علم الهدى، ١٤٣١ق، ٣١١/١؛ همچنين: طبرسى، ١٣٧٢، ص١٥٦)

هو على الرغم أنه يقبل كروية الأرض وينتقد نهج الجبائي، ولكن في مكان آخر، ينص صراحة على أن "فراش الارض" ترتبط بسكونه. هو يقول:

«و معنى قوله تعالى: جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً أي يمكن أن تستقرّوا عليها و تفرشوها و تتصرّفوا فيها؛ و ذلك لا يمكن إلّا بأن تكون مبسوطة ساكنة دائمة السكون.» (علم¬الهدى، ١٤٣١ق، ٣١١/١).

بعد ذلك، نرى أيضا أن الإمام فخر الرازي، بعد عدة قرون من الشيخ الطوسي، واجه مشاكل أكثر وأعمق من السيد المرتضى في دخول تفسير هذه الآية. هو يؤكد مرارًا وكرارًا أن الأرض ثابتة وغير متحركة، وأنها تنتج أيضًا حججًا سخيفة:

«اعلم أنه سبحانه و تعالى ذكر هاهنا أنه جعل الأرض فراشاً، و نظيره قوله: أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَ جَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً [النمل: ٦١] و قوله: الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً [الزخرف: ١٠] و اعلم أن كون الأرض فراشاً مشروط بأمور: الشرط الأول: كونها ساكنة، و ذلك لأنها لو كانت متحركة لكانت حركتها إما بالاستقامة أو بالاستدارة،

فإن كانت بالاستقامة لما كانت فراشاً لنا على الإطلاق لأن من طفر من موضع عال كان يجب أن لا يصل إلى الأرض لأن الأرض هاوية، و ذلك الإنسان هاو، و الأرض أثقل من الإنسان، و الثقيلان إذا نزلا كان أثقلهما أسرعهما و الأبطأ لا يلحق الأسرع فكان يجب أن لا يصل الإنسان إلى الأرض فثبت أنها لو كانت هاوية لما كانت فراشاً، أما لو كانت حركتها بالاستدارة لم يكمل انتفاعنا بها، لأن حركة الأرض مثلًا إذا كانت إلى المشرق و الإنسان يريد أن يتحرك إلى جانب المغرب و لا شك أن حركة الأرض أسرع فكان يجب أن يبقى الإنسان على مكانه و أنه لا يمكنه الوصول إلى حيث يريد، فلما أمكنه ذلك علمنا أن الأرض غير متحركة لا بالاستدارة و لا بالاستقامة فهي ساكنة» (فخر رازى ١٤٢٠ق، ، ٣٣٦/٢).

يحدد فخر الرازي، في هذه التعابير، شروط لتبيين "فراش" و "بساط" الأرض، و أنّ أهمها هو سكون كرة الارض. بعد ذلك ، يجادل باقوالٍ سخيفة لإثبات سكون الارض، ويلاحظ بشكل كامل استخدام الحجج المنطقية والشفهية بدلا من الأساليب المبررة في معرفة الكوسمولوجيا. ويعتبر الشيخ الطوسي أيضا كمعيار لهذا.

بمقارنة موقف المفكرين مثل أبو علي جبائي، شريف المرتضى ، و الإمام فخر الرازي حول موضوع كروية الأرض و سكونها مع وجهة نظر مختار الشيخ الطوسي، من المعروف أن الشيخ، بمسح واهتمام للحظات المنهجية للملائمة أخطاء ارتكبت.

إن الشيخ الطوسي، في موقع المعرفة الكونية التى ليست مجرد مجموعة أدوات عقليةٌ كافيةٌ، بدلا من المواقف العقلانية للفلاسفة و المتكلمين، أكثر ميلاً إلى موقف علماء الفلك. هذه هي النقطة التي تظهر نفسها أكثر حول المكانة الهامة للشيخ طوسي في علم الكلام و الفلسفه. يبين هذا البحث أن الشيخ الطوسي هو المنشئ للتفسير العقلاني في العالم الإسلامي ولا يمكن العثور عليه قبل التعليق الشامل، والذي، بالإضافة إلى التقاليد ، استخدم أيضًا استدلالًا عقلانياً لفهم محتوى الآيات القرآنية.

٣- نظرية الصرفة، الشيخ الطوسي، والمرجعية الإسلامية

نظريةُ الصرفة هي النظرية الأولى حول قضية المعجزة القرآنية. النظام هو أول شخص وافق صراحة على هذه النظرية. لكن من قبله، كان معلمه أبو الهذيل العلّاف (متوفى ٢٢٧ م) ، بينما يقبل نظريةُ الانسجام القرآنى باعتباره معجزة هذا الكتاب الإلهي، يشير إشارة سريعة إلى المناقشة:

«قد علمنا انَّ العرب كانت اعرف بالمتناقض من الكلام من هولاء المخالفين و كانت على ابطال أمر رسول الله احرص و كان(ص) يتحداهم بالقرآن و يقرعهم بالمعجز عنه و يتحدّاهم بانّه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا و يُورد ذلک عليهم تلاوه و فحوى لانّه كان (ع) ينسبه الى انّه من عند الله الحكيم و انّه مما لا ياتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه و يُدعى انّه دلاله و انَّ فيه الشفاء فلو كان الامر فى تناقض القرآن على ما قاله القول لكانت العرب فى ايّامه الى ذلک اسبق فلمّا راياهم قد عدلو عن ذلک الى غيره مِن الامور، علمنا زوال التناقض عنه و سلامته على اللغه.»(قاضى عبدالجبّار، المغنى، ٣٨٧/١٦).

مضمون الجُمَل لا يعتمد على نظرية فعالة من حيث التكلفة. لكن تلميذه، أبراهيم بن سيار نظّام (م. ٢٣٠ق) يعترف صراحة بأن الأطروحة الرئيسية في المعجزة القرآنية هي نظرية مكلفة. بالطبع ، فهو يقبل أخبار الغيب على أنها معجزة، لكن قلةُ آيات القرآن التي ترتبط بنقاش "اخبار عن الغيب" ، تجعل النظرية حول معجزة القرآن دائمًا قضية ثانوية وقاصرة. مع الاسف لم يلفت انتباهنا أي من كتب النظام، وقد وصلنا معظم ما نعرفه عنه من خلال أبو الحسن الأشعري. هو فيما يتعلق بنظرية القيمة المضافة للنظام ، يقول:

«و قال النظام الآيه و الأعجوبه فى القرآن، ما فيه من الاخبار عن الغيوب. فأما التاليف و النظم، فقد كان يجوزُ ان يقدرَ عليه العباد لولا أنَّ الله منعهم بمنعٍ و عجز احدثهما فيهم»(ابوالحسن اشعرى، مقالات الاسلاميين، ٢٧١/١).

كما هو واضح في هذا التعريف، فإن النظرية الصرفة هي ذات معارضة تامة لنظرية النظم والتاليف القرآن. باعتقاد النظام، بخلاف المشهور الذين يعتقدون أن الجانب الرئيسي لمعجزة القرآن الكريم هو النظم والتاليف وفصاحته، هناك إمكانية وقدرة على جلب مثل هذا التاليف والنظام. لكن حقيقة أن هذا لا يحدث في الواقع هو أن الله يمنع ذلك من القيام بذلك، وأولئك الذين لديهم الإرادة للقيام بذلك سيكونون عاجزين.

جاحظ (م.٢٥٥ق) ، تلميذ النظام، هو أول منتقد لنظرية الصرفة و باحث نظري ضليع لنظرية النظم القرآنى. على الرغم أن جاحظ هو ناقد لنظرية النظام، لكن رداً على سبب عدم وجود إمكانية لتحقق النظم القرآني؟ أعرض نظريۀ الصرفۀ كسبب:

«و مثل ذلک ما رفع من أوهام العرب و صرف نفوسهم عن المعارضه للقرآن بعد أن تحدّاهم الرسول بنظمه، و لذلک لم نجد أحداً طمع فيه، و لو طمع فيه لتكلّفه...»(جاحظ، الحيوان، ٣١/٤).

جاحظ، رداً على هذا السئوال بانه كيف يمكن أن يكون لدى الناس القدرة على فعل ذلك، لكن الله صرفهم عن هذا؟ تجول قصۀ تحير بنى اسرائيل فى الوادى التيه فى القرآن الكريم:

«فقد كانو يكسعون اربعين عاماً فى مقدار فراسخ يسيره و لا يهتدون الى المخرج. و ما كانت بلاد التّيه إلّا مَلاعبهم و مُتنَزّهاتهم ... و لكنَّ الله صرف أوهامهم و رفع القصد من صدورهم»(المصدر، نفسه).

من الواضح أنه من وجهة نظر الجاحظ، فإن الصرفۀ عنصر الحمايتى لمعجزة النظم القرآني. لكن شريف المرتضى هو بلا شك أهم منظري نظرية مع اتصال النظريۀ الصرفۀ. أهمية السيد مرتضى هو أنه ، خلافا للأسلاف ، لا يقتصر على التعميمات في هذا المجال، لكنه عمل بجد لتوفير هذه النظرية بطريقة واضحۀ و منقحۀ. يقدم الشريف المرتضى أولا وجهات نظر المتكلمين بشأن نظريۀ الصرفه:

«أمّا اصطلاح الصّرف و الصّرفة عند المتكلّمين، فمعناه أنّ الله تعالى سلب دواعيهم إلى المعارضة، مع أنّ أسباب توفّر الدواعي في حقّهم حاصلة.» (الموضح عن جهة اعجاز القرآن، ص١١).

وبالطبع، فإن وجهة نظر سيد المرتضى فيما يتعلق بهذه النظرية تشبه إلى حد بعيد وجهة نظر علماء المتكلمين، وإن كان ذلك بمزيد من التفاصيل. ملخص النظرية هي:

« أنّ الله تعالى أراد أن يثبت أن القرآن منزل من عنده و ليس من اصطناع البشر، فصدّ العرب عن معارضته و دفعهم عن مجاراته، أي أنّه منعهم منعا قهريّا أن يأتوا بمثل القرآن، و صرفهم عنه صرفا مقصودا يدركون معه أنّهم معجزون أمامه، على الرغم من وفرة قدراتهم البيانيّة و براعتهم في القول.»(الموضح عن جهه اعجاز القرآن، المقدمة، ص: ٨)

يعتقد شريف المرتضى أن القرآن الكريم مؤلف من نفس الكلمات والجمل التي كانت شائعة بين أهل الرسول المعاصرين و من أجل الفصاحة والبلاغة، على الرغم من كونها فريدة من نوعها لكنها كانت قريبة مما كان في ذلك الوقت. لذلك، لا يمكن اعتبار معجزة القرآن الكريم معجزة نفسيةٌ ذاتيةٌ ، ولكن السبب الخارجي لا يجعل أحداً يجلبها على هذا النحو. وهذا يعني أيضًا أن الله يأخذ الدوافع اللازمة لمثل هذا الشيء:

«و يمكن تبيين و تفسير كلام القائلين بالصّرفة بأنّ القرآن الكريم يتكوّن من مجموعة من الكلمات و الحروف قد سطّرت و نظمت بنظم خاص. و هذا النظم مهما علا شأنه و فارق سائر نظوم الكلام، فإنّه بنفسه لا يمكن أن يكون معجزا بحيث يعجز من تحدّي به عن الإتيان بما يقاربه. نعم، إنّه يعدّ معجزة و معجزا حينما يسلب الله سبحانه و تعالى دواعي الكفّار و غيرهم عن معارضته، فإعجاز نصّ القرآن لا لنفسه و ذاته، و إنّما لسبب خارجيّ طرأ على بعض الناس، و هم الذين قصدوا المعارضة و حاولوا إتيان ما يقاربه في النظم، و لو لا ذلك لاستطاعوا مجاراة سور القرآن و آياته و الإتيان بما يقاربهما في الشّبه. و هذا الطارئ الخارجيّ، و تثبيط عزائم القاصدين للمجاراة، و

قبول التّحدي، هو في نفسه إعجاز خارق للعادة. و ذهب جماعة إلى أنّ هذا الرأي يعدّ أخطر و أجرأ ما قيل في هذا المجال.» (الموضح عن جهة اعجاز القرآن، ص١١)

يوضح شريف المرتضى بالتفصيل في كتابه الهام، الموضح عن جهة اعجاز القرآن، تفاصيل النظرية. ولكن في كتابه الآخَر، نفائس التاويل، يمكننا العثور على تفاصيل أخرى في هذا الصدد. يقترح في هذا الكتاب فكرة أنه يقع التحدى على شيء يُمكن على المخاطب الإتيان بمثله. كما يشير فحص وضع جمهور النبي إلى أن لديهم مثل هذا الاحتمال. لكن السبب الرئيسي في عدم تمكنهم من اتيان بمثل القرآن هو أن الله قد منعهم عن فعل ذلك:

«أنا قد بيّنا المطلوب في المعارضة ما قارب في الفصاحة و الأفصح يقاربه في كلامه و فصاحته من هو دون طبقته، بهذا جرت العادات، فإذا لم يماثلوا و لم يقاربوا فقد انتقضت العادة، و إذا كان المذهب الصحيح الّذي يستدلّ على صحّته بمشيّة الله تعالى هو مذهب الصّرفة، فإنّما وقع التحدّي بأن يأتوا من الكلام بما هو في تمكنهم منه، و قدرتهم عليه معلوم من حالهم، و أنه كان متأتيا غير متعذّر بمجرى عادتهم، فإذا لم يفعلوا فلأنهم صرفوا.» (تفسير الشريف المرتضي، ج١، ص: ٣٢٢).

لذلك ، يعتقد أن دراسة الوضع الحالي للقرآن على جودة البلاغة و الفصاحة و النظم يدل على أنه لا يوجد تمييز واضح بينهما. كما نريد أن نعرف القرآن الكريم بهذه الطريقة خارق للعادة. لذا ولماذا لا يمكن لأحد أن ياتى بمثله؟ الجواب هو أن الله قد ثنيهم عن فعل ذلك:

«أنه لو كان القرآن خارقا للعادة بفصاحته لوجب أن يكون بينه و بين كلّ كلام يضاف إليه التفاوت الشديد و الشاق البعيد كما يكون بين ما هو معتاد و ما هو خارق للعادة، فكان لا يشتبه فصل ما بينه و بين ما يضمّ إليه من أفصح كلام العرب على ما لا يشتبه عليه الفصل بين الكلامين الفصيحين بينهما من التفاوت دون ما بين القرآن و غيره. و قد علمنا أن أحدنا يفصل بلا رؤية و لا فكرة بين شعر الطبقة الاولى من الشعراء و

بين شعر المحدثين، و لا يحتاج في هذا الفصل إلى الرجوع إلى ذوي الغايات في علم الفصاحة. و معلوم أنه ليس بين كلام فاضل الشعراء و بين كلام مفضولهم القدر الّذي بين المعتاد و الخارق للعادة. و إذا ثبت ذلك و كنا لا نفرق بين بعض قصار سور المفصّل و بين أفصح شعر العرب و أبرع كلامها، و لا يظهر لنا تفاوت ما بين الكلامين الظهور الذي قد بيّنا، فما بالنا نميّز الفصل القليل و لا نميز الكثير، و يرتفع الالتباس علينا مع التفاوت و لا يرتفع مع التفاوت.» (تفسير الشريف المرتضي، ج١، ص: ٣٢٦)

صحيح أن سيد مرتضى يطرح نظرية الصرفة كنظرية صحيحة في معجزة القرآن، لكن يجب وضع النقاط فيما يتعلق بنظريته:

١. الآية القرآنية هي معجزة وتشير إلى نبوة النبي (ص)؛

٢. فصاحة القرآن الكريم هي ايضاً خارق للعاده؛

٣. يتميز القرآن أيضاً عن غيره من أشكال النظم، لكن نظرية النظم لا يكفي للردِّ على التحدّى، بدلا من ذلك، يجب القيام به للبلاغة والنظم ، على حد سواء. لأن التحدى تقع على الفصاحة و الإتيان بمثل فصاحة القرآن، لذلك فإن النظم مع الفصاحة أمر ذو مغزى وليس لوحده؛

٤. أي شخص أراد الإتيان بمثل القرآن الكريم، منعه الله من العلوم التي يحتاجها لمثل هذا الشيء، ولم يتمكن من العثور على الشخص الذي أراد أن يكون مثل القرآن؛

٥. الصرفة ليس معجزة بحد ذاتها بل هو سبب للوجود المعجز للقرآن.

كان المقصود من المقدمة المفصّلة نسبيًا فقط جلب المؤمنين إلى نظرية الصرفة والتفاصيل التفصيلية عنها. كان المقصود من كل هذا شرح الموقف المختلف للشيخ طوسي في هذا الصدد:

وجهة نظر الشيخ الطوسى مرتبطاً النظرية الصرفة

عمل الشيخ الطوسي بشكل مختلف جداً فى الاتصال مع نظريةُ الصرفةُ في كتبه. يذهب الشيخ أولاً وفي كتاب "الجمل" بشكل جيد إلى درجة أنه قبلت النظرية الصرفةُ لكن في كتابيه " الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد» و «الاقتصاد الهادى الى سبيل الرشاد»، يتبنى منهجًا نقديًا تمامًا لهذه النظرية. هو فى توجيه هذا التناقض يقول: إنه في كتاب "الجمل" سعى إلى شرح محتويات أستاذه، شريف المرتضى، يقتضى الادب ان لا يكون معارضةُ واضحةُ لديه و لنظرياته. الآن، أولاً، سنقدم تفاصيل أكثر دقةً عن منظور الشيخ الطوسى، وفي النهاية سنوضح مدى بروز وجهة نظره. الشيخ يرى في البداية وجهات نظرِ مختلفةُ متعلقاً باعجاز القرآن ثم يختار النظرية الصحيح:

«كان المرتضى علي بن الحسين الموسوي رحمة الله عليه يختار ان جهة اعجازه الصرفة، و هي ان الله تعالى سلب العرب العلوم التي كانت تتأتى معها لهم الفصاحة التي هي مثل القرآن [...] و قال قوم: جهة الإعجاز الفصاحة المفرطة التي خرقت العادة من غير اعتبار النظم. و منهم من اعتبر النظم و الأسلوب مع الفصاحة و هو الأقوى. قال الفريقان إذا ثبت أنه خارق للعادة بفصاحته، دل على نبوته، لأنه إن كان من فعل الله فهو دال على نبوته، و إن كان من فعل النبي (ص) فالنبي لم يتمكن من ذلك إلا بعلوم فيه خارقة للعادة تدل على نبوته. فاذا قال إنه من فعل الله دون فعلي قطعنا على انه من فعل الله لثبوت صدقه. و قال قوم هو معجز لاختصاصه بأسلوب مخصوص ليس في شيء من كلام العرب. و قال قوم: تأليف القرآن و نظمه مستحيل من العباد كاستحالة الجواهر و الألوان. و قال قوم كان معجزا لما فيه من العلم بالغائبات. و قال آخرون: كان معجزا لارتفاع الخلاف و التناقض فيه مع جريان العادة بأنه لا يخلو كلام طويل من ذلك.(الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، ص: ٢٧٧-٢٧٨)

في الفقرة نرى أن الشيخ الطوسى يشير باختصار إلى جميع الآراء المرتبطة بمعجزة القرآن الكريم وفي بعض الأحيان يشير إلى ما هو أكثر ملاءمة لوجهته. ولكن بعد تقديم

هذه الآراء بشكل صريح يقول، فإن أقوى وجهة نظرٍ لها هو أن معجزة القرآن ترجع إلى فصاحتها في نظمها الفريد.

«و أقوى الأقوال عندي قول من قال انما كان معجزا خارقا للعادة لاختصاصه بالفصاحة المفرطة في هذا النظم المخصوص دون الفصاحة بانفرادها، و دون النظم بانفراده و دون الصرفة، و إن كنت نصرت في شرح الجمل القول بالصرفة على ما كان يذهب إليه المرتضى رحمه الله من حيث شرحت كتابه فلم يحسن خلاف مذهبه.» (المصدر، ص ٢٧٨)

في هذه العبارة، يُصرَّح صراحة أن صِرف النظم نظرية الصرفة ليس معجزاً، و وكان السبب في «الجمل» هو اكّد نظرية الصرفة، هو انة كان فى مقام شرح وتفسير كتابه.

يستمر الشيخ بشرح قضيتين رئيسيتين: أولاً ، لماذا ينبغي أن يعزى الدلالة الرئيسية للتحدّى إلى فصاحتها وأ نظمها الفريد؟ وثانيا، ما هو الدليل على التفوق المطلق للقرآن الكريم من هذين الاتجاهين إلى أعماله المعاصرة؟ المقطع التالي يعطي الإجابات على السؤالين أعلاه:

«و الذي يدل على ما قلناه و اخترناه أن التحدي معروف بين العرب بعضهم بعضا، معتاد و يعتبرون في التحدي معارضة الكلام بمثله في نظمه و وصفه لأنهم لا يعارضون الخطب بالشعر و لا الشعر بالخطب. و الشعر لا يعارض إلا بما كان يوافقه في الوزن و الروي و القافية، فلا يعارضون الطويل بالرجز، و لا الرجز بالكامل، و لا الربع بالمتقارب، و انما يعارضون جميع أوصافه، و اذا كان كذلك فقد ثبت ان القرآن جمع الفصاحة المفرطة و النظم الذي ليس في كلام العرب مثله. فاذا عجزوا عن معارضته فيجب ان يكون الاعتبار بهما. فأما الذي يدل على اختصاصه بالفصاحة المفرطة فهو ان كل عاقل عرف شيئا من الفصاحة يعلم ذلك، و ان ما في القرآن من الفصاحة يزيد على كل فصيح.»

و كيف لا يكون كذلك و قد وجدنا الطبقة الأولى قد شهدوا بذلك، و طربوا له. كالوليد بن المغيرة، و الأعشى الكبير، و كعب بن زهير، و لبيد بن ربيعة، و النابغة الجعدي، و دخل كثير منهم في الإسلام ككعب و النابغة و لبيد. و هم الأعشى بالدخول في الإسلام فمنعه أبو جهل من و ذلك و فزعه، و قال له انه يحرم عليك الأطيبين الزنا و الخمر. فقال أما الزنا فلا حاجة لي فيه لأني كبرت و أما الخمر فلا صبر لي عنه، فانتظر و أتته المنية و اخترمته دون الإسلام [...]» (الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، ص: ٢٧٩؛ ايضاً انظُر: الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، ٢٧٢-٢٧٥).

يقدم الشيخ الطوسي، في تفسيره القيّمه للقرآن الكريم، التبيان فى تفسير القرآن، مبررات أخرى لمعجزة القرآن الكريم ، بسبب نظمه الفريد و فصاحته ، و يستحق الاهتمام.

هو أشار إلى الآية ١٣ من سورة البقرة واستشهد بالأدلة التاريخية لغرض شرح معنى هذه الآية و يقول: إذا كان من الممكن للوثنيين أن يجيبوا للتحدى القرآن، فلن يكون هناك أي سبب لهم للسعي إلى إزالة النبي (ص) من خلال الفوز بالروح والممتلكات و ... . هنا يقال أيضا أن المذهب الرئيسي فى التحدّى هو الإسناد إلى فصاحة القرآن فى هذا النظم الفريد. ويعتبر القرآن الكريم من هذه الجهه معجزة:

«أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) هذه الآية صريحة بالتحدي و فيها قطع لاعتلال المشركين و بغيهم، لأنهم لما عجزوا عن معارضة القرآن قالوا: إن ما فيه من الاخبار كذب اختلقه و اخترعه أو قرأ الكتب السالفة، فقال الله تعالى لهم: افتروا أنتم مثله، و ادحضوا حجته فذلك أيسر و أهون مما تكلفتموه، فعجزوا عن ذلك و صاروا الى الحرب و بذل النفس و المال و قتل الآباء و الأبناء. و لو قدروا على إطفاء أمره بالمعارضة لفعلوه مع هذا التقريع العظيم. و فيه دلالة على جهة إعجاز القرآن و أنها الفصاحة في هذا النظم

المخصوص، لأنه لو كان غيره لما قنع في المعارضة بالافتراء و الاختلاق.» (التبيان في تفسير القرآن، ج٥، ص: ٤٥٧).

فيما يتعلق بما قيل عن معجزة القرآن الكريم من حيث علاقة الشيخ الطوسي بالموضوع ، نجد أن:

أولاً ، يحرص الشيخ على جلب وجهات نظر مختلفة وتقييمها. على عكس القدماء الذين يقبلون عموما واحدة من نظريات المرتبطة باعجاز القرآن، الشيخ في نفس ذلک الوقت يعتقد ان مغزى دلالة التحدى هو فصاحته المفرط ولكن في نفس الوقت يقول فإن نظامها الفريد والخاص هو أيضًا معجزة. بالطبع، ينص على أن مجرد النظم لا يمكن ان يكون معجزة و يجب أن يؤخذ بالتأكيد في الاعتبار بالإضافة إلى فصاحته المفرطة؛

ثانياً، إن أفعال الشيخ وأخلاقه جديرة بالثناء الشديد في التعبير عن آراء شيخه وقرينه، شريف المرتضى. الشيخ في "شرح الجمل"، رغم أنه يعبر عن نظرية الصرفه لكن هذا البيان ليست مجرد مسألة نقد، لكنها تعطي الجمهور انطباعًا بأن الشيخ قَبِل وجهة نظر الشريف المرتضى لكن في كتب الشيخ الأخرى، يستطيع أن ينقذ نقده للنظرية.

ثالثًا ، نقد الشيخ الطوسي لنظرية الشيخ كان إيجابية وغير مربحة. بعبارة أخرى، بدلاً من التعبير عن عيوب وجهة نظر السيد مرتضى، يقدم الشيخ أسبابه لوجهة نظره الخاصة. سيتمكن كل طالب متفتن رفض النظرية الصرفة بدقة لهذه الأسباب؛

رابعاً، ما يعكس سلطة الشيخ الطوسي في دخول النظرية الأكثر قيمة في الماضي هي سلطة الشيخ في الحجج وعدم وجود توجه فئوي وديني في التعبير عن الآراء و النظريات. لا يمكنك رؤية التوجهات المذهبيه في أي مكان في حججه و استدلالاته. نفس الشيء يجعل الشيخ مشيرا و مرجعاً إلى كل الطوائف الإسلامية. النظرية الصرفة في هذا الصدد جديرٌ بالاهتمام؛ لأنها النظرية التي طرحها أبرز علماء الشيعة والسنة، ولها أسباب مختلفة لرفضها أو قبولها. يمكن أن يُعزى دخول الشيخ في النزاعات المحيطة بمثل هذه النزاعات بين الأديان إلى السلطة الكاملة للشيخ.

الخاتمة:

في هذا المقال ، سعينا إلى إظهار أن الشيخ الطوسي كان رائد سلطة العقل. لذلك، تستحق النتائج التالية الاهتمام:

١- في هذا الصدد ، أظهرنا أولاً أنه كان نقطة تحول في تغيير نهج التفسير من التفسير الاثرى إلى التفسير العقلاني. تقريب الأديان في مواجهة تفسير الشيخ الطوسي من خلال الآيات القرآنية بارز جدا. إن الإرجاع إلى الصحابة و التابعين، والاهتمام بكلمات ومعاني الكلمات و القرائاتِ، والقبول الواسع النطاق بالمواضيع اللفظية، هو أحد أهم جوانب تفسيره.

٢- إن الشيخ الطوسي، على الرغم من امتلاكه نظرة فكرية واجتهادية، يدرك الجوانب المنهجية العلمية في عصره ويستخدم عمليا لهم. إن الآية ٢٢ من سورة البقرة و منهجه في التعامل مع قضية كروية الأرض، وكذلك سكونها، مهمة جداً. على الرغم من أن العديد من أسلافه ، ومعاصريه ، وماضيه الحديث واجهوا أخطاء كبيرة في التعامل مع هذه الآية، فقد قلل الشيخ من إمكانية الخطأ إلى حد كبير عن طريق الحذر العلمي والحذر.

٣- النظرية الصرفة هي أيضا واحدة من المجالات النظرية الأخرى التي وجدها علماء العالم الإسلامي أنفسهم ملتزمين بالتفكير في وجهة نظرهم. هذه النظرية هي واحدة من الأفكار العلمية القليلة التي كانت مؤمنة وخرافية ومناهضة لكل من السنة والشيعة.

النظّام و الجاحظ من علماء السنة والسيد مرتضى والشيخ مفيد من الشيعة هم من أهم دعاة هذه النظرية. لكن، لدى الجاحظ والشيخ المفيد بعض الانتقادات لهذا الرأي. ومع ذلك، فإن نهج الشيخ الطوسي جدير بالاهتمام الخاصّه. رأي الشيخ الطوسي فيما يتعلق بمعجزة القرآن هو أن فصاحته المفرطة في هذا النظام الفريد هي معجزة القرآن. في

الواقع، من خلال قبول هذا الرأي والتعبير عن أسبابه في الفصاحة المفرطه والنظام الفريد للقرآن الكريم، فإن أشكال نظرية الصرفة سيكون واضحة أيضًا.

٤- إن نوع لقاء الشيخ الطوسي مع الآيات القرآنية والطريقة العقلانية والمحافظة على اللحظات المنهجية قد تسبب في بقاء سلطته ليس فقط بين الشيعة بل وأيضاً بين جميع المسلمين الذين تم الحفاظ عليهم.

المصادر:

- اشعرى، ابوالحسن ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا) الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- طبرسى، فضل بن حسن، مجمع البيان، تهران، ناصر خسرو،١٣٧٢ش؛
- طوسى، محمد بن حسن، التبيان فى تفسير القرآن، دار احياءالتراث العربى، بى تا؛
- طوسى، محمدبن الحسن، الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، انتشارات كتابخانه، بى¬تا
- طوسى، محمدبن الحسن، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، دار الاضواء، بى¬تا
- عبد الجبار، المغنى فى ابواب التوحيد و العدل، ج٩، چاپ توفيق طويل و سعيد زايد، قاهره، بى¬تا.
- علم‌الهدى، على بن الحسين، الموضح عن جهه اعجاز القرآن، تحقيق: محمد رضا الانصارى، مشهد: موسسه الطبع و النشر التابعه للآستانه الرضويه المقدسه، چاپ دوم: ١٤٢٩ق.
- علم‌الهدى، على بن الحسين، تفسير الشريف المرتضى المسمى ب: نفائس التأويل، لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٣١ق
- فخر رازى، محمد بن عمر، التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث العربي، لبنان-بيروت، ١٤٢٠ق؛

- كريمي نيا، مرتضى، الوزير المغربي ومنهجيهٔ المصابيح فى تفسير القرآن ، رساله دوكتوراه ، جامعة طهران، ١٣٩٤.
- لجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٣٨.
- وزير مغربى، حسين بن على، المصابيح، محقق: عبدالكريم بن صالح بن عبدالله، رساله دكترى، جزء اول، ١٤٢١ق؛

دور المرجعية الدينية وتوجيهاتها التربوية في ترسيخ القيم الاخلاقية عبر المنبر الحسيني

م.د. وفاء كاظم جبار

المقدمة:

لعلنا ندرك ان للمرجعية دور في توجيه الأمة، بإعتبارها جهة توجيهية فاعلة في توعية المجتمع ، كما ان لها دور في تعديل الصراع الفكري بين المسلمين.

ولاهمية دور المرجعية الرشيدة في التربية الانسانية والاخلاقية كان لازاما على الباحثين والمربين ان يتطرقوا الى دور المرجعية في التوجيه والارشاد من خلال المنبر الحسيني وهو يمثل احد قنواتها الارشادية الى الاخرين .

وبما ان المجتمع العراقي يعاني من بعض الافكار الدخيلة عليه ربما بسبب (الانفتاح عبر قنوات التواصل الالكتروني)، وهذا الموضوع ربما يؤدي الى تكوين مشكلة بسبب اختلاف الثقافات والاعتقادات الدينية المتباينة والتربية الاجتماعية، بما فيها الاسرة ، ذلك لان هذه المتغيرات لها اهمية كبيرة في تأثيرها على التربية، لذلك لابد من منبر تربوي قيمي لتوعية الناس في اسليب التربية ، ولابد لهذا المنبر من ادارة لتوجيه وارشاد الاخرين من خلاله .

ولهذا قد هدف البحث الحالي الى ابراز دور التوجيهات المرجعية في ترسيخ القيم الاخلاقية سواء كان بتصريح مباشر عبر الامناء العامين للمرجعية ، ام من خلال احد قنوات التواصل الى الناس وهو المنبر الحسيني

وتضمن البحث مقدمة ومشكلة واهمية ومطالب وخاتمة اضافة الى المصادر والمراجع.

فتطرقت الباحثة في المطلب الاول الى المدخلية للبحث وهي التعريف بدور المرجعية الفاضلة في الارشاد والتوجيه الانساني الاخلاقي .

وتعريف مفهوم القيم الاخلاقية ، ومفهوم المنبر الحسيني .

كما تضمن كل مبحث من المباحث اللاحقة الى الاستقراء لمفاهيمه وهي . المبحث الاول ويشمل المشكلة والاهمية وتعريف المصطلحات ومطالب

المطلب الاول : دور المرجعية الدينية ويقسم الى قسمين

١. المرجعية كمنهج :

٢. دور المرجعية في التوجيه

المبحث الثاني : توجيهات المرجعية التربوية في ترسيخ القيم الاخلاقية

ويعتمد المبحث الثاني على مطلبين

المطلب الاول : توجيهات المرجعية الدينية في التربية

المطلب الثاني اسس قواعد التوجيهات التربوية الاخلاقية

المبحث الثالث : المنبر الحسيني كأداة لترسيخ القيم الاخلاقية

وفيه مطالب

اولا المنبر الحسين

ثانيا : المنبر الحسيني ودوره الوظيفي في ترسيخ القيم الاخلاقية التربوية

المطلب الثالث:

الخطيب محور حركة المنبر .

الاستنتاجات والتوصيات والمصادر

....

المبحث الاول ويشمل المشكلة والاهمية وتعريف المصطلحات ومطالب

مشكلة البحث

قال تعالى: (ولتكُن مِنكُم أمَّةٌ يدعُونَ إلى الخيرِ ويأمُرُونَ بالمَعرُوفِ ويَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وأولـٰئِكَ هُمُ المُفلِحُون)[٢٦].

بما ان المجتمع الاسلامي اليوم لا يعيش بمعزل عن المجتمعات الاخرى ، منها الغربية الاجنبية التي تحمل من الغزو الفكري الموجه والمدروس والذي قد يؤدي الى اضعاف الجانب التربوي ، وانهاك المقوم الاخلاقي العربي ، والتي اخذت بالانتشار بشكل كبير حتى دخلت الى جميع البيوت واصبحت في ايدي حتى الاطفال فتغلغلت الى كافة المستويات الاجتماعية وبشكل سهل وسريع وملحوظ .

وبسبب كثرة القنوات الفضائية وتباينها في بث صور لسلوكيات متدنية اخلاقية ، والتي يمكن لها ان تضرب المقوم الاخلاقي العربي الاصيل وتؤدي الى انهاك المجتمع ، اضافة الى ضعف المراقبة من قبل بعض المؤسسات التربوية ، وهذا ربما يؤدي الى ان يصبح لدى الانسان المسلم او لدى البعض منهم وجود فراغ عقائدي ، ربما يستغل من قبل بعض الجهات المعادية للمسلمين او قد يصبح لدى بعض الشباب تهيئ فكري لاستقبال أية شبهة أو فكرة عقائدية دخيلة ، فنجده ينجر وراء هذه الشبهات دون ادراك مصدرها او ما توؤل اليه .

وبما ان للمرجعية الدينية دور في توجيه الأمة ، بإعتبارها اداة فعالة في توعية المجتمع ، كما ان لها دور في تعديل الصراع الفكري بين المسلمين .

لذلك اخذت وسائلها التعددية للوصول الى اغلب الشرائح الاجتماعية من جهة ، ومن جهة اخرى تعددت الوسائل الاتصالية الاجتماعية التوعوية ومنها المنبر الحسيني ، الذي يمكن في بعض الاحيان الاعتماد عليه في معالجة وتصحيح وتوجيه

الفكر الشبابي بالاتجاه الايجابي ، لاسيما كون المنبر الحسيني يتمثل بكونه مدرسة ثقافية توعوية مستمد من المرجعية الدينية لما يتضمن من العقائد الدينية والتراث الادبي، وسيرة وتفسير، وعلوم أخرى، وكلنا يعرف مدى إتصال هذه العلوم بحياة الأمة ودورها المهم في صناعة الانسان و بناء كيان المجتمع الإسلامي.

إن أخطر مهمة في بناء المجتمع هي بناء الانسان ؛ إذ تتطلب بذل الجهود والسير وفق خطوات علمية مدروسة رسمها لنا أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكذلك توفير آليات ووسائل جدية قوية ومؤثرة لتفاعل الانسان والمجتمع الذي يعيش فيه .

لذلك عد المنبر الحسيني ركنا مهما في منظومة التربية الاجتماعية ، ووسيلة فعّالة ومهمة في عملية الإصلاح المجتمعي ، لاسيما وانه استلهم مبادئه من سيرة الائمة الاطهار عليهم السلام، وبذلك فهو يساهم في بناء الجانب الاخلاقي للانسان[1]

ومن هنا يتوج البحث في الالتزام بقضية كبرى تعطي معنى متساميا ومليئا بالوجود الانساني باعتبارها قضية تربوية الا وهي دور المرجعية الدينية في ترسيخ التربية الاخلاقية من خلال المنبر الحسيني

لذلك ينبغي أن يصار الى عمل وأن يكون هناك دور فعال للمؤسسات التربوية الاجتماعية منها الجوامع وإكثار المجالس وانتخاب الخطباء الذين يمتلكون إلمام عقائدي، وثقافة عامة .

اهمية البحث

قال تعالى: (إِنَّ هَـذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ المُؤْمِنِينَ الذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)

لعل اي انسان مفكر ومدرك لا ينظر الى المنبر على انه مكان يصعد إليه الخطيب ، ليشد الناس للبكاء ثم ينزل ،لا ليس كذلك . إنما ينظر الى المنبر كوسيلة اتصال تربوي تبين فلسفة قادة الراي و المجتمع من الناحية الدينية

التربوية (المرجعية الدينية) وقد تتضمن بعض ادوارها في تربية ابناء المجتمع من خلال الارشاد والتوجيه التربوي الاخلاقي ، وربما تحريكهم وفق اتجاه تربوي محدد ، يمكن ان يعد وسيلة اتصال تربوية اخلاقية ذات قيمة انسانية راقية ، فهي تشرف و تكمل على مؤسسات المجتمع الاسلامية التربوية بما فيها المدارس الدينية .

وعندما نعدد الادوار الوظيفية للمرجعية الدينية نجدها كثيرة بل هي تدخل في وضع اساس التربية الاجتماعية الاخلاقية لكل مجتمع مسلم، فتمثل مدرسة تربوية اخلاقية ثقافية تساعد على تعايش الامة بسلام واطمئنان نفسي .

كذلك دورها العقائدي في شحذ همة ابناء المجتمع في التصدى الى الاخطار الخارجية ، وليس بعيدا علينا لما للمنبر الحسيني من دور فعال في التصدي للحركات التكفيرية التي مرت بالعراق ، فقد كانت القوة الدافعة لشحذ الهمم لابناء الشعب لترك الغالي والنفسي والنزول الى ساحات الوغى من خلال توجيهاتها عبر المنبر الحسيني للحفاظ على قيمة الانسانية ووحدة الوطن .

وليس هذا فقط ، فقد اتخذ المنبر الحسيني دور تربوي رائد في توعية الشعب في التعامل مع مختلف الثقافات المصدرة لنا من الخارج وقنواتها التواصلية لما فيها من تناشز فكري اوشك ان يكون شقاء نفسي للانسان ، فدخل في تهذيب الاخلاق الاجتماعية التواصلية ، وردع بعضها بالحجج القاطعة والدامغة على بطلانها. وبذلك كان المنبر الحسيني قوة معرفية فكرية ، وجدانية روحية لتحريك الناس وتوجيههم الى الخير والفضيلة (العافية) في حياتهم العملية .

لقد اشار القران الكريم والسنة النبوية الى ان الانسان لاينحدر الى مستوى البهائم الا اذا عطل قابلياته الفكرية الذاتية التي منحها اللّه تعالى له ، وفي مقدمتها

قابليته للتربية والتعليم الاخلاقي والاستفادة من التجارب السابقة التي مرت به وبغيره ، وقال تعالى (والذين يسمعون القول فيتبعون احسنه) (الزمر ، ١٨)

وبماان " القيم الاخلاقية " تمثل الأسس والقواعد والقوانين والحقائق التي تنظم العملية التربوية وتوجهها وجهة مرغوبة من اجل تحقيق تنمية الفرد والمجتمع وإحداث توازن بينهما.

لذلك نجد ان التربية الاخلاقية " يمكن ان تكون علم متعدد الجوانب، تتشابك فيه عوامل كثيرة لسببين اثنين:

ألاول : أن موضوع التربية هو الإنسان، الذي يحمل شخصية عميقة ومتعددة المفاهيم ، تمتد من التكوين البيولوجي وتنتهي بآخر المكتشفات النفسية .

الثاني : ميدان" التربية "تلتقي فيه كل الدراسات التي تتناول العملية التربوية للانسان بأبعادها المختلفة.[٢]

لذلك لابد ان تكون التربية الاخلاقية ركيزة لما فيها من قوانين ثابتة تدخل كبعد اساس في بناء اي مجتمع .[٣]

تعريف المصطلحات

١. المرجعية الدينية اصطلاحا : هي الجهة المتولية لشؤون الامة او الطائفة باجمعها وبيدها الادارة لاوضاع الطائفة الدينية ، وهي اعلى كيان مؤسس في الافتاء والقضاءوالقيادة لدى المجتمع الشيعي في عصرغيبة الامام المهدي عليه السلام .[٤]

٢. التوجيه التربوي : هو الارشاد التربوي وصولا بالانسان الى الكمال الانساني من خلال تزويد الشخص بالمعارف العلمية والاخلاقية ، والروحية بحيث يمكنه التفاعل معها ومن ثم يتأثر بها وصولا الى احداث تغير في الشخصية .[٥]

٣. ترسيخ القيم الاخلاقية : هي تثبيت المعايير والمبادئ والقواعد العامة التي توجه السلوك البشري داخل المجتمع وصولا الى الكمال الانساني .

كما انها مقصد من مقاصد الشريعة الاسلامية ولهذا قال النبي عليه السلام (انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) .

٤. المنبر الحسيني : هو المكان المرتفع الذي يرتقيه الخطيب أو الواعظ ، يكلم منه الجموع، سُمّي به لارتفاعه، ولازمه رفع الصوت عليه لإسماع الحاضرين.[٦]

المطلب الاول : دور المرجعية الدينية ويقسم الى قسمين

١. المرجعية كمنهج : يشير القران لموضوع المرجعية في صورة التوبة بشكل واضح (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين لينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) التوبة ١٢٢

وصف السيد محمد باقر الصدر (ان الشيعة ولدوا منذ وفاة النبي مباشرة متمثلين في المسلمين الذين خضعوا عمليا لاطروحة زعامة الامام علي عليه السلام) وقيادته التي فرض النبي تنفيذها من حيث وفاته مباشرة ، وقد تجسد الاتجاه الشيعي منذ اللحظة الاولى من انكار ما اتجهت اليه السقيفة من تجميد لاطروحة زعامة الامام علي (عليه السلام) واسناد السلطة الى غيره) ص٣١

وللمرجعية ادوار في الحفاظ على الامن القومي والوطني ، والتصدي للحركات التي ناقضت الشريعة السمحاء ، فتصدت المرجعية للحركة الوهابية حين هاجمت مدينة البصرة سنة ١٧٩٣م ، ثم هاجمت كربلاء ١٨٠٢م فنهبوا المدينة وما في الضريح المقدس وسنة ١٩٢٢م هاجمت النجف ، وقد افتت الحوزة انذاك بوجوب

حمل السلاح والتدريب عليه والزام طلبة الحوزة انذاك بوجوب حمل السلاح والتدريب عليه والزامهم في التصدي لهذه العصابات .

ولو عدنا الى تاريخ المرجعية نستقرؤه لوجدناه من زمن الرسول عليه السلام ، والائمة الاطهار من بعده ، لكن تبلور مفهوم المرجعية الدينية بشكل اصطلاحي على يد الشيخ الطوسي مؤسس الحوزة العلمية في النجف الاشرف عام ٩٢٨ م ، وكانت هذه المرجعية هي مرجعية مستقلة بذاتها عن باقي المرجعيات الدينية الاخرى .

لذلك يمكن ان ندرك ان المرجعية الدينية الرشيدة هي استمرار لنهج النبي ثم الامامة عليهم السلام .

وفيما بعد فقد نشات المرجعية الدينية من داخل الحوزة العلمية ، والحوزة العلمية تعد كيان علمي يؤهل للاجتهاد في علوم الشريعة الاسلامية ويتحمل مسؤولية خطيرة ودقيقة بالوقت نفسه وهي تبليغ الامة وقيادتها ، وتفسير القران الكريم واثبات الاحكام الشرعية .

٢. دور المرجعية في التوجيه

والمرجعية ليست منصبا فخريا او رئاسة عامة او ملكية مطلقة ولا تأتي بالوراثة او القرابة او العنصرية او القومية ، لذلك قد نجد مرجعا من اصول عربية يرجع اليه عموم مسلمي العالم من المقلدين الشيعة ، ومرجعا من اصول فارسية يرجع اليه الشيعة العرب ، وهكذا فالمقياس هو طاعة الله ورضاه وليس الترفع الى الامور الشخصية ، ومن هنا اصبحت ضرورة ملحة . ولذلك قال العالم محمد باقر الصدر (لو كانت احكام الشريعة قد اعطيت كلها من خلال الكتاب والسنة ضمن صيغ وعبارات واضحة صريحة لا يشوبها أي شك او غموض لكانت عملية استخراج

الحكم الشرعي من الكتاب والسنة ميسورة لكثير من الناس ولكنها في الحقيقة لم تعطي بهذه الصورة المحددة المميزة الصريحة وانما اعطيت منثورة في المجموع الكلي للكتاب والسنة وبصورة تفرض الحاجة الى جهد علمي في دراستها والمقارنة بينها واستخراج النتائج النهائية منها ، ويزداد هذا الجهد العلمي ضرورة وتنوع وتعمق اكثر فاكثر كلما ابتعد الشخص عن زمن صدور النص)[٧]

ولا يخفى علينا الدور الوطني للمرجعية الدينية في اهميتها ودورها الكبير في الحفاظ على وحدة المجتمع العراقي وامنه واستقراره

ولذلك عندما نذهب الى التاريخ العراقي نجده قد اكتنز في ثناياه لما للمرجعية من دور كبير في الحفاظ على كيان العراق من التمزق بعد السقوط .

ونلاحظ كيف التف الشعب العراقي حول المرجعية لما يعلم من اثرها الكبير في استقرار المجتمع الانساني وقد منحها الولاء كقائدة روحية تربوية ارشادية وتوجيهية في الوقت نفسه .

وحدد السيدالشهيد محمد باقر الصدر الادوار التاريخية للمرجعية الدينية وعدها مراحل

١. مرحلة الاتصال الفردي : وهي مرحلة اتصالات فردية بين العلماء المجتهدين وكبار المقلدين الذين يستفتون العالم فيفتي لهم بما جاؤا من اجله . وبدات هذه الادوار مع بداية الغيبة الكبرى وحتى ايام العلامة الحلي ٧٢٦ه .

٢. مرحلة الجهاز المرجعي : والجهاز المرجعي يمثل مجموعة من الوكلاء والذين انتخبهم لاداء مهمة ما مرجعية مثل العلماء الذين يرتبطون بالمرجع ويتصلون بالقواعد الشعبية .[٨]

٣. مرحلة التمركز والاستقطاب : في هذه المرحلة تحولت الحوزة العلمية الى مؤسسة مرجعية جلبت انظار العالم الشيعي واستقطبت الدارسين الى النجف الاشرف لتصبح مركزا علميا للمرجعيات العالم الشيعي .

٤. مرحلة القيادة : في هذه المرحلة لم تقتصرالمرجعية على الجانب العلمي فقط ، وانما اتخذت اتخذت لها وجودا واضحا في الساحة الاجتماعية السياسية ، فحاورت الاحداث والوقائع على الساحة فكان هذا الحوار محافظا على تعزيز موقعها في قلوب الجماهير وقيادتهم الروحية ، والتي تعودت ان تنتظر من المرجعية موقف مميز تجاه هذه الاحداث والوقائع ، وتمثلت هذه المرحلة منذ بداية الحرب العالمية الاولى والى حد هذاالوقت الحاضر.[٩]

المبحث الثاني : توجيهات المرجعية التربوية في ترسيخ القيم الاخلاقية

ويعتمد المبحث الثاني على مطلبين

المطلب الاول : توجيهات المرجعية الدينية في التربية

التوجيه التربوي هوالتأثر في فكر الإنسان وإنفعاله وميوله ، بغية الإرتقاء بمفاهيميه وأخلاقه وسلوكه. (التطبيق العملي في سلوك الأفراد) .

واذا تطرقنا الى التربية كونها عملية توجيهية نجدها تحمل مفهومين يكاد يعتمد احدهما على الاخر

الاول : هي عملية تكيف ما بين الفرد وبيئته الاجتماعية ، بما فيها العمل وتنمية قدراته . وظيفتها هنا مساعدة الفرد على ان يصبح قادرا على الحصول على متطلباته بما يتلاءم والظروف المحيطة به .

الثاني : هي عملية نمو نفسي لجوانب الشخصية (العقلية المعرفية ، والنفسية الاجتماعية ، والاخلاقية القيمية) وهذا يأتي من خلال ماتوفره الاسرة ، والمؤسسات التربوية وفروعها بما فيها المنبر الحسيني [١٠].

فالتوجيهات التربوية هي النشاط الاجتماعي الهادف الى تنشئة الانسان فكريا وعقائديا ووجدانيا وخلقيا ، وتزويده بالمعرفة والقيم والخبرات لنموه طبقا لاهداف التربية

وبما ان الشخصية الانسانية متعددة الابعاد النفسية والابعاد البيولوجية كالوراثة، والبيئة الاجتماعية ، والثقافية ...الخ .

لذلك لايمكن ان نعد التوجيهات التربوية كعملية معزولة بحد ذاتها ، بل شملت مجالات ومفاهيم متنوعة ومتباينة نوعا ما وصولا الى تربية شاملة للانسان .

كما تدخل التربية في بناء العقيدة ، وكما قال النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم (كل مولود يولد على الفطرة ، فابواه يهودانه ، او ينصرانه ، او يمجسانه) وتنمو التربية في مرحلة الطفولة ، فالطفل قابل للتوجيه بسهولة كما ينمو الثمر في الارض وفي ذلك قال الامام علي عليه السلام لاحد ابنائه (انما قلب الحدث كالارض الخالية ما القى فيها من شي قبلته ، فبادرتك بالادب قبل ان يقسو قلبك ويشتغل لبك) [١١]

لذلك التربية هي الرعاية الشاملة والمتكاملة لشخصية الإنسان من جوانبها الأربعة الجسدي والنفسي والعقلي والاجتماعي بهدف إيجاد فرد متوازن يستطيع تطوير قوته واستمرار حياته والتكيف مع بيئتيه الطبيعية والاجتماعية.[١٢]

وللعملية التربوية ثلاثة أطراف هي : المربي والمتربي والوسط التربوي الذي تتم فيه العملية التربوي، وهي عملية هادفة لا عشوائية ، أي أنها عملية نمو اجتماعي

وإنساني لا تقوم على التلقين، وإنما هي مبنية على التفاعل بين المربي والمتربي للوصول إلى عقل المتربي ولتوجيهه وتربيته.

وبهذا تكون التربية من حيث انها توجيه وارشاد اجتماعي تهتم بالفرد والمجتمع معا من خلال اتصال الفرد بمجتمعه وتفاعله معه سلبا وإيجابا . وتعمل على الحفاظ على مقومات المجتمع الاساسية بمحو الزائف منها والبقاء على الاصيل

ولذلك ان التوجيه التربوي يمكن ان يكون عملية مختصة في بناء الفرد والمجتمع ، له مراحله وأهدافه فالمعرفة أو المهارة أو الأخلاق الحسنة ليست في ذاتها تربية ولكنها تدل فقط علي أن الفرد قد تربى وعندما نقول أن المدرسة تربي فمعناه ان لها وظيفة معينة في مرحلة عمرية معينة في التربية ، وعندما نقول ان المرجعية مربية وموجهة في الوقت نفسه هذا يعني ان لها دور كبيرفي التوجيهات التربوية التي اساسها التوجيهات الاخلاقية ، والتي تكون لها الحاجة الماسة في كل وقت وعصر وبذلك فهي تخترق الزمان والمكان لما لها من اهمية مجتمعية قيمة في بناء الانسان بما هو انسان .

وعندما نقول أن الفرد قد تربى معناه أنه قد مر بعملية معينة .[١٣]

ولذلك على المربّي أن يكون خبيرا بعلوم التربية وأصول التربية وطرقها، وكيفية توجيه المخاطبين، وإيصال المعرفة إليهم في كل وقت ولجميع المستويات الفكرية.

وربما ان الأمر لا يرتبط ، كما يقول ميالاريه: (بإلباس معطف جديد لممارسة قديمة. إنه أكثر ، وأعمق من ذلك بكثير، إنه يرتبط بموضوع عميق ودال ويوازي ويستجيب في نفس الوقت لحقيقة جديدة، هي كيف تكون التربية مع التغير الزمني السريع ؟

لذلك يمكن القول إن العملية التربوية إنسانية تتداخل فيها عناصر عدة: يتداخل فيها ما هو بيولوجي وما هو سيكولوجي وما هو سوسيولوجي وما هو اقتصادي...إلخ. أو بعبارة مركزة ، يتداخل فيها كل ما يتصل بشخصية الإنسان برمتها من معطيات ذاتية ترتبط بالفرد نفسه، ومعطيات غير ذاتية ترتبط بالمجتمع المتغير وكيفية ربطها بأدوات فروع مؤسسات دينية اجتماعية ومنها المنبر الحسيني .[١٤]

وعندما نقول ان التوجيهات التربوية مصاحبة للانسان منذ وجوده على الارض ، نشير بذلك الى مراحل تربية الانسان عبر الزمن ، فادم عليه السلام تلقى الهدى من ربه واستمسك به .

ولذلك عدت التربية القائمة على الهداية هي نقطة البداية في تاريخ التربية ، وهي اقدم وجودا من التربية الوضعية ، وخاصيتها انها تستمد اصولها من الشرع المقدس ، فهي تربية انسانية لانها تعني بالانسان في مراحل حياته المتباينة .

وليس الرسل الوحيدون هم الذي يقومون بالتوجيهات التربوية وان كانوا صفوة المربين ، فالعلماء والصالحين والاباء والامهات قادرين ايضا على ادارة العملية التربوية ، لذلك قال سبحانه (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا) الاسراء ٢٤

لذلك التوجيهات التربوية هي عملية مقصودة تستضئ بنور الشريعة المقدسة وتهدف الى تنشئة جوانب الشخصية الانسانية لتحقيق العبودية للّه وحده ، وتقوم التوجيهات وفق طرق متنوعة مستخدمة طرق تقويم ملائمة .

فالفكر التربوي لا يكون اسلاميا لمجرد انتساب صاحبه الى الاسلام ، بل بانتساب الفكر نفسه باحكام واخلاق الاسلام .

فهي تربية مرنة اشارت ان الانسان له القدرة على التعلم والتغير ، وهي تقدم للانسان كل ما يفيده في الدنيا والاخرة [١٥]

وتوصل علماء النفس الى ان التربية تحمل في جوهرها عملية اصلاحية ذات قيمة اجتماعية عالية ، لما تحمله من اهداف تنمية الفرد والجماعة نحو الافضل ، فهي تسعى الى بناء شخصية الانسان ليتمتع بالقيم الاخلاقية والمعرفية الفكرية وصولا الى السلوك السوي [١٦]

فأفلاطون كان يقول : "إن التربية هي أن تضفي على الجسم و النفس كل جمال و كمال ممكن لها"

أما كانت فصيرها على انها : ترقية لجميع أوجه الكمال التي يمكن ترقيتها في الفرد.

أما ديوي كان يرى أن التربية هي الحياة وهي عملية تكيف بين الفرد و بيئته. و رغم اختلاف هذه التعاريف إلا أنها جميعا تقتصر على الجنس البشري و تعتبر العملية التربوية منهاجا تعليميا توجيهيا ارشاديا ، للانسان ، للارتقاء به نحو هدف سامي .

ومن هنا حافظت التربية على القيم العليا للمجتمع منها القيم الاخلاقية والانسانية النابعة من تاريخ الامة بما فيه من موروث ثقافي وبما يتمتع من حضارة انسانية اعتمدت في نشأتها على الدين الاسلامي السمح .

فالتوجيهات التربوية هي عملية ذات اهداف معرفية ، وجدانية وتساعد الفرد على التفكير بالاتجاه الصحيح ، وتغذي وجدانه فهي تسعى الى تحقيق غايات سامية في المجتمع وهي وسيلة الاستمرار الاجتماعي للحياة ، والسبيل للوصول الى المستوى الاخلاقي ، واكتساب المهارات الحياتية وتعديل الاتجاهات وصولا الى المستوى الاجتماعي المرموق [١٧]

المطلب الثاني اسس قواعد التوجيهات التربوية الاخلاقية

تتكون قواعد التربية الاخلاقية من خلالالتربية في القران و السنة الشريفة يمثل القران منهجا متكاملا جمع بين تأديب النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم وصولا الى التوافق الذاتي .

ونجد التربية في المجتمعات الاسلامية لها منافذ متعددة منها الاسرة والمسجد والمنابر الحسينية ، اضافة الى المدارس والجامعات.

وجاء القران الكريم موجها للفرد ذاته وقال تعالى (قد افلح من زكاها ، وقد خاب من دسها) الشمس ٩-١٠

ثم وجه الجماعة وقال تعالى (ان اللّه لا يغير مافي قوم حتى يغيروا ما في انفسهم) الرعد ١١

وبين كتاب اللّه سبحانه ان المجتمعات لا تتمايز الا من ناحية الفضائل والاخلاق ، وهي لا تكتمل الا بالتربية الاخلاقية [١٨]

آيات كثيرة على الدعاء للموجهين المربين كون ان لهم الفضل على الانسان منها قوله تعالى : (وقل ربّ إرحمهما كما ربياني صغيرا) . وبالعكس نجد ايضا ان للتوجيهات التربوية فضل المربي على المتربي مهما كان اختلافهما في المنزلة والعقيدة فقال تعالى (قال ألم نربك فينا وليدا) .

المبحث الثالث : المنبر الحسيني كأداة لترسيخ القيم الاخلاقية

وفيه مطالب

اولا المنبر الحسين

أنّ لفظ المِنبَر يعود إلى الفعل نَبَرَ ، يقال: نبر الشيء نبرا؛ أي رفعه. ويقال: نبر في قرءاته ، أي رفعها ، وهو ما يدل على الرفع والعلو في الصوت مع الحدّة فيه ، ورجل نبار، أي: فصيح جهير؛ ولذا سمي بالمنبر؛ لأنه مرتفع ويرفع الصوت عليه [١٩]

وأمّا إضافة مفردة الحسينيّ إلى المنبر، فهي نسبة إلى الإمام السبط الحسين بن علي بن أبي طالب صلى اللّه عليه وآله الشهيد بكربلاء، يوم عاشوراء عام ٦١ للهجرة، وأمّه فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله.

هو نوع من أنواع الخطابة الدينيّة عند أغلب المسلمين الشيعة ، يمكن ان يكون من خلاله خطب التوجيه والارشاد التربوي الاخلاقي ، وايضا يعرّج في نهايتها الخطيب ـ وبأسلوب فنّي خاص ـ على ذكر فاجعة مؤلمة من فجائع مقتل الإمام الحسين عليه السلام أو أهل بيته أو أصحابه يوم عاشوراء، أو ما جرى على عياله بعد مقتله أيام السبي [٢٠]

والمنبر الحسيني عبارة عن قوة معرفية فكرية ، وجدانية روحية لتحريك الناس وتوجيههم الى الخير والفضيلة في حياتهم العملية .

ويُعد المنبر وسيلة خطابية اعلامية لتكوين رأي عام ، ورسالة عالمية لنشر الأهداف ، كالعدل، والحرية ، والسلام ، وهو لسان صادق للتعبير عن ما يمر به المجتمع ، ويمثل الحراك الاجتماعي ، وقد لعب دورا بارزا في تشكيل العقل الجمعي، وصياغة الوعي الاجتماعي وفق منظومة القيم والأخلاق الإسلامية.[٢١]

ان اي بحث علمي لا يتطور في معزل عن متطلبات المجتمع ، وقد توصلت الكثير من الدراسات الى ان المنبر الحسيني لكي يقوم بعمله التربوي الرسالي لابد من ان يلاحظ وجود ثلاثة متغيرات يمكن ان تؤثر في عملية التربية

[٢٢] .

- خصائص مستقبل الرسالة : ان مدى ايصال رسالة معينة يعتمد بشكل كبير على خصائص محددة عند مستقبل الرسالة ، وهذا يؤدي الى مسارين :

الاول : المسار المركزي الذي يركز على النقاش المركزي المتعمق لقضية تربوية معينة .

الثاني : هو المسار السطحي لايصال الرسالة التربوية والذي يركز على الخصائص السطحية للرسالة مثل مدى جاذبية العرض ، ومظاهرها التعزيزية ، وهذا ربما يكون اكثر فاعلية عندما يكون المستقبل لديه رغبة في سماع القضية التربوية التي تطرحها الرسالة ، ومن هنا فمن المفيد في ايصال اي رسالة تربوية ان يتعرف المرسل على مستوى الجمهور المتلقي لرسالته .

- خصائص الرسالة : منها التوازن في تقديم الرسالة وهو توضيح نقاط القوة والضعف في قضية ما ، وهذا يجعل الفرد يستقبل الرسالة
- خصائص المرسل : ومن اهم الخصائص الموثوقية . فالافراد يكونون اكثر ميلا لتقبل رسالة من قبل شخص موثوق به من قبل المتلقي . فالطفل يتقبل الرسالة التربوية اذا قدمت من قبل ابويه او المدرسين ، كذلك تقبل الرسالة الصحية اذا نقلت من قبل طبيب مختص في المجال الذي يتحدث فيه ، وكذلك المنبر الحسيني يمكن تقبل الرسالة من قبل شخص ذي خبرة في مجال عمله ، وله وقع في نفوس الاخرين ، ذلك ان تاثير المحبة والثقة على تغيير الاتجاهات يكون هاما خاصة اذا كان يحاول اقناع افراد باتخاذ موقف يرفضونه اساسا او لا يعيرون له اهمية[٢٣]

أهداف المنبر الحسيني التربوية :

١. تنشئة الإنسان كشخصية انسانية رسالية في الحياة ، وأنموذج أخلاقي قادر على ادراك دوره في الحياة.

٢. ارسال رسالة تربوية تعليمية عالمية لنشر أهداف الانسانية (كالعدل، والحرية، والامن النفسي) .

٣. هدف وجداني من خلال القيام بعملية تربوية تعليمية وجدانية وذلك لتعامله مع شرائح المجتمع كافة عبر خطاب تبليغي ذي تأثير معنوي وجداني ، من خلال تحريك الجانب الوجداني ، وبث روح الوعي والحماس فيهم.

٤. الترابط الحقيقي بين الانسان الحاضر وبين المنهج التربوي للرسول صلى الله عليه واله وسلم [٢٤]

٥. ان لا يكون المنبر الحسيني خاصا بالمسلمين أو الشيعة فقط ، بل هو لعامة الانسانية فخطابه عقلي، سماوي، إنساني، فهو يسهم في بناء الشخصية الإنسانة ، ولا يتقيد بزمان أو مكان، فأيام السنة اكثرها محاضرات وخطب.

٦. اعطاء صورة تربوية متمثلة بشخصية الإمام الحسين عليه السلام ، وتعامله مع الاخرين ، وادراك عمق نهضته، وهو صورة حيّة من صورالتعامل التربوي الإسلامي في جانب من جوانب الحياة ، وكيفية التعامل مع الظلمة والمستبدين .[٢٥]

ثانيا : المنبر الحسيني ودوره الوظيفي في ترسيخ القيم الاخلاقية التربوية

اعتمد المنبر الحسيني على مرتكزات إسلامية أصيلة ، مع التجديد والتطوير في الخطاب التربوي الموجه من خلال الانسجام بين النصوص الدينية والادلة المقرونة بالعلم وربطها بالواقع المعاصر للأمّة ، فلكي يكون الخطاب مؤثر في الشخص المقابل لابد ان يكون مشتملا على الادلة العلمية

وذلك لأنّ أغلبية المتفاعلين مع المنبر الحسيني متعلم ومثقف ، بل إنّ بعض شبابنا قد وصلوا إلى الدراسات العليا في مختلف التخصصات العلمية، وهذا التجديد

مطلوب، من حيث الأسلوب، و المحتوى، لأن ذلك أقدر على استقطاب الأجيال الجديدة والتأثير فيها [٢٦]

من وظائف المنبر الحسيني التربوية هي التربية الاسلامية الانسانية ونبذ الطائفية بين ابناء المسلمين وايضا الانسانية بين مختلف الاديان ، وعدت من الامور المهمة في بناء وتقويم اي مجتمع قائم على اساس مدني ، فعد المنبر الحسيني بان الدين هو علاقة بين الانسان وربه ولذلك ركز على محاور منها :

١. الحث على الطاعة للّه سبحانه ، فالطاعة تمثل العبادة وعلاقة المخلوق مع الخالق لقوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) الفاتحة ٥

٢. الحث على المعاملة الحسنة مع ابناء الجنس البشري ، لقوله تعالى (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند اللّه اتقاكم ان اللّه عليم خبير) الحجرات ١٣ ، فلا تفضيل بين الناس الا بالتقوى والعمل الصالح ، وهذا ما اراده الحسين عليه السلام وقدم من اجله التضحيات [٢٧]

٣. يساعد على اطلاق طاقات الحياة ، في اجيال الشباب والتي تحتاج بعضها الى العمل على تحريرها ، ذلك ان القهر الذي يرزح تحته الانسان العربي وصولا الى اخضاعه وجعله تابعا ومن ثم دفعه الى العجز المتعلم (Helplessness Learned)وهذا يحاول طمس الحياة الوثابة لديه .

وبما ان احد جوانب التربية اشار الى ان المصير يصنع بواسطة تفعيل الطاقات الحية المتوثبة للنماء ولا يفرض بمثابة قدر محتوم ، لذلك ان الوعي بالفاعلية الذاتية ومساعدة اللّه سبحانه للانسان هو المعبر لتفعيل القدرات والامكانات والفرص .

٤. التفكير الايجابي في النظرة الى الذات والمجتمع : والتفكير الايجابي هو مفتاح التوافق النفسي والنجاح في الحياة مؤديا الى الصحة النفسية ، لذلك فهو يعزز العلاقات الاجتماعية الايجابية ويحفزها وهذا لا يعني تجاهل عيوب سلوك الاخرين ، وانما التفتيش عن الايجابي في العلاقات الاجتماعية بحيث تسقط دافعية العدوان وصولا الى تعامل اكثر واقعية فيما بينهم (الكسب الاجتماعي المتبادل المربح)، فكانت تربية المنبر الحسين تحث المرء على ان يكون ايجابيا في نظرته الى ذاته وجماعته المرجعية والمجتمع وتاريخه

٥. تحريك الدافعية الداخلية وتوجيهها : ان الدوافع هي بالاصل ذات اساس بيولوجي ، الا ان الثقافة الاجتماعية لها القدرة على تشكيلها من خلال تنميط السلوك وتجديد اشكاله وكيفياته والياته . وهكذا تخضع المعادلة الذاتية التربوية للاطر الاجتماعية والتاريخية التي ينشا فيها الشخص ، وبالتاي يعود احد مصادر الاختلاف في دوافع الناس ال تركيبة الجماعة المرجعية والمجتمع وظروفه ومؤسساته ومعاييره وقيمه وتوجهاته الماضية والحاضرة وتوزيع ادوار الاشخاص فيه.

وتشكل الظروف التاريخية واحداثها الكبرى من مثل (ثورة الامام الحسين عليه السلام) قوة فاعلة في اعادة ترتيب اولويات الدافعية الداخلية والخارجية للفرد

وعندما نربط قضية المنبر الحسيني نجد انها تشكل الدافعية الخارجية وتحرك الدوافع الداخلية التي ادت الى ان ينسى الشاب متع الحياة وينخرط في المجابهة والعطاء والتضحية من اجل القضية الكبرى وصولا الى بذل حياته ، مشكلا القوة الحيوية الاساسية المحركة لمواجهة القهر الاجتماعي

٦. اسلوبه المتميز في ايصال المعلومة المتنوعة الى الاخرين ، وفق موروث ادبي متنوع علميا شمل في مضمونه : (التفسير، الحديث، الفقه، الأخلاق، الأدب، القصة المعبرة عن الحكمة)

٧. لم يقتصر المنبر الحسيني التربوي على القضايا الدينة والعقائدية بل تطرق الى قضايا ومشكلات ومتطلبات الحياة اليومية وصولا الى كيفية اعطاء الحلول المثلى لمعالجتها [٢٨]

من القيم الاخلاقية التربوية

الاحسان وهو فعل ماهو حسن مع الاجادة في الصنع

وفعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فان الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم .

وتتضمن قيمة الاحسان بكل سلوك الانسان حتى في ذبح الحيوانات ولذلك قال عليه السلام (واذا ذبحتم فاحسنوا الذبيحة وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته) .

وتباينت صور الاحسان لان الله سبحانه كتب الاحسان على كل شي

فالاحسان يدخل في سلوك المؤمن سواء كان متعلقا بحقوق الله سبحانه او بحقوق نفسه ، وقد بين ذلك في كتابه العزيز (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتمى والمسكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا) [٢٩]

٢. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : لا شك أنّ من أعظم الواجبات الانسانية هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛على ان يدرك الشخص المنكر منكرا والمعروف معروفا وفقا للشرع المقدس وبذلك تكون مسالة الاصلاح الاخلاقي ووصولا الى

سلامة المجتمع ، ومواجهة المنكر، الذي يمكن أن يُسهم في إسقاط حياة الناس فكريا وعقديا، معنويا وأمنيا [٣٠]

المطلب الثالث: الخطيب محور حركة المنبر .

يُعد الخطيب محور حركة المنبر، وله دور فاعل في تشكيل عواطف الناس وتعبئتهم نحو قضية معينة او اتجاه معين ، وذلك من أجل الوصول إلى الأهداف التربوية النبيلة التي يوظفها من خلال المنبر الحسيني للارتقاء بالانسانية نحو الكمال ، فيعتبر خير وسيلة لشحن عواطف الأمة ، وتغذيتها بإرادة المقاومة والتحدي أمام الافكار المستبدة الظالمة ، وتعديل الافكار التي تشتبه على الشخص واستغرقت عقله فيهديه الخطيب الى طرق الصواب ويزيل شبهاته باعطائه المفاهيم التربوية الصحيحة ، واعطاء حجة قاطعة للذين اكتسبوا افكار ضالة لابد من مقاومتها ، عبر خطاب فكري تبليغي ذي تأثير معنوي في وجدان وعاطفة الأمة وصولا الى بث روح الوعي والحماس فيها. فقد مزج بين الفكر الواعي المدرك وبين العطاء للانسانية

.لذلك ينبغي ان يكون للخطيب من المؤهلات ما تكفي لأداء هذه المهمة كاملة غير منقوصة ومنها :

١ـ أن يكون ذا ثقافة علمية عامه متنوعة من جهة ومتخصصة في مجال من المجالات من جهة اخرى ، تقوم على ركائز وأسس علمية يعي معلوماته ويدرك ما يقول

٢ـ أن يكون ذا خبرة او مطلعا بعلم الاجتماع ، وعلم النفس ، وعلم الاعلام

٣ـ أن يكون ذا أفق فكري معرفي ، يحلل ما سيقول مستقبل من وجهة نظر المتلقي لا من وجهة نظره هو فقط

٤- أن يكون واعيا بان يمزج بين المعرفة والعاطفة ، وكيف يوظفهما لايصال رسالته الى الجماهير .

٥- أن يكون لديه فن الالقاء بمعنى ، متوفرا على وسائل العرض والتأثير أمثال حسن الصوت، وطلاقة اللسان، وعذوبة المنطق، وفنية الإشارة ومناسبة الهيئة وما شاكلها.[٣١]

الخطاب هوالكلام الذي يتكلم به الفرد والذي يقوم على مبدأ المشاركة والقصد كونه يقضي وجود طرفين (مخاطِب) و(مخاطب) ويدل على توجيه الكلام لمن يفهم الدلالة على الحدث المجرد من الزمن ، وينبغي ان يكون المخاطب (المرسل) فادرا على توصيل المعلومة الى ذهب المخاطب اي (المستقبل) و وقد حدد الامدي ذلك حين عرف الخطاب بانه (اللفظ المتواضع عليه والمقصود بهافهام من هو متهيىء لفهمه) .

وقال تعالى (وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب)

لذلك اللّه سبحانه قد ميز الانسان بالخطاب عن سائر المخلوقات بالادراك وضبط المعنى والتعبير عنه .

ويقسم الخطاب الى انواع منها :

الخطاب التوجيهي : وهو خطاب موجه ومقصود ، وان التوجيه من خلال الخطاب يعد وظيفة ايعازية او ندائية لطلب تحقيق شيء معين ، ولكي تحقق هذه الوظيفة فعلها التوجيهي لابد ان تتوفر لدى المخاطب عوامل منها مكانية في المجتمع ،وان يكون مؤهلا لتوجيه الخطاب .[٣٢]

الخطاب الارشادي : هو الخطاب القائم على التوجيه والوعظ والنصيحة والقاء الحجة على المقابل ، وهذا يعتمد على شخصية المرسل وما يتمتع به من علم ومعرفة .

التوجيه بذكر العواقب : وهذا الاسلوب ياتي به المرسل للتلميح عن قصد معين في التوجيه .[٣٣]

ولكي يؤدي المنبر الحسيني دوره في غرس وتنمية القيم الاخلاقية يجب عليه مراعاة امور منها

١. ان يكون المنبر مركزا للنشاط العلمي الاجتماعي بحيث يفيد الناس و يجيب على تساؤلاتهم .

٢. له دور وظيفي من خلال الارشاد والتوجيه المستمرين من خلال ارشاد الناس الى القيم الاخلاقية لاهل البيت عليهم السلام .

٣. ينبغي ان يتصف المنبر بانه وسيلة اعلام بالغة الاهمية في الحياة الاجتماعية ، وحياة النشئ فهويؤثر بشكل فعال في غرس وتنمية القيم الاخلاقية وتوجيه النشئ التوجيه الصحيح .

٤. التصدي للقيم الاخلاقية الهابطة .

٥. ينبغي ان يعد مبلغين وخطباء متسلحين بالعلم وقادرين على نشر القيم الاخلاقية بحيث يستطيع توصيل رسالته الى أي فرد من افراد المجتمع وان كان من خلال التبليغ الاذاعي (الصوتي والمرئي) او المسموع .

الاستنتاجات :

١. ان التربية الاخلاقية ترتبط بثقافة الامة ، لذلك فصل التربية الاخلاقية عن القيم الاسلامية يجعلها تذوب وتضعف

٢. ان المصدر الاساس للتربية هو القران والسنة الشريفة المطهرة .

٣. ان المنبر الحسيني يمثل التربية الحسينية للمجتمع والتربية الحسينية تعكس تربية الحسين المستمدة من النبي والوصي عليهما السلام والمتجسدة بالقران الكريم في سلوكهما

٤. ان المنبر الحسيني يلغي الطبقات الاجتماعية والفوارق العرقية والتعصب الديني والمستويات الثقافية ، ويبحث عن فطرة الانسان السليمة لتنميتها

٥. تربية المنبر الحسيني للشباب تؤدي الى مشاريع نهضة تنموية انسانية حقيقية لطاقات الشباب وقدرات الابداع لديها ، وصولا الى تنمية الشخصية

التوصيات:

١.تبني وزارة التربية والتعليم العالي دروس في التربية والتربية الاخلاقية في المناهج التعليمية

٢.احتواء المناهج التربوية دروس في القيم الاخلاقية لاسيما القيم الاخلاقية لاهل البيت عليهم السلام .

٣. التزام المؤسسات التربوية في ترسيخ القيم الاخلاقية للناس عبر منافذها الاعلامية المختلفة .

الهوامش:

---

[١] الإمام علي عليه السلام رائد الإصلاح، الصفار، حسن، موقع: www.saffar.org.

[٢] الأصول الفلسفية الاجتماعية للتربية ، السيد عبد القادر شريف :

[٣] سيكولوجية التعلم ، سامي محمد ملحم ، ص٢٦

[٤] الدور الوطني للمرجعية الفضلي صلاح مهدي ، ص ٢٧

[٥] المؤسسة الجامعية واهميتها في غرس القيم التربوية والاخلاقية المستوحاة من النهضة الحسينية الساعدي ، ميثم عبد الكاظم هاشم ، ٢٧٩ ،

[٦] المنجد: البستاني، فؤاد، ص٧٨٥.
[٧] الدور الوطني للمرجعية الفضلي صلاح مهدي ، ،ص٢٨
[٨] محنتا على لسان الشهيد الصدر هادي الخزرجي ، ص ٣٨
[٩] الدور الوطني للمرجعية الدينية الفضلي صلاح مهدي علي ص٤٥
[١٠]، المؤسسة الجامعية واهميتها في غرس القيم التربوية والاخلاقية المستوحاة من النهضة الحسينية الساعدي ، ميثم عبد الكاظم هاشم ٢٧٧
[١١] نعمة عبد الصمد الاسدي ، محمد كاظم الفتلاوي ، مجلة الاصلاح الحسيني ، ١٣٢ ،
[١٢] عوامل التربية للدكتور رشراش عبد الخالق وزميله
[١٣] الأصول الفلسفية الاجتماعية للتربية عبد القادر شريف :
[١٤] لمختصر في علم التربية نظام الدّين إبراهيم أوغلو
nizamettin٩٥٥@hotmail.com
[١٥]، مدخل الى التربية الاسلامية عبد الرحمن صالح عبد اللّه ٥٠
[١٦] القيم التربوية ، بركات احمد لطفي ٣٢
[١٧]، الاصول الثقافية للتربية عفيفي ، محمد الهادي ص٥
[١٨] المؤسسة الجامعية واهميتها في غرس القيم التربوية والاخلاقية المستوحاة من النهضة الحسينية الساعدي ، ميثم عبد الكاظم هاشم ، ٢٨١
[١٩] ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ص٣٨٠.
[٢٠] الشيخ فيصل الكاظمي ://warithanbia.com
[٢١] المنبر الحسيني نبراس الإصلاح أزهار عبد الجبار حسن
[٢٢] الموكب الحسيني تاريخه وأهدافه، الرضي، أحمد، ، ص١٩
[٢٣] علم النفس ، الزق احمد يحيى ، ٢٧٨
[٢٤] الموكب الحسيني تاريخه وأهدافه، الرضي، أحمد، ، ص١٩.
[٢٥] المنبر وأثره في بناء الإنسان الموسوي، السيد كمال الدين : ص٤٦ـ٥٢.
[٢٦] مرتكزات المنبر الحسيني المتميّز: اليوسف، عبد اللّه أحمد، ص ٢١.
[٢٧] دور المراة في الاعداد النفسي وتعزيز العقيدة الاسلامية ايناس الدروغي ، ٤٢٦
[٢٨] دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية: المقدسي، محمد باقر، ص ـ٧١.
[٢٩] القيم الاخلاقية لرعاية حقوق الانسان في ضوء السيرة النبوية ، محمد شيح احمد ،
[٣٠] الموكب الحسيني تاريخه وأهدافه، الرضي، أحمد، ص١٩
[٣١] خصائص الخطبة والخطيب، نذير محمد مكتبي ، ١٤٢٢هـ ،ص٢١

[٣٢]، تداولية الخطاب التوجيهي في خطبة السيدة زينب عليها السلام، الاء محمد لازم ص٢٣

[٣٣] نفس المصدر السابق

المصادر :

القران الكريم

١. أحمد: ابن فارس معجم مقاييس اللغة: ج٥

٢. الاء محمد لازم ، تداولية الخطاب التوجيهي في خطبة السيدة زينب عليها السلام ، كلية التربية ابن رشد

٣. البستاني، فؤاد: المنجد: ص٧٨٥.

٤. بركات احمد لطفي : القيم التربوية ، الرياض دار المريخ للنشر والطباعة

٥. الدروغي ، ايناس، ٢٠١٦ دور المراة في الاعداد النفسي وتعزيز العقيدة الاسلامية ، المؤتمر العلمي النسوي الدولي الاول مؤسسة وارث

٦. حسن ، أزهار عبد الجبار : المنبر الحسيني نبراس الإصلاح.

٧. عبد القادر شريف: الأصول الفلسفية الاجتماعية للتربية ، جامعة القاهرة ، كلية رياض الأطفال، ٢٠٠٥

٨. عبد الرحمن صالح عبد اللّه : مدخل الى التربية الاسلامية ، جامعة اليرموك ١٩٩١، بغداد.

٩. عفيفي ، محمد الهادي : الاصول الثقافية للتربية مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة بدون سنة

١٠. الصفار، حسن، الإمام علي عليه السلام رائد الإصلاح، موقع: www.saffar.org.

١١.

١٢. الرضي، أحمد، الموكب الحسيني تاريخه وأهدافه، مجلة النبأ: العدد ٦٦.

١٣.

١٤.رشراش عبد الخالق وزميله: عوامل التربية ٢٠٠١ م

١٥. الزق احمد يحيى ، علم النفس ، ٢٠٠٥ دار وائل للنشر ، الاردن ،

١٦. سامي محمد ملحم: سيكولوجية التعلم ، ٢٠٠١، دار ١المسيرة عمان

١٧.الساعدي ، ميثم عبد الكاظم هاشم : المؤسسة الجامعية واهميتها في غرس القيم التربوية والاخلاقية المستوحاة من النهضة الحسينية

١٨.السيد كمال الدين المنبر وأثره في بناء الإنسان الموسوي .

١٩.السيد عبد القادر شريف : ٢٠٠٥الأصول الفلسفية الاجتماعية للتربية ، جامعة القاهرة ، كلية رياض الأطفال

٢٠.الشيخ فيصل الكاظمي ١http://warithanbia.com/? idمؤسسة وارث

٢١.الصفار، حسن، الإمام علي عليه السلام رائد الإصلاح، موقع: www.saffar.org.

٢٢.مصطفى حجازي ، ٢٠١٢ اطلاق طاقات الحياة في علم النفس الايجابي مطبعة التنوير لبنان

٢٣.الموسوي، كمال الدين : المنبر وأثره في بناء الإنسان .

٢٤.المقدسي، محمد باقر، دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية

٢٥. الميلاني علي ، المنبر الحسيني وسيلة لاستمرار الآثار وبقائها ،: وكالة نون الخبرية ٦٦٢٠/http://non١٤.net/

٢٦. محمد باقر، دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية: المقدسي .

٢٧. محمد شيح احمد ، القيم الاخلاقية لرعاية حقوق الانسان في ضوء السيرة النبوية ، جامعة افريقيا العالمية السودان

٢٨.الكاظمي ، فيصل مؤسسة وارث /warithanbia.com

٢٩.نظام الدّين إبراهيم أوغلو: ا لمختصر في علم التربية محاضر في جامعة هيتيت / تركيا nizamettin٩٥٥@hotm

٣٠.نعمة عبد الصمد الاسدي ، محمد كاظم الفتلاوي ، ٢٠١٦ مجلة الاصلاح الحسيني ،

٣١. نذير محمد مكتبي، ٢٠٠١ خصائص الخطبة والخطيب، ط٣، ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان

٣٢.اليوسف، عبد اللّه أحمد : مرتكزات المنبر الحسيني المتميّز

٣٣.الفضلي صلاح مهدي علي ، الدور الوطني للمرجعية الدينية ٢٠١١ مؤسسة مرتضى للكتاب العراقي بيروت

٣٤.هادي الخزرجي ، ١٤١٨ محنتا على لسان الشهيد الصدر قم

دور المرجعية في تجديد الخطاب الديني

خطبة الجمعة ليوم ٦ / ٧ / ٢٠١٨ إنموذجا

م.د. جمعة ثجيل الحمداني
جامعة ذي قار / كلية الآداب

ملخص البحث :

ان من متطلبات وتحديات الواقع المعاصر ، ان لاتكون سمته الجمود والانغلاق والانعزالية والتقليد ، بل الحراك والانفتاح والابداع ، وحتى يتمكن الخطاب الديني من تلبية وتحديات الواقع المعاصر ومواجهة قضايا وهموم الافراد والمجتمعات والارتقاء بشخصية وامكانات الافراد ، فلابد من مواكبة هذه التحديات المعاصرة بروح علمية تتلائم مع ما يحدث من تغييرات سريعة في الفكر الانساني ، وبما ان القرآن الكريم يحث على اعمال العقل والتفكر والتدبر في اكثر من الف اية ، فهذا يعني ان ادوات التحررمن الانغلاق والجمود الذي يشوب بعض الخطابات الدينية هي ادوات متوفرة في صميم الدين الاسلامي ودستوره القرآن الكريم .

وحتى يطمئن بعض المشككين في صدق الدعوة الى تجديد الخطاب الديني نقول : ان التجديد في الخطاب الديني ، لايكون في ثوابت واصول الدين والعقيدة ، وانما تطوير لغته ومضمونه والمطالبة باخذ كل ماهو جديد لمواكبة الواقع المعاصر والتغيرات الحادثة والمستجدات المستمرة ، وما يحيط بها من تحديات .

هناك سؤال يؤرقنا جميعا هو : من اين جاءت النظرة السلبية للإسلام ؟ هل اتت من المجتمعات الاخرى ؟ ؛ الجواب : إنما جاءت هذه النظرة من الخطاب الديني ومن روايات لدى طوائف من المسلمين لا تليق بالإسلام ، نقلها جهلة او متزلفون لأعداء الاسلام من الداخل صاروا يتكلمون باسم الاسلام ، ورغم ان الخط المحمدي _ خط اهل

البيت عليهم السلام – اقام الحجة على انحراف هؤلاء الا ان البعض لازال يتخذ من هذه المنقولات الخاطئة ، والمسيئة ذريعة للانتقاص من الاسلام ونسبته الى المصادر الاسلامية .

لهذا نرى ان التفكير في طرح الخطاب الديني بطريقه عقلانية بعيدة عن العواطف والاهواء هي الاسلوب الامثل ، والابتعاد عنه .

اذن خلاصة البحث تدور حول كيفية معالجة الجمود الذي يعاني منه الخطاب الديني وعدم مواكبته للحياة المعاصرة كونه يركز على تقديس النصوص والاشخاص وعدم الخروج من خندق المحلية الى العالمية ، ويقلل كثيرا من قيمة الحياة واعتبار حب الدنيا مذمة ،فقد اوردت المصادر الاسلامية هذا الفكرمن خلال حديث : (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)[٢] ، لهذ فالرجوع الى فكر الامام علي عليه السلام في معالجة هذه القضايا هو الاسلوب الامثل لتجديد الخطاب الديني حتى يكون مواكبا للحضارة الحديثة ولا يتعارض مع الثوابت والعقيدة .

المبحث الاول:ـ تجديد الخطاب الديني واصلاح الانسان.

ان المشكلة الكبيرة التي نعاني منها كمجتمعات اسلامية منذ وفاة الرسول الاكرم صلى الله عليه واله وسلم الى عصرنا الحالي ، هو ان الاعم الاغلب من المسلمين فهموا القران بطريقة كتب التراث الاسلامي ، وهذه بحد ذاتها مشكلة كبيرة . اذ ان هذه المؤلفات وعلى مدى اكثر من الف عام لم تستطع ان توصل الاسلام الحقيقي الذي اراده القران ، والسبب ان الروايات التي ملأت بطون هذه الكتب كان توظيفها سياسيا قبل كل شيء ، فاصبحت بمرور الزمن ونتيجة لتكرارها وترديدها وكأنها امر واقع ومسلم به ، على الرغم من التحريف والتشويه الحاصل في كتب السنن والسير والتاريخ العام . وقد اثرت هذه الظروف

على نوعية وطريقة طرح الخطاب الديني طيلة هذه المدة . لهذا كله فاللجوء الى فكر اهل البيت عليهم السلام هو الاسلوب الامثل للمعالج ، لان الائمة الاطهار عليهم السلام هم امتداد للنبوة ، وهذا يعطينا ضمانات اكيدة بالحصول على صورة واضحة لمفاهيم الدين ، الا ان التشويه كان حاضرا رغم كل مابذلوه عليهم السلام من جهود واستمر الى وقتنا الحاضر .

قال الامام علي (عليه السلام) : ((سلوني قبل ان تفقدوني فو الذي خلق الحية وبرء النسمة لو سألتموني عن اية نزلت في ليل ام في نهار .... ناسخها ومنسوخها ، محكمها ومتشابهها وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم ..)) .[١]

وهذا النص يؤكد ان القرآن وتخصصه المعرفي هو الاولى والارجح في الشروع بعملية الاصلاح المجتمعي ، ومن هذه النقطة فأن الخطاب الديني المعاصر يجب ان يكون متوافقا مع متطلبات الحياة المعاصرة . اذ لم يزل القرآن هو المرجع الاول والمنهل الاساس في بناء مكونات الخطاب الديني ، ويبقى الاصلاح والافساد مرهونا بتلك المعرفة بكتاب الله تعالى وهو ماجعل هذا الخطاب يتفاوت في التأثير في المجتمعات التي يلقى فيها فضلا عن الافراد .

وستكون فكرة البحث معتمدة على نصوص قرانية وروايات لاهل البيت عليهم السلام كونهم يمثلون المدرسة القرانية استنادا لقول المصطفى صلى الله عليه واله وسلم : (اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ...) [٣] للخروج بفكرة البحث .

وبما ان الامامة كانت امتداد للنبوة وحاملة لرسالتها ، كانت المرجعية هي الاخرى تمثل امتدادا للامامة ، وإكمال لثقافتها الاسلامية الصحيحة ، تحاول وتجاهد من اجل تقديم خطاب ديني معتدل يعطي الصورة الحقيقية للاسلام الحنيف .

فقد نبذت المرجعية كل خطاباتها مفاهيم الحقد والكراهية والتعصب والتخندق ، بل ورفضت حتى الافكار الدخيلة على المذهب الامامي التي يروج لها أصحاب العقول الساذجة ، ولم تسكت المرجعية عن بيان الحق .

لهذا طالبت المرجعية من خلال خطابها الديني التنويري والمتجدد بالاصلاح ، وبالتحديد إصلاح الانسان . ففي احدى الخطب الاخيرة لعام ٢٠١٨ أكد سماحة السيد احمد الصافي على أن يكون الخطاب الديني متنوعا في مواضيعه وذلك لمواكبة التطور وثقافة هذا الزمن ، وان لا نتحدث عن مشاكل مضى عليها ألف سنة ، ودعا سماحته الى الابتعاد عن الخرافت والمنامات والامور الشخصية .

وفي الوقت الذي نرى فيه ونسمع يوميا من الخطب الدينية لبعض المذاهب لغة الاقصاء والكراهية ونبذ الاخر المختلف ، فاننا في نفس الوقت نسمع بوضوح كلمات المطالبة بتفعيل لغة التهدئة ونشر المحبة بين الناس وتفعيل لغة الحوار الهادىء من قبل المرجعية الدينية في النجف الاشرف .

لا احد يدعو الى الغاء حالة الاختلاف العقائدي بين السنة والشيعة وانما المطلوب هو الغاء حالة الاستعداء والتكفير والكراهية ، والتي صنعت من حولنا بيئة مناسبة ترعرعت فيها اشواك الكراهية التي نراها في العراق وتحديدا في أشلاء شباب أحداث اعتقدوا إن تفجير انفسهم وسط جمع من الشيعة سيكون شفيعا لهم يوم القيامة ، ومع كل هذه المآسي لم يلاحظ احد ان شيعة العراق يردون على القتل بمثله رغم أن المتفجرات ، وتقنية السيارات المفخخة ، ومسخ العقل يجيدها الشيعي المتعصب مثلما حذق بها السني المتعصب .

ان لغة الحوار الهادىء التي مثلت السياسة الواضحة للمرجعية كانت هي السبب الرئيس في تهدئة الاوضاع في العراق . ولغة الحوار التي نادت بها المرجعية وطبقتها

قولا وفعلا نابعة من صميم الدين الاسلامي الحنيف ، فقد أكد القران الكريم على الحوار الموضوعي الهادىء في العديد من الايات القرانية الكريمة ، قال تعالى : (إدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) [٤] النحل ١٢٥ وقوله تعالى : (ومن احسن قولا ممن دعا الى اللّه وعمل صالحا وقال انني من المسلمين. ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) [٥] فصلت ٣٢ _ ٣٥ ، وقوله تعالى : (ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) [٦] العنكبوت ٤٦ .

ولقد حدثنا القران الكريم في الكثير من الايات الشريفة عن الحوارات التي عقدها الانبياء عليهم السلام مع الاقوام التي بعثوا اليها ، حيث كان تبليغ رسالتهم ودعوة الناس الى الحق انما يقوم اساسا على الحوار الهادىء .

والحوار الهادىء هو اسلوب رسول اللّه صلى اللّه عليه واله وسلم الاول في نشر دعوته في مكة وخارجها . لم تحدثنا كتب السيرة المعتبرة عن موقف متشنج للرسول صلى اللّه عليه واله وسلم تخلى فيه عن الحوار الهادىء أو انه لجأ الى اسلوب اخر مع الناس الذين كان يدعوهم الى الايمان بالتوحيد وبرسالته الخاتمة ، رغم كثرة الاذى الذي تعرض له من قبل قريش من استهزاء وسخرية واتهام ورمي الاوساخ وتسليط الصبيان لرميه بالحجارة وغيرها من الاساليب حتى إنه صلى اللّه عليه واله وسلم قال : (ما اوذي نبي مثلما اوذيت) ، رغم كل ذلك لم يتخل عن الحوار كخط عام واساس في طرح رسالته ودعوة الناس اليها . [٧]

وعلى هذا النهج الثابت سار ابناؤه الائمة عليهم السلام فكان الحوار ومنطق العقل هو الخيار الاول الذي يتبعونه مع الناس ومع خصومهم ومخالفيهم ، وقد عملوا شيعتهم على هذا النهج واعدوا اجيالا من العلماء الذين انتشروا في مختلف الامصار لينشروا فكر اهل البيت عليهم السلام عبر الحوار والمحاججة ، ولم ينتشر التشيع مدى الدهور الا من خلال الحوار العلمي الرصين .

وتتحدث كتب التاريخ عن مناظرات الائمة مع المخالفين والخصوم من المذاهب الاخرى ...ومع الزنادقة والفلاسفة من الاديان واصحاب النحل المختلفة ، وعلى هدى مدرستهم سار تلامذتهم اعلام التشيع الذين ارسوا المدرسة الشامخة لاهل البيت عليهم السلام ولن نقرأ او نسمع في يوم من الايام عن احد تلامذتهم انه رفض الحوار والمحاججة وقدم عليه اسلوبا اخر ، فذلك ليس من اخلاق مدرستهم القرانية التي هي الاسلام الاصيل الذي جاء به الرسول الاكرم صلى اللّه عليه واله وسلم .

ينقل المجلسي [٨] : أن المأمون العباسي جمع للامام الرضا عليه السلام عددا كبيرا من علماء النصارى والمجوس وغيرهم من اهل الملل والنحل لمناظرته وللدخول معهم في حوار مفتوح ، وقد ناظرهم الامام عليه السلام مناظرة حرة قدم فيها فكر الاسلام ودحض عقائدهم ومقالاتهم .

وينقل عن أحد الملحدين أنه قال للمفضل بن عمر[٩] بعد ان رأى منه حدّة في الكلام : (يا هذا إن كنت من أهل الكلام كلمناك . فإن ثبتت لك حجة تبعناك ، وإن لم تكن منهم فلا كلام لك ، وإن كنت من أصحاب جعفر بن محمد فما كان هكذا يخاطبنا ، ولا بمثل دليلك يجادل فينا ، ولقد سمع من كلامنا أكثر مما سمعت . فما أفحش في خطابنا ، ولا تعدى في جوابنا ، وأنه الحليم الرزين ، العاقل الرصين ، لا يعتريه خرق ولا طيش ولا نزق . يسمع كلامنا ويصغي الينا

، ويستعرف حجتنا ، حتى اذا استفرغنا ما عندنا وظننا اننا قطعناه ، أدحض حجتنا في كلام يسير وخطاب قصير يلزمنا به الحجة ، ويقطع العذر ولا نستطع لجوابه ردا ، فإن كنت من اصحابه فخاطبنا بمثل خطابه)

هكذا كان الائمة عليهم السلام في قضايا الفكر حتى مع الزنادقة والملحدين يتحاورون بالاسلوب الهادىء والحجة القاطعة التي ينتصرون فيها لعقيدتهم ، وقد اثرت منهجيتهم في الحوار في نفوس الملحدين والاعداء .

ان من يمتلك القوة في فكره والثقة في نفسه لا يخشى الحوار العلمي ، بل يرحب به ويدعو اليه ، اما الذي لايملك هذه المواصات فتراه يتهرب من الحوار ويلجأ الى الاساليب التشهيرية وطرق الاتهام والسب والشتم ، بل وحتى العنف عندما يواجه الفشل والهزيمة .

وعلى طول التاريخ الشيعي يلاحظ أن الحوار هو السمة البارزة لهذا التراث العملاق ، وإن الحوزات الشيعية الرائدة في بغداد والحلة وكربلاء والنجف كانت تنمو وتتطور وتؤسس النظريات الكبيرة في مختلف المجالات من خلال ظاهرة الحوار والنقاش والمباحثة العلمية . ولعل هذا ابرز ما يميز حوزات الشيعة ومدارسهم الدينية من غيرهم ، وهو موضع فخر واعتزاز وشموخ الشيعة على مدى الدهور .١٠

إن حركة المرجعية الدينية في صعيد الواقع التاريخي والواقع المعاصر وخصوصا فيما يتعلق بالخطاب الديني وتجديده وتطويره ودفاعه عن الدين تجاه التيارات المنحرفة والالحادية قد نشأ من مدرسة اهل البيت عليهم السلام والمتمثلة بخط الامامة . حيث جعلت هذا الخط طريقها للوصول الى المنابع الاسلامية الحقة في مضمونها الفكري الذي يغذي الذهن بالاسلام أصولا وفروعا ومنهجا . او في مضمونها الحركي الذي يدفع بالاسلام الى صعيد الواقع .

وكشاهد على ذلك : التساؤلات الكثيرة التي وردت في خطبة الجمعة الاولى التي ألقاها السيد احمد الصافي من على منبر الصحن الحسيني الشريف المقدس بتاريخ ٢١شوال الموافق ٦ تموز من عام ٢٠١٨ وهي افكار وملاحظات ترقى بالجانب الاخلاقي للفرد المسلم الى درجة محاسبة النفس اولا قبل محاسبة الاخرين ، وهذا يعد جانب اخلاقي مهم وكبير في فكر المرجعية الرشيدة . وقد وردت هذه الملاحظات من قبل المرجعية وجاءت في معرض الحديث عن الخطر الذي يهدد المنظومة الاخلاقية للمجتمع .

فالقضية التي تناولتها الخطبة هي قضية مجتمع بأسره بدأت قيمه الاخلاقية تتجه اتجاها آخر مخالفا لما نشأت عليه الاجيال السابقة وبمفاصل عدة من مفاصل حياته مما ينذر بوجود خطر الانهيار الذي سيجعل من الممارسات الحالية التي تم تشخيص بعضها وتم ذكره في الخطبة سيجعلها بديلا للقيم الاصيلة .

وعندما تتحدث المرجعية فانها تستعين بتراث اهل البيت عليهم السلام الاخلاقي والمعرفي ي جميع شؤون الحياة ، وتراث اهل البيت عليهم السلام تراث غني بالعلم والمعرفة والاخلاق والرحمة ، وهو تراث مفتوح لكل من يريد أن يغترف منه ، فعندما نقرأ الصحية السجادية يتبادر الى أذهاننا وكأن الامام السجاد عليه السلام هو معنا و يحدثنا ويوجهنا وذلك لما في هذه الصحيفة من صدق المشاعر ونبل الاخلاق . لذا يجب ان لا نتعامل مع الدعاء كدعاء لفظي فقط يأخذ من وقتنا ثلاثين دقيقة ثم نغادر ونعود الى ما كنا عليه ، علينا ان نعرف لماذا ندعو ، وما هو منهج الامام عليه السلام ي هذه الادعية ؟

وفي ضوء ماتقدم نسأل : ماهي مقدرة كل منا في ان يستفد من هذا التراث العظيم ؟ فالشائع عندنا مثلا : إن الناس معظمهاان لم يكن جميعها تصلي ، لكن هناك

تفاوت في حسن إقامة الصلاة ، وهذا ينطبق ايضا على معرفة الناس بعلوم اهل البيت عليهم السلام.

فمن المبادىء العامة لعلوم اهل البيت عليهم السلام في جانبهاالاخلاقي هو الشكر للنعم التي وهبنا اياها الخالق عزوجل ، وصفة الشكر للتعم والمواقف لا يجيدها اي انسان رغم بساطتها وسهولتها ، مع ان معانيها عظيمة جدا ، لذا نجد ان القران الكريم يقول بهذا الخصوص : (لئن شكرتم لازيدنكم) ١١ اي ان النعم لايمكن لها ان تستمر وتدوم الا بالشكر ، ومنها قول الامام الجواد عليه السلام : (نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر) ١٢.

اذن من جملة المنظومة الاخلاقية التي تسير عليها المرجعية الدينية في خطابها الديني ان يكون العبد شكورا ، ليس الغايةان يقول الشكر لله ، رغم انها عبارة بليغة وتؤكد الشكر ظاهريا ، لكن الشكر الحقيقي هو ان يتحول هذا الشكر الى ثقافة سلوك للانسان ، لان الانسان عندما يكون شاكرا لابد ان يستحضر النعم الكبيرة ، وهذا امر غير مقدور عليه ، لان نعم الله لاتعد ولا تحصى ، بل ان الشكر نفسه هو من النعم . يقول الامام زين العابدين في مناجاة الشاكرين : (... الهي تصاغر عند تعاظم آلائك شكري وتضائل في جنب اكرامك إياي ثنائي ونشري ، جللتني نعمك من انوار الايمان حللا ، وضربت علي لطائف برك من العز كللا ، وقلدتني مننك قلائد لا تحل ، وطوقتني أطواقا لاتفل ، فآلاؤك جمة ضعف لساني عن إحصائها ، ونعمائك كثيرة قصر فهمي عن ادراكها ، فضلا عن استقصائها ، فكيف لي بتحصيل الشكر وشكري إياك يفتقر الى شكر ، فكلما قلت لك الحمد وجب وجب لذلك أن أقول لك الحمد ..... يا عظيم يا كريم يا ارحم الراحمين) . ١٣

وقد كان الخطاب الديني عند المرجعية يحمل دائما صفة التجديد من خلال حث الانسان على هذه الثقافة التي تولد بدورها حالة الاطمئنان والسكينة .

وقد كانت المرجعية الدينية ولازالت تؤكد في خطبها العديدة على ان الانسان يجب ان يتحمل المسؤولية الكبرى في تهذيب نفسه وان يجد من نفسه هو واعظا عليها ، وهذا الخطاب بحد ذاته يرفع من قيمة الانسان الى درجة كبيرة ، وهو تجسيد للحديث الشريف : (كفى بالشيب واعظا) ١٤.وهذا المحتوى ورد خطبة الجمعة بتاريخ ٧/٦ / ٢٠١٨ في الصحن الحسيني الشريف المقدس. فالخطبة اذن اكدت على ان قيمة الانسان قيمة عليا لاندانيها اي قيمة . فالانسان عليه ان يكون شاكرا ماذا يعني ؟ يعني ان عنده نعم كثيرة وعليه ان يحافظ عليها ، ان لايبذر ، ان لايسرف ، ويقول : الحمد لله . وهذا الخطاب الذي تسير عليه المرجعية يزيل في معظم الاحيان اللبس الحاصل من عدم التوازن لدى بعض الناس والناشىء من عملية سوء الفهم . حيث ان البعض يجادلك بجهل ولساعات طويلة وهو لايفهم مايطرح من فكر ولا تفهم منه من الموضوع المطروح شيئا .

وفي معظم المناسبات نرى بوضوح ان المرجعية تؤكد على ان الانسان يحتل الصدارة والاولوية في تفكيرها وفي خطاباتها ، فهي تؤكد دائما ان افضل المشاريع التي يجب ان يناضل الجميع من اجلها هي المشاريع التي تحقق اكبر المنافع الاجتماعية ، وهذه هي الغاية الكبرى من كل المشاريع ، بل انها اكدت وركزت ولمرات عديدة في خطب الجمعة وفي مناسباتها وخطاباتها الدينية ان الانسان هو الغاية ، وان افضل المشاريع هي التي تتعلق ببناء الانسان ، فالمشروع الذي يربي الانسان ويصنعه هو ما تصبو اليه الخطابات الدينية للمرجعية ، فقد قال السيد احمد الصافي في خطبة الجمعة الثانية ليوم ٦ / ٧ / ٢٠١٨ : (ان افضل مشروع هو

مشروع بناء الانسان ، لان عائدية هذا المشروع وفوائده لا تتحدد بجهة معينة ، ولا لفترة معينة وانما يبقى دائما مادام الكلام يتعلق بالانسان وتطوير قابلياته ، فلا شك ان شرافة هذا المشروع سيكون أشرف المشاريع) . وهذا في حقيقة الامر هو نهج قرآني لقوله تعالى : (ولقد كرمنا بني آدم) ١٥.

وقد وضع السيد احمد الصافي ي خطبته هذه عدة تساؤلات حددت نوع واصل المشكلة . وهذه التساؤلات هي :

١ _ من هي الجهات التي تتكفل بناء الانسان ؟ هل الدولة بعنوانها العام ، هل المؤسسات الاخرى ؟ هل الاسرة ؟

٢ _ لماذا هناك حالة عدم اكتراث ببناء الانسان ؟

٣ _ هل القاء اللوم على السياسيين كاف لحل المشكلة ومعرفة اسبابها؟

٤ _ ما هو دورنا كمواطنين ، بغض النظر عن اداء الدولة وقصرها الواضح في هذا المجال ؟

٥ _ هناك فوضى في بعض الحالات فمن المسؤول عن هذه الفوضى وعن بدايتها ؟

هذه تساؤلات رغم ان الاجابة عليها يحتاج دقة وعمق في الطرح لانها مشكلة كبيرة ومحزنة ، الا انها تمثل حرقة المرجعية على اهمية بناء الانسان وقيمته فطرحت هذه التساؤلات ثم اجابت عليها المرجعية : بان الكل مسؤول مادمنا مواطنين نحب بلدنا ونريد مصلحته و نحب ابنائه ونعيش في هذه الرقعة الجغرافية التي اسمها العراق ، لان من حقنا ان نبحث عن جميع الوسائل التي تطور المواطن وتطور الانسان.

فالخطباء يتحدثون :لا تغش ، لا تكذب ، لاتفعل كذا وكذا ، لكن وبلا شك ان هذا الخطاب هو غير كاف ، فلابد اذن من خلق أجواء ترفع من مستوى وكفاءة

الانسان . هذه الاجواء من المسؤول عنها ؟ الجواب الجميع مسؤولون عنها لقوله صلى الله عليه واله وسلم : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) ١٦.

وكشواهد على ما ذكرنا : هناك قضايا حياتية بسيطة ، لكن للاسف عندما ننظر اليها نتأثر كثيرا حد الحزن احيانا ، مثلا : شرطي المرور عندما يطبق القانون فهذا يجب ان يكون شيء مفرح ، لكن الذي يحصل ان هذا الشرطي عندما يطبق القانون بحق شخص مخالف فانه يحصل على تهديد من قبل هذا المخالف ، والتهديد يحصل عن طريق العشيرة ، يقول هذا المخالف للشرطي الذي طبق القانون عليه : سأذهب بك الى عشيرتي ! فهل يعقل هذا ؟ في اي زمن نعيش ، وفي اي فوضى نحن غارقون ولانشعر بذلك ؟ ما هو دخل العشيرة بتطبيق القانون ؟ ويبقى شرطي المرور خائف لانه مهدد من العشيرة . في اي مرتبة من الامم نضع انفسنا ؟ كيف وصلنا الى هذه الدرجة ؟ وهناك عشرات الامثلة من هذا النوع من القضايا المخالفة ليس للقانون فحسب ، بل للاخلاق كذلك . حيث ان بعض القضايا تصل الى حالة سفك الدماء من اجل قضايا تافهة .

اما التعليم فقد أخذ نصيبه هو الاخر من الانحدار والتراجع ليس فقط في الجانب العلمي وانما حتى في سلوك الطلبة مع اساتذتهم ، فالمعلم الذي كانت له هيبة كبيرة اصبح الان لايحظى بالاحترام ليس من الناس وانما من قبل طلبته ، والمشكلة الاكبران هناك حالات معاكسة اي ليس فقط الطالب هو من يسيءالى العملية التعليمية ، وانما هناك معلمين لايكترثون بمهنتهم الانسانية ، فترى البعض منهم لايحترم المادة المنهجية بل ولايحترم حتى واجبه والتزامه اليومي ، اضافة الى قلة ثقافته .

فالمشكلة الانسانية في العراق كبيرة جدا ، غير اننا لا نحس بهولها لانها تاتينا بالتدريج فيصبح الامر عندنا عاديا والا فهي مشكلة ماساوية ، والا هل يعقل ان خريج الكلية ينخرج ويعطى شهادة البكالوريوس وهو لا يحسن الكتابة ! فمن الذي اوصلنا الى هذا ؟ ومن ىالمسؤول ؟ الدولة ام المجتمع ام الاسرة ام المؤسسة التعليمية ؟ الجواب : الجميع مشتركين في صنع هذه الماساة .

لهذا فعلى الجميع ان يتكاتف لمواجهة وايقاف هذا النزيف الاخلاقي ، لان الاستمرار يعني ان الانهيار لكل المنظومة الاخلاقية قادم لا محال .

بهذه الحرأة خاطبت المرجعية جميع الناس لان هدفها الاصلاح ، ولانها تريد ان تعالج لذلك شخصت العلة وطرحتها دون مجاملة ، لان الدواء لاينفع ما لم يشخص الداء . فالخطب والمواعظ لا تحل الاشكال . المطلوب اجراءات قوية واصلاحات جذرية لحل المشكلة .

فالقضية التي تناولتها الخطبة يوم ٦/ ٧ / ٢٠١٨ ، هي قضية مجتمع بأسره بدأت قيمه الاخلاقية تتجه اتجاها آخر لما نشأت عليه الاجيال السابقة وبمفاصل عدة من مفاصل حياته مما ينذر بوجود خطر الانهيار الذي سيجعل من الممارسات الحالية التي تم تشخيص بعضها وتم ذكره في الخطبة سيجعلها بديلا للقيم الاصيلة .

ولذلك كانت نبرة التحذير واضحة جدا في هذه الخطبة المهمة وهو تحذير شديد من تصدع وانهيار المنظومة الاخلاقية للمجتمع ، وانها مهددة و يجب تداركها ، وان هذا المجنمع هو بالاصل مجتمع محافظ ، فلماذا هذا التساهل في كل شيء ؟

وهكذا تطرح المرجعية بكل جرأة دورها في بناء الانسان من خلال تجديد الافكار ، ورفض الحلول الكلاسيكية البالية التي تعتمد الموعظة فقط .

المبحث الثاني : الاعتدال والقراءة الواعية للنصوص في خطاب المرجعية الديني .

مع وجود قوله تعالى : (يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا) ١٧ . ومع وجود الكثير من الاحاديث النبوية مثل قوله صلى الله عليه واله وسلم : (من قال لاخيه ياكافر، فقد باء بها احدهما) ١٨ .

ومع وجود الكثير من الموروثات القيمية التي تحث على الرحمة والقبول ، يكاد المرء أن يصاب بالدهشة من كبر حجم ظاهرة التكفير التي غزت عقول الكثير من المسلمين بسهولة ويسر ، لانه لا يمكن لعقيدة مثل (عقيدة التكفير) بشكلها الوحشي المعروف وبكل ما تحمله من سطحية وتحد لطبيعة الانسان السوية ، أن تولد في مجتمع عقائدي ، يؤمن بدين قد يكون من اكثر الاديان السماوية اعتقادا بالنهي عن تكفير الاخر ، وبثقافة التسامح والقبول بالاخر ، مثل دين الاسلام السمح الرحيم . ١٩

ومع كل ذلك فقد إعتادت معظم الخطابات الدينية عند اكثر المذاهب الاسلامية خاصة بعد سقوط النظام الصدامي استخدام لغة التكفير والاقصاء للمخالفين لهم في العقيدة ، مما تسبب في وقوع الكثير من الازمات الامنية الخطرة وصلت الى حد القتل على الهوية ، واشتد الصراع الطائفي بطريقة لم يسبق لها مثيل في المنطقة . وعملت هذه الخطابات على تكريس الفرقة والانقسام وتعميق هوة الخلافات الطائفية بين المسلمين ، وتصاعدت الصراعات السياسية في المنطقة واشتد النزاع على السلطة والنفوذ فيها ، واستخدمت كل اساليب الدس و البهتان لتحقيق مايصبو اليه البعض من الاساءة الى مذهب معين والتنقيص من حقوق اتباعه

وتخويف الاخرين منه . ومقابل كل هذا كان السيد السيستاني يوصي أتباعه ومقلديه في التعامل مع اخوانهم من أهل السنة بالمحبة والاحترام ، مؤكدا حرمة دم كل مسلم سنيا كان ام شيعيا وحرمة عرضه وماله والتبرؤ من كل من يسفك دما حراما ايا كان صاحبه . ٢٠

يقول جمال خاشقجي :(يجب ان نعترف ان قدرا من التعصب ضد الشيعة قد استقر مزعومة نلوكها ونكررها في مجالسنا وكأن الشيعة قد أتوا من كوكب آخر ، وليسوا مواطنين يجاورونا الحي او المدينة).

ويستمر خاشقجي بالقول : (يجب ان نعترف أن هناك ما يمكن وصفه (بحالة العداء للشيعة) تؤدي الى الكراهية والطرد والاقصاء بل وحتى القتل ... وكان اخرها اختطاف وقتل ٥٠ شيعيا ألقي بهم على ضفاف دجلة _ يتحدث عن احداث عام ٢٠١١ _ ، ولكن في العراق كان هناك من منع رد الكراهية بكراهية مماثلة ، والدم بدم مثله ، إنه السيستاني ، أفلا يستحق إذن تكريما من أهل العقل والحكمة ؟) ٢١ هذا الكلام صدر من كاتب ليس من ابناء الشيعة الامامية ، فهو يمثل ابناء السنة بل ومن المجتمع السعودي المعروف بتشدده ، وهذا دليل على ان السيد السيستاني شخصية معتدلة في خطابها كون الرأي بعدالته جاء من غير اتباعه .

تمتلك المرجعية الدينية قدرة واسعة على التعامل مع التراث الاسلامي بطريقة علمية ترقى الى اعلى المستويات من التحليل والنقد والتمحيص للاحاديث والروايات التي خلقت لنا فرقا ومذاهب شتى ، كون معظم هذه الروايات كتبها اتباع المنافع الضيقة من السلاطين وغيرهم . فكتب التراث الاسلامي مليئة بالاف الروايات التي لاعلاقة لها بالدين ، فالدين الذي جاء به الخالق لاعطاء قيمة عليا

للانسان وجاء ايضا لحفظ كرامة الانسان ، نجد في هذه الكتب احاديث وروايات تحث على الكراهية والتكفير وصلت حد القتل ، وكل هذا حصل للاسف الشديد بسبب الاختلاف بين المسلمين بعد وفاة نبيهم الاكرم صلى الله عليه واله وسلم .

يخبرنا القران الكريم أن هناك سنة ازلية سارت عليها كل الامم في كل مكان وزمان تتمثل في ان الناس بعد رسولهم يتخلون عن دين الله شيئا فشيئا ويتحولون تشريعات بشرية فرضها رجال دينهم . قال تعالى : (كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) ٢٢.

والمسلمون _ كغيرهم _ لابد ان يمروا بالسنة التي مرت بها الامم غيرهم من ابتعاد عن الدين الى تشريعات بشرية وظنون ، والتمسك بها على انها الحق . وهذا ما حصل لبعض الفرق والمذاهب الاسلامية . فتراهم متمسكين بكتب التراث التي كتبها البشر و التي تحوي الكثير من هذه الشوائب التي تسيء الى الدين وانتعشت خطاباتهم الدينية بها . وابتعدوا كثيرا عن اللجوء الى القران الكريم كلام الخالق الذي لا شائبة فيه .

ولان المرجعية الرشيدة هي امتداد للامامة مثلما الامامة امتداد للنبوة ، فانها اعتمدت عرض الروايات على القران كما اوصى المصطفى صلى الله عليه واله وسلم وال بيته الاطهار عليهم السلام . وبهذا نستخلص الروايات الصحيحة من غير

الصحيحة ، والا ، لا يعقل ان الرسول صلى اللّه عليه واله وسلم الذي جاء رحمة للعالمين يوصي بالكراهية والقساوة ونبذ الاخروالقتل .

ان مرويات اهل البيت عليهم السلام التي تعتمدها المرجعية في خطاباتها ذات قيمة علمية وتاريخية كبيرة ومهمة ، لسلامة سندها ولمعاصرة الامام علي عليه السلام والامامين الحسن والحسين عليهم السلام لرسول اللّه صلى اللّه عليه واله وسلم ، ومن هؤلاء وصلت اخبار سيرته وسنته صلى اللّه عليه واله وسلم . ويشير الامام الصادق عليه السلام الى صدق هذا الامر حين قال : (حديثي حديث ابي وحديث ابي حديث جدي وحديث جدي حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث امير المؤمنين وحديث امير المؤمنين عليهم السلام حديث رسول اللّه صلى اللّه عليه واله وحديث رسول اللهصلى اللّه عليه واله وسلم قول اللّه عزوجل) . ٢٣

وقد اكدت المرجعية في توصياتهاعلى مبدأ مهم جدا وهو الاستشهاد بالايات القرانية ، واعتمدت كذلك على قاعدة عرض النصوص على القران وسنة نبيه صلى اللّه عليه واله وسلم في قراءة الاحداث التاريخية والشريعة والفقه . وتعد هذه القاعدة من أهم القواعد الاساسية عند المرجعية في خطابها الديني ، لان كتاب اللّه : (لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) ٢٤ ، ولذلك فأن اهل البيت عليهم السلام يصرون على ضرورة عدم مخالفة الحديث للقران ، فاذا خالفه طرح مطلقا ، وهذا مسلك عظيم وقاعدة قوية ، يجب العمل بها ويجب ان يحتكم اليها الصحاح جميعا ، ولم تأت هذه القاعدة من فراغ ، بل ان رسول اللّه صلى اللّه عليه واله وسلم هو الذي أرساها . فقد ورد عن الامام الصادق عن ابيه عليهم السلام قوله : (قرأت في كتاب لعلي عليه السلام ان رسول اللّه صلى اللّه

عليه واله وسلم قال : إنه سيكذب علي كما كذب على من كان قبلي ، فما جاءكم عني من حديث وافق كتاب اللّه فهم حديثي ، وما خالف كتاب اللّه فليس من حديثي) ٢٥. فاستند اليه اهل البيت عليهم السلام وعملوا على تطبيقه وألزموا اتباعهم التنفيذ الحرفي له ، واستندت اليه كذلك المرجعية في كل خطاباتها .

اما الامر الثاني الذي ركزت عليه المرجعية في تجديد خطابها الديني فهو دعوتها في احدى خطب الجمعة الاخيرة الى كل خطباء المنابر بأن يكون لديهم علم بالمرويات ، فالمعروف عن الرواية الاسلامية انها كتبت من طرق شتى ، وان الراوية في مؤلفاتنا الاسلامية تعرضت للتزوير والتحريف والتضليل والوضع ، وامام هذا الكم الهائل من المشاكل في الرواية فعلى الخطيب الذي يعتلي المنبر الحسيني ان يكون ذو دراية وعلم بهذه المرويات ، فالكثير من الروايات الاسلامية وظفت افكارها لخدمة الحاكم ومعاونيه ولخدمة المتنفذين ، وروايات اخرى وظفت ووضعت لخدمة مذهب معين ، واخرى تحمل في محتواها افكارا يهودية واسرائيلية ، وكان للتعصب القبلي حصته في كتابة الرواية ، لهذا فعلى الخطيب ان يكون واعيا لهذا الامر ، ففي حال لو مرت عليه الرواية دون دراستها ومعرفة اغراضها ومن ثم يعرضها على المنبر ويحدث بها فان تمثل انحراف في الافكار لان بعض الروايات المدسوسة ظاهرها المدح وباطنها السم . وهذا ما حذرت منه المرجعية الرشيدة .

وكمثال على ذلك فقد نقلت المؤلفات الاسلامية حديثا مدسوسا ومنسوبا للرسول الاكرم صلى اللّه عليه واله وسلم حين يسمعه الانسان العادي من الخطيب يعجب به لان ظاهره مدحا للرسول صلى اللّه عليه واله وسلم وباطنه هو الاساءة له . يقول الحديث : (قال رسول اللّه صلى اللّه عليه واله وسلم في ايامه الاخيرة : ايها الناس من

جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليقتص مني ، ومن اخذت منه مالا فهذا مالي فلياخذ منه ، ومن شتمته فليشتمني وليقتص مني ...) ٢٦. وهذا الحديث مكذوب لان رسول اللّه الذي قال عنه القران الكريم : (وانك لعلى خلق عظيم)٢٧ لايمكن ان يضرب الناس ويجلد ظهورهم وياخذ اموالهم ويشتمهم دون وجه حق ، حيث ان الحديث ينقل اعترافا مبطنا من قبل الرسول صلى اللّه عليه واله _ حاشاه _ انه عمل هذه الممارسات دون وجه حق والا لما كان اعتذر منهم ودعاهم الى الاقتصاص منه . وعند تحليل الروايات والاحاديث الموجودة في كتب التراث الاسلامي نجد ان هذا الحديث زور من قبل وعاظ السلاطين لتبرير عمل الحكام وتعذيبهم للناس ولكي يكون قبالة الحديث الاخر الذي وضعوه على لسان رسول اللّه صلى اللّه عليه واله وسلم ايضا وهو : (قال رسول اللّه صلى اللّه عليه واله وسلم : اسمع واطع للامير وان جلد ظهرك واخذ مالك ... اسمع واطع) . وكلها احاديث واضحة فيها رائحة السياسة وخدمة الحكام ، والا فلا يعقل ان الرسول صلى اللّه عليه واله وسلم ان يناقض نفسه ويقول : (من رأى منكم سلطانا جائرا مستحلا لحرام اللّه ومحرما لحلاله ... ولم تخرج عليه كان على اللّه ان يخرجه مخرجه) ٢٩.

هذا الوعي يجب ان يتوفر عند الخطيب الذي يستمع اليه الملايين من الناس يوميا ، واستمرت توجيهات المرجعية واكدت على امر اخر وهو دعوة الخطباء بأن يختاروا النصوص التي تجذب جميع الشعوب في اشارة الى ان هناك نصوص في موروثنا الاسلامي تلغي الاخر وتحتقره وتذمه وتدعو الى مقاطعته .

كما اكدت المرجعية على الترفع عن الخلافات و عدم الاعتداء على الاديان الاخرى ، وطالبت الخطيب ا ن ياتي بالحلول عندما يطرح مشكلة لا الاكتفاء

بالنقد غير المبرر وغير المنطقي فقط ، فهذه الحالة اصبحت منبوذة وقديمة لايستمع اليها الكثيرون ، بل هي غير جاذبة لهم في معظم الاحيان .

لقد تميز المذهب الامامي وعلى مر التاريخ بخطاب معتدل حيال الاخرين ، وهذه احدى الميزات المهمة الاساسية لهذا المذهب ، وهذا الاعتدال كان ولا يزال متمثلا بخط الامامة ، ومن ثم خط المرجعية الذي هو امتداد للامامة .

وكانت المرجعية ولا زالت تتحمل مسؤوليتها الاخلاقية والدينية من الفكر المحمدي الصحيح ، لهذا فان خطابها الديني يحمل بعدان واضحان وهما الابرز والاهم في حياة المسلم ، وهذان البعدان هما البعد العقائدي والبعد السياسي ، والذين اقتبستهما المرجعية من نور السراج المحمدي الاصيل . فالرسول صلى اللّه عليه واله وسلم كان رجل دين ودولة ، فمزج بين هذين البعدين وقاد دولة عظيمة في فترة قياسية بعد ان كانت قبائل العرب لاتعرف اي معنى للوطن والدولة . وعلى اساس هذا النور المحمدي تصدت المرجعية لحل معظم الامور المستعصية والقضايا الحالكة.

الهوامش :

١ _ الصدوق ، التوحيد ، ص ٣٠٥ ؛ المفيد ، الارشاد ، ج ١ ، ص ٣٥ ؛ الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص ١١٨ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ج١٠ ، ١١٨ .

٢ _ احمد بن حنبل ، مسند احمد ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ ؛ مسلم النيسابوري ، صحيح مسلم ، ج ٨ ، ص٢١٠ ؛ الترمذي ، سنن الترمذي ، ج ٣ ، ص ٣٨٤ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ج٣ ، ص ٦٠٤ .

٣ _ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج ٤٢ ، ص ٢١٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٢ ، ص١٢ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٩ ، ص ٣٦٥ .

٤ _ النحل ، ١٢٥ .

٥ _ فصلت ، ٣٢ _ ٣٥ .

٦ _ العنكبوت ، ٤٦ .

٧ _ ابن شهر أشوب ، مناقب آل ابي طالب ، ج ٢ ، ص ٤٢ ؛ ابن خليكان ، وفيات الاعيان ، ج ٥ ، ص ١٨٦ ؛ ابي حيان الاندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ج ٧ ، ص ٢٤٢ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٤١ ، ص٣٣٣ .

٨ ، المجلسي ، بحار الانوار، ج٣ ، ص ٥٨ .

٩ _ المفضل بن عمر الجعفي ابو عبد الله من اصحاب الامام الصادق والكاظم عليهما السلام . ينظر : الشاهرودي ، مستدركات علم رجال الحديث ، ج٣ ، ص ٤١٨.

١٠ _ الشامي ، المرجعية الدينية من الذات الى المؤسسة ، ص ٢٧ و٢٨ .

١١ _ ابراهيم ، ٧ .

١٢ _ المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٦٨ ، ص٥٣ .

١٣ _ الامام زين العابدين (ع) ، الصحيفة السجادية ، ص ٤٠٩ .

١٤ _ العجلوني ، كشف الخفاء ، ج٢ ، ص١١٢ .

١٥ _ الاسراء ، ٧٠

١٦ _ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج ٦ ، ص ٣٠ .

١٧ _ النساء ، ٩٤.

١٨ _ ابن عبد البر ، التمهيد ، ج٧ ، ص ١٣ .

١٩ _ الطائي ، أثر التكفير ، ص ١٤ .

٢٠ _ الفاضلي ، الامام السيستاني امة في رجل ، ص ٢٥٤.

٢١ _ المصدر نفسه ، ص ٢٦٧ .

٢٢ _ البقرة ، ٢١٣ .

٢٣ _ المفيد ، الارشاد ، ج٢ ، ص ١٨٦ .

٢٤ _ فصلت ، ٤٢ .

٢٥ _ المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ .

٢٦ _ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج ٩ ، ص ٢٦ .

٢٧ _ القلم ، ٤ .

٢٨ _ احمد بن حنبل ، مسند احمد ، ج ٣ ، ص ١٧١ .

٢٩ _ ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ، ص ٤٨ .

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم .

اولا : المصادر الاولية.

ابن الأثير ، أبو الحسن عز الدين بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

(١) الكامل في التاريخ ، (دار صادر، بيروت، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م)

احمد بن حنبل ، (٢٤١ هـ / ٨٥٢م)

(٢) مسند احمد ، (دار صادر ، بيروت ، د . ت)

الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)

(٣) السنن الكبرى ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، ط٢ ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) .

ابن حبان الأندلسي ، أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (ت٧٤٥هـ/١٣٤٤م)

(٤) تفسير البحر المحيط ، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود وعلي بن محمد معوض ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

الذهبي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)

(٥) سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد ، ط٩ ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

(٦) تاريخ الاسلام ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، ط١ ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م) .

الامام زين العابدين عليه السلام (ت ٩٥هـ/ ٧١٧م)

(٧) الصحيفة السجادية تحقيق : محمد باقر الابطحي الاصفهاني ، ط١ ، (مؤسسة الانصاريان، قم، ١٤١١هـ)

ابن شهراشوب ، محمد علي المازندراني (ت٥٨٨هـ/١١٩١م)

(٨) مناقب ال ابي طالب ، تحقيق: لجنة من اساتذة النجف الاشرف (المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م)

الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ/٩٩١م)

(٩) التوحيد ، تحقيق : السيد هاشم الحسيني الطهراني ، (منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ، د.ت).

الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)

(١٠) الاحتجاج ، تحقيق : السيد محمد باقر الخرسان ، ط١ ، (مطبعة دار النعمان للطباعة والنشر ، النجف الاشرف ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) .

ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد الأندلسي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)

(١١) التمهيد ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد بن عبد الكبير البكري ، (مطبعة المغرب ،الرباط ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).

العجلوني ، إسماعيل بن محمد الجراجي (ت١١٦٢هـ/١٧٥٠م)

(١٢) كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، ط٣ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله (ت٥٧١هـ/١١٧٦م)

(١٣) تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : علي شيري ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

الفتال النيسابوري ، محمد بن الفتال (ت٥٠٨هـ/١١١٣م)

(١٤) روضة الواعظين ، تحقيق : السيد محمد مهدي والسيد حسن الخرسان ،

(منشورات الشريف الرضي ، قم ، د.ت) .

المتقي الهندي ، علاء الدين علي بن حسام (ت٩٧٥هـ/١٥٦٧م)

(١٥) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، تحقيق : الشيخ بكري حياني ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

المجلسي ، محمد باقر (ت١١١١هـ/١٧٠٠م)

(١٦) بحار الأنوار لدرر الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ، تحقيق : السيد إبراهيم الميانجي ، والسيد محمد الباقر البهبوتي ، ط٢ ، (مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

مسلم ، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ/٨٧٤م)

(١٧) صحيح مسلم ، (دار الفكر ، بيروت ، د.ت).

المفيد ، أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان بن المعلم العكبري البغدادي (ت٤١٣هـ/١٠٢٢م)

(١٨) الارشاد الى أئمة العباد ، (دار المفيد للطباعه والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٨٨م)

الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ/١٣٠٨م)

(١٩) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

ثانيا : المراجع الحديثة

الشامي ، حسين بركة

(٢٠) المرجعية الدينية من الذات الى المؤسسة ، ط١ ، (مؤسسة دار الاسلام ، د.م ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).

الطائي، صالح

(٢١) اثر النصر المقدس في صناعة عقيدة التكفير، ط١، (دار المرتضى، بيروت، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م).

الفاضلي، حسين محمد علي

(٢٢) الامام السيستاني امة في رجل، ط١، (دار سلوني، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

Research Summary :

One of the requirements and challenges of contemporary reality is that it should not be characterized by stalemate, isolationism, isolationism and tradition, but rather mobility, openness and creativity, so that the religious discourse can meet the challenges of contemporary reality and confront the issues and concerns of individuals and societies and enhance the personality and potential of individuals. Of the rapid changes in human thought, and since the Holy Quran urges the work of mind and reflection and reflection in more than a thousand, it means that the tools of

freedom from the closure and the stagnation of some of the religious speeches are tools available at the heart of religion The Islamic constitution and the Koran.

In order to reassure some skeptics about the validity of the call to renew the religious discourse, we say that renewal in the religious discourse is not in the fundamentals of religion and belief, but rather in the development of its language and content and the demand to take everything new to keep abreast of the contemporary reality and the changes taking place and the ongoing developments and the surrounding challenges.

One question that worries us all is: Where did the negative view of Islam come from? Have you come from other communities? The answer is that this view came from the religious discourse and from the accounts of the sects of Muslims who are not suitable for Islam, they are ignorant or arrogant to the enemies of Islam from within. They speak in the name of Islam. Some still take these misguided and misguided portals as an excuse to detract from Islam and attribute it to Islamic sources.

For this reason, we believe that thinking about presenting religious discourse in a rational manner, detached from emotions and animosity is the best way to avoid it

The abstract of the research revolves around how to deal with the stalemate of the religious discourse and its failure to cope with

contemporary life, as it focuses on sanctifying texts and people and not leaving the local trench to the world, and greatly diminishes the value of life and considers the love of the world to be unjust. (The minimum imprisonment of the believer and the paradise of the unbeliever) [٢], to this reference to the thought of Imam Ali peace be upon him in dealing with these issues is the best way to renew the religious discourse to be compatible with modern civilization and does not contradict the constants and doctrine.

المرجعية الدينية ودورها في الدفاع عن القضية المهدوية

-قراءة تحليلية للأسباب والعلاج في جواب المرجعية حول أدعاء السفارة-

د. الشيخ عماد الكاظمي
العتبة الكاظمية المقدسة

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وهو أهل للحمد، والصلاة على المصطفى الأحمد، وعلى آله أولي العصمة والسؤدد ..

إنّ العناية بالإنسان وما يتعلق به من أهم الموضوعات التي أعتنى الله تعالى بها، وذكرها وذكّرَ بها، وأشار إليها تصريحًا وتلويحًا، فضلًا عن عقيدته، أو كان يؤمن بالعقيدة الإلهية، وهذا ما نراه بأدنى تأمل في آيات القرآن الكريم، أو أحاديث المعصومين (عليهم السلام)، ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿لقدْ خلقنا الإنسانَ في أحسَنِ تقويمٍ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ولقدْ كرَّمنا بَني آدمَ وحَملْناهُمْ فِي البرِّ والبَحْرِ ورزقْناهُمْ منَ الطيِّباتِ وفضَّلْناهُمْ على كثيرٍ ممَّنْ خلقْنا تفْضيلًا﴾ (٢) وغيرهما من الآيات المتعددة التي تؤكد ذلك، وقد حرص النبي والأئمة (عليهم السلام) ترجمة تلك المعاني العظيمة للقرآن من خلال سيرتهم في منهج تربوي خاصٍ، وبيان ذلك قولا وعملًا، فضلًا عن منهجهم في تربية أصحابهم على ذلك؛ ليؤدوا رسالتهم إلى الناس كلّهم، فكان ذلك العدد الكبير من رواة الأئمة الذين أنتشروا في الآفاق، وقد أستمدوا وجودهم وشرعيتهم من إعلام الأئمة للناس بأهمية الرجوع إليهم في الأحكام، والروايات في ذلك كثير، فقد روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال:

قال [الإمام] علي (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((اللّهُمَّ ٱرْحَمْ خُلفائِيْ ثلاثا. قِيْلَ: يا رَسُولَ اللّهِ وَمَنْ خُلفاؤُكَ؟ قالَ: الذينَ يأتُونَ منْ بَعْدِيْ، يَرْوُونَ حَدِيْثِيْ وَسُنّتِيْ)) (٣)، وفي رواية عن يونس بن عمار: أنّ أبا عبد الله [الصادق] (عليه السلام) قال له في حديث: ((أمّا مَا رَواهُ زُرارَة عَنْ أبيْ جَعْفَرٍ "عليه السلام" فلا يَجُوْزُ لكَ أنْ تَرُدَّهُ)) (٤)، وغيرهما من الأحاديث الأخرى التي تؤكّد مدى ٱعتناء الأئمة بأصحابهم من الرواة والعلماء، والذي يعد هذا حقيقة منهج أهل البيت في وضع أسس المرجعية الدينية للعلماء عند عدم وجودهم، ووجوب الرجوع إليهم (٥)، وخصوصًا في زمن غيبة الإمام المهدي (عليه السلام)؛ ولذا ورد عنه في توقيع له: ((وأمّا الحَوادِثُ الوَاقِعَةُ فارْجِعُوْا فِيْهَا إلى رُوَاةِ حَدِيْثِنَا، فإنّهُمْ حُجَّتِيْ عَلَيْكُمْ، وأنا حُجَّةُ اللّهِ)). (٦)

إنّ هذه الأحاديث الشريفة كان لها أثر كبير في إيجاد تلك العلاقة الوثيقة بين العلماء والأمة، حتى غدت المرجعية الدينية بوجود أعلامها ركنًا وثيقًا، ومرجعًا عظيمًا للمسلمين في معرفة صلا أمورهم الدينية والدنيوية، وأدت هي أعظم الأدوار في رعاية شؤون المسلمين وما يتعلق بهم، ولم يقتصر الأمر على مدى تأريخها بشؤون أحكام الشريعة المقدسة والتدريس والإفتاء، بل قيامها بالدفاع عن المسلمين وبلدانهم ضد الاستعمار (٧)، وما نراه اليوم من قيام المرجعية الدينية برعاية الأمة في كثير من ميادين الحياة، ونشر مبادىء الشريعة الإسلامية المقدسة، وتهذيب المجتمع مما له أثر في الانحراف عن ذلك، من خلال الوصايا، والبيانات، والاستفتاءات، فضلًا عن الخطب والكلمات التي تنبثق عنها، وهذا ما لا يمكن أنْ ينكره الإنسان المنصف في العراق وغيره، من الشيعة وغيرهم، بل من المسلمين وسواهم ما قام بها سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني

السيستاني (دامت بركاته) في العراق بعد عام ٢٠٠٣م وسقوط النظام البعثي في العراق (٨)، وسأقتصر في هذه الصفحات الموجزة لبيان دورها في الدفاع عن القضية المهدوية، والوقوف أمام الدعاوى المنحرفة التي تدّعي السفارة، وما في ذلك من تفكيك الأواصر العقائدية في المجتمع الإسلامي، وسأحاول في دراسة تحليلية لإجابة موقف المرجعية من حيث الأسباب والعلاج، في مبحثين أساسيين يتناول الأول بيان أسباب الدعاوى المنحرفة في مطالب ثلاثة، وفي الثاني بيان العلاج لذلك في مطالب خمسة لأهمية ذلك، بعد مقدمة وتمهيد ثم خاتمة.

ونتقدم بالشكر الجزيل لمركز دراسات الكوفة وجميع المؤسسات المتعاونة معهم على إقامة هذه المؤتمرات العلمية التي تؤكد عظمة المرجعية الدينية في المجتمع، وأثرها في بناء الإنسان، ونرجو لهم التوفيق والتسديد، ونسأله تعالى أن يتقبل هذه المشاركة بأحسن قبوله، إنه سميع مجيب.

ـ تمهيد: تحصين المجتمع من الدعاوى العقائدية الباطلة.

إنّ الحفاظ على المجتمع من الانحرافات العقائدية من الموضوعات المهمة التي يجب تحصينه منها، بل من أهم الموضوعات؛ حيث يؤدي إلى تحصين العقيدة من الزيف والأباطيل التي يحاول بثها أعداء الإسلام، أو أدعياء العلم، أو الذين يتربصون بالمسلمين السوء لأجل أهداف وغايات مختلفة، ومن تلك العقائد المهمة التي يؤمن بها أتباع أهل البيت (عليهم السلام) هو ما يتعلق بالقضية المهدوية، وأهمية معرفتها وإقامتها كما بينتها تعاليم الشريعة المقدسة في حال غيبة الإمام المهدي (عليه السلام)، فالأئمة قد أكدوا ما يتعلق بذلك في جميع أدوارهم، وخصوصًا في عهد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) الذي كانت من أهم مسؤولياته تهيئة الأمة لواقع يغيب عنها إمام زمانها (٩)، فتكون علاقتها به عن طريق سفراء معينين

فقط، وتعد هذه المسألة من المسائل التي تعرضت على مَرِّ التأريخ إلى بعض التشويهات والافتراءات ممن أدعى السفارة الخاصة عنه (عليه السلام) في زمن حضوره وغيبته، ولكن الإمام كان له موقف واضح منهم حول تلك الافتراءات الواردة منهم(١٠)؛ فضلًا عمَّا ورد منه في تصريحه بانتهاء السفارة عند حديثه المشهور قبل وفاة السفير الرابع علي بن محمد السمري (ت٣٢٨هـ) حيث ورد في توقيع له: ((بسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ: يَا عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ السَّمَرِيَّ أَعْظَمَ اللّهُ أَجْرَ إِخْوَانِكَ فِيْكَ، فَإِنَّكَ مَيِّتٌ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ سِتَّةِ أَيَّامٍ، فَاجْمَعْ أَمْرَكَ وَلَا تُوصِ إِلَى أَحَدٍ فَيَقُوْمُ مَقَامَكَ بَعْدَ وَفَاتِكَ، فَقَدْ وَقَعَتِ الغَيْبَةُ التَّامَّةُ، فَلَا ظُهُوْرَ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِ اللّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ، وَذَلِكَ بَعْدَ طُوْلِ الأَمَدِ، وَقَسْوَةِ القُلُوْبِ، وَامْتِلَاءِ الأَرْضِ جَوْرًا، وَسَيَأْتِيْ إِلَى شِيْعَتِيْ مَنْ يَدَّعِيْ المُشَاهَدَةَ، أَلَا فَمَنِ ادَّعَى المُشَاهَدَةَ قَبْلَ خُرُوْجِ السُّفْيَانِيِّ وَالصَّيْحَةِ فَهُوَ كَذَّابٌ مُفْتَرٍ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ العَلِيِّ العَظِيْمِ)) (١١)، وهذا يؤكد بوضوح أهمية تحصين عقائد المؤمنين من ذلك، وتحذيرهم من أولئك الأدعياء.

ومما تعرض له المؤمنون في الوقت الحاضر هو إحدى تلك الدعاوى الباطلة التي صدرت من بعض فيما يتعلق بالقضية المهدوية وادعاء السفارة أو رؤية الإمام (عليه السلام) وتصدي المرجعية الدينية إلى ذلك بحزم وشدة، من خلال بيان دقيق يبيِّن خطر هذه الدعوة، وأبعادها، والتحذير منها، من خلال تثقيف الأمة بالقضية المهدوية (١٢)، وبيان العقيدة الحقة تجاهها، وبطلان زيف تلك الدعاوى التي تحاول بثها تلك الجهات في نفوس بعض المؤمنين البسطاء، الذين لم يحصّنوا أنفسهم بالعلم والمعرفة، سوى العلاقة العاطفية بالإمام وانتظار ظهوره وفرجه الشريف وهذا الجهل بالعقائد يعد –بصراحة– من الأمراض الاجتماعية الفتاكة التي تهدم كيان الأمة ومبادئها، فكان للمرجعية ذلك الموقف العظيم الذي استطاع بأسلوبه

الحكيم أن يقضي على هذه الدعوة الباطلة في مهدها، ويحصّن الأمة منها، ومما يمكن أن يأتي من خلالها، ويمكن معرفة ذلك من خلال نظرة تأملية في إجابة المرجعية حول ذلك، وأحاول بإيجاز ذكر بعض مقاطع منها، والوقوف عليها بتعليق وبيان.

وكان مركز الإمام المهدي قد وجه سؤالا حول هذه الظاهرة التي ظهرت في المجتمع مما ورد فيه: ((ظهرت في الآونة الأخيرة أدعاءات السفارة للإمام المهدي "عليه السلام، بل يدّعي البعض أنه الإمام المنتظر، في حين لم يلقَ هؤلاء رادعًا قويًا وبيانًا واضحًا من مصادر الفتيا والعلم، وقد أستغلَّ هؤلاء أنعدام المعايير الصحيحة لدى عامة الناس، نتيجة الجهل، والتجهيل المتعمد من قبل الظالمين، والفقر، وأنفلات الوضع الأمني .... آملين من سماحتكم بيان الرأي في رد ع هذه الدعاوى، وبيان المعايير التي يصح فيها أدعاء مثل هذه المدعيات، حتى يتبين للمؤمن كيفية التمييز؟ ومتى يصدّق؟ ومتى يكذّب؟ هذه الدعاوى. أدام الله ظلكم الوارف على رؤوس الأنام ولا حرمنا من فيوضاتكم المباركة)). (١٣)

إنّ هذا السؤال واضح دلالته مدى الانحراف العقائدي الذي يريد أن ينشرها الأعداء في المجتمع، وخصوصًا بين الشباب، وقد رأينا ذلك بينهم، فضلًا عن الشكوك والأباطيل التي كانت تبثها القنوات الإعلامية حول مثل هذه الموضوعات، فكان للمرجعية الدينية القول الفصل في بيان مسائل متعددة في جوابها أو ردّها حول هذه القضية، وفي جهات متعددة، ومن ناحيتين، تناولت الأولى بيان ما يتعلق بهذه الدعوى من حيث نشوؤها وأسبابها وأنواعها، وتناولت الأخرى بيان كيفية التعامل مع القضية المهدوية من حيث أهمية العلم والمعرفة، وسُبُل النجاة من الانحرافات العقائدية، والمرجع في معرفتها.

ونحاول بإيجاز بيان ما يتعلق بهاتين الناحيتين من خلال مبحثين أساسيين:

ـ المبحث الأول: الوضع العام لنشوء الدعاوى المنحرفة.

إنّ المتأمل لكلمات المرجعية في هذا المسار من حيث الوضع العام لنشوء تلك الدعاوى العقادية المنحرفة في الأمة، ومحاولة إيجاد البيئة الملائمة لاحتضانها، ومن ثم نشره، يرى أنها تناولت المسألة بجدية تامة لأهميتها وشدة خطرها، ووجوب التصدي إلى الداعين إليها، وبيان الطرق التي يسلكونها من أجل تحقيق غاياتهم المشبوهة، وأرى أنها قد تناولت ذلك في هذه الناحية من جانبها السلبي من خلال مطالب ثلاث، وكما يأتي:

المطلب الأول: الجهة التأريخية.

وأعني بذلك البيان والإشارة إلى بعض الدعاوى التي مرت على القضية المهدوية تأريخيًا، ويعني ذلك أنّ هذه الدعاوى ليست وليدة الحاضر، بل إنّ المتتبع لتفاصيل ما يتعلق بالقضية المهدوية يعرف ذلك، وهذا ما نراه جليًا بما ورد فيه: ((وقد اتّفقَ مِنْ هذهِ الحركَاتِ مُنذُ الغيبَةِ الصُغرى إلى هذا العصرِ شيءٌ كثيرٌ، حتى أنهُ ربَّما كانَ فِيْ زمانٍ واحدٍ عددٌ مِنْ أدعياءِ الإمامةِ والسفارةِ، بحيثُ لوْ وقفَ النّاظرُ على ذلكَ لكانَ فيهِ عبرةٌ وتبصُرٌ، ولتعجُبٍ مِنْ جُرأةِ أهلِ الأهواءِ على اللّه سُبحانهُ، وعلى أوليائهِ "عليهمُ السّلام" بالدّعاوى الكاذبةِ وصِلةٌ إلى شيءٍ مِنْ حُطامِ هذهِ الدُنيا)).

وقد ذكر شيخ الطائفة الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م) بعض تلك الدعاوى، التي كان بعضها في زمن واحد فقال تحت عنوان (ذكر المذمومين الذين ادّعوا البابية لعنهم اللّه): ((أولهم المعروف بالشريعي .... وهو أول من ادّعى مقامًا لم يجعله اللّه فيه، ولم يكن أهلًا له، وكذب على اللّه وعلى حججه "عليهم السلام"، ونسب

إليهم ما لا يليق بهم، وما هم منه براء، فلعنته الشيعة وتبرأت منه، وخرج توقيع الإمام "عليه السلام" بلعنه والبراءة منه. قال هارون: ثم ظهر منه القول بالكفر والإلحاد. قال: وكُلُّ هؤلاء المدَّعين إنما يكون كذبهم أولا على الإمام وأنهم وكلاؤه ....، ومنهم محمد بن نصير النميري .... من أصحاب أبي محمد الحسن ٱبن علي "عليهما السلام"، فلما توفي أبو محمد ٱدَّعى مقام أبي جعفر بن عثمان أنه صاحب إمام الزمان، وٱدَّعى له البابية، وفضحه اللّه تعالى بما ظهر منه من الإلحاد والجهل ....، ومنهم أحمد بن هلال الكرخي قال أبو علي بن همام: كان أحمد بن هلال من أصحاب أبي محمد [العسكري] "عليه السلام"، فاجتمعت الشيعة على وكالة محمد بن عثمان "رضي اللّه عنه" بنص الحسن "عليه السلام" في حياته، ولما مضى الحسن "عليه السلام" قالت الشيعة الجماعة له: ألا تقبل أمر أبي جعفر محمد بن عثمان وترجع إليه، وقد نص عليه الإمام المفترض الطاعة؟ فقال لهم: لم أسمعه ينصُّ عليه بالوكالة، وليس أنكر أباه يعني عثمان بن سعيد، فأمَّا أنْ أقطع أنَّ أبا جعفر وكيل صاحب الزمان فلا أجسر عليه. فقالوا: قد سمعه غيرك. فقال: أنتم وما سمعتم. ووقف على أبي جعفر، فلعنوه وتبرؤوا منه. ثم ظهر التوقيع على يد أبي القاسم بن روح بلعنه والبراءة منه في جملة مَنْ لعن .... ومنهم : أبو طاهر محمد بن علي بن بلال.... وتمسكه بالأموال التي كانت عنده للإمام، وٱمتناعه من تسليمها، وٱدَّعاؤه أنه الوكيل، حتى تبرأت الجماعة منه ولعنوه، وخرج فيه من صاحب الزمان "عليه السلام" ما هو معروف ....)). (١٤)

من خلال ما تقدم يظهر قدم هذه الدعاوى الباطلة في السفارة عن الإمام المهدي (عليه السلام)، وهذا ما أشارت إليه المرجعية الدينية، وما أكده النص التأريخي المتقدم حول هؤلاء الأدعياء، فالاطلاع على هذه الأمثلة التأريخية لذلك، وكذلك من ظهور

الدعوات المنحرفة في العصور المتأخرة المتعددة في بلدان مختلفة (١٥)، مع العظة والعبرة يجعل الإنسان أكثر تحصينا تجاه هذه الدعاوى الباطلة، وإلى ذلك أشارت المرجعية المباركة بالقول بعد ما تقدم: ((وَٱسْتَغْرَبَ سُرْعَةَ تَصْدِيقِ النَّاسِ لَهُمْ وَالْانْسِيَاقِ وَرَائَهُمْ، مَعَ مَا أَمَرُوا بِهِ مِنَ الْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ، وَالتَّجَنُّبِ عَنِ الاسْتِرْسَالِ فِيْ أُمُوْرِ الدِّيْنِ، فَإِنَّ سُرْعَةَ الاسْتِرْسَالِ عَثْرَةٌ لَا تُقَالُ)). (١٦)

سلطان المطلب الثاني: الجهة الاجتماعية.

إنَّ المجتمع عندما تحيط به مشاكل ٱجتماعية وٱقتصادية وسياسية وفكرية كثيرة ومختلفة يكون مهيئا تمامًا لتفكيك نسيجه العقائدي وغيره؛ لكثرة الاتجاهات، والادعاءات، والاختلافات مع وجود الأرضية الملائمة لتلقي كُلَّ ما يلقى فيه من أفكار، حيث ضعف البُنى نتيجة ذلك التفكك الموجود فيه، وهذا يعد من أهم الأسباب لانتشار الفقر والجهل والتخلف والاختلاف، مما يعد فرصة للأعداء في بث أفكارهم الهدامة المسمومة، التي تريد بالمجتمع الإسلامي أنْ ينحرف عن عقائده التي يؤمن بها، والتي نشرها الأعلام في مؤلفاتهم منذ قرون، وهذا ما أشار إليه مركز الدراسات في سؤاله من حيث تشخيص هذا الجانب من المشكلة حيث ورد قولهم: ((وَقَدِ ٱسْتَغَلَّ هَؤُلَاءِ ٱنْعِدَامَ الْمَعَايِيْرِ الصَّحِيْحَةِ لَدَى عَامَّةِ النَّاسِ، نَتِيْجَةَ الْجَهْلِ، وَالتَّجْهِيْلِ الْمُتَعَمَّدِ مِنْ قِبَلِ الظَّالِمِيْنَ، وَالْفَقْرِ، وَٱنْفِلَاتِ الْوَضْعِ الْأَمْنِيِّ، الَّذِيْ ٱبْتُلِيَتْ بِهِ أُمَّةُ الْمُسْلِمِيْنَ عُمُوْمًا وَفِيْ الْعِرَاقِ بِالْخُصُوْصِ)).

فإنَّ المجتمع عندما يمرُّ بمثل هذه الضروف المختلفة فإنَّ من آثاره ما تقدم من وجود فرصة للادعاءات والتصديق بهم، والإيمان بدعواهم، والانحراف عن الحق، والضلال عن الصراط المستقيم، وهذا ما أشارت إليه المرجعية في تشخيص ذلك بالقول: ((فَكَمْ مِنْ صَاحِبِ هَوًى مُبْتَدِعٍ تَلَبَّسَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّيْنِ، وَنَسَبَ نَفْسَهُ إِلَيْهِ

المهدي "عليه السلام"، مستغلًا طيبة نفوس الناس، وحسن ظنهم بأهل العلم، وشدة تعلقهم بأهل بيت الهدى "عليهم السلام" وانتظارهم لأمرهم، فاستمال بذلك فريقًا من الناس وصلة به إلى بعض الغايات الباطلة، ثمَّ انكشف زيف دعواه، وقد هلك وأهلك الكثيرين، وكم من إنسان استرسل في الاعتماد على مثل هذه الدعاوى الباطلة، والرايات الضالة، بلا تثبت وحذر، فظن نفسه من المتعلمين على سبيل نجاة، ولكنه كان في واقعه من الهمج الرعاع، قد تعثر بعد الاستقامة، وخرج عن الحق بعد الهداية، حتى اتخذ إليه "عليه السلام" طريقًا مهوعًا، بل ربما استدرج للإيمان بإمامة غيره من الأدعياء))، إنَّ هذه الكلمات قد أكدت على موضوعات متعددة لها أثر من الجهة الاجتماعية على العقيدة، بل يؤكد على الداء الفردي والاجتماعي الذي عليه الناس من حيث يعلمون تارة، ولا يعلمون أخرى، ويمكن إدراجها بما يأتي:

١ـ القصد والإصرار: إنَّ القصد والإصرار من بعض الأدعياء على وجوب وأهمية بث الشكوك والآراء الضالة بين الناس عامة حول العقائد التي يؤمنون بها، ويتعلقون بأهدافها، من خلال التضليل بلباس أهل العلم من الحوزة العلمية؛ لبث الاطمئنان لديهم، وإبعاد أي شبهة عنه، وهذه من أهم طرق الغواية التي يلأ إليها هؤلاء، والواقع قد أثبت ذلك في الماضي والحاضر.

٢ـ المكر: وهو الذي يلجأ إليه هؤلاء الأدعياء في بث تلك الدعاوى الباطلة، فبرغم لجوئهم إلى ذلك اللباس الديني الذي يحظى باحترام عام عند الناس، فإنه يستثمر تلك العاطفة والمحبة للأئمة (عليهم السلام) عامة، وللإمام المهدي وانتظاره خاصة، من خلال التفسير لأحاديث الانتظار وغيرها بما يتلاءم وأهوائه(١٧)؛ لتكون مقدمة لاصطياد أولئك البسطاء.

٣ـ استغلال العاطفة: البسيطة، أو الساذجة، أو الفطرية، التي لم تستضيء بنور العلم، فيكون تحصينا لها من أي شبهة، أو تشكيك في العقيدة، على رغم كثرة المناوئين لأتباع مدرسة أهل البيت على مدى التأريخ الإسلامي.

٤ـ الجهل: النوعي الكبير الموجود في المجتمع، والذي يؤدي به إلى أتباع كلّ راية براقة، تحمل أسماء وعناوين مقدسة، والانطواء تحتها تارة، والدعوة إليها ثانية، ومعاداة المرجعية ثالثة، بل خط مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) القائم على أسس راسخة، بسبب الجهل البسيط، أو المركب الذي هم عليه، وهذا ما ذكرته المرجعية في بداية الإجابة عند ذكر حديث الإمام علي (عليه السلام) في تقسيمه للناس في المجتمع، حيث ذكر الطائفة الثالثة بقوله: ((وهَمَجٌ رَعاع أتْبَاع كُلّ نَاعِقٍ، يَميلُونَ مَعَ كُلّ رِيحٍ، لمْ يَسْتضيئُوا بنُورِ العلم، ولمْ يَلْجَئُوا إلى رُكْنٍ وثِيْقٍ))، وهذا ما رأيناه في الواقع نوعًا، وشخصًا.

٥ـ فقدان قواعد التقييم: فالبعض فاقد لأدنى لقواعد التقييم العلمي والعقلي من جانب، والاجتماعي من جانب آخر في التعامل مع أمثال هؤلاء الأدعياء، مما يؤدي إلى التخبط بين أهواء تلك الدعوات الباطلة، فيؤدي ذلك إلى التفكك الاجتماعي، بل يصل الحال إلى تفكك الأسرة الواحدة، وهذا ما حصل في تلك المدة من ظهور هذه الدعوات وتصدي المرجعية الدينية لها.

٦ـ فقدان الشخصية: الإيمانية العقائدية، وهذا من أخطر ما تعانيه المجتمعات الإسلامية بصراحة بصورة عامة، فهي إما فاقدة لهويتها الإسلامية عامة، أو لشخصيتها الإسلامية خاصة، فيكون مستعدًا للتنازل عن مبادئه وثوابته من أجل الحالة الاجتماعية المنتشرة، فترى أنّ الذين تأثروا وأصبحوا من الداعين لأولئك الأدعياء للسفارة أو غيرها، إما فاقدو الشخصية العقائدية، أو ضعيفو ذلك، أو من

المصرّين على مخالفة ثوابت العقيدة؛ لذلك ورد القول تجاههم ((وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ ٱسْتَرْسَلَ فِيْ الاعْتِمَادِ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الدَّعَاوَى البَاطِلَةِ، والرَّايَاتِ الضَّالَّةِ، بِلا تَثَبُّتٍ وَحَذَرٍ))، فالتثبُت والحذر إنما يكون في الإنسان ذي الشخصية، التي تؤمن بحقيقة وجودها، وغايته، وليس الإنسان الذي تميل به الأهواء.

إنّ ما تقدم وغيره يعد من أهم مقومات نشر تلك الدعاوى، وتبنّيها، والدعوة إليها، بل هلاك النفس بسببها [١٨]، ولكن لا يعرف ذلك إلا بعد أنْ يتأمل ويتفكر في موضوعات كثيرة، تنجيه مما هو فيه، ولكن قد لا يتحقق له ذلك، فيكون قد ٱنحرف فكريًا وعقائديًا، بل وكان سببًا مباشرًا أو غير مباشر في التأثير على آخرين من أبناء المجتمع، كما أشارت المرجعية إلى ذلك بقولها: ((حَتّى ٱتّخَذَ إِلَيْهِ "عَلَيْهِ السَّلَام" طَرِيقًا مَوْهُومًا، بَلْ رُبَّمَا ٱسْتَدْرَجَ لِلإِيمَانِ بِإِمَامَةِ غَيْرِهِ مِنَ الأَدْعِيَاءِ)).

إنّ جواب المرجعية في تشخيص هذه الظاهرة المنحرفة قد أكّد أنّ بعض هؤلاء الداعين لتلك السفارة عن الإمام (عليه السلام)، أو النيابة، أو التمثيل عنه، قد يتصورون أنّهم على الحق، وأنّهم من أهل العلم والمعرفة بحقيقة الشريعة المقدسة وتعاليمها، وأنّ اللّه عز وجل قد فتح عليهم من آفاق المعرفة ما لم يفتحه على غيرهم، وأنّ هذا هو الصراط المستقيم، ولكن كُلُّ هذه هي من تسويلات الشيطان الذي يتربص بالإنسان بأساليبه المتعددة، فالقضية المهدوية لها أسسها الواضحة الثابتة على الرغم من أنها من الموضوعات الغيبية، فهم في الحقيقة بادعائهم تلك الأباطيل من المقامات والمنازل الرفيعة على ضلال وغير هدى؛ لأنّ سبيل دعوتهم وغايتها قائم على غير ما تمت الإشارة إليه في تعاليم الأئمة (عليهم السلام) بالنسبة للظهور والانتظار، فهم في الواقع كما وصفتهم المرجعية ((فَظَنَّ نَفْسَهُ مِنَ المُتَعَلِّمِيْنَ عَلَى

سَبيلِ نجَاةٍ، ولكِنَّهُ كَانَ فِيْ وَاقِعِهِ مِنَ الهَمَجِ الرُعاع، قدْ تعثرَ بَعْدَ الاستِقَامَةِ، وَخَرَجَ عَنِ الحَقِّ بَعْدَ الهِدَايَةِ)).

المطلب الثالث: الجهة العقائدية.

إنَّ من المسائل التي يجب معرفتها هو أنَّ أصول العقيدة يجب معرفتها بأدلتها، من دون الاعتماد على التقليد أو الفطرة، أو العاطفة وغيرها، وإنَّ الاعتماد على ذلك لا يمكن أنْ يحصِّن المؤمن تحصينا يدفع به عن نفسه هجمات الأعداء والمشككين، وهذا ما يستطيع أنْ يستغله مَنْ يريد الادعاء بمثل تلك الدعاوى الباطلة، التي ترى الأرضية مؤهلة لها، كما تمت الإشارة إليه فيما تقدم، وهذا الأمر قد أشارت إليه المرجعية، وبينته ضمن بيان كيفية الغواية التي يمارسها الأدعياء في المجتمع، فقد ورد: ((فإنَّهُ كُلَّمَا أرادَ أحَدُهُمْ أنْ يَسْتحْدِثَ هَوًى، ويَرْفَعَ رايَةَ ضَلَالٍ؛ ليَجْتذِبَ فريقًا مِنَ البُسَطاءِ والسُذَّجِ، اُختارَ جُمْلَةً مِنْ مُتشابِهاتِ هذهِ الرِّواياتِ، وَضِعافِها، وتَكَلَّفَ فِيْ تطبيقِها على نَفْسِهِ وحَرَكَتِهِ؛ ليُمَنِّيَ النَّاسَ بالأَمانِيْ البَاطِلَةِ، ويُغَرِّرَهُمْ بالدَّعاوى البَاطِلَةِ، فيُوقِعَ فِيْ قلبِهِمُ الشُّبْهَةَ))، فهذا النص يؤكِّد على الانحراف من الجهة العقائدية التي يمارسها أولئك المنحرفون الذين يهدفون إلى بث أهواءهم، وتضليل الناس الذين لم يكونوا على حظ من العلم والمعرفة بثوابت العقيدة المقدسة؛ لذلك يكون التأثير فيهم سهلا، فيكون منهجهم في الدعوى قائم على موضوعات ثلاثة هي نفسها التي تتكرر عند أدعياء السفارة والنيابة وما يتعلق بالقضية المهدوية، وإنَّ القول بـ((فإنَّهُ كُلَّمَا أرادَ أحَدُهُمْ أنْ يَسْتحْدِثَ هَوًى .. إلخ)) يدل على أنَّ المرجعية تريد إيصال رسالة جلية لأبناء المجتمع أنَّ ما يأتي به هؤلاء من دعاوى إنما هي تكرار للدعاوى السابقة التي مضت في التأريخ، ولكن

عدم أطلاع الناس على تأريخ هذه الدعاوى، فضلا عن بساطتهم من نواحٍ متعددة له أثر كبير في الاغترار بها، والانجرار وراءها.

وإنّ أهم المسالك التي يحاول أصحاب تلك الدعاوى أتخاذها هي ثلاثة، يمكن بيانها بما يأتي:

١ـ أعتماد الروايات المتشابهة: غير المحكمة التي يمكن أنْ يكون مضمونها يحتمل معانٍ متعددة، فيختار معنى يلائم دعوته، ويدّعي أنّ هذا المعنى من المعاني الواضحة التي لا لبس فيها في أنطباقها على ما نراه من حق في هذه الدعوى، وهذا ما ورد في (أختارَ جُملةً مِنْ مُتشابهاتِ هذهِ الرّواياتِ)، وهذا الأمر لا يمكن معرفته من قبل عوام الناس، بل لا بد من المختصين المطلعين على تلك الروايات المتعددة الواردة في القضية المحددة، ومعرفة كيفية الجمع بينها، أو تركها، إلى غير ذلك مما هو متعارف في قواعد علم الأصول في الجمع بين الروايات المختلفة (١٩)، وقد أكّد الروايات الشريفة على وجود مثل تلك الروايات ولا بد من معرفتها، فقد روي في الحديث عن الإمام علي (عليه السلام): ((إنّ فِيْ أيْدِيْ النّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا، وَصِدْقًا وَكَذِبًا، وَنَاسِخًا وَمَنْسُوْخًا، وَعَامًّا وَخَاصًّا، وَمُحْكَمًا وَمُتَشَابِهًا، وَحِفْظًا ووَهْمًا .... فَإِنّ أَمْرَ النّبِيِّ "صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ" مِثْلُ القُرْآنِ نَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ، وَخَاصٌّ وَعَامٌّ، وَمُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، قَدْ كَانَ يَكُوْنُ مِنْ رَسُوْلِ اللّهِ "صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ: كَلَامٌ عَامٌّ، وَكَلَامٌ خَاصٌّ مِثْلُ القُرْآنِ، وَقَالَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ فِيْ كِتَابِهِ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُوْلُ فَخُذُوْهُ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوْا﴾ (٢٠)، فَيَشْتَبِهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَعْرِفْ وَلَمْ يَدْرِ مَا عَنَى اللّهُ بِهِ وَرَسُوْلُهُ "صَلّى اللّهَ عَلَيْهِ وَآلِهِ" ....)) (٢١)، وغيرها من الأحاديث الواردة في ذلك من التشابه أو التعارض، وبيان سبيل معرفتها، فالمتشابه هو: ((مَا لَا يُعْلَمُ المُرَادُ بِظَاهِرِهِ حَتّى يَقْتَرِنَ بِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى المُرَادِ مِنْهُ،

نحو قوله: ﴿وأضلّه اللّهُ على علمٍ﴾ (٢٢) فإنّه يُفارِقُ قولَه: ﴿وأضلّهُمُ السّامِريُّ﴾ (٢٣)؛ لأنّ إضْلالَ السّامِريِّ قبيحٌ، وإضْلالُ اللّهِ بمعنًى حُكْمُه بأنّ العَبْدَ ضالٌّ ليْسَ قبيحٌ، بَلْ هُوَ حسَنٌ)) (٢٤)، وورد: ((وأمّا المُتشابهُ فأصلُه أنْ يَشتبِه اللّفْظُ فِيْ الظاهرِ مَعَ اُختِلافِ المَعانيْ، كَمَا قالَ تعالى: ﴿وأتُوا بهِ مُتشابهًا﴾ (٢٥) أيْ مُتفِقُ المَناظِرِ، مُختلِفُ الطُعُوْمِ)) (٢٦)، فإذا كان هذا هو الأمر في التعامل مع الروايات المتشابهة وهو يحتاج إلى المختص في علوم متعددة، فكيف يمكن لعامة الناس أنْ يفسّروا أي حديث بما يفهمونه من فهم بسيط عام للرواية؟ فضلًا عمّا إذا كانت هناك غايات باطلة تريد أنْ توجّه تلك الروايات كما تشاء، وهذا في الواقع هو حالهم عندما تتحدث معهم عن موضوع معين من الموضوعات التي يريدون خداع الناس بهم. (٢٧)

أقول: إنّ القرآن الكريم قد حدّثنا عن هذه الحالات المنحرفة في المجتمع، والتي يمكن من خلالها أنْ يسلكها أصحاب الدعاوى الباطلة لأجل مآربهم وأهوائهم وزيف عقائدهم، حيث قال تعالى: ﴿هُوَ الذيْ أنْزَلَ عَليْكَ الكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنّ أمُ الكِتابِ وأخَرُ مُتشابِهاتٌ فأمّا الذيْنَ فِيْ قلوْبِهِمْ زَيْغٌ فيَتبعُوْنَ ما تَشابَهَ مِنْهُ اُبْتِغاءَ الفِتنَةِ واُبْتِغاءَ تأوِيلِهِ وَما يعْلَمُ تأوِيلَهُ إلا اللّهُ والرّاسِخُوْنَ فِيْ العِلْمِ يَقُوْلُوْنَ آمَنّا بهِ كُلٌ مِنْ عِنْدِ رَبّنا وَما يَذّكّرُ إلا أوْلُوْ الألْبابِ﴾ (٢٨)، فالآية المباركة قد حددت مسألة مهمة في بيان أنّ هناك مَنْ يتخذ المتشابهات ليعمل بها على وفق أهوائه، وهؤلاء لهم غاية منحرفة عقائدية أو اُجتماعية أو غيرهما يريدون الوصول إليها عن طريق المتشابهات وسبب ذلك أنهم على غير الصراط المستقيم حيث الانحراف العقائدي الذي هم عليه ﴿فأمّا الذيْنَ فيْ قلوْبِهِمْ زَيْغٌ فيَتبعُوْنَ ما تَشابَهَ مِنْهُ﴾، وقد بيّن اللّه تعالى الغاية من ذلك في أمرين مهمين يجب الالتفات إليهما ﴿اُبْتِغاءَ الفِتنَةِ واُبْتِغاءَ تأوِيلِهِ﴾، فغايتهما واضحة البطلان (الفتنة + التأويل)،

ولكن الله تعالى أكّد للأمة أنّ التأويل لا يعرفه عامة الناس بل هو خاص في مجموعة محددة أصطفاها الله لبيان تعاليم الشريعة المقدسة وهم ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾، ولا راسخ في العلم إلا النبي والأئمة (عليهم السلام) (٢٩)، فالذين يريدون معرفة حقيقة المتشابهات في القرآن والحديث عليه أن يتعلم علومهم، والرجوع إلى أهل العلم في ذلك: ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ (٣٠)، وليس مُجرّد تعلّم ألفاظٍ محددةٍ، ولبسُ لباسًا خاصًا بطلبة العلم ليخدع الناس بما يريد خداعهم!! ولكنهم كما قال تعالى: ﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾. (٣١)

٢ـ أعتماد الروايات الضعيفة: وهذه من المشاكل التي لا يمكن معرفتها إلا من قبل المختصين في معرفة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، ودراسة تلك الأحاديث الدالة على عقيدة من حيث المتن والسند، وعلاقة ذلك بعلمَي الحديث والرجال، وإذا تبين بعد جهد صحتها، يتم بيان دلالات ألفاظها، أو ما يتعلق بالمع والتعارض، وهذا كله لا يمكن لعامة الناس أن يكونوا على معرفة به، بل بأدنى ما فيه سوى ظاهر اللفظ، وهذا لا يعني أنّ ألفاظ القرآن والسنة غامضة تمامًا، فكيف سيتم هداية الناس بهما، بل يعني أننا نحتاج إلى علم ومعرفة على مستوى ما نصبو إليه من غايات، كما هو معلوم في محله، فهل يعرف عامة الناس تقسيمات الحديث وأنواعه، وكيفية التعامل مع تلك الأنواع، وهل الحديث الضعيف يمكن الركون إليه في موارد من دون أخرى، وهذا ما تم بيانه بدقة ووضوح في جواب المرجعية؛ ليكون الإنسان على بينة من أمره، فقد ورد ((وليعلم أنّ الرّوايات الواردة في تفاصيل علائم الظهور هي كغيرها من الرّوايات الواردة عنهم (عليهم السّلام) لا

بُدَّ فِي البِنَاءِ عَلَيْهَا مِنَ الرُّجُوعِ إِلَى أَهْلِ الخِبْرَةِ والاِخْتِصَاصِ لِأَجْلِ تَمْحِيصِهَا وفَرْزِ غُثِّهَا مِنْ سَمِينِهَا ومحكمها من متشابهها، والترجيح بي متعارضاتها ولا يُصَحُّ البِنَاءُ فِي تَحْدِيدِ مَضَامِينِهَا وتَشْخِيصِ مَوَارِدِهَا عَلَى أَسَاسِ الحَدْسِ والتظنّي فَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا))، فالكلام واضح في عدم إمكانية الاعتماد على كُلِّ رواية قد وردت في كتاب معين، بل لا بد من معرفتها مدى صحتها ووثاقتها، وهذا يحتاج إلى أهل الخبرة والاختصاص.

نعم قد يكون أصحاب الدعاوى المنحرفة يعلمون ذلك، ولكن يحاولون الاعتماد على مثل تلك الأحاديث لمجرد ورودها عامة، أو وجودها في مصادر مشهورة من الموسوعات الحديثية، أو كتب متنوعة أخرى، ولكنها في الواقع لا يمكن الوثوق بها أو الاطمئنان، فضلًا عن معارضة بعضها لثوابت العقيدة، وإنما رجوعه إلى ذلك لأجل غايات التضليل والانحراف، وأرى من المهم أنْ يتم نشر بعض تلك الأحاديث من المختصين وبيان وجوه الاختلاف فيها وأسباب عدم الاعتماد عليها، والركون إليها في قضايا العقيدة؛ ليكون المثقفون وغيرهم على معرفة إجمالية في كيفية التعامل مع ذلك، وخصوصًا لو تصدى المنبر الحسيني بخطبائه المتعلمين المختصين بذلك.

٣ـ التغرير بالمصداق وتزييف العلامات: إنَّ ما يتعلق بالمصاديق وأنطباقها على الروايات الواردة في موضوع الإمام المهدي (عليه السلام) وما يتعلق بالقضية المهدوية من جميع جوانبها يعد من أهم الموضوعات وأخطرها؛ لاختلاف الروايات وتعددها، وهذه من الأمور التي يجب مراعاتها والتنبيه عليها لكُلِّ باحث في القضية المهدوية بصورة عامة، فليس رؤية حادث معينة في مكان محدد يمكن بذلك الحكم على أنطباق هذه الرواية على ذلك، وهذه المسألة من أكثر المسائل التي حاول أنْ

يسلكها أدعياء السفارة المهدوية، من حيث التغرير بالناس في أنطباق تلك الصفات الواردة على أصحاب الإمام، أو أتباعه، أو الداعين إليه وغيرها إنما تنطبق عليهم من دون غيرهم، أعتمادًا على ما تم بيانه من قبل حيث الركون إلى المتشابهات من الأحاديث والعلامات والمصاديق، فضلا عن سذاجة وبساطة وجهل العوام من الناس، ومسائل أخرى لها أثر في الترويج إلى ذلك من قبل أعداء أهل البيت، أو أعداء الإسلام؛ محاولة منهم في التشويش على المفاهيم العامة للعقيدة الإسلامية، والتضليل، والتشكيك، والابتعاد عن الشريعة، والعلماء، والمبادىء الراسخة وغير ذلك، وقد ورد في هذا الأمر حوادث كثيرة متعددة على مر التأريخ في تفسير تلك العلامات أو المصاديق ثم تبيَّن مخالفة ذلك للواقع المروي في الروايات الصحيحة حول القضية المهدوية، وإنَّ كثيرًا من الروايات نراها قد أكدت على توصيات معينة يمكن الإفادة منها في عصر الغيبة، والتعامل مع الذين يدَّعون أنتماءهم للإمام المهدي (عليه السلام). (٣٢)

إنَّ المرجعية كانت في غاية الدقة عند تشخيص هذه الأسباب الثلاثة التي هي بمثابة بيئة ملائمة لتلك الدعاوى المزيفة، والإيمان بما يدعو إليه هؤلاء، ويحتاج الأمر إلى دراسة عميقة لهذه الأسباب، من حيث بيانها، وتشخيص مصاديقها، وتعريفها بمستويات مختلفة، ووضع الحلول لكُلِّ حالة منها، على الرغم من وضوحها بصورة عامة، ولكنها مع ذلك تعد مسلكًا يمكن أستغلاله من قبل المنحرفين. (٣٣)

ـ المبحث الثاني: سبل تحصين المجتمع من الدعاوى المنحرفة.

تحدثنا في المطلب الأول عن أهم أسباب الانحراف التي يعتمدها أصحاب الدعاوى المنحرفة في القضية المهدوية، وآستدراج البسطاء من الناس للإيمان بدعاواهم، وتسخيرهم للدعوة إليهم، ولكن المرجعية المباركة في الوقت نفسه قد ذكرت أهم سبل تحصين المجتمع للحفاظ على مبادىء العقيدة الإسلامية، وعدم التأثر بأمثال تلك الدعاوى، ويمكن أن نتحدث عن هذه الموضوعات من خلال مطالب خمسة بإيجاز كالآتي:

المطلب الأول: العلم والمعرفة.

إنّ العلم والمعرفة من أهم سبل تحصين الفرد والمجتمع من الدعاوى الباطلة، والارتقاء به نحو التقدم في المجالات المختلفة، ومن أهم العلوم التي يجب علينا معرفتها إجمالا تارة، وتفصيلًا تارة أخرى، وخصوصًا ما يتعلق بعلم العقائد، ومعرفة ذلك بالدليل حيث لا يصح فيها التقليد؛ ليكون على بينة من عقيدته، قال الشيخ المظفر في بيان عقائد الإمامية: ((فلا يَصِحُّ ـ والحَالُ هذهِ أن يُهْمِلَ الإنْسَانُ نفْسَهُ فِيْ الأُمُوْرِ الاعْتِقَادِيَّة، أوْ يَتَّكِلَ عَلى تَقْلِيْدِ المُرَبِّيْنَ، أوْ أيِّ أشْخَاصٍ آخرِيْنَ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ بِحَسَبِ الفِطرَةِ العَقْلِيَّة المُؤيَّدةِ بالنُّصُوْصِ القُرْآنِيَّة أنْ يَفْحَصَ وَيَتأمَّلَ وَيَنْظرَ وَيَتدبَّرَ فِيْ أصُوْلِ اعْتِقَاداتِهِ المُسَمَّاةِ بأصُوْلِ الدِّيْنِ التيْ أهَمُّهَا: التوْحِيْدُ، والنُّبُوَّة والإمَامَة، والمَعَادُ)) (٣٤)، فالمعرفة مسألة مهمة جدًا ولا بد منها للذين يبحثون عن نجاتهم وتحصين أنفسهم من الشبهات والشكوك؛ لذلك كان بيان المرجعية قد أشار إلى ذلك في بداية البيان عند حديث الإمام علي (عليه السلام)، حيث الطائفة الثانية التي نحن بصددها بقوله: ((ومُتعلِّمٌ عَلى سَبيْلِ نجَاةٍ))، فالعلم سبيل النجاة لمن أراد أنْ يتعلمه لأجل هذه الغاية، ومن دونه فلا يصل الإنسان إلى نجاته من

الانحراف العقائدي وغيره، ولو أننا تأملنا في الذين أستجابوا لتلك الدعاوى لرأينا حقيقة ذلك.

وأرى كما ذكرت من قبل أهمية تثقيف المجتمع على العلم والمعرفة للعقيدة الإسلامية، لمعرفة الثابت منها بأدلته؛ ليكون على بينة من عقيدته أولا، وله القدرة على مواجهة التحديات التي تواجه المؤمنين ثانيًا، فهذا بصورة عامة، وأن يعمل كُلُ مؤمن على أن يجعل من أهل بيته قاعدة لمعرفة الإمام المهدي (عليه السلام)، والدعوة عليه، وتثقيفهم على ذلك، وهذا له أثر طيب في التعامل مع القضية المهدوية، والتربية عليها، ونشر معالمها. (٣٥)

وأما ما يتعلق بالقضية المهدوية فإنّ ما تقوم به المرجعية الدينية فهو على مستوى عالٍ من العمل على نشر العقيدة المهدوية، والثقافة المتعلقة بها، من خلال مكتبة المرجعية نفسه، أو من خلال المواقع التابعة لها، مثل مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي (عليه السلام).

المطلب الثاني: الثبات والحذر.

إنّ الثبات والحذر من الأمور التي يجب على المؤمنين أن يكونوا عليه، وهذا لا يمكن أن يحصل عليه من دون العلم والمعرفة، فالعلاقة القائمة على أساس العلم هي الراسخة أما التيارات المنحرفة، وله القدرة على تشخيصها، وأما القائمة على أساس العاطفة فلا يمكنها ذلك، وهذا بصورة عامة سواء أكان متعلق بالقضية المهدوية أم بمسألة عقائدية غيرها، وقد ذكر البيان ضرورة الحذر والتثبت في بدايته بالقول: ((إنَّ مِنْ أهَمِّ الوَاجِبَاتِ عَلى المُؤمِنِيْنَ فِيْ عَصْرِ غَيْبَةِ الإمَام (عجَّلَ اللّهُ فرَجَهُ الشَّرِيفُ) هُوَ أنْ يَتعَامَلوْا بتثبُتٍ وحَذرٍ شَدِيْدٍ فِيْمَا يَتعَلَّقُ بِهِ "عَلَيْهِ السَّلَام"

وبظهوره، وسُبُلِ الارتباطِ بهِ، فإنّ ذلكَ مِنْ أصعَبِ مَواطِنِ الابتِلاء، ومَواضِعِ الفِتَنِ فِيْ طولِ عَصْرِ الغَيْبَة)).

فالثبات والحذر الذي أكّد عليه بيان المرجعية يقوم على موضوعات ثلاث:

١ـ الحذر والثبات فيما يتعلق بالإمام المهدي (عليه السلام) عامة، من حيث إمامته وأنه خليفة الله في أرضه، وأنّ غيبته واقعة لأمر لا يعلمه إلا الله تعالى، وغير ذلك مما يتعلق به (عليه السلام)، وهذا الثبات بصراحة لا يكون من غير معرفة عقائدية راسخة قائمة على الدليل؛ ليكون المؤمن قادرًا على مواجهة التحديات والشكوك التي يبثها الأعداء ضد القضية المهدوية.

٢ـ الحذر والثبات فيما يتعلق بظهوره (عليه السلام) خاصة، من حيث التسليم والامتثال لما ورد عن النبي والأئمة (عليهم السلام) في ذلك، وأنّ ظهوره يعد مثابة ٱبتلاء كبير لشيعته، وهذا ما كان يثقف الأئمة الشيعة عليه، وما ورد في بيان المرجعية إنما هو ٱمتداد حقيقي لذلك، وقد وردت أحاديث في أهمية الثبات على ظهوره وعدم الشك به (٣٦)، بل ورد في روايات أنّ ٱنتظار الفرج من أفضل العبادة (٣٧)، والمراد به الانتظار القائم على معرفته، والعمل على تهيئة الواقع لظهوره، وهذا كله يحتاج إلى غاية الحذر والتثبت في مواجهة البدع والضلالات والانحرافات، وأن يكون المؤمن على معرفة بالإجابة على الشكوك التي يوجهها أعداء الإسلام، أو المنحرفون عن القضية المهدوية، من حيث أسباب طول غيبته، أو ما الفائدة من هذه الغيبة، أو كيفية الإفادة منه وهو غائب وغير ذلك مما هو معلوم. (٣٨)

٣ـ الارتباط بالإمام المهدي (عليه السلام) من خلال سبل متعددة، منها: أنه ولي الله تعالى الذين يطلع على أعمال العباد، كما قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا

كُنتمْ تعْملوْن﴾ (٣٩)، فقد ورد أنّ المراد بـ﴿والمُؤمنوْن﴾ هم الأئمة (عليهم السلام) (٤٠)، ولما سُئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن الآية والمراد منها ((قال: هم الأئمة)) (٤١)، وإنّ هذا يؤدي إلى الارتباط الفعلي مع الإمام (عليه السلام)، فضلًا عن الأعمال الأخرى التي تقوي الارتباط به، من حيث الدعاء له، والزيارة والتصدق عنه، وزيارته وغير ذلك مما ورد في حقه، والاستمرار على هذه الفقرة من دعاء العهد ((اللّهُمَّ إنّيْ أجدّدُ لهُ فيْ صَبيْحَةِ يَوْميْ هذا، وما عِشْتُ منْ أيّاميْ، عهْدًا وعَقْدًا وبَيْعَةً لهُ فيْ عُنُقيْ لا أحوْلُ عنْها، ولا أزوْلُ أبدًا)) (٤٢) فإنّ له أثر في الثبات على بيعته، والتذكير بها.

إنّ هذا المورد وما ورد فيه من تأكيد المرجعية عليه يعد حقيقة ((منْ أصْعَبِ مَواطِنِ الابْتِلاء، ومَواضِعِ الفِتَنِ فيْ طوْلِ عَصْرِ الغيْبَةِ))، فيجب على المؤمنين أنْ يكونوا على وعي تام لذلك في تثقيف المجتمع عليه من جانب، والتصدي لمن يحاول أستغلاله من جانب آخر، فضلًا عن أنّ الاسترسال والتسرع في ذلك يؤدي إلى ضياع العقيدة وأنحرافها حيث أنّ ((سُرْعَةَ الاسْتِرْسَالِ عَثْرَةٌ لا تُقالُ)).

سلطان المطلب الثالث: الظهور والدلائل عليه.

إنّ ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) من المسائل العقائدية الإسلامية الثابتة عندهم (٤٣)، وقد أكدت روايات متعددة ذلك، ففي الحديث عن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم): ((لوْ لمْ يَبْقَ منَ الدّهْرِ إلا يوْمٌ لبَعَثَ اللّهُ رَجُلا منْ أهْلِ بَيْتِي يَملأُها عدْلا كَما مُلِئَتْ جَوْرًا)) (٤٤)، ولما كان ظهوره من العقائد الإسلامية فلا بد أنْ يكون قائمًا على الأدلة الواضحة والبراهين الجلية، وليس مجرد دعاوى وأدعاءات، وتأويلات للأحاديث والعلامات، كما يقوم بذلك أدعياء السفارة المهدوية، وهذا ما ورد في بيان المرجعية المباركة ((ألا وإنّ الإمام "عليْهِ السّلام" حيْنَ يَظْهَرُ يَكُوْنُ

ظُهُورُهُ مَقْرُونًا بِالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ، وَالْمَحَجَّةِ الْوَاضِحَةِ، وَالْأَدِلَّةِ الظَّاهِرَةِ، مَحْفُوفًا بِعِنَايَتِهِ سُبْحَانَهُ، مُؤَيَّدًا بِنَصْرِهِ؛ حَتَّى لَا يَخْفَى عَلَى مُؤْمِنٍ حَجَّتُهُ، وَلَا يَضِلُّ طَالِبٌ لِلْحَقِّ عَنْ سَبِيلِهِ، فَمَنِ اسْتَعْجَلَ فِي ذَلِكَ فَلَا يُضِلَّنَّ إِلَّا نَفْسَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يَعْجَلُ بِعَجَلَةِ عِبَادِهِ)).

فمما تم التأكيد عليه، والإشارة إليه في هذا المورد، وأهمية معرفته من قبل المؤمنين، ونشره بين أبناء المجتمع ما يأتي:

١ـ إنَّ الظهور يكون قائمًا على الحجة البالغة من اللّه تعالى على خلقه، في إظهار آياته للناس كافة، وليس لفئة من دون أخرى؛ لأنَّ الأمر مختص بتكليف العباد.

٢ـ إنَّ الظهور يكون واضحًا لا خفاء، ولا لبس فيه، بل يكون في طريق مستقيم منير، وليس خافٍ على المؤمنين.

٣ـ تكون الأدلة على أثبات ظهوره قائمة جلية للناس كلهم، كما هو الحال في إثبات النبوات وغيرها، بطريقة يعرفها ويميزها جميع الناس المؤمنين به، ولا تحتاج إلى براهين وأدلة للإقناع، كما ورد في الروايات أنَّ أمره أبين من الشمس. (٤٥)

٤ـ إنَّ العناية الإلهية تكون رفيق ظهوره (عليه السلام)، وهذا يؤكّد تأييده من اللّه تعالى في أداء رسالته الموكولة إليه، كم هو حاله تعالى مع حججه، قال تعالى مخاطبًا نبيه موسى وهارون (عليهما السلام) في لقائهما بطاغية زمانهما فرعون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ۝ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ (٤٦) وفي هذا كمال العناية الإلهية بحججه وعباده معًا.

٥- إنّ النصر الإلهي للإمام (عليه السلام) على أعدائه أمر محتوم لا محالة، وهذا وعد عظيم منه تعالى، قال عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ (٤٧) وغيرها من الآيات المباركة.

فهذه أهم الموضوعات التي تم بيانها والتأكيد عليها في هذا المورد المتعلق بظهوره (عليه السلام)، والذي يجب أن يكون المؤمنون على بينة منه، فظهوره واضح البيان والبرهان للعيان، ولكن بعد المعرفة والتثبت في ذلك، وإلا ((فمَنِ ٱستعجلَ فِي ذلِكَ فلا يُضِلَّنَّ إلا نفسَهُ)).

- المطلب الرابع: التمسك بالمرجعية الدينية.

إنّ التمسك بتعاليم المرجعية الدينية من أهم سبل نجاة المجتمع من الفتن والأهواء التي يتعرض لها، فضلًا عن بيانها تعاليم الشريعة المقدسة وأحكامها، وكونها الركن الوثيق الذي تلجأ الأمة إليه في المهمات الصعاب، وهذا ما لا يخفى على كُلّ مطلع لتأريخ المرجعية الدينية، وإنّ الرجوع إلى العلماء الأعلام هو من أهم وصايا الأئمة (عليهم السلام) لشيعتهم، وقد تقدمت بعض تلك الروايات التي تؤكّد ذلك، ولما كانت القضية المهدوية تعد من صميم الأمور العقائدية في زمن غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) كان لزامًا الرجوع إلى المراجع الأعلام الذين هم وكلاء عن الإمام في قيادة الأمة، ومنها التعرف على كُلّ ما لم يمكن معرفته من دون أهل الخبرة والاختصاص الأعلام الموثوقين، وهذا ما تم التأكيد عليه في بيان المرجعية إذ ورد ((كَمَا أنّ المَرْجِعَ فِيْ أمُوْرِ الدِّيْنِ فِيْ زَمَانِ غَيْبَتِهِ "عَلَيْهِ السَّلَامُ" هُمْ العُلَمَاءُ المُتقُوْنَ، مِمَّنْ ٱختبرَ أمْرَهُمْ فِيْ العِلْمِ والعَمَلِ، وَعَلِمَ بُعْدَهُمْ عَنِ الهَوَى والضَّلَالِ، كَمَا جَرَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الطَائِفَةُ مُنْذُ عَصْرِ الغَيْبَةِ الصُغْرَى إلى عَصْرِنَا هَذَا)).

وإنّ هذا التمسك الوثيق بين المؤمنين والمرجعية الدينية من خلال (التقليد) كان من أهم الموضوعات التي حاول أصحاب الدعاوى الباطلة والمنحرفة في القضية المهدوية التأكيد عليه، من خلال التشكيك بوجوب التقليد، أو نفي جواز التقليد، أو لا توجد أي أسباب توجب التقليد فالمرجع إنسان وأنت إنسان، أو بث الأباطيل والتهم ضد المرجعية الدينية، أو المراجع الكرام، أو وكلائهم، أو المقرّبين منهم، أو دفع الخمس والحقوق الشرعية، أو ما يتعلق بعلومهم وغير ذلك مما لا علاقة بالمرجعية، بالكذب والافتراء على البسطاء والسذج، وتلقينهم ذلك (٤٨)؛ ليكون كُلّ واحد من هؤلاء داع إلى أباطيلهم من حيث يعلم أو لا يعلم، ولقد رأينا تلك الحملة الإعلامية الكبيرة لتلك الفئات المنحرفة، وأرى وجود دور لجهات معادية للعراق عامة وللشيعة خاصة في ظهور هذه الدعوات في هذه الوقت بعد سقوط النظام البعثي في العراق، وبروز المواقف العظيمة التأريخية للمرجعية الدينية ضد الغزو الأمريكي، وأتباعه، وأوليائه وغيرهم من الحاقدين، وأما ما كان من موقفها في الفتوى التأريخية للدفاع الكفائي ضد كيان داعش فلا يحيط بها قرطاس ولا قلم، ولكن ستبقى مواقفها تتوارثها الأجيال زادًا عظيمًا لمستقبل كريم، وستكتب الأقلام المنصفة تلك المواقف التي كان الشرف الأعظم فيها يدور بين مداد العلماء، ودماء الشهداء.

ـ المطلب الخامس: المجتمع الإيماني الواعي.

إنّ من أهم مقومات المجتمع الديني المحصّن عقائديًا وفكريًا هو الوعي التام لما يؤمن به من أحكام وأفكار ومبادىء، لا مجرد الإيمان العطفي، أو المتوارث من الآباء –وهو الغالب، بل الإيمان القائم على العلم والمعرفة والدليل، فضلًا عن الوعي لأبعاد ذلك، فبذلك يمكن تحصين المجتمع أو التقليل من ظهور الدعوات المنحرفة العقائدية أو

الفكرية، بل المجتمعية أيضًا من خلال ما ورد ((ولا شكَّ فِيْ أنَّ السَّبيْلَ إلى طاعةِ الإمام "عليْهِ السَّلام"، والقُرْبَ مِنْهُ، ونيْلَ رِضاهُ، هُوَ الالتِزامُ بأحْكَامِ الشَّرِيْعَةِ المُقدَّسَةِ، والتحلِّيْ بالفَضائِلِ، والابتِعادِ عَنِ الرَّذائِلِ، والجَرْيِ وفقَ السِّيْرَةِ المَعْهُوْدَةِ مِنْ عُلَماءِ الدِّيْنِ، وأساطِيْنِ المَذْهَبِ، وسَائِرِ أهلِ البَصِيْرَةِ، التِيْ لا يَزالوْنَ يَسِيْرُوْنَ عَلَيْهَا مُنْذُ زَمَنِ الأئِمَّةِ "عَلَيْهِمُ السَّلام")).

فالمرجعية قد أكَّدت في بيانها أنَّ من سبل النجاة من الانحراف هو وجوب أنْ نكون في مرتبة الطاعة لإمام الزمان المهدي (عليه السلام)، والاستعداد للدولة الكريمة المنشودة، وليس مجرد الحب العاطفي الذي يشترك في كُلُّ الناس في الأغلب مع مفارقتهم لطاعته، بل التعدي في أحايين على حقوقه التي أثبتتها الشريعة المقدسة في القرآن والسنة الشريفة (٤٩)، فإذا تمكن الفرد والمجتمع من الوصول إلى طاعته والامتثال لأوامره فقد تم تحصين الفرد والمجتمع من الدعوات المنحرفة، وإلا فسيبقى المجتمع يتلقى الدعوات الباطلة واحدة تلو الأخرى كُلَّ حين، وما تسببه من خسارات مادية ومعنوية كبيرة، فردية ومجتمعية.

ولأجل أنْ نصل إلى مقام الطاعة له (عليه السلام)، فقد بينت المرجعية سُبُلًا أربعة موجزة، لها أنفع الأثر في تحقيق الطاعة والقرب والرضا للإمام المهدي، والحفاظ على مقام وكرامة القضية المهدوية، وهي ما يأتي:

١ـ الالتزام بأحكام الشريعة المقدسة: وهذا أمر بديهي يجب الالتزام بها، فأكثر الناس حُبًا وانتظارًا للإمام يجب أنْ يكونوا أكثر تمسُكًا لتعاليم الشريعة، فالإمام ترجمان الشريعة، وهو الثقل الثاني الهادي من الضلال بنص حديث الثقلين المتواتر، وأنْ يكونوا من المخلصين في أعمالهم التي يؤدونها؛ للحفاظ على آثارها العظيمة. (٥٠)

٢ـ التمسك بفضائل الأخلاق: فالشريعة المقدسة تدعو الفرد والمجتمع إلى التمسك بالأخلاق الفاضلة التي لها أثر في تربيته، والآيات والروايات كثيرة في ذلك، فقد خاطب الله تعالى نبيه الأكرم بذلك تكريمًا له ولمنهجه الأخلاقي العظيم ﴿وإنك لعلى خلقٍ عظيم﴾. (٥١)

٣ـ التخلي عن رذائل الأخلاق: فالتخلي عن الرذائل رسالة عملية جلية لتمسك الفرد والمجتمع بتعاليم الشريعة، وتماسكه في جوانبه المتعددة، والآيات والروايات كثيرة في ذلك، بل الوصول إلى مجتمع ذي تربية خاصة له القدرة على البناء الفردي والمجتمعي للشخصية.

٤ـ الاقتداء بسيرة العلماء: إنّ القدوة الحسنة في المجتمع لها أثر كبير في هداية وصلاح المجتمع، ولا بد للإنسان إنْ أراد الفوز والنجاح أنْ يجعل منهجهم سبيل وصولٍ إلى المعالي، وقد حثت المرجعية على أتباع (علماء الدين + أساطين المذهب + أهل البصيرة) الذين يسيرون بعلم بسنة الأئمة (عليهم السلام)، فلنتأمل بهذه الطائفة التي تم الحث على أتباعها، وليس أتباع الأدعياء المنحرفين الذين لا يُعرف لهم أصل أو منهج.

وفي الوقت نفسه فإنّ المرجعية بعد أنْ بينت طريق نجاة المجتمع الإيماني الواعي في الخطوات الأربع المتقدمة، ذكرت نتيجة الإعراض عن التمسك بما ورد ((فمَنْ سَلَكَ طريقًا شاذًّا أوْ سَبيلًا مُبتدَعًا فقَدْ خاضَ فِيْ الشُبْهَة، وَسَقَطَ فِيْ الفِتنَة، وَضَلَّ عَنِ القَصْد))، وقد حددت طبيعة الانحراف في الأمور الثلاثة الآتية:

١ـ الخوض في الشبهات: إنّ الإنسان الذي لا يتمسك بما تقدم من الأمور الأربعة التي هي سبيل النجاة فإنه سيخوض في الأمور المتشابهة التي تحتاج إلى المختص لبيان

حقيقتها، وهذا ما وقع بالفعل في جميع الدعوات المنحرفة في القضية المهدوية على مَرّ التأريخ.

٢ـ السقوط في الفتنة: إنّ الإنسان الذي لا يملك مقومات المعرفة، ولا يرجع فيها إلى أهل الاختصاص فوقوعه في فتنة أولئك المنحرفين مما لا نجاة منه، فحاله كحال المريض الذي لا يعرف دواء علاجه، ولا يريد البحث عن الطبيب، فمرضه يزداد سوء وعاقبة، ومرض الأديان أعظم وأعظم من مرض الأبدان.

٣ـ الضلال عن الصراط: إنّ الهداية إلى الصراط لا يمكن أنْ تتحقق من دون التمسك بما تقدم من الأمور الأربعة، فالصراط المستقيم في الشريعة المقدسة، أو القضية المهدوية، أو أي مسألة مجتمعية لا يمكن أنْ ينجح بها الإنسان ما لم يجعل له منهجاً واضحًا مستندًا فيه إلى الثوابت الصريحة. (٥٢)

ختامًا هذا ما حاولت بيانه في قراءة تحليلية موجزة لدور المرجعية الدينية المباركة في التصدي للدعوات المنحرفة في القضية المهدوية، أسأل اللّه تعالى الصلاح والإصلاح، وأنْ نكون أهلًا لطاعة الإمام المهدي (عليه السلام)، والقرب منه، ورضاه، والعمل على الدعوة إليه بأفعالنا، وأنْ يجعل بلدنا آمنًا ببركات وجوده من كُلّ سوء وضلال، ويعجّل بدولته الكريمة التي يعزُ الإسلام وأهله، ويذلُ بها النفاق وأهله، إنه سميع مجيب.

خاتمة وتوصيات:

١ـ إنّ القضية المهدوية من العقائد الإسلامية الثابتة التي لا خلاف بين المسلمين في أصلها، ويجب على المسلمين الإيمان بها عن علم قائم على الأدلة الرصينة، من دون الاكتفاء بالعاطفة أو التقليد وغيرهما.

٢- إنّ الدعاوى التي تعرضت لها هذه العقيدة لها تأريخ قديم، قائم على الافتراءات والأباطيل التي تعرضت لها كثير من العقائد الإسلامية، وليست هي وليدة الوقت الحاضر، فيجب دراسة تلك الجذور التأريخية لمعرفة أساس المشكلة التي منها ينطلق أصحاب الدعاوى في الوقت الحاضر.

٣- إنّ المرجعية الدينية قد تصدت لتلك الدعاوى الباطلة منذ الساعات الأولى لظهورها بأساليب متعددة، أبتداء من عصر الأئمة (عليهم السلام)، مرورًا بعصر الغيبة ودور أعلام المرجعية ومنهم سماحة السيد علي السيستاني (دامت بركاته) في الوقت الحاضر.

٤- قد تبين من خلال البحث أنّ الجهل والبساطة والسذاجة تعد من أهم أسباب ومقومات تلك الدعاوى، ويجب تثقيف المجتمع على العقائد الإسلامية بصورة عامة، ومنها ما يتعلق بالقضية المهدوية.

٥- إنّ موقف المرجعية كان مواقفًا عظيمًا وتأريخيًا، فضلًا عن كونه علميًا حكيمًا في التصدي لتلك الدعاوى المنحرفة، من حيث المواجهة لذلك بسرعة فائقة، وعلى مستويات متعددة ومختلفة، كان لها أبلغ الأثر في القضاء عليها.

٦- يوصي الباحث بضرورة تكثيف المحاضرات التوعية الخاصة بالعقائد الإسلامية بصورة عامة، والمهدوية بصورة خاصة من خلال المنبر الحسيني خاصة، والتأكيد على أهمية ذلك؛ لما للمنبر من دور مجتمعي، وفي أيام لها مكانة في النفوس.

٧- يوصي الباحث بضرورة تكثيف المحاضرات التوعية الخاصة بالعقائد الإسلامية بصورة عامة، والمهدوية بصورة خاصة بين الشباب في المجتمع، وخصوصًا طلبة الجامعات الذين يستهدفهم العدو في هذه المرحلة بأساليب مختلفة.

٨ـ أرى من الضروري جدًا توزيع الكراسات المختصرة المتعلقة بالرد على الإشكاليات التي ينشرها أصحاب الدعاوى الباطلة، وبأسلوب عصري يلائم المشكلة وعلاجها، من خلال العرض، والبيان، والطباعة الفنية.

٩ـ أظن من المهم جدًا أن يكون لأساتذة الحوزة العلمية المباركة بمتابعة الطلبة الذين تكون لهم توجهات فكرية خاصة في هذه العقيدة المباركة، والتصدي لها، وعدم فسح المجال في التأثير على غيرهم من طلبة، أو عموم الناس.

١٠ـ إنَّ للإعلام دورًا كبيرًا في توعية المؤمنين حول تلك الدعاوى وأسبابها وعلاجها، فمن الضرور تهيئة برامج خاصة في ذلك قائمة على بيان ما يتعلق بذلك من خلال الأدلة والمناقشات، بعيدًا عن التحشيد في الروايات، ومحاولة الابتعاد عن علامات الظهور.

١١ـ أرى أنَّ هذا الإجابة للمرجعية الدينية الذي تم دراستها يعد وثيقة عظيمة في التصدي لتلك الدعوات المنحرفة، ويوجب طباعته بلغات حية متعددة، ونشره بين المؤمنين؛ ليتعرفوا على سبل التعامل مع القضايا والأفكار التي تدعو للتشكيك، وكيفية معالجتها.

١٢ـ أخيرًا أرى من الضروري جمع فتاوى العلماء حول هذه القضية ونشرها في كراس خاص؛ ليكون المؤمنون على وعي تام بدور المرجعية في التصدي للظواهر المنحرفة عقائديًا على مر التأريخ، وما في ذلك من درس تربوي للأمة في الترابط مع المرجعية.

(ملحق) نص جواب مكتب السيد السيستاني حول الدعاوى المنحرفة في القضية المهدوية الذي تم أعتماده في الدراسة

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة المرجع الأعلى آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني(دام ظله)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ظهرت في الآونة الأخيرة ادعاءات السفارة للإمام المهدي عج. بل يدّعي البعض أنه الإمام المنتظر، في حين لم يلق هؤلاء رادعاً قوياً وبياناً واضحاً من مصادر الفتيا والعلم. وقد استغل هؤلاء انعدام المعايير الصحيحة لدى عامة الناس، نتيجة الجهل، والتجهيل المتعمد من قبل الظالمين، والغفر، وانفلات الوضع الأمني، الذي ابتليت به أمّة المسلمين عموماً وفي العراق بالخصوص.

وقد بان بطلان وفضيحة من ادعى ذلك، في زمن الغيبة الكبرى بعد السفير الرابع أبي الحسن عليّ بن محمّد السمري (رضوان الله عليه)، وبقي بعضُ لم يتبيّن للناس زيفه. وقد انهالت على مركزنا الأسئلة حول هذا الموضوع. ولما كانت المرجعية الدينية هي الحصن الحصين للمذهب ولأبنائه لذا كان من الواجب أن نتوجّه إلى سماحتكم ممثلين عموم الشعب المؤمن الموالي لأهل بيت النبوة عج، آملين من سماحتكم بيان الرأي في ردع هذه الدعاوى، وبيان المعايير التي يصح فيها ادعاء مثل هذه المدعيات، حتى يتبين للمؤمن: كيفية التمييز؟ ومتى يصدّق؟ ومتى يكذّب؟ هذه الدعاوى.

أدام الله ظلكم الوارف على رؤوس الأنام ولا حرمنا من فيوضاتكم المباركة.

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عج

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له لكميل بن زياد رضوان الله عليه:

(الناس ثلاثة: عالم ربانيّ، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق).

ان من أهم الواجبات على المؤمنين في عصر غيبة الإمام (عجل الله فرجه الشريف) هو أن يتعاملوا بتثبّت وحذر شديد فيما يتعلق به عليه السلام ومظهره وسُبل الارتباط به، فان ذلك من أصعب مراحل الابتلاء والامتحان للفرد في طول عصر الغيبة.

فكم من صاحب هوى مبتدع تلبّس بلباس أهل العلم والدين ونسب نفسه اليه عليه السلام، مستغلاً طيبة نفوس الناس وحسن ظنهم بأهل العلم وشدة تعلقهم بأهل بيت الهدى عليهم السلام وانتظارهم لأمرهم، فاستمال بذلك فريقاً من الناس وحملهم به الى بعض الغايات الباطلة، ثم انكشف زيف دعواه وتمت هلكته وأهلكته الكثيرين. وكم من إنسان يستسهل في الاعتماد على مثل هذه الدعاوى الباطلة والرايات الضالة، بلا تثبّت وحذر، فظن نفسه من المتعاملين على سبيل نجاة ولكنه كان في واقعه من الهمج الرعاع، قد تعثر بعد الوسادة عامة وخرج من الحق بعد الهداية، حتى اتخذ إليه (عليه السلام) طريقاً مرهوماً. بل ربما استدرج للإيمان بأمانة منه من الأدعياء، فانه ورد في الحديث الشريف: (من مات ولم يعرف إمام حيه مات ميتة جاهلية).

وقد اتفق من هذه الحركات منذ الغيبة الصغرى الى هذا العصر شيء كثير حتى أنه ربما كان في زمان واحد عدد من أدعياء الوساطة والسفارة. بحيث لو وقف الناظر على ذلك لكان فيه عبرة وتبصّر، ولتعجب من جرأة أهل الأهواء على الله سبحانه وعلى أوليائه عليهم السلام بالدعاوي الكاذبة وصلفه الى شيء من حطام هذه الدنيا، واستغرب سرعة تصديق الناس لهم والانسياق وراءهم مع ما أمروا به من الوقوف عند الشبهات والتجنب عن الاسترسال في أمور الدين فان سرعة الاسترسال عثرة لا تقال.

أما وان الامام عليه السلام حين يظهر يكون ظهوره مقرونا بالحجة البالغة والمحجة الواضحة والادلة الظاهرة، ممتازا بعنايته سبحانه، مؤيدا بنصره حتى لا يخفى على نوس حجته ولا يضل لطالب الحق من سبيله، فمن استعجل في ذلك فلا يضلن الا نفسه، فان الله سبحانه لا يعجل بعجلة عباده.

كما أن المرجع في أمور الدين في زمان غيبة عليه السلام هم العلماء المتقون ممن اختبر أمرهم في العلم والعمل وعلم بُعدهم عن الهوى والضلال كما جرت عليه هذه الطائفة منذ عصر الغيبة الصغرى الى عصرنا هذا.

والسبيل في أن السبيل الى خاصة الامام عليه السلام والقرب منه ونيل رضاه هو الالتزام باحكام الشريعة المقدسة والتحلي بالفضائل والابتعاد عن الرذائل والجري وفق السيرة المعهودة من علماء الدين واساطين المذهب وسائر أهل البصيرة الذين لا يزالون يسيرون عليها منذ زمن الائمة عليهم السلام، فمن سلك طريقا شاذا أو سبيلا مبتدعا فقد خاض في الشبهة وسقط في الفتنة وضل عن القصد.

والمعلم ان الروايات الواردة في تفاصيل علائم الظهور هي كغيرها من الروايات الواردة عنهم عليهم السلام لابد في البناء عليها من الرجوع الى أهل الخبرة والاختصاص لاجل تمحيصها وفرز غثها من سمينها ومحكمها من متشابهها، والترجيح بين متعارضاتها لا يصح البناء في تحديد مضامينها وتشخيص موادها على أساس الحدس والتظني فان الظن لا يغني من الحق شيئا. وقد أخطأ في أمر هذه الروايات فئتان:

فئة شمروا في تطبيقها واستعجلوا في الأخذ بها - على حسن نية - من غير مراعاة للمنهج الذي تجب رعايته في مثلها، فعثروا في ذلك وصدوا السبيل عن حيث لا يريدون لوضوح الأمراض الباطلة، وان الناظر المطلع على ما وقع من ذلك يجد أن بعضها قد طبق أكثر من مرة في أزمنة مختلفة، وقد ظهر الخطأ فيه كل مرة ثم يعاد الى تطبيقها من جديد.

وفئة أخرى من أهل الأهواء، فانه كلما أراد أحدهم ان يستحدث هوى ويرفع راية ضلال ليجتذب فريقا من البسطاء والسذج اختار جملة من متشابهات هذه الروايات وصنعها ما يتكلف في تطبيقها على نفسه وحركته، ليعمي الناس بالأماني الباطلة، ويغرهم بالدعاوي الباطلة فيوقع في قلوبهم الشبهة. وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام (فاحذروا الشبهة واستعدوا لها على لبسها، فان الفتنة طالما أغدقت جلبابها وأعشت الأبصار ظلمتها) وقال عليه السلام (إن الفتن إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت نبهت، يؤلفن مقبلات ويعرفن مدبرات).

نسأل الله تعالى أن يقي جميع المؤمنين شر الفتن المظلمة والأهواء الباطلة ويوفقهم لحسن الانتظار لظهور الامام عليه السلام. وقد ورد في الحديث الشريف (من مات منتظرا لأمرنا كان كمن كان مع قائمنا عليه السلام) والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٢ صفر الخير
١٤٠٨

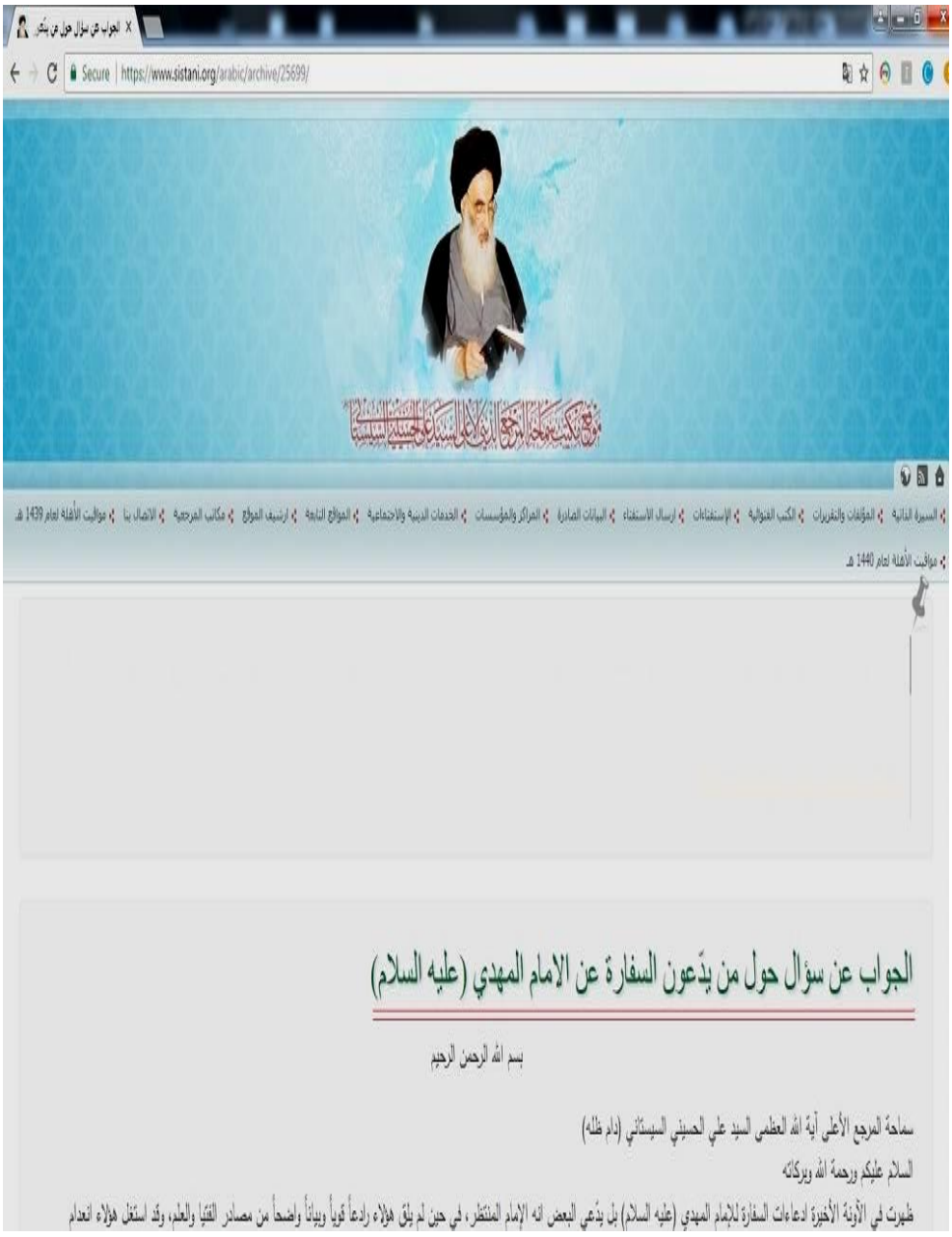

نشر جواب المرجعية الدينية على الموقع الإلكتروني لسماحة السيد علي السيستاني (دام ظله) حول دعوى السفارة عن الإمام المهدي (عليه السلام)

نص جواب المرجعية الدينية على دعوى السفارة عن الإمام المهدي (عليه السلام)

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة المرجع الأعلى آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ظهرت في الآونة الأخيرة ادعاءات السفارة للإمام المهدي (عليه السلام) بل يدّعي البعض انه الإمام المنتظر، في حين لم يلق هؤلاء رادعا قويا وبيانا واضحا من مصادر الفتيا والعلم، وقد استغل هؤلاء انعدام المعايير الصحيحة لدى عامة الناس، نتيجة الجهل، والتجهيل المتعمد من قبل الظالمين، والفقر، وانفلات الوضع الأمني، الذي ابتليت به أمّة المسلمين عموما وفي العراق بالخصوص.

وقد بان بطلان وفضيحة من ادعى ذلك في زمن الغيبة الكبرى بعد السفير الرابع أبي الحسن علي بن محمد السمري (رضوان الله عليه) وبقي بعض لم يتبيّن للناس زيفه، وقد انهالت على مركزنا الأسئلة حول هذا الموضوع، ولما كانت المرجعية الدينية هي الحصن الحصين للمذهب ولأبنائه لذا كان من الواجب أن نتوجه الى سماحتكم ممثلين عموم الشعب المؤمن الموالي لأهل بيت النبوة (عليهم السلام)، آملين من سماحتكم بيان الرأي في رد ع هذه الدعاوى، وبيان المعايير التي يصح فيها أدعاء مثل هذه المدعيات، حتى يتبين للمؤمن: كيفية التمييز؟ ومتى يصدّق؟ ومتى يكذّب؟ هذه الدعاوى. أدام الله ظلكم الوارف على رؤوس الأنام ولا حرمنا من فيوضاتكم المباركة.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في كلام له لكميل بن زياد رضوان الله عليه: (الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق) ان من أهم الواجبات على المؤمنين في عصر غيبة الإمام (عجل الله فرجه الشريف) هو أن يتعاملوا بتثبت وحذر شديد فيما يتعلق به عليه السلام وبظهوره وسبل الارتباط به، فان ذلك من اصعب مواطن الابتلاء ومواضع الفتن في طول عصر الغيبة. فكم من صاحب هوى مبتدع تلبس بلباس أهل العلم والدين ونسب نفسه إليه عليه السلام، مستغلا طيبة نفوس الناس وحسن ظنهم بأهل العلم وشدة تعلقهم بأهل بيت الهدى عليهم السلام وانتظارهم لأمرهم، فاستمال بذلك فريقا من الناس وصلة به إلى بعض الغايات الباطلة، ثم انكشف زيف دعواه وقد هلك وأهلك الكثيرين، وكم من إنسان استرسل في الاعتماد على مثل هذه الدعاوى الباطلة والرايات الضالة، بلا تثبت وحذر، فظن نفسه من المتعلمين على سبيل نجاة ولكنه كان في واقعه من الهمج الرعاع، قد تعثر بعد الاستقامة وخرج عن الحق بعد الهداية، حتى أتخذ إليه (عليه السلام) طريقا موهوما، بل ربما استدرج للإيمان بإمامة غيره من الادعياء، فأندرج في الحديث الشريف (من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة جاهلية). وقد اتفق من هذه الحركات منذ الغيبة الصغرى الى هذا العصر شيء كثير حتى أنه ربما كان في زمان واحد عدد من أدعياء الإمامة والسفارة، بحيث لو وقف الناظر على ذلك لكان فيه عبرة وتبصر، ولتعجب من جرأة أهل الأهواء على

اللّه سبحانه وعلى أوليائه عليهم السلام بالدعاوي الكاذبة وصلة الى شيء من حطام هذه الدنيا واستغرب سرعة تصديق الناس لهم والإنسياق ورائهم مع ما أمروا به من الوقوف عند الشبهات والتجنّب عن الاسترسال في أمور الدين فان سرعة الاسترسال عثرة لا تقال. ألا وإن الإمام عليه السلام حين يظهر يكون ظهوره مقرونا بالحجة البالغة والمحجّة الواضحة والأدلة الظاهرة، محفوفا بعنايته سبحانه، مؤيدا بنصره حتى لا يخفى على مؤمن حجته ولا يضل طالب للحق عن سبيله، فمن استعجل في ذلك فلا يضلّن الا نفسه، فإن اللّه سبحانه لا يعجل بعجلة عباده. كما أن المرجع في أمور الدين في زمان غيبته عليه السلام هم العلماء المتقون فمن اختبر أمرهم في العلم والعمل وعلم بُعدهم عن الهوى والضلال كما جرت عليه هذه الطائفة منذ عصر الغيبة الصغرى إلى عصرنا هذا. ولا شك في أن السبيل الى طاعة الإمام عليه السلام والقرب منه ونيل رضاه هو الالتزام بأحكام الشريعة المقدسة والتحلي بالفضائل والابتعاد عن الرذائل والجري وفق السيرة المعهودة من علماء الدين وأساطين المذهب وسائر أهل البصيرة التي لا يزالون يسيرون عليها منذ زمن الأئمة عليهم السلام، فمن سلك طريقا شاذا أو سبيلا مبتدعا فقد خاض في الشبهة وسقط في الفتنة وضل عن القصد. وليعلم أن الروايات الواردة في تفاصيل علائم الظهور هي كغيرها من الروايات الواردة عنهم (عليهم السلام) لا بدّ في البناء عليها من الرجوع إلى أهل الخبرة والاختصاص لاجل تمحيصها وفرز غثها من سمينها ومحكمها من متشابهها، والترجيح بين متعارضاتها ولا يصح البناء في تحديد مضامينها وتشخيص مواردها على أساس الحدس والتظنّي فإن الظن لا يغني من الحق شيئا.. وقد أخطأ في أمر هذه الروايات فئتان: فئة شرعوا في تطبيقها واستعجلوا في الأخذ بها ـ على حسن نية ـ من غير مراعاة للمنهج الذي تجب رعايته

في مثلها، فعثروا في ذلك ومهّدوا السبيل من حيث لا يريدون لأصحاب الأغراض الباطلة، وإن الناظر المطلع على ما وقع من ذلك يجد أن بعضها قد طبّق أكثر من مرة في أزمنة مختلفة وقد ظهر الخطأ منه كل مرة ثم يعاد إلى تطبيقها من جديد.

وفئة أخرى من أهل الأهواء، فإنه كلما أراد أحدهم أن يستحدث هوى ويرفع راية ضلال ليجتذب فريقا من البسطاء والسذج اختار جملة من متشابهات هذه الروايات وضعافها وتكلف في تطبيقها على نفسه وحركته، ليمني الناس بالأماني الباطلة، ويغرّرهم بالدعاوي الباطلة فيوقع في قلبهم الشبهة، وقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام) فاحذروا الشبهة واشتمالها على لبستها، فإن الفتنة طالما أغدقت جلابيبها وأعشت الأبصار ظلمتها) وقال عليه السلام (إن الفتن إذا أقبلت شبّهت وإذا أدبرت نبّهت، ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات).

نسأل اللّه تعالى ان يقي جميع المؤمنين شر الفتن المظلمة والأهواء الباطلة ويوفقهم لحسن الانتظار لظهور الإمام (عليه السلام) وقد ورد في الحديث الشريف: من مات منتظرا لأمرنا كان كمن كان مع قائمنا (عليه السلام).

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

سلطان مكتب السيد السيستاني (دام ظله) ـ النجف الاشرف

أجوبة المسائل الشرعية

صفر الخير ١٤٢٨ هـ ق١٢

الهوامش:

(١) سورة التين: الآية ٤.

إن الآية المباركة هي جواب لأقسام أربعة أقسم الله تعالى ليبين أهمية وعظمة الأمر الذي يريد بيانها، وإحدى مصاديق تكريمه بعد خلقه بهذه الصورة العظيمة، إرسال الرسل إليه لتقويم نظامه ومنهجه الذي فيه كماله ونجاته.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

إن الآية المباركة بصدد بيان النعم التي أنعم الله تعالى على عباده فضلا عمّا يعتقدون حيث تكريمه وحمله في البر والبحر وهو كناية عن تسخير ذلك، ثم رزقه وتفضيله، وفي ذلك دلالة على مقام الإنسان وفضله.

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي ١٣٥/٢٧. باب (وجوب الرجوع في القضاء والفتوى إلى رواة الحديث من الشيعة فيما رووه عن الأئمة "عليهم السلام")، الحديث ٥٠.

(٤) المصدر نفسه ١٤٣/٢٧ الباب نفسه، الحديث ١٧.

(٥) إن هذه الأحاديث تعد اللبنة الأولى للمرجعية الدينية في تأسيسها وتثبيت وجودها وتطويرها، وهذا ما رأيناه من وجودها الكبير في الأمة منذ زمن الغيبة إلى اليوم، والمراحل التي مرت بها. للتفصيل ينظر: دراسة في معجم رجال الحديث للسيد أبي القاسم الخوئي، عماد الكاظمي ص٥٣-٥٥ ، ولبيان أهم المراكز العلمية للمرجعية الدينية ينظر: تأريخ التشريع الإسلامي، عبد الهادي الفضلي ص٣٣٣-٤٦٢.

(٦) وسائل الشيعة ١٤٠/٢٧، الباب السابق، الحديث ٩.

(٧) ينظر: المرجعية الدينية ودورها في بناء الدولة العراقية –مواقف ورؤى في فتاوى الشيخ الشيرازي والسيد السيستاني، عماد الكاظمي ص١٠-١٣.

(٨) للتفصيل في البيانات الصادرة والفتاوى في ذلك ينظر: النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني (دام ظله) في المسألة العراقية، حامد الخفاف، موقع سماحة السيد علي السيستاني (دام ظله) www.sistani.org

(٩) لقد قام الإمام العسكري (عليه السلام) بخطوات متعددة أراد من خلالها التأكيد على ولادة الإمام المهدي، ووجوده، ورؤيته من قبل المقربين، والتوصية به، والعهد إليه؛ محاولة منه في تحصين هذه القضية مما يمكن أن يشوبها من أفتراءات وأدعاءات. للتفصيل ينظر: أعلام الهداية (الإمام الحسن العسكري "عليه السلام")، المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) ١٥٧/١٣-١٦٥.

(١٠) للتفصيل ينظر: الغيبة الشيخ محمد بن الحسن الطوسي ص٣٩٧-٤١٥.

(١١) كمال الدين و إتمام النعمة، الشيخ محمد بن الحسين الصدوق ص٥١٦ ، الغيبة ص٣٩٥ ، إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ أبي الفضل بن الحسن الطبرسي ٢٦٠/٢.

(١٢) إنّ من أهم المراكز العلمية التابعة للمرجعية الدينية هو مركز (الدراسات التخصصية بالإمام المهدي عليه السلام) في النجف الأشرف، وقد قام بفعاليات كثيرة متنوعة من أجل التحصين العقائدي والثقافي للمجتمع حول هذه القضية، من خلال طبع ونشر المؤلفات والدراسات والبحوث والإصدارات والمجلات والمحاضرات والأقراص، فضلا عن الموقع الإلكتروني والمسابقة المهدوية السنوية التي لها أثر كبير في نشر تلك الثقافة. للتفصيل ينظر: الموقع الإلكتروني http://m-mahdi.com/.

(١٣) موقع سماحة السيد علي السيستاني (دام ظله) www.sistani.org

(١٤) الغيبة ص٣٩٧ـ٤١٥.

(١٥) لقد ظهرت حركات متعددة في بلدان إسلامية مختلفة، أدعت أنتسابها ووكالتها وسفارتها عن الإمام المهدي (عليه السلام) للتفصيل ينظر: وكلاء الإمام المهدي (عليه السلام) في زمن الغيبة الصغرى من غير السفراء، حسن الشيخ عبد الأمير الظالمي ص٢٤٤ـ٢٥٣ ، سفراء الإمام المهدي والسفارات الكاذبة، د. عباس عبد الأمير ص١٣٧ـ١٤٩ ، المصلح العالمي من النظرية إلى التطبيق، السيد نذير الحسيني ص١٥٧ـ١٦١.

(١٦) وسيتم بيان ما يتعلق بهذه الفقرة عند الحديث عن موارد المطلب الثاني من هذا المبحث.

(١٧) وسوف أبين بعض ما يتعلق بذلك في المطلب الثالث من هذا المبحث.

(١٨) وقد ذكر سماحة السيد أحمد الإشكوري في دراسته لدواعي الانحراف دوافع أخرى متعددة ومنها: سلطان الدافع النفسي والعاطفي. سلطان الدافع الفلسفي وأنحراف الفكر. سلطان الدوافع السياسية. سلطان الدافع المادي ومكاسب الشهرة. سلطان الاستعجال وعدم الصبر. وغيرها للتفصيل ينظر: العقيدة المهدوية إشكاليات ومعالجات ص٢٠٤ـ٢٠٥.

(١٩) للتفصيل ينظر مثلا: أصول الفقه، الشيخ محمد رضا المظفر ٢٠٨/٢.

(٢٠) سورة الحشر: الآية ٧.

(٢١) الكافي، محمد بن يعقوب ٦٣/١، باب (أختلاف الحديث)، الحديث ١.

(٢٢) سورة الجاثية: الآية ٢٣

(٢٣) سورة طه: الآية ٨٥

(٢٤) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي ٣٩٤/٢.

(٢٥) سورة البقرة: الآية ٢٥

(٢٦) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ٤٦/٣.

(٢٧) وسوف أبين بعض تلك الموضوعات في المبحث الثاني.

(٢٨) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٢٩) وقد فصلت القول في بيان ما يتعلق بالآية المباركة، والمراد من الراسخين في العلم، والأقوال الواردة في ذلك. ينظر: علوم القرآن الكريم في مخطوطات السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، الشيخ الدكتور عماد الكاظمي ص٩٨-١٠٧.

(٣٠) سورة النساء: الآية ٨٣.

(٣١) سورة البقرة: الآيتان ٩-١٠.

(٣٢) للتفصيل في بيان أهم تلك الوصايا ينظر: دعوى السفارة في الغيبة الكبرى، الشيخ محمد السند ص٢٣٦-٢٤٧.

(٣٣) وهناك من الدراسات التي ذكرت أسباب متعددة حول نشوء هذه الدعاوى الباطلة، والدعوة إليها، ومنها: سلطان الأخذ ببعض الأفكار وترك البعض الآخر. سلطان الأخذ بالجزئيات من دون إرجاعها إلى كُلياتها. سلطان السطحيون والمثقفون غير المتخصصين. سلطانعدم ضبط الثوابت والرجوع والارتكاز إليها. سلطان الاعتماد على مباني فاسدة كمسالك الصوفية والعلوم الدخيلة على الإسلام. ينظر: العقيدة المهدوية إشكاليات ومعالجات ص٢٠٠-٢٠١.

(٣٤) عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر ص٣١-٣٢.

(٣٥) للتفصيل في بيان التربية المهدوية للأسرة ينظر: على ضفاف الانتظار، الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي ص٣١-٣٢.

(٣٦) ينظر: الكافي ٣٣٦/١ باب (في الغيبة)، الحديث ٣،٢،١ ، كمال الدين وإتمام النعمة ص٣٤٧.

(٣٧)كمال الدين وإتمام النعمة ص٢٨٧.

(٣٨) لقد كتب العلماء كثيرًا في الإجابة على ذلك، ولا نريد إعادة ما تم في ذلك، ينظر على سبيل المثال: المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي، السيد ثامر هاشم العميدي ص١٨٤-١٨٩.

(٣٩) سورة التوبة: الآية ١٠٥.

(٤٠) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي ٢٩٥/٥ ، مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي ١٠٤/٥.

(٤١) الكافي ٢١٩/١ باب (عرض الأعمال على النبي "صلى الله عليه وآله" والأئمة "عليهم السلام"، الحديث ٢.

(٤٢) مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي ص٩٢٨.

(٤٣) إنّ ظهوره في آخر الزمان من العقائد الإسلامية الثابتة بين الفرق الإسلامية اعتمادا على روايات صحيحة صريحة، على اختلاف بينهم في ولادته وغيبته وهذا رأي الشيعة، أو عدم ولادته وإنما يولد آخر الزمان وهذا رأي الجمهور.

(٤٤) مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل ٩٩/١ ، سنن أبي داود، أبو داود السجستاني ١٧٤/٤.

(٤٥) ينظر: الكافي ٣٣٦/١ باب (في الغيبة)، الحديث ٣.

(٤٦) سورة طه: الآيتان ٤٦-٤٧.

(٤٧) سورة محمد: الآية ٧.

(٤٨) ولقد التقيت مع بعضهم في جلسات مختلفة فرأيتهم ممن ينطبق عليهم ما ورد من الجهات المتقدمة، فضلا عن بساطتهم وسذاجتهم، فهو ملقنون لموضوعات محددة، وما إن تتسلسل معهم في بيان حقيقة الأمر حتى يقف أحدهم عاجزا لا يعرف ما يقول، سوى أنهم قالوا لنا هذا، وأنّ هذا هو طريق الحق وأكثر الناس له كارهون، أو أنّ أمر الإمام المهدي صعب مستصعب إلى آخره من أقوال لا علاقة لها بالعقيدة!!

(٤٩) فمثلا ما مدى امتثال الناس لأداء فريضة الخمس، وهو حق ثابت واضح للإمام (عليه السلام).

(٥٠) لمعرفة أهمية الإخلاص وآثاره في الانتظار ينظر: تأريخ الغيبة الكبرى، السيد محمد محمد صادق الصدر ٢١٣/٢-٢١٤.

(٥١) سورة القلم: الآية ٤.

(٥٢) للتفصيل في الروايات الواردة في هذا الباب، والإفادة منها في أهمية عدم الانجرار وراء تلك الدعوات التي تدعو إلى تفرق المسلمين عن عقائدهم، والاستعجال في تصديق أي دعوى. ينظر: الفتنة في عصر الغيبة، طلال الحكيم ص٥٦-٦٤.

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. أصول الفقه، الشيخ محمد رضا المظفر (ت١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، (مركز انتشارات دار التبليغ الإسلامي، قم، ١٣٧٠ش، د.ط)

٣. أعلام الهداية (الإمام الحسن العسكري "عليه السلام")، المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)، (المجمع العالمي لأهل البيت "عليهم السلام"، بيروت، ط٦، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م).

٤. إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، (الناشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، مط ستارة، قم، ط١، ١٤١٧هـ).

٥. تأريخ التشريع الإسلامي، الدكتور عبد الهادي الفضلي (١٤٣٢هـ/٢٠١٣م)، (الناشر: دار الكتاب الإسلامي، مط سرور، قم، ط٢، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م).

٦. تأريخ الغيبة الكبرى، الشهيد السيد محمد محمد صادق الصدر (ت١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، (الناشر: دار الكتاب الإسلامي، مط ستار، ط٢، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، د.م).

٧. التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي، (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م): تح: أحمد حبيب قصير العاملي، (مط مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ).

٨. دراسة في معجم رجال الحديث للسيد أبي القاسم الخوئي، عماد الكاظمي، (دار الرافد، قم، ط٢، ١٤٤٠هـ ٢٠١٩م).

٩. دعوى السفارة في الغيبة الكبرى، الشيخ محمد السند، (الناشر: محبين، مط سرور، قم، ط٣، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م).

١٠.الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ/١٣٩٢م): البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٠هـ٢٠٠٩م، د.ط).

١١.سفراء الإمام المهدي والسفارات الكاذبة، د. عباس عبد الأمير الشوك، (مط ألوان، كربلاء، ط٢، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م).

١٢.سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، (دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م، د.م).

١٣.عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر (ت١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، تقديم: الدكتور حامد حفني داود، (دار المحجة البيضاء، بيروت، د.ط، د.ت).

١٤.العقيدة المهدوية إشكاليات ومعالجات، السيد أحمد الإشكوري، تقديم وتحقيق: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي (عليه السلام)، (مط عمران، ط١، ١٤٣١هـ، د.م).

١٥. على ضفاف الانتظار، الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي، تقديم: مركز القمر للإعلام الرقمي، (ط١، ١٤٣٨هـ، د.مط، د.م).

١٦. علوم القرآن الكريم في مخطوطات السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، الشيخ الدكتور عماد الكاظمي، (الناشر: قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية في العتبة العباسية المقدسة، مط الكفيل، كربلاء، ط١، ١٤٣٩هـ ٢٠١٧م).

١٧.الغيبة، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م)، تحقيق: الشيخ عبد اللّه الطهراني والشيخ علي أحمد ناصح، (الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، مط بهمن، قم، ط١، ١٤١١هـ).

١٨.الفتنة في عصر الغيبة، السيد طلال الحكيم، (مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد، د.ط، د.م، د.ت).

١٩.الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ/٩٤١م): ، تصحيح: علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، (طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ، د.مط).

٢٠.كمال الدين و إتمام النعمة، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت٣٨٥هـ/٩٩١م)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤٠٥هـ، د.ط).

٢١.مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)، (الناشر: ناصر خسرو، مط أمير، قم، ط٨، ١٤٢٦هـ).

٢٢.المرجعية الدينية ودورها في بناء الدولة العراقية –مواقف ورؤى في فتاوى الشيخ الشيرازي والسيد السيستاني، عماد الكاظمي، (دار الكفيل، منشورات مركز تراث كربلاء، كربلاء، ط١، ١٤٣٩هـ٢٠١٨م).

٢٣.مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/٨٥٥م)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ٢٠٠١م).

٢٤.المصلح العالمي من النظرية إلى التطبيق، السيد نذير يحيى الحسيني، (الناشر: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية، ط٢، ١٤٢٤هـ٢٠٠٤م).

٢٥. مفاتيح الجنان ويليه الباقيات الصالحات، الشيخ عباس القمي (ت١٣٥٩هـ/١٩٤٠م)، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٢، ١٤٣٦هـ٢٠١٥م).

٢٦. المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي، السيد ثامر هاشم العميدي، (الناشر: مركز الرسالة، مط ستارة، قم، ط٢، ١٤٢٥هـ).

٢٧.النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني (دام ظله) في المسألة العراقية، حامد الخفاف، (دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ٢٠٠٧م).

٢٨.وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١١٠٤هـ/ ١٦٩٣م)، تحقيق: مؤسسة تراث آل البيت لإحياء التراث، (الناشر: مؤسسة تراث آل البيت لإحياء التراث قم، ط٣، ١٤١٦هـ).

٢٩.وكلاء الإمام المهدي (عليه السلام) في زمن الغيبة الصغرى من غير السفراء، حسن الشيخ عبد الأمير الظالمي، (دار المتقين، بيروت، د.ط، د.مط).

المواقع الإلكترونية

٣٠. مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي (عليه السلام) الموقع الإلكتروني http://m-mahdi.com/.

٣١.موقع سماحة السيد علي السيستاني (دام ظله) www.sistani.org

دور المرجعية في الحفاظ على القيم الإسلامية ومواجهة الفكر الإلحادي

م.م. وسن صاحب عيدان
العتبة العلوية المقدسة

المقدمة:

ان عقيدة المسلمين هي التصديق والايمان بوجود اللّه وعظمته وكبرياءه، فالإسلام دين اللّه والحقيقة المطلقة التي استودعها اللّه في قلوب سائر الانبياء والرسل، وكان من تمام النعمة ان يكون هو الدين الذي يتعهد اللّه به بني الانسان والشريعة التي يختم بها شرائعه السابقة ،قال تعالى:"وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ، وكان الغرض الأصلي منالاسلام هو تخليص الانسان من التربية الفاسدة والوسط الرديء واثاره التي تلم بفؤاد الانسان فتحرمه من سبحات نور المبدع والمنعم وتعميه عن رؤية الطريق الذي يقول عنه سبحانه وتعالى: "انا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورا"، هذا السبيل هو سبيل الكمال والهدى والتقدم والتمدن،وعكسه سبيل الضلال وهناك من البشرية من اتخذوا الشيكان عضدا لهم فانكروا وجود اللّه الا وهو الملاحدة، فالإلحاد مذهب فلسفي يقوم على فكرة أساسها انكار وجود اللّه اذ يدعون ان الكون وجد بلا خالق وان المادة ازلية ابدية وهي الخالق والمخلوق في ان واحد ،وان الكون والانسان والحيوان وجد صدفة وسينتهي كما بدا ولا توجد حياة بعد الموت وان كل مافي هذا الوجود نشا عن طريق التطورات المتعاقبة.

ويعود الالحاد مجددا ليكون ظاهرة فكرية حاضرة في ظل ظروف عصيبة تمر بها الامة الاسلامية وتعصف بوجودها وهويتها ومقدراتها في حين تسعى الامة الاسلامية للوقوف على اقدامها في مواجهة حالة الاستلاب والغيبوبة الحضارية، يأتي خطاب

التنكيل في الثوابت والمقدسات ليقف في طريق اليقظة والنهضة وليصرف الجهود عن التقدم والبناء، واصبح اليوم موضوع الالحاد مشكلة فكرية يدور حولها سجال إعلامي ونقاش فلسفي وصراع إيديولوجي خاصة وان وسائل اعلام مختلفة ومراكز أبحاث متعددة تتحدث عن ارتفاع نسبة زيادة هذه الظاهرة في العالم الإسلامي، وهنا يأتي دور المرجعية الدينية في اتخاذ الوسائل والتدابير لمحاربة هذه الظاهرة وإيجاد الحلول العلمية للتخلص منها.

تكونت هذه الدراسة من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، فضلا عن قائمة المصادر والمراجع، تناول المبحث الاول التعريف بمصطلحات الدراسة في اللغة والاصطلاح الا وهي الدور والمرجعية والقيم والإلحاد، وجاء المبحث الثاني متضمنا دور المرجعية في الحفاظ على القيم الاسلامية وعرج على ذكر انواع القيم الاسلامية ومحاربة المرجعية للغزو الثقافي، اما المبحث الثالث فقد حمل عنوان :دور المرجعية في مواجهة الالحاد معرجا على تاريخية وانماط الالحاد واثاره على المجتمعات وحلول المرجعية لهذه الظاهرة وكيفية القضاء عليها.

اعتمدت الدراسة على عدد من المصادر والمراجع اهمها الكتب الخاصة بالإلحاد اذ شكلت حجر الاساس لمادة الدراسة وهي كهنة الالحاد الجديد لهيثم طلعت، انك على الحق المبين رؤية تاصيلية لتفكيك ظاهرة الالحاد للمؤلف محسن حسين عبدالله ،الالحاد مشكلة نفسية، عمرو شريف ، حوار مع صديقي الملحد، مصطفى محمود اذ قدمت مادة مهمة اغنت الدراسة بالكثير من المعلومات المفيدة، وايضا كتب المعاجم اللغوية والاصطلاحية ومصادر ومراجع أخرى.

المبحث الأول

التعريف بالمصطلحات

ا- تعريف الدور في اللغة: الدور لغة :بسكون الواو مصدر دار يدور دوارا أي :طاف حول الشيء، يقال:دار حوله:اي طاف به،وعاد إلى الموضع الذي ابتدأ منه ،ودار العمامة حول رأسه :اي لفها والدور :هو عود الشيء إلى ماكان عليه ومعناه :احتياج كل واحد في وجوده او تصوره للأخر[١]، والمدار موضع الدوران ،ومدار الأمر: ما يجري عليه غالبا، والمدبر: من يتولى تصريف أمر من الأمور[٢].

أما اصطلاحا: يطلق الدور على معان كثيرة منها ما يلي:

مهمة ووظيفة، يقال: قام فلان بدور رئيسي في المعركة، أي قام بمهمة كبيرة وشارك بنصيب كبير او شارك في عمل ما او اثر في شيء ما [٣].

ترتيب الشخص بالنسبة للآخرين، تقول: "خذ دورك في الصف "وهذا دورك في شرح القصيدة، والدور الأول: أي الامتحان الأول في المدارس ،والدور النهائي: أي مباراة تقام لتحديد الفائز في مسابقة ما [٤]، وبناء على ما سبق يمكن ان نعرف الدور انه نموذج السلوك المتمثل في الأفعال والتصرفات التي تتوافق مع متطلبات مركز معين في المجتمع.

ب- تعريف المرجعية في اللغة : هي اسم مؤنث منسوب إلى مرجع [٥]، ومرجعية سلطة او جهة او شخص ترجع اليه طائفة معينة فيما يخصها او يستشكل من أمرها [٦]، ويقال للكتاب مرجع ؛لأنه يرجع أليه في مسائل العلم والإحكام .وأما عن ورود مصطلح المرجعية في القران الكريم وفي السنة النبوية فلم يرد بهذا الإطلاق ،ولا في كتب التراث الإسلامي، وإنما ورد لفظ "مرجع " كقوله تعالى :" إلى اللّه

مرجعكم "[٧] أي رجوعكم.

أما اصطلاحا : يعتبر الشيعة الأمامية أكثر من استعمل مصطلح المرجعية ،إذ حسب نظرهم تتجسد في رجل دين واحد أو أكثر حسب التقليد المعمول بع في المذهب، ويكون متميزا بفقه وورع وتقوى وإلمام بالعلوم الدينية والتشريع الديني ،فهي بمفهومها الشيعي رجوع المسلمين الشيعة إلى من بلغ رتبة الاجتهاد [٨]، ولكن المرجعية في حقيقة امرها قد يراد بها مرجعية الفكرة كما قد يراد بها مرجعية الافراد ولا يخلو مجتمع ولا فئة ولا امة مهما كانت من احتكامها الى مرجعية دينية معينة ،فهي الدستور الذي يحكم العلاقات في المجتمعات ،وهي القيم التي تنظم سلوك الفرد وتصرفاته ،وهي تلك المنظومة المجتمعية المتمثلة في القيم والمبادئ التي يؤمن بها ويعيش على أساسها و يحتكم اليها ويسعى ربما لخفت الفلسفات والنظم المستقبلية لأي وطن واي شعب ،وهذه المنظومة الفكرية أساسها الدين في بعده العقدي والأخلاقي والسلوكي ،والدين في بعده الشرائع ثم كذلك هي لغة هذا الوطن وهي كل الإرث التراثي والحضاري ،والذي يمكن ان يتمثل في اي مجال من مجالات الحياة المختلفة فكل هذا الأمر يعد إبعادا وتمثلات للمرجعية [٩].

من خلال ما تقدم نقول ان المرجعية بالمعنى البسيط هي ذلك المعلم الذي يعاد أليه و يحتكم اليه والمرجعية كذلك هي بطاقة تعريف المجتمع وبطاقة تعريف شخص ضمن امة وضمن وطن وهي هذه المعالم والثوابت في الطريق ،وهي هذه المحددات التي أصلها هذا الدين في نواته الصلبة على اعتبار ان هذا الدين فيه ثوابت ومتغيرات ولان هذا الدين فيه كذلك قطعيات وضمنيات فمن الخطأ توسيع أو اعتبار هذا الدين او هذه المرجعية كلها أمر ثابت ينبغي المحافظة عليه دون اي تجدد فيه فهذا أصل ومطلب غير متسنى ولو ادعيا ذلك .

ج. تعريف القيم في اللغة: القيمة واحدة القيم واصله الواو لأنه مقام الشيء والقيمة ثمن الشي بالتقويم، تقول تقاموه فيما بينهم واذا انقاد الشي واستمرت طريقته فقد استقام لوجهه، ويقال: كم قامت ناقتك؟ اي :كم بلغت ؟ وقد قامت الامة مائة دينار: اي بلغت قيمتها مائة دينار: وكم قامت امتك ؟اي بلغت [١٠]، والقيم جمع قامات، وقيم كعنب وهو قويم وقوام كشداد: حسن القامة والقيمة بالكسر واحدة القيم وماله قيمة اذا لم يدم على شيء، وقومت السلعة واستقمته ثمنته، واستقام اعتدل وقرمته عدلته فهو قويم ومستقيم وما اقومه شاذ :والقوام كحساب العدل وما يعاش به ،بالضم داء في قوائم الشتاء وبالكسر :نظام الامر وعماده وملاكه [١١]

أما في الاصطلاح : القيمة والقيم من المصطلحات الحديثة واذا كان معناها واصل مدلولها موجود في العربية ونظرا لحداثته كمصطلح فقد تباينت تعريفاتها عند تناوله بالدراسة ومن هذه التعريفات العديدة هي :

-القيم هي مجموعة القوانين والمقاييس التي تنبثق من حماية ما وتكون بمثابة موجهات للحكم والإعمال والممارسات المادية والمعنوية وسيكون لها قوة التأثير والإلزام والعمومية ويعد الخروج عليها خروج عن أهداف الجماعة ومثلها العليا [١٢]، وعرفت أيضا بأنها صفات أو مثل أو قواعد تقام عليها الحياة البشرية وتعاير بها النظم والأفعال والأقوال والإشكال [١٣]،

نستطيع القول ان القيم هي المعيار الذي ينظر الإنسان من خلاله إلى جميع شؤون حياته او هي الميزان الذي توازن به الأعمال البشرية فيتحدد من خلالها ما هو مرغوب فيه وما هو مرغوب عنه فيتميز بها المجتمع المسلم من غيره من المجتمعات الحيوانية التي لا تحكمها وتنظم شؤونها القيم والمبادئ والمثل المستمدة من شرع اللّه القويم .

د- تعريف الإلحاد في اللغة : الإلحاد في اللغة هو الميل والعدول عن الشي قال عز وجل :" ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه "[١٤]، اي يميلون وينحرفون عن الحق إلى الباطل .

قال النحاس :أصل الإلحاد في اللغة الميل عن القصد ومنه قوله سبحانه وتعالى: "وذروا الذين يلحدون في أسمائه"[١٥]، يقال لحد والحد بمعنى واحد[١٦].

اما اصطلاحا :فان الإلحاد هو الاعتقاد بعدم وجود اله في الكون[١٧]، وهناك من أعطى صيغة اقرب الى العلم فقال بان الإلحاد هو الإيمان بان سبب الكون يتضمنه الكون في ذاته وانه ليس هناك شيء وراء هذا العالم[١٨]، وقد قيل ان هذا الفهم ليس جديدا ،فقد كان هذا المذهب يسمى من قبل الدهرية[١٩]، كما قال عز وجل:" وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا نموت و نحيا وما يهلكنا ألا الدهر"[٢٠].

وفي المفهوم المعاصر والمصطلح عليه في هذا العصر أن الإلحاد يأتي معناه :" الاعتقاد بعدم وجود اله أو أي شيء خارج قوانين الطبيعة "[٢١]، وهذا المفهوم لم يعرف خلال التاريخ كظاهرة عامة بهذه الدرجة من الانتشار والذيوع، فقد ظهرت خلال القرون الثلاثة الأخيرة دعوات وفلسفات تجاهر بإنكار وجود الله وتقول بأزلية المادة وتسند الخلق الذاتي لها .

المبحث الثاني

دور المرجعية في الحفاظ على القيم الإسلامية ومواجهة الغزو الثقافي

أولا - أنواع القيم في الإسلام : تنطلق القيم في الفكر الإسلامي من منطلق الشرع المطهر الذي يربط المسلم بخالقه سبحانه وتعالى ، ويجعله خليفة في الأرض يسعى لعماراتها معنويا وماديا ،وقد جرت عادة المفكرين المسلمين المعتمين بدراسة القيم

ان يردوها الى ثلاث انواع :

١- القيم العليا : وهي القيم الكلية الكبرى التي تسموا بالإنسان الى معالي الأمور وترفع مستواه على سائر المخلوقات ومن تلك القيم: الحق، العبودية، العدل، الإحسان، الحكمة، وتعد هذه القيم من أرقى القيم الإسلامية واسماها وأعلاها على الإطلاق، وتكتسب هذه القيم مكانتها العالية من خلالها مضامينها (٢٢).

٢- القيم الحضارية :وهي القيم المتعلقة والمرتبطة ارتباطا وثيقا بالبناء الحضاري للأمة الإسلامية متمثلة في التقدم العقلي والمادي معا، وهي ذات طابع اجتماعي عمراني، كالاستخلاف، المسؤولية، الحرية، المساواة، العمل، القوة، الامن، السلام، الجمال وغيرها (٢٣).

٣- القيم الخلقية : وهي القيم المتعلقة بتكوين السلوك الخلقي الفاضل عند المسلم ،ليصبح سجية وطبعا يتخلق به ويتعامل به مع الآخرين لتكوين مجتمع إسلامي فاضل تسوده المحبة والوئام ،كالبر والأمانة والصدق والإخوة والتعاون والوفاء والصبر والشكر والحياء والنصح والرحمة (٢٤)

ثانيا- المرجعية ومواجهة الغزو الثقافي : في ظل تكالب الغرب واعتداءاته على الأمة الإسلامية وفي الظروف الصعبة والسيئة التي تحيط بها اقتصاديا وسياسيا وثقافيا ،يبرز دور المرجعية الدينية في دفع هذا التكالب وإزالة هذه الظروف المحيطة ،والغزو الثقافي الذي تتعرض له الأمة في الوقت الراهن يعد الاشد والأخطر للوجود الإسلامي ،بل هو اعظم التحديات على الإطلاق ذلك ان التحديات الأخرى ،اما تستهدف أراضي الأمة للاستيطان فيها او تستهدف شعوب الأمة لتكون أسواقا للمنتجات الغربية، او تبغي مواقع جغرافية استراتيجية لتامين مصالح الدول الصناعية الكبرى، او انها

تستهدف خيرات الأمة وثرواتها من نفط ومعادن وثروات تحت الارض [٢٥].

اما الغزو الثقافي فالأمر مختلف معه تماما فهو لا يستهدف الأرض والا الثروات وألا الأسواق الإسلامية ،بل الهدف منه القضاء على المقومات الاساسية للامة من خلال القضاء على معتقداتها وتقاليدها وعاداتها وثقافتها وموروثاتها المقدسة ،وبالتالي القضاء على دينها ورسالتها التي حملتها لنشر الى الانسانية جمعاء [٢٦]،وهنا يبرز دور المرجعية في توعية المسلمين بالمخاطر المحدقة بهم ونشر الإيمان ومبادئ الحق في الأوساط الشعبية وترسيخ المحبة وقيم الإخوة بين أبناء هذه الأمة لكن على أساس علمي ومبرمج ومن خلال ما يلي:

١- إظهار الجوانب المشرقة للإسلام للعالم: من ابرز الأدوار والمسؤوليات الملقاة على عاتق العلماء والمراكز العلمية والدينية الاتصاف بأخلاق الأنبياء وتجسيد الجوانب المشرقة للدين في الأقوال والأفعال ومحاولة التوافر على نصرة القضايا الإسلامية بصورة حصيفة وببصر ثاقب وقول راشد وفكر واع ونير [٢٧]

والإظهار من قبل العلماء والمرجعية الدينية يتطلب عدة أمور وهي:

أولا- الصدق والإخلاص في التجسيد اذا ان القضايا الاجتماعية والتربوية التي تحيط بالأمة ليست بالسهلة ولا بالشيء اليسير الطارئ وانما تربت عليها بضعة اجيال متتالية فلابد والحال هذه ان يصدق المصلحون في أقوالهم وأفعالهم و يجسدوا الإسلام كشريعة ومنهج وحضارة افضل تجسيد للناس ليظهروا حقيقة هذا الدين بالصورة الصحيحة لا الصورة المشوهة التي سعى الإعلام الدعائي الغربي الى إظهارها للراي العام.

٢- الانتقال من ردة الفعل الحماسية الفارغة من المحتوى الى الفعل الواعي الراشد، فالأبد من التخلص من حالات التردد والحيرة واستعمال اللسان في اطلاق الوعود

فحسب، بل استخدامه انتقاء اللغة المناسبة، وفي المكان والموضع المناسب وتقديم الادلة الدامغة وتوضيح المبهم ودفع الشبهة والوهم.

٣- الحياة مع الامة بكل مستويات ابنائها الاجتماعية والثقافية والعلمية وعدم الانطواء على الذات او الاقتصار على شريحة اجتماعية او ثقافية معينة.

٤- ترسيخ القيم المعنوية في نفوس العوام من الناس اذ ان هذه القيم بمثابة المنطلقات للحديث عن الفكر والتوعية الدينية والحضارية، لان حضارتنا لم تؤسس على قواعد مادية محضة ،وإنما ثمة قواعد معنوية وروحية تشارك القيم المادية وبوجودهما معا يحقق المسلم أهدافه وطموحاته المستقبلية .

٥- التركيز على المباني الإسلامية في الطرح والعرض والمناقشة ،قال تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه واله وسلم :" ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن "[٢٨] ، فالحكمة هي رأس الأولويات على هذا الصعيد ثم البحث في ما هو حسن من الكلام والموضوعات ،واذا كان ثمة اعتراض وجدال فالحل هو الجواب بالتي هي احسن دون ما يثير النزاع والخصومة والعداوة في نفس المعترض ،اذا هو إنسان متأثر بالأوضاع الجارية وبالمؤثرات الإعلامية الغربية[٢٩] .

ثانيا :الاحاطة بالتطورات الجارية في العالم : ان قراءة الحاضر وتوصيفه للجماهير المسلمة ،والكشف عن موقع الامة بحاضرها بين كل هذه التطورات والحوادث الواقعة في العالم ،تعد من المسؤوليات الجسام الملقاة على عاتق علمائنا ومثقفينا الأحرار الذين يعيشون هموم الامة ورسالتها الخالدة ،فمن المؤكد انن العدو لم يغزو العالم الإسلامي بالسلاح والعتاد بل غزاه وما زال بالقلم والكلمة الكاذبة وبافتعال الأزمات هنا وهناك لينشغل المسلمون بهذه الامور الطارئة فيما يخلو له الجو بالاستمرار في بث الأكاذيب والشائعات والصور المشوهة عن الاسلام ورموزه المقدسة

(٣٠)
.

ثالثا: رسم أركان التفكر الإسلامي الجاد: من المسؤوليات المهمة للمرجعية الدينية تنمية روح التفكر الجاد والهادف عند المسلمين، اذا لا يمكن ان نتوقع تحقيق مستوى من التنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع المسلم في العمل والانطلاق ونهضة ميدانية جماعية لتحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية تنطلق من عموم الساحات العامة وتستمر في اروقة المراكز والمدارس والجامعات والمساجد والمصانع وغيرها (٣١).

رابعا : تقوية الوحدة بين المسلمين :في ظل تعاظم الضغط ألاستكباري على الأمة الإسلامية وتكالب القوى الغربية على تمزيق المسلمين وتقطيعهم اربأ ،كان الحدث الأبرز ذو المكون الحضاري للأمة وجميع مكوناتها وعناصرها هو الوحدة والتقارب بين المسلمين ،اذ هي الوسيلة ألا بلغ التي تستطيع ان تقرب المسافات البعيدة بين اطراف ابناء هذه الامة وان تتفوق على عامل الزمان والمكان في تحقيق الهدف ،وتمنح الامة من القوة والمقدرة ما يمكنها ان تتصدر المواقع وتزيد من هيبتها بين الامم ،فالوحدة المبنية اسسها على قواعد المحبة والاخوة واحترام الاخر والمحفوفة بروابط الانسانية والدين والعقيدة بإمكانها ان تضخ قوة هائلة الى قوة الامة ،ويصبح باستطاعتها ان تعيش على وقع واحد وكأنها جسد اذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى (٣٢).

خامسا : تعزيز الفضائل الأخلاقية والمعنوية بين الشباب: ومن المسؤوليات العظام الملقاة على عاتق العلماء ورجال الدين وحملة المشروع الحضاري الإسلامي، العمل على صياغة مشروع هادف الى تعزيز الفضائل الحميدة بين الجيل الجديد يقوم على ثلاثة اركان قيمية :

أ- منظومة القيم الروحية التي تقوم على اساس الايمان وتهدف الى تحقيق التكامل بين الايمان والعلم ،الروح والمادة في نفوس وعقول الشباب وفق ما جاء به الالسام وامر به سبحانه وتعالى على لسان نبيه الاكرم صلى اللّه عليه واله وسلم واهل بيته الطاهرين عليهم السلام ضمن توازن تتجسد معه صفة الوسطية والاعتدال والواقعية في الطرح والعمل.

ب- منظومة القيم الاخلاقية : كاستشعار المسؤولية والعمل بمقتضاها والوفاء بالأمانة ونبذ الغش والجشع والخيانة والكذب وتجريم الاعتداء وصون النسل والعرض وحماية الأسرة... وما الى ذلك من القيم الأخلاقية.

ج- منظومة القيم الإنسانية الحضارية: كالمساواة والعدل ونبذ الظلم وحماية كرامة الإنسان وكفالة الحقوق المقررة ومناهضة الاستعلاء والهيمنة والإذلال ومكافحة التميز العنصري والطبقي... وغير ذلك ،على ان يكون العمل جادا وحثيثا وصادقا وهدافا لأنه يمثل انعكاسا لرسالة الاسلام ومقاصده الكريمة، ويعكس تكامل الدين الاسلامي واستيعابه لكل جوانب المسلم الفردية والاجتماعية، ويتصدى للقضايا الروحية التي تشغل بني الانسان وتستجيب لتحديات العصر (٣٣).

لاشك ان التلاقح بين شرائح المجتمع الواحد والثقافات المختلفة فيه هو ظاهرة ثرية وحافلة منذ فجر التاريخ الإنساني رغم تفاوت البيانات وحجم ما عاد عليهم من مكاسب متواصلة من خلال هذه الظاهرة الإنسانية الباهرة، وعليه فلا ينبغي تشجيع الحوار والعناية بالشباب من دون برنامج عمل ثقافي وحضاري يتخلله او طرح الأفكار بصورة عشوائية يثير حفيظة باقي الشرائح بل من الضروري ترجمة المفاهيم الدينية والتفاسير المروية عن النبي الأكرم صلى اللّه عليه واله وسلم وأهل

بيته عن الحقائق والإسرار المعنوية وتحليل الحكمة الكامنة ورا القيم الثلاث المطروحة: الروحية والأخلاقية والحضارية الإنسانية.

المبحث الثالث

دور المرجعية في مواجهة الفكر الإلحادي

أولا ـ تاريخية وأنماط الإلحاد: أن تصنيف الإلحاد أنما يكون قائما على أساس الإيمان بوجود اله من عدمه، فالملحد هو الإنسان غير المؤمن إطلاقا بوجود الإله الذي اجترا بإنكار وجود خالق او مبدع لهذا الكون وكفر بما عدا الطبيعة المادية التي يسكنها ويزعم ان الكون وجد بذاته نتيجة تفاعلات جاءت عن طريق الصدفة، فالإلحاد في التاريخ الإنساني لم يكن ظاهرة بارزة ذات تجمع بشري كما هي في العصر الحاضر، بل ان معظم النزعات الإلحادية التي ظهرت في التاريخ البشري وعند بعض الافراد كان ظاهرة فردية شاذة ،فعند استعراض التاريخ منذ عصر ما قبل الميلاد والى الوقت الحاضر نجد التدرج والتزايد الملحوظ في الداعين والمناشدين لهذه الظاهرة الا وهي الالحاد وكما جاء في سلسلة المذاهب الفكرية قوله: " لم يصبح الالحاد ظاهرة وبائية في كتل بشرية وتجمعات انسانية ثقيلة وخطيرة الا بعد ان خطط اليهود لنشر الالحاد في الناس واقامة منظمات ودول كبيرة تدين به وذلك خلال القرنين التاسع عشر والعشرين "[٣٤].

اذا انتشر الالحاد في اوربا اولا ثم انتقل بعد ذلك الى امريكا وبقاع العالم [٣٥]،وبما ان الالحاد حركة فكرية قديمة وبرغم صعوبة تحديد وقت ثابت ومعين لها حسب ما ذكره الباحثون، لذا تراءى لنا تقسيم المراحل التاريخية للإلحاد الى ما يللي:

١ـ عهد الحضارات الإغريقية والرومانية: عندما نستعرض التاريخ منذ العصور الاغريقية واليونانية نجد انها كانت تتسم بالحركات العلمية الواسعة

والفلسفات المطلقة لتي لم تعرف في حريتها حدود وكانت لهم اراء حاولوا فيها تفسير الوجود والكون وظواهره والتغيرات التي تجري فيه تفسيرات تستعبد كليا فكرة وجود خالق ابدي ازلي عليم حكيم ،اذ كانت دولة متاصلة ومكتضة بالفلاسفة والمفكرين ورجال السياسية والحكم ، ونجد فيها اول دعاة المادية الا وهو الفيلسوف اليوناني ديمقريطس الابديري [٣٦] ،فقد زعم هذا الفيلسوف ان العالم مؤلف من ذرات متجانسة في طبيعتها لكنها مختلفة حجما وشكلا وثقلا ولا تدرك بالحواس ولا تنقسم ولا تنفى وتتحرك دائما قيلتصق بعضا ببعض وتتكون الأجسام فهو لا يركن الى الحواس في ادراك حقائق الاشياء بل يركن الى العقل [٣٧] ، والنفس الانسانية عند ديمقريطس مادية ايضا لان الكل عنده مركب من ذرات وهي قديمة [٣٨] .

٢ـ عهد الجاهلية العربية : تدل الشواهد التاريخية على وجود ملحدين قبل الاسلام باسم الدهرية ،وهو اعتقاد فكري ظهر في فترة ماقبل الاسلام ،اذ كانوا يعتقدون بقدم العالم وازليته ،وان العالم لم يزل ولا يزال وانه لا يتغير ولا يضمحل وعطلوا المصنوعات عن صانعها وقد ذكرهم القران الكريم بقوله :" وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر" [٣٩] ، وهؤلاء عبارة عن فرقتان ،فرقة تنكر الخالق والبعث ويعتقدون بقدم الزمان والمادة والكون وانكروا الالوهية والخلق والبعث والحساب كما انهم يرون ان الموجب للحياة والموت هي طبائع الاشياء وحركات الأفلاك [٤٠] ، وفرقة تقر بالخالق وتنكر البعث اة الرسل ويطلق على هؤلاء الفرقتين اسم معطلة العرب [٤١] .

٣ـ عهد الإسلام : لقد برزت وانتشرت الحركات الإلحادية في بدايات القرن الثاني

الهجري ،ففي أوائل العصر العباسي بدا المسار الفكري يشهد انحرافا عن الخط الديني وذلك بسبب الانفتاح العلمي الواسع الذي حدث على المدارس الفلسفية الفارسية واليونانية والمدارس الفلسفية الأخرى ، وكان للفلاسفة جهود حثيثة ودور بارز في نقل الفلسفة اليونانية إلى الفكر الإسلامي ،مما ترتب عليه إفساد عقائد كثير من المسلمين، لأنها تخالف القران الكريم والسنة النبوية لاسيما في قولهم بقدم العالم وإنكار حشر الأجساد وإنكار علم الله وسائر صفاته [٤٢].

سميت هذه الحركات الإلحادية بالزندقة [٤٣]، وأطلقت الزندقة ابتداء على القائلين بان للعالم أصلين ازلين هما الظلمة والنور ،وان العالم مصنوع ومركب منهما وهؤلاء اتباع الديانة المانوية [٤٤]،ولقد سمي المانوية زنادقة لميلهم الى تاويل الكتب المقدسة للديانات الاخرى وشرحها حسب أرائهم وأهوائهم ،وينقل التاريخ ان كثير من الزنادقة كانوا من المانوية غير انه كان بجنانبهم فئات اخرى تعتنق ديانات فارسية قديمة [٤٥].

٤- العصور الوسطى وعصر النهضة الأوربية : سميت العصور الوسطى بذلك لوقوعها بين حقبتين هي الحضارة اليونانية والنهضة الأوربية ،إذ تبدأ من فترة سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب عام ٤٧٦ه ، فمنذ بداية الاعتراف بما يسمى بالمسيحية الرسمية في مجمع نيقيه عام ٣٢٥م [٤٦]، تسلم رجال الكنيسة [٤٧]، سلطة دينية تكاد تكون سلطة مطلقة دون ان يكون لهم دين صحيح ثابت بمصادر صحيحة ،فأصبحوا يحللون ويحرمون بحسب أرائهم وأهوائهم ولخدمة مصالحهم ومصالح المسيحية المحرفة الأصول ، اذ بدأت الكنيسة تمارس الطغيان والإرهاب في ابشع صوره وخصوصا ضد العلم والعلماء ،وحاربوا المفكرين وسوقهم

الى محاكم التفتيش ،واحتكروا زعامة المجتمع فتفشت الخرافات وعم الجهل وصحب ذلك كراهية للدين ونفور منه ،مما ولد نزعة شكية الحادية كبيرة وادى بالعلماء الى تبني موقفا عدائيا من الدين والشك فيه وفي وجود اللّه وكانت النتيجة ان ترك الناس الدين الذي يحجبهم عن العلم و يحجر عليهم التفكير وطلب المعرفة [٤٨]،وعلى اثر ذلك ظهرت العلمانية [٤٩]،التي بدات بضرورة منع الدين في السياسة وشؤون الحكم وقصره على المعاملات الخاصة فقط وبدا الناس ينصرفون عن الدين شيئا فشيئا [٥٠]

وبمجيء القرنين السادس عشر والسابع عشر تزايد انزعاج السلطات الدينية بسبب كثرة حالات الكفر والإلحاد التي اعترضت طريقها اذ بدا علماء ذلك العصر في وضع الأسس العلمية لنهضة تقوم على العلم والعقل بعيدا عن الدين ورجاله ،فجعلوا العقل هو المرجع والحكم في الأمور كلها فأنكروا الغيبيات واعتمدوا على المحسوسان والماديات حتى أصبحت عبادة المادة هي الأساس المشترك لجميع الملاحدة على اختلاف مذاهبهم [٥١].

والنهضة الأوربية :هي حركة واسعة انطلقت من ايطاليا وعمت بلدان اوربا الغربية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر والتي اتسمت برفض قيم العصور الوسطى ،ثم تبعتها اندلاع الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م [٥٢]،مما أدى إلى نشأت وانتشار المذاهب الفكرية المعاصرة في الغرب أولا ثم امتدت الى مختلف شعوب العالم ومنها إلى شعوب الأمة الإسلامية [٥٣]

٥- عصر الشيوعية والماركسية : لقد انبثقت ونشات الشيوعية كنظرية سياسية في نهاية القرن الثامن عشر ،وكانت ثورة ضد الراسمالية الغربية وضد الكنيسة

المتحكمة في الشعوب انذاك ، والماركسية هي نظرية فكرية واقتصادية وسياسية واجتماعية وهي منهج كارل ماركس [٥٤]، والذي يعتبر ابرز منظريها والاب الروحي لها وهو اول من وضع مبادئ المادية الجدلية [٥٥]،وأسس نظرية الاشتراكية العلمية [٥٦] بالاشتراك مع زميله فريدريك انجلز [٥٧]،الذي التقى به عام ١٨٤٤ وبقيت مجرد نظرية في اوربا حتى قامت الثورة الشيوعية في روسيا بقيادة فلادمير لينين [٥٨]،اذ تزعم لينين الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ الى ان توفي عام ١٩٢٤ ،وهي حركة فكرية واقتصادية يهودية تقوم على الالحاد وانه ليس في الكون اله ، وكانت لها عدة غايات واهداف من اهمها القضاء على الاديان وشعارهم لا اله والحياة مادة وان ماوراء الطبيعة من الغيبيات ان هو الاسراب يجب ان يختفي امام عالم المحسوسات وان الانسان تجمع من ذرات وان اصله قرد اعتمادا على نظرية تطور الانسان التي وضع اسسها تشارلز داروين [٥٩].

كان الغرض من هذه النظرية هدم العقائد المقدسة والقضاء عليها ،فلقد استهوت ماركس نظرية التطور التي تنكر اللّه الخالق ووجد ضالته المنشودة في كتاب اصل الانواع لداروين ،اذ الصراع على الحياة والبقاء للافضل فانكر ماركس الوحي الالهي والامور الميتافيزيقية من خلود وحياة ابدية واعتقد ان العقائد الدينية هي وليدة العقل وليس الوحي، وشيئنا فشيئا لم يخفف ماركس الحاده وازدرائه بالدين، واعتقاده ان الدين يغيب الشعوب عن الواقع وقال مقولته :"ان الدين هو افيون الشعوب "[٦٠]، وبذلك سعت الشيوعية جاهدة للقضاء على الاديان في البلاد التي انتشرت فيها ومارست كل انواع الارهاب من قتل وترحيل لعلماء الدين فاغلقت المساجد والكنائس وفرضت الالحاد على الشعوب ومنعت تدريس الدين في المدارس

وفرضت عقوبات السجن على كل من ينشر تعاليم الدين ،ولقد مارست ضد الاسلام كل اساليب العداء والخصومة حتى تنسلخ الاجيال المسلمة عن ولائها للاسلام فكان خطره قد انتشر في العراق وسوريا ولبنان ومصر وتركيا ،فبعد اسقاط الخلافة الاسلامية العثمانية في تركيا قام مصطفى كمال اتاتورك [٦١]،ببناء دولة علمانية والحاق تركيا بالمجتمع الأوربي فقام بإغلاق المدارس الإسلامية ومنع ارتداء الحجاب وأي رموز أخرى فيها إشارة إلى الدين الإسلامي والغي اللغة العربية واوقف العمل بالتقويم الهجري واستبدله بالميلادي ،كما تاثر الشاه رضا بهلوي [٦٢] حاكم ايران ،الذي قام بمنع الحجاب وهكذا نجحت المحاولات في إدخال الفكر العلماني الإلحادي إلى بلاد المسلمين ،ولقد ظلت الشيوعية قرابة سبعين عاما في قوة وطغيان حتى اذن الله بزوال قوتها بعد ان فشلت في منح الإنسان النجاح والسعادة ،ففي عام ١٩٨٩ ثارت الشعوب واقتصوا من الظالمين واكتشفوا ان هذا المذهب فاشل باطل لا يجر الى خير ،وإذا بالشعوب المقهورة تعلن رفضها للفكر الإلحادي المادي وأطاحوا بالدول الشيوعية في مناطق مختلفة [٦٣].

٦ـ عصر الالحاد الجديد والمعاصر :يتميز الالحاد الجديد عن الالحاد التاريخي القديم الذي كان مقتصرا على نخبة من الفلاسفة ولم يكن منتشرا على نطاق واسع بين عامة الناس ،انه يتجاهل الفلسفة ويركز على اطروحات العلم الطبيعي ،فالالحاد الجديد يعتبر من العوامل الاساسية التي ضعفت الدين في الغرب ،وذلك بتبنيه عدة مفاهيم منها نشات الكون تلقائيا نتيجة لاحداث عشوائية دون الحاجة الى صانع ،وان ظهور الحياة كان ذاتيا من المادة عن طريق قوانين الطبيعة ،وان التطور العلمي الذي بلغه العصر الحديث قد وصل الى اعلى مستوياته وبالتالي فليس هناك حاجة الى القول بوجود اله كما لا حاجة للدين ،فالدين عند الماديين العصريين نقيض

للعلم ولهم سعي حثيث لازالته باعتبار ان اوربا لم تتقدم وتمتلك القوى المادية وكتشف اسرار الحياة الا بعد ان تركت الكنيسة وعقادئها [٦٤]، كما ان شيوع الفلسفات التي ترفض الميتافيزيقية كانت من خلال طرح مفاهيم كالفلسفة الوضعية المنطقية[٦٥].

ففي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ظهر الكاتب جورج هوليوك [٦٦]، الذي اصدر مجلة وكرس كتاباتها للطعن بالدين كما انكر وجود اللّه ووضع اسس الوجودية والعلمانية والاشتراكية التي راجت حتى اصبحت تيارات فكرية واسعة اعتنقتها اوربا باجمعها ثم امتدت الى كافة بلدان العالم ومنها البلدان الاسلامية[٦٧]، وكذلك ان من كبار ملحدين القرن العشرين والعصر الحاضر هو الفيلسوف انتوني فلو [٦٨]،فقد تزعم الإلحاد لما يزيد عن نصف قرن واشتهر بكتاباته في فلسفة الأديان والف العديد من الكتب التي تدحض فكرة الاله، فلقد عرض الفكر الإلحادي بأسلوب عميق اذ طرح حججا جديدة ضد الايمان باللّه ورسم طريق للفلاسفة الذين عارضوا الدين والإيمان طوال النصف الثاني من القرن العشرين وكان معاديا بشكل خاص للإسلام[٦٩]، ومن الملاحدة الجدد ايضا ريتشارد دوكنز[٧٠]، كبير ملحدي العصر الحالي، وكذلك كريستوفو هتشنز[٧١]، الذي اشتهر بكتابه "الاله ليس عظيما "الصادر عام ٢٠٠٧ [٧٢]،ثم الملحد فيكتور ستينجر [٧٣]،الذي خرج بكتاب "اللّه الفرضية الباطلة" عام ٢٠٠٧ ،والذي سعى فيه لإظهار ان التطور والتقدم العلمي الحديث قد اثبت بشكل قاطع ان اللّه غير موجود ،وأخر كتاب له "اللّه والذرة" الذي أصدره عام ٢٠١٣[٧٤].

وبذلك نكون قد ممرنا على المسيرة التاريخية للإلحاد أجمالا ،وبشكل مختصر وألا فالدخول في التفصيلات اكثر مما لا يسعه المجال في هذا التحقيق وبهذه النبذة التاريخية نستنتج ان النزعة الشكية الإلحادية وإنكار أساسيات الدين لم تكن مشكلة علمية بقدر ماهي مشكلة نفسية قد اشتركت فيها عوامل متعددة واهمها الموقف العدائي من الدين والكنيسة ،اذ نجد ان مؤهلات الإلحاد كلها قائمة في اوربا من النهضة الأوربية الى اليوم الحاضر وذلك بسبب الكنيسة وممارساتها وطغيانها على مدار اكثر من ثمانية قرون وتحريفهم النصرانية وإدخالهم في دين اللّه كثير من البدع والخرافات والعقائد الباطلة التي لم يستطع الناس استيعابها لما فيها من خلط واضطراب بالإضافة إلى الطغيان الروحي والفكري والعقلي والعلمي على الناس مما أدى إلى إن يهاجم الدين ويستبدل بالعلم ويجعل بديلا من الدين حتى اغتروا بالاكتشافات والنظريات العلمية الهائلة وساروا وراء العلم وصحب ذلك في الوقت نفسه كراهة للدين ونفور منه بل في حقيقته هو عداء بين العلم الذي استطاع ان يدعم ماتوصل إليه بالبراهين والأدلة وان يثبت خطا .

ثانيا ـ اثأر الإلحاد في حياة المجتمعات : ترك الإلحاد المعاصر أثاره السلبية العميقة الواضحة في المجتمعات سلوك الإنسان وفي أخلاق الأمم ونظام اجتماع ونستطيع أن نجمل هذه الآثار فيما يلي :

أ- القلق والصراع النفسي : أن أول الآثار التي يخلقها الإلحاد في نفوس الإفراد هو القلق والحيرة والاضطراب والصراع النفسي وذلك ان داخل كل إنسان منا فطرة تلح عليه ، وأسئلة تتلجلج في صدره :لماذا خلقنا ؟ومن خلقنا ؟ والى أين نسير ؟ وإذا كانت زحمة الحياة وشغلها الشاغل يصرف الإنسان أحيانا عن الإمعان في جواب هذه الأسئلة والبحث عن سر الحياة والكون فان الإنسان يصطدم كثيرا بمواقف وهزات تحمله على التفكير في هذا السؤال ،فالإمراض والكوارث وفقد بعض الآهل

والأحبة والمصائب التي تصيب الإنسان ولا بد تفرض على الإنسان ان يفكر في مصيره ومستقبله ،ولما كان الإلحاد عقيدة جاهلة لانه يقوم على افتراض عدم وجود اله فانه لايقدم شيئا يخرج هذا الإنسان من الحيرة والقلق (٧٥).

بـ الأنانية والفردية : كانت النتيجة الحتمية للقلق النفسي والخوف من الايام هي اتجاه الانسان نحو الفردية والانانية واتجاه الانسان لخدمة مصالحه الخاصة وعدم التفكير في الاخرين ،فالدين الذي يحث الانسان على بذل المعروف للغير والاحسان للناس ابتغاء مرضاه اللّه بانحساره عن حياة الانسان حل مكانه التفكير في النفس فقط ،وبذلك بدا الناس في عصور الالحاد المظلمة هذه لا يابهون بغيرهم من البشر وشيئا فشيئا قلت العناية بالفقراء ثم بالاهل والاقربين ثم بالوالدين وايضا الزوجة والأولاد والمطلع على احوال المجتمع الالحادي في الغرب والشرق يرى الى اي حد اصبح الناس ماديين انانيين لايهتم الفرد الا في نفسه ،ولا يهتم بالاخرين لا بقدر ما يعود هذا على نفسه من منافع (٧٦).

جـ فقدان الوازع والنزوع الى الاجرام : لان الالحاد لايربي الضمير ولا يخوف الانسان من اله قوي يراقب تصرفاته اعماله في هذه الارض فان الملحد ينشا غليظ القلب عديم الاحساس قد فقد الوازع الذي يردعه عن الظلم ويامره بالاحسان والرحمة ،بل ان الالحاد يعلم اتباعه انهم وجدوا هكذا صدفة ولم يخلقهم خالق ام انهم خلقوا أنفسهم وإنهم حيوانات أرضية كسائر الحيوانات التي تدب على الارض وبذلك يغلظ احساسهم ويتنامى شعورهم بالحيوانية والانحطاط ويتجهون الى اثبات ذواتهم بالاغراق في الشهوات والملذات واذا منعتهم ظروفهم المعاشية او القوانين الوضعية البشرية عن بلوغ غاياتهم واهدافهم الحيوانية فانهم يقومون بالتغلب على تلك الظروف وذلك اما بالحيلة والمكر واما بالقوة والغلبة وفي كلا الامرين لايجد

الانسان الملحد رادعا داخليا يردعه لانه لا يخاف ربا ولا يرجو حسابا ،ولا يبقى من وازع الا القانون البشري او ظروفه الواقعية وهذه امور يمكن التغلب عليها بصور كثيرة وخاصة في المجتمع المعاصر الذي تفنن الانسان فيه في طرق الاجرام والتهرب من القوانين(٧٧).

وقد يبقى في بعض الانفس التي تدين بالالحاد شي من نداء الفطرة ومحاسبة الضمير ولكن هذا النداء الداخلي المسمى بالضمير سرعان ما يزول ويتلاشى في زحمة الحياة وامام مغرياتها الكثيرة ،وهذا الاثر من اعظم اثار الالحاد في حياة الانسان فعالمنا المعاصر هو عالم الجريمة والخوف ،فكل يوم تطالعنا وسائل الاتصال من صحف وكتب واذاعة وغيرها باخبار الجرائم البشعة التي بلغت من الحدة والعنف والشذوذ والتلذذ بتعذيب الاخرين ،هذا الى جانب حوادث السرقة والسطو والاغتصاب والقتل التي تتزايد يوما بعد يوم.

د- هدم النظام الأسري:كان للإلحاد اثار مدمرة في الحياة الاجتماعية للإنسان فالبعد عن الله سبحانه وتعالى لم يكن من اثار تدميره النفسية البشرية فقط وانما كان من لوازم ذلك تدمير المجتمع الانسان وتفكيكه وذلك ان نظام الاجتماع البشري لا يكون صالحا سليما الا اذا كانت اللبنات التي تشكل هذا النظام صالحة سليمة ،واذا فسد تبعا لذلك النظام الاجتماعي باسره ولذلك كان من نتائج الالحاد ايضا هدم النظام الاسري ، وان الاسرة كما هو معلوم الخلية الولى في النظام الاجتماعي ،فالاسلام يجعل الاسرة هي اللبنة الاولى في بنائه والحضن الذي تدرج فيه الاطفال وتكبر وتتلقى رصيدها من الحب والتعاون والتكافل والبناء والطفل الذي يحرم من حضن الأسرة ينشا شاذا غير طبيعي في كثير من جوانب حياته مهما توافرت له وسائل الراحة والتربية في غير محيط الاسرة ،واول ما يفقده في اي حضن اخر غير

حضن الأسرة هو شعور الحب [٧٨].

وعندما فسدت البشرية فسدت الروابط الأسرية فلزوج الفاسد المنحل لابد وان يمتد فساده اللا زوجته وأولاده والزوجة الفاسدة التي لا تراقب الله سبحانه وتعالى ولا تخافه لابد وان ينعكس هذا على أسرتها كلها :زوجها وأولادها ،وكذلك الابن الفاسد الذي لا يراعي حرمة لوالد او والده ولا حقا الله سبحانه وتعالى وايضا البنت الفاسدة وهكذا ابتدأنا نسمع في ظل الإلحاد المعاصر عن انهيار عقد الزواج الشرعي الذي يقصر المرأة على رجل واحد وتقيم علاقات متوازنة بين الأزواج ويوزع المسؤولية في الأسرة توزيعا عادلا موافقا للفطرة البشرية التي خلق الله عليها كلا من الذكر والأنثى ،وبانهيار عقد الزواج الشرعي أصبحت علاقات الأزواج علاقة متعة ومنفعة مجردة .

ثالثا ـ حلول المرجعية الدينية لظاهرة الإلحاد واستراتيجيات مكافحته :

أولا :شبهات الملحدين والرد عليهم :أـ ان تشارلز داروين يقول بالتطور العضوي وان الانسان ليس الاصورة متطورة للحيوان وان اساس العمل في نظرية الانسان هو المادة ،وكل من النفس والروح والعقل والشعور صورة من صور المادة ونتيجة من نتائج نشوئها وتطورها وهذا تعليل ميكانيكي يسد الطريق امام الاحاسيس الروحية التي يختلف فيها الانسان تماما عن الحيوان ،اذ تزعم نظرية التطور ان اصل المخلوقات حيوان صغير نشا من الماء ثم اخذت البيئة تفرض عليه التغيرات في تكوينه مما ادى الى نشوء صفات جديدة في هذا الكائن ،اخذت هذه الصفات المكتسبة تورث في الأبناء حتى تحولت مجموعة هذه الصفات الصغيرة الناشئة عبر ملايين السنين الى نشوء صفات كبيرة راقية جعلت ذلك المخلوق البدائي مخلوقا ارقى ، واستمر ذلك النشوء للصفات بفعل البيئة والارتقاء في المخلوقات حتى وصل الى هذه المخلوقات

التي انتهت بالانسان [٧٩].

ب:شبهات غير الموحدين والرد عليها : المعركة بين الإسلام وأعدائه ليست معركة سريعة خاطفة ،ولكنها معركة طويلة شاقة قد تستغرق عدة اجيال ،فينبغي للقاعدة التي تنشا للقيام بهذا العبئ الضخم ان تربى لتكون طويلة النفس ،شديدة الصبر ،عميقة الايمان بالله ،عميقة التوكل عليه، مستعدة لما يتطلبه امرها من المعاناة ،قادرة ان تبذل من نفسها :من جهدها ومالها وفكرها ،ما يحتاج اليه ازالة الغربة التي ألمت بالإسلام اليوم ، فغير الموحدين هم الذين يدينون بوجود اله ويتخذون معه إلهة أخرى في صور شتى منها عبادة الأصنام [٨٠]،التي تعد عبادتها أقدم عبادة ،لان النبي نوح عليه السلام أقدم الأنبياء جاء بالرد على عبده الأصنام ،ومن ثم فان عبادتها كانت موجودة قبل النبي نوح واكثر إطراف الأرض مستمرون في عبادتها ،ولقد عبدوها العرب ونصبوها حول الكعبة وقدموا لها القرابين ،وقاتل من قاتل من المشركين بسبب التمسك بعبادتها ،وتدور شبهة عبادة الأصنام عن العرب خاصة حول :

أ- اعتقادهم انها تقربهم الى الله زلفى :وقد صور القران الكريم هذه الشبهة على لسانهم في قوله عز وجل :" والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى " [٨١].

ب- اعتقادهم ان الأصنام تشفع لهم عند الله : وقد عرض القران الكريم لهذه الشبهة في آيات كثيرة منها قوله تعالى :" ويعبدون من دون الله ما لايضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعائنا عند الله " [٨٢].

ج- تقليد الإباء والأجداد : لقد عبد العرب الأصنام وكان من أسباب عبادتهم لها

تقليدهم لإبائهم وأجدادهم يقول تعالى :" واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل قالوا بل نتبع ما الفينا عليه ابائنا "[٨٣]، اما بالنسبة للرد على شبهات المشركين ان اعتقادهم ان الاصنام تقربهم الى اللّه زلفى ،نرى القران يرد بقوله تعالى : " ان اللّه يحكم بينهم في ماهم فيه يختلفون ان اللّه لا يهدي من هو كذاب كفار "[٨٤]،والقران يقتصر في الجواب على مجرد التهديد كما في هذه الاية ،وذلك لان صاحب الباطل اذا ذكر مذهبا وكان مصرا عليه ،فالطريق في علاجه ان يحتال بحيله توجب زوال ذلك الإصرار من قبله فإذا زال الإصرار من قبله فبعد ذلك يسمعه الدليل على بطلانه فيكون أفضى إلى المقصود [٨٥]،اما في عدم المساواة بين من يخلق ومن لا يخلق ،فجاء الرد ان هذه الأصنام لا تحمل حياة ولا تسمع ولا تبصر وما دامت لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا فكيف تملك لغيرها ،ويستخدم القران الكريم في الرد على المشركين مايعرف عند العلماء بدليل المقابلة اي المقابلة بين من لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا وبين القادر على كل شي يقول تعالى :"قل من رب السموات والأرض قل اللّه افاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور ام جعلوا للّه شركاء خلقوا كخلقه ،فتشبه الخلق عليهم قل اللّه خلق كل شي وهو الواحد القهار "[٨٦].

ج: شبهة القائلين بازلية المادة : يذكر الملحدون ان الانسان يتكون من مادة حية وهي البروتوبلازم ويقصدون بها النطفة ثم ان هذه المادة تكون حجيرات والحجيرات كروية الشكل وقد تعتريها تحولات وهذه الحجيرات دقيقة بحيث لا ترى الا بالمجهر ثم ان الحجيرات هذه تتجمع بعضها مع البعض فتؤلف اعضاء الجسم فيتكون حينئذ انسان ،فالانسان اذ هو من مجموعة حجيرات حية ،ونفو بذلك وجود النفس

،وان في مقومات الكون المادي ثلاث حقائق :المادة والمكان والزمان ، والمادة في راي نيوتن مكونة من جسيمات كبرة وصلبة ومتحركة وغير قابلة للاختراق ذات احجام واشكال مختلفة اما خواص المادة فيعدد منها نيوتن التمدد والصلابة واللااختراقية والقصور الذاتي وطبيعة هذه الجسيمات اي الذرات وخواصها ثابتة الى الابد والذرة تعتبر اصغر جسيم يمن تصوره أما الزمان والمكان فكلاهما في تصور نيوتن حقيقتان مطلقتان اي انهما سيظلان موجودين حتى لو فنيت كل الاشياء المادية في الكون،ويصف المكان كما يللي :"ان المكان المطلق بطبيعته ذاتها ودون علاقة باي شي خارج عنه يظل متماثلا وغير متحرك [٨٧]، والرد على هذه الشبهة تكون بما يللي :" الكون كلمة بما فيها قد وجد بعد ان كان عدما ،فهل يعقل ان يتم وجوده بلا قوة خارجية حولته من العدم الى الوجود ؟ ولو اسلمنا بان جسم الانسان مكون من مادة حية ولكن من كون هذه المادة ومن كون هذه الحجيرات ومن اي شي اكتسب الحياة ومن علم الحجيرات هذه ان تكون اعضاء للجسم بشكل هندسي على الشكل المطلوب وهل ان الحجيرات الفت اعضاء الجسم باختيارها ام لها أمر يأمرها فتطيعه بذلك ؟اكانت هذه الحجيرات تفهم علم الهندسة من حيث انشائها ام درست في المدارس الراقية فتعلمت ؟وما ذلك الا ظنا لايغني من الحق شيئا [٨٨].

ولنضرب بذلك مثلا فنشبه مادة البروتوبلازم بالطين والحجيرات بالأحجار الفخارية والانسان بدار حديثة واعذاءه بغرفها وسراديبها وسطوحها وبئرها ،فنقول : هل يمكن للطين ان يكون احجار فخارية بنفسه دون عامل يعلمه ،وهل يمكن للأحجار ان تؤلف دارا على الطراز الحديث بنفسها دون صانع يصنعها او بناء يبنيها على ان فيها غرفا صحية وسراديب هندسية ونوافذ للتهوية وابوابا وغير ذلك مما

يحتاج اليه الانسان .

ثانيا: الاستراتيجيات المقترحة من قبل المرجعية الدينية لمواجهة الظاهرة الإلحادية لـ

الدعوة الى التوحيد : لقد جعل الاسلام دعوته تبدا من اللّه سبحانه وتعالى والايمان به والاقرار ان اله الكون وخالق الوجود وجعل الهدف الاول والاخير للرسالات السماوية جميعا هو اقرار هذه القضية العظيمة من قضايا الدين ،وجعل اللّه سبحانه وتعالى الهدف الاول من وجود الانسان على هذه الارض هو ان يعبد ويعرف اللّه ويوحده وحدة لا شريك له ، وقد ابان اللّه هذه القضية ودل عليها بكل دليل حتى لا يترك فيها شكا ولا ريبا لاحد وكما يذكر السيد الطباطبائي :" نصب العبد نفسه في مقام الذلة والعبودية وتوجيه وجه الى مقام ربه ،وهذا هو المراد من فسر العبادة بالمعرفة الحاصلة بالعبادة فحقيقة العبادة هي الغرض الأقصى من الخلقة وهي ان ينقطع العبد عن نفسه وعن كل شي ويذكر ربه "[٨٩] .

وهذا ما يعطيه التدبر في قوله عز وجل :" وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون "[٩٠] ، اذ ا ان العبادة ومعرفة اللّه هي الغاية من وجودنا الدنيوي وان موضوع التوحيد من اهم موضوعات معرفة اللّه بعد اثبات وجوده ،ومن العلاجات الهامة لحالات الالحاد والانكار للخالق ،وذلك بالدعوة الى الرجوع الى الجادة الصحيحة عن طريق بيان صحة المعتقد باللّه سبحانه وتعالى وخصوصا ان اي معتقد في ماعدا الايمان باللّه يعتبر عقبة في مسيرة التكامل الحقيقي للانسان ،فالمنظور الاسلامي يعتبر الحياة الدنيا بداية لرحلة ابدية وان مابعد الموت والحساب والجزاء حياة مخلدة ، والاسلام يعتبر ان لوجودنا في هذه الحياة غرضا وغاية وهي العبادة وحقيقتها ،وان الاعتقاد بوجود اللّه هو الوسيلة الفكرية الكاملة الوحيدة التي تجعل لوجود الانسان معنى اكثر من كونه مجرد كتلة من المادة او الطاقة لذا هناك ضرورة

للسعي والبحث عن الدين وبذل الجهود للتوصل الى الأيدلوجية والرؤية الكونية الصحيحة والا فان الملحد لا يمكنه التوصل الى الكمال الانساني والاطمئنان الروحي دون التعرف على الله عز وجل[٩١] ،وبعد الاشارة الى ان تدبير العالم بيد الله سبحانه وكل مافيه يعمل بامره وبمشيئته وان الكتب السماوية والشرائع التي انزلها الله على العباد نجدها كاملة من كل الجهات ومتطابقة مع خلق الانسان وحاجاته ،كما ان المعاجز التي جرت على ايدي الانبياء والتي يستحيل على البشر الاتيان بها وهذا دليل على خالق ارسلها وهي عكس الشرائع والقوانين البشرية التي كلما وضعوها اكتشفوا بعد فترة النواقص والثغرات الكثيرة فيها والتي تتعرض الى التغير الدائم[٩٢].

واخيرا جاء في الكافي عن الامام زين العابدين عليه السلام حينما سالوه عن كيفية الدعوة الى الدين فقال :" تقول بسم الله الرحمن الرحيم ،ادعوكم الى الله عز وجل والى دينه وجماعة امران :احدهما معرفة الله والاخر العمل برضوانه ،وان معرفة الله ان يعرف بالوحدانية والرافة والرحمة والعزة والعلم والقدرة والعلو على كل شي ،وانه النافع الضار ،القاهر لكل شي الذي لا تدركه الإبصار وهو يدرك الإبصار وهو اللطيف الخبير وان محمدا عبده ورسوله وان ما جاء به هو الحق من عند الله وما سواه هو الباطل "[٩٣].

٢ـ التربية الأخلاقية ودورها في مواجهة الإلحاد : من اجل متطلبات هذه التربية وهي كثيرة وشاقة ،وخاصة في امة كادت تنسلخ من كل مقومات الإسلام ،فلا ينبغي التعجل في خطواتها ،ولا ينبغي التعجل في ادخال الجماهير في الدعوة على النطاق الواسع قبل ان يتيسر العدد الكافي من الدعاة والمربين ،الذين تربوا على المنهج الصحيح والذين يستطيعون بدورهم ان يربوا على المنهج الصحيح ،فهذا التعجل لا

يخدم الدعوة في شي وانما يعوقها في الحقيقة عن المسير ،فقد جعل الاسلام الهدف الدنيوي الارضي لرسالته هو اقامة العدل في الارض واسعاد الانسان عليها ولذلك اوجب على المسلمين جميعا الدعوة اليه كما قال تعالى :" ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون "(٩٤)، اي لتكونوا جميعا امة داعية الى الخير ،وفي سبيل دعوة الناس الى الخير والهداية امر الله المؤمنين بالصبر في ذلك وتحمل الاذى حتى لا ينفر الناس من هذا الدين واتخاذ الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى سبيلا ومنهجا ،وهكذا امتلات قلوب المسلمين بمحبة الخير للناس ورغبة هدايتهم وانقاذهم ظلمات الشرك والكفر والالحاد الى نور الهداية والاسلام ،وامر الاسلام اتباعه ايضا بالعدل والاحسان مع كل الناس حتى مع المشركين والكافرين والصبر على اذاهم ان كان في هذا خيرا ومصلحة ورد اساءتهم والانتصار منهم عن العدوان فقط كما قال تعالى :" وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين "(٩٥).

وجاء الاسلام بعد ذلك بالبر والاحسان والرحمة للوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وكل محتاج ،وجعل للجار حقوقا على جاره وللصديق حقا على صديقه ،بل لكل مسلم حقوقا كرد السلام واجابة الدعوة وعيادة المريض واتباع الجنائز ونهى عن طلم المسلم واحتقاره وخذلانه ،وهكذا اصبح الاسلام رسالة انسانية كاملة يامر اتباعه بزرع الخير وفي اي مكان يكونوا فيه ومع كل انسان ولو كان كافرا .

ويمكن للمرجعية الدينية محاربة الإلحاد و تثبيت العقائد وتزكية الأخلاق وتكوين جيل نزاع إلى الحق والخير متعاون على البر والتقوى ،من خلال ما يلي :

أ- الأسرة :أن للأسرة دورا كبيرا في العلاج والتربية والتأثير على السلامة الفكرية

والروحية لأبنائنا فهي التي تتعهد النشا منذ الصغر في مراحل حياته المختلفة واشكالها المتعددة ،فالاسرة هي صاحبة المسؤلية الكبرى في غرس العقيدة الصافية والفكر القويم والثقافة النافعة في نفوس النشا وهي التي تعود الاولاد على اداء العبادات منذ الصغر وتعمق فيهم الشعور بخشية اللّه ومراقبته ،لذا لابد ان تعزز الاسرة دورها في الرقابة والتوجيه للابناء والبنات ،ولابد ان يعطي الوالدان اولادهما مزيدا من الاهتمام المعنوي مع متابعة سلوكياتهم وتقويمها ومتابعة احوالهم خارج المنزل مع أصدقائهم والحرص على الصحبة الصالحة ولابد كذلك من متابعة انشطة الاولاد عبر وسائل التواصل الحديثة ،وقد تواجه الاسرة مشكلة رفض الاولاد مثل هذا الامر ،وعدة نوعا من الوصاية على حياتهم واستقلاليتهم ،لكن كلما كانت العلاقة بين الوالدين وبين الاولاد صحيحة وايجابية امكن التغلب وإقناع الأولاد بأهمية دور الوالدين ،وان القصد هو التعاون معهم لتحقيق هدف سام هو السعادة في الدنيا والآخرة [٩٦].

وفي الوقت الذي تكشف فيه الاسرة ان احد ابنائها قد دخل في الالحاد غالبا ما تحدث لدى الاسرة حالة فزع وتتوجه نحو الوعظ والارشاد وتستدعي بعض رجال المرجعية الدينية لاقناع الابن بالعدول عن الحاده من خلال تعليمه الحقائق والمخاطر الناجمة عن الالحاد منها القلق والخوف والانانية والاجرام واعانة الابناء على اكتساب المهارات التي ترفع من قدراتهم المعرفية فتساعدهم على الثقة في انفسهم والسعي لبناء شخصية قوية ، وكذلك الطلب من الاسرة تهيئة العلاج النفسي فيما اذا كان الحاد اولادهم بسبب عوامل نفسية فبإمكان الاسرة وبالتعاون مع الجهات المختصة تهيئة العلاج لابنائها اذ يعتبر العلاج النفسي ضروري من خلال اقامة جلسات فردية وجماعية للافراد والمجموعات من الملحدين ويديرها اطباء نفسين او مختصين في

علم النفس او التربية لتغطية الجوانب النفسية والتربوية .

ب- المسجد : يعتبر المسجد مركزا تربويا أساسيا في تربية الناس على الفضيلة وحب العلم ،فالمسجد ليس مكان تقام فيه الصلاة فقط لكنه ايضا مكان للعبادة والعلم والتربية والدعوة الى اللّه تعالى والتوجيه والإرشاد الى الخير ،وهو المدرسة الأولى التي تعني بالإنسان المسلم سلوكا وعقيدة وروحا وبناءا للشخصية المسلمة بناء متكامل في إطار مجتمع إسلامي من خلال رسالته الدينية والتعليمية ،لذا يجب على المجتمع ان يفعل دور المسجد لأنه أعظم المؤثرات التربوية التي تقوم السلوك والأخلاق الحميدة لدى الفرد وتثبيت العقيدة الإسلامية بعيدا عن الأهواء المنحرفة والأفكار المشككة الهدامة ،من خلال تواصل ائمة المساجد مع الشباب للرد على الأسئلة المحيرة الخاصة بوجود اللّه ،وان يكون هناك اجوبة كاملة وشافية لكل شبه او تشكيك ،وتعديل وتطوير الخطاب الديني لتناسب مع الإحداث الجارية والأوضاع الحالية مطلبا بضرورة التعامل مع ظاهرة الإلحاد على أنها ظاهرة مرضية يجب معالجتها معالجة جذرية بطرق علمية حديثة وليست الطرق التقليدية[٩٧] .

ج- المؤسسات التعليمية الرسمية :ان الدور الرئيسي للمؤسسات التعليمية كالمدارس والجامعات،هو بث العلوم النافعة وان تهتم وزارات التربية والتعليم والتعليم العالي في كافة البلدان الاسلامية بتربية العقيدة الاسلامية الصحيحة وتنمية الايمان وتعزيزه في نفوس المتعلمين ،وتاهيل المعلمين تاهيلا تربويا ايمانيا ،وان تتناول المناهج التطورات الفكرية الحاصلة في المجتمع ،وترسيخ الاسس الفكرية والعقدية حيث يقع على عاتقها المحافظة على ابنائها الطلاب من الانزلاق في متاهات الافكار المنحرفة دينيا واخلاقيا ،وذلك بالتحذير منها وبيان فسادها

وسوء عاقبتها وبث الافكار النافعة من خلال المناهج والمقررات الدراسية التي تدرس في هذه المؤسسات والخروج من الحالة النمطية في التعليم والتي قد يرى كثيرا من الطلاب انها جامدة ومنفرة ،ولا بد من اخراج الكتب والمناهج باسلوب وقالب مما يجعل له تاثيرا في القلوب وغرس للعقيدة الصحيحة في النفوس لاسيما الاصول وابراز قدرة اللهع وعظمته في الكون وما فيه من دقة وتناسق ،وذلك من خلال اي وسيلة ممكنة كالدروس والخطب والمحاضرات والبرامج والتي تساعد في تفكيك الفكر الالحادي ،وتتناول المواضيع ىالمهمة كالايمان بالغيب والايمان بالقدر واعتقاد لبحكمة في افعال اللّه تعالى ،وان يكون الاعتناء بالمواد الشرعية في المناهج التعليمية بحيث تكون لها الصدارة كالمواد العلمية التجريبية ،كما ان دعوة طلاب الدراسات العليا إلى مواجهة هذا الفكر الهدام من خلال أطروحات علمية دقيقة سيكون له دور كبير في الوعي الفكري (٩٨).

د- استثمار أوقات الفراغ واستغلال طاقات الشباب : ان ظاهرة الالحاد انتشرت بسبب الفراغ الروحي والاجتماعي للشباب والبطالة وغيرها من المشاكل التي يعاني منها الشباب ،وان الفراغ الذي يعاني منه كثير من الناس لاسيما الشباب باعتباره يمتلك طاقة نفسية وفكرية وجسدية عالية تعتبر مشكلة كبيرة ،خصوصا اذا لم يتم احتواء هذه الطاقة وتوجيهها التوجيه النافع فلا يؤمن على صاحبها ان يوجهها فيما يضر ،وان اهدار كل هذه الطاقات وترك الشباب فريسة للفراغ والبطالة خطا فادح ،فقد يكون الفراغ سببا لكثير من المعاصي التي يرتكبها البعض منهم ،وان الا نحراف الخلقي والفكري الذي نراه عند شبابنا إنما يرجع الى الفراغ مع توافر المال المعين على تحصيل وسائل الا نحراف بشقيه الخلقي بالشهوات والفكري بالشبهات ،لذلك نجد ان هناك ضرورة لاستغلال طاقات السباب عن طريق اقامة مراكز

للانشطة المختلفة بحيث يقوم الشباب بممارسة الرياضة بانواعها وينمي قدراته ومواهبه النافعة والمفيدة عبر دورات في التنمية البشرية وتطوير الذات [٩٩].

ما يجب فتح مجالات الحوار مع الشباب على اختلاف مستوياتهم العلمية والمهنية واستقطاب خيرة العقول والكفاءات في شتى المجالات والكفيلة باقناع النشا وهدايتهم الى طريق الصواب ،وعقد ندوات بمراكز الشباب وتثقيف الشباب واطلاعهم على المفهوم الصحيح للدين وتحصينهم من كل الافكار الباطلة الوافدة وحماية العقول من الغزو الفكري ومراعاة ان يتم ذلك بصورة عصرية ملفته وجذابة وان تخرج عن النمطية والأساليب القديمة [١٠٠]، كذلك تدريب مجموعات من الشباب على فهم الظاهرة ومهارات التعامل مع الشباب الملحدين لانهم يكونون اقرب اليهم واقدر على تقديم المساعدة بالاضافة الى الاهتمام بالتواصل الالكتروني على الانترنت حيث يتركز نشاط شباب الملحدين عليه نظرا لتخوفهم من الظهور وذلك يستدعي عمل مولقع للمساعدة والرد على التساؤلات الباحثة عن اليقين .

واخيرا يتاكد دور المرجعية في زمن الغيبة ،ففي رواية للإمام الهادي عليه السلام انه قال " لو لا من بقي بعد غيبة قائمنا من العلماء الداعين اليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك ابليس ومردته ومن فخاخ النواصب،لما بقي احد الا ارتد عن دين الله " [١٠١]،فالأخذ عنهم والاستضاءة بعلومهم هو السبيل للنجاة من توهان الا نحرافات الفكرية ولا بد من تفعيل دور العلماء والدعاة للرد على الشبهات من خلال اقامة الندوات الدينية والثقافية والفكرية التي تصقل الافكار الناس وتهذبها وتنميها بكل مفيد مع مراعاة الحداثة في الطرح والوسائل والرد على الشبهات المثارة حول العقيدة فهو واجب العلماء وطلبة العلم وان ظهور تيار الالحاد يستدعي من المشايخ وطلبة العلوم الدينية محاربة هذه التيارات بالحجة

والبيان وارشاد الناس الى طريق الهداية والحق ،كما ان ايجاد جيل من طلبة العلم المطلع على كثير من النظريات العلمية الحديثة في الفلك والفيزياء والكيمياء الحديثة وغيرها من العلوم التي يتخذها الملحدون للتشكيك في وجود خالق الكون له ضرورة لمواكبة التطور في النظريات الإلحادية.

الخاتمة

بعد هذه المسيرة البحثية في رحاب كتب الإلحاد والقيم الإسلامية والمرجعية الدينية ،لابد من لملمة نتائج هذه الدراسة من اجل رسم صورة واضحة ومتكاملة لها: ان اهم ما توصلت اليه الدراسة :-

١- الإلحاد هو إنكار وجود الله والقول بان الكون وجد بلا خالق وان المادة الأزلية أبدية ، وهي الخالق والمخلوق في ذات الوقت .

٢- أن الإسلام دين شامل ومتكامل يشمل جميع نواحي الحياة البشرية، فالإسلام يريد دائما ان يبني مجتمعا ساميا ونبيلا فيغرس في إفراده أخلاقا مرموقة وقدوة صالحة منذ نعومة أظفارهم، فان القيم والأخلاق أصل كل شي فان فسدت القيم والأخلاق انهار الإنسان.

٣- ان من أسباب الإلحاد في العصر الحديث،الكنيسة الأوربية ومظالم العالم الرأسمالي وظهور المذاهب الاقتصادية الإلحادية، واقتران الإلحاد بالقوة المادية وضعف النظام التربوي للنشء الجديد، كما ان هناك أسباب فكرية وعلمية معاصرة تضمنتها الدراسة.

٤- من اثار الإلحاد في حياة المجتمعات القلق والصراع النفسي والأنانية والفردية وفقدان الوازع والنزوع الى الإجرام وهدم النظام الأسري وتخريب المجتمعات.

٥- كان موقف المرجعية من الإلحاد واضحا من خلال أحاديث القران عن وجود الله

تعالى وعرض شبهات القائلين بازلية المادة والرد عليهم.

٦- من الاستراتيجيات المقترحة من قبل المرجعية لمعالجة لمواجه الظاهرة الإلحادية في العصر الحاضر، الدعوة الى التوحيد والعناية بلتربية الأخلاقية والتصدي لشبهات الملاحدة وعرض بعض صور الاعجاز في مخلوقات الله سبحانه وتعالى الإنسان دليل على عظمة الخالق.

٧-ونوه الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم الى الدور الكبير الفعال للعلماء في التصدي لموجات الكفر والإلحاد فقال:" ان مثل العلماء في الارض كمثل النجوم في السماء يهتدي بها في ظلمات البر والبحر فاذا انطمست النجوم اوشك ان تضل الهداة "، ومادامت المرجعية موجودة على الارض فالناس في هدى وبقاء العلم ببقاء حملته.

الملخص:

ان عقيدة المسلمين هي التصديق والايمان بوجود الله وعظمته وكبرياءه ،فالاسلام دين الله والحقيقة المطلقة التي استودعها الله في قلوب سائر الانبياء والرسل ، وكان من تمام النعمة ان يكون هو الدين الذي يتعهد الله به بني الانسان والشريعة التي يختم بها شرائعه السابقة ،قال تعالى:"وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ، وكان الغرض الأصلي من الاسلام هو تخليص الانسان من التربية الفاسدة والوسط الردئ واثاره التي تلم بفؤاد الانسان فتحرمه من سبحات نور المبدع والمنعم وتعميه عن رؤية الطريق الذي يقول عنه سبحانه وتعالى: "انا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورا"، هذا السبيل هو سبيل الكمال والهدى والتقدم والتمدن ،وعكسه سبيل الضلال وهناك من البشرية من اتخذوا الشيكان عضدا لهم فانكروا وجود الله الا وهو الملاحدة ،فالالحاد مذهب فلسفي يقوم على فكرة أساسها انكار وجود الله اذ يدعون ان الكون وجد بلا

خالق وان المادة ازلية ابدية وهي الخالق والمخلوق في ان واحد ،وان الكون والانسان والحيوان وجد صدفة وسينتهي كما بدا ولا توجد حياة بعد الموت وان كل مافي هذا الوجود نشا عن طريق التطورات المتعاقبة .

ويعود الالحاد مجددا ليكون ظاهرة فكرية حاضرة في ظل ظروف عصيبة تمر بها الامة الاسلامية وتعصف بوجودها وهويتها ومقدراتها في حين تسعى الامة الاسلامية للوقوف على اقدامها في مواجهة حالة الاستلاب والغيبوبة الحضارية،ياتي خطاب التنكيل في الثوابت والمقدسات ليقف في طريق اليقظة والنهضة وليصرف الجهود عن التقدم والبناء ، واصبح اليوم موضوع الالحاد مشكلة فكرية يدور حولها سجال إعلامي ونقاش فلسفي وصراع إيديولوجي خاصة وان وسائل اعلام مختلفة ومراكز أبحاث متعددة تتحدث عن ارتفاع نسبة زيادة هذه الظاهرة في العالم الإسلامي، وهنا يأتي دور المرجعية الدينية في اتخاذ الوسائل والتدابير لمحاربة هذه الظاهرة وإيجاد الحلول العلمية للتخلص منها.

وتوصلت الدراسة الى العديد من النتائج منها:

١ـ الإلحاد هو إنكار وجود الله والقول بان الكون وجد بلا خالق وان المادة الأزلية أبدية ، وهي الخالق والمخلوق في ذات الوقت.

٢ـ أن الإسلام دين شامل ومتكامل يشمل جميع نواحي الحياة البشرية، فالإسلام يريد دائما ان يبني مجتمعا ساميا ونبيلا فيغرس في إفراده أخلاقا مرموقة وقدوة صالحة منذ نعومة إظفارهم، فان القيم والأخلاق أصل كل شيء فان فسدت القيم والأخلاق انهار الإنسان.

٣ـ ان من أسباب الإلحاد في العصر الحديث ،الكنيسة الأوربية ومظالم العالم الرأسمالي وظهور المذاهب الاقتصادية الإلحادية، واقتران الإلحاد بالقوة المادية

وضعف النظام التربوي للنشء الجديد، كما ان هناك أسباب فكرية وعلمية معاصرة تضمنتها الدراسة.

٤- من اثار الإلحاد في حياة المجتمعات القلق والصراع النفسي والأنانية والفردية وفقدان الوازع والنزوع الى الإجرام وهدم النظام الأسري وتخريب المجتمعات .

٥- كان موقف المرجعية من الإلحاد واضحا من خلال أحاديث القران عن وجود الله تعالى وعرض شبهات القائلين بازلية المادة والرد عليهم .

٦- من الاستراتيجيات المقترحة من قبل المرجعية لمعالجة لمواجه الظاهرة الإلحادية في العصر الحاضر ، الدعوة الى التوحيد والعناية بلتربية الأخلاقية والتصدي لشبهات الملاحدة وعرض بعض صور الاعجاز في مخلوقات الله سبحانه وتعالى الإنسان دليل على عظمة الخالق .

٧-ونوه الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم الى الدور الكبير الفعال للعلماء في التصدي لموجات الكفر والإلحاد فقال :" ان مثل العلماء في الارض كمثل النجوم في السماء يهتدي بها في ظلمات البر والبحر فاذا انطمست النجوم اوشك ان تضل الهداة "، ومادامت المرجعية موجودة على الارض فالناس في هدى وبقاء العلم ببقاء حملته.

الهوامش:

(١)محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس في جواهر القاموس ،تحقيق :نواف الجراح ،ج٤ ،(بيروت :دار صادر ، ٢٠١١)، ص٢١٧.

(٢)ابي الفضل جمال الدين ابن منظور (ت ٧١١ه)، لسان العرب ، ج٢ ،(بيروت : مؤسسة الاعلمي ، ٢٠٠٥)، ص١٣٤٨.

(٣)محمد ذنون يونس ، تراثنا الاصطلاحي اسسه وعلاقاته واشكالياته ،(بيروت :دار الكتب ، ٢٠١٣)، ص ٩٥.

(٤)علي ليلة ، النظرية الاجتماعية المعاصرة ،(القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٣)، ص٣٩.

(٥)بطرس البستاني ، محيط المحيط ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٩)، ج٧، ص.٣٢٥

(٦)احمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، (القاهرة : عالم الكتب، ٢٠٠٨)، ج٢ ، ص٨٦٣.

(٧)القران الكريم ، سورة المائدة ، الاية :٤٨.

(٨)علي البهادلي ، الحوزة العلمية في النجف معالمها وحركتها الاصلاحية، (بيروت : دار الزهراء ، ١٩٩١)، ص١٥.

(٩)سعد بن ناصر ألغامدي ، المرجعية معناها وأهميتها وأقسامها ،((جامعة ام القرى))((مجلة)) ،الرياض ، العدد ٥٠ ، عام ١٤٣١ه ،ص٣٧٢.

(١٠)عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥ه)، كتاب العين ، تحقيق :مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ،(بيروت : منشورات الاعلمي ،١٩٨٨)، ج٥ ، ص ١٨٦.

(١١)محمد بن يعقوب الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، ج٤ ، ص١٧٠

(١٢)صالح بن حميد وآخرون ، موسوعة نضرة النعيم في مكارم اخلاق الرسول الكريم ، ج١ ، ص٧٨.

(١٣)دونالد ماكري ، قاموس علم الاجتماع ، ترجمة : عبد الهادي الجوهري ، (الإسكندرية :المكتبة الجامعية ،١٩٨٨)، ص١٩٣.

(١٤)ابي الحسن احمد بن فارس (ت٣٩٥ه)، معجم مقاييس اللغة ، (بيروت : الدار الاسلامية ، ١٩٩٠)ج٥ ، ص٢٣٦.

(١٥)سورة الأعراف : الاية ١٨٠.

(١٦)ابو جعفر احمد بن محمد النحاس (ت٣٣٨ه)، معاني القران ، تحقيق :محمد علي الصابوني ،(مكة : جامعة ام القرى ، ١٩٨٨)، ج٤ ، ص٣٩٤ .

(١٧)عز الدين محمد البغدادي، بيان الفساد في مغالطة الالحاد ، (بغداد : مكتبة الرسول الامين ، ٢٠١٧)، ص٧.

(١٨)فرغل حسن يحيى ، الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الاسلامية ،(الامارات :جامعة الامارات ، ١٩٩٨)، ص١٧.

(١٩)الدهرية :مذهب كل من اعتقد في قدم الزمان والمادة والكون وانكر الالوهية والخلق والبعث والحساب،كما يرون ان الموجب للحياة والموت هي طبائع الاشياء وحركات الافلاك وعتقدون ان للحياة دورات تتككر كل ٣٦ الف سنة يعود بهدها كل شي الى ماكتن عليه وقد عرفت الدهرية في بلاد الهند قبل الاسلام ، ينظر : نادر عبد العزيز عبد الكريم ، الدهرية عقبة في المفهوم والاثار ،(المغرب : د.ط، ٢٠١٦).

(٢٠)سورة الجاثية : الاية ٢٤.

(٢١)مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي ،(عمان : دار اسامة ، ٢٠٠٩) ، ص٥٢٤.

(٢٢)عبد الرحمن الحاج ، الخطاب السياسي في القران ،(بيروت :الشبكة العربية للابحاث ، ٢٠١٢

)، ص ٣٠٠.

(٢٣)محمد عبد الفتاح خطيب ، القيم الحضارية في الاسلام نحو حداثة اساسية جديدة ، (بيروت :دار البصائر ، ٢٠١١)، ص٨٩.

(٢٤)علاء صاحب عسكر عباس ، نحو رؤية فلسفية تربوية للقيم في ضوء القران الكريم والسنة النبوية ،(بيروت : دارالفارابي ، ٢٠١٠)، ص ٥٨.

(٢٥)المعاونية الثقافية للمجمع العلمي للتقريب، غزو الغرب واختراقه الثقافي للعالم الاسلامي، (طهران:ردمك، ٢٠١٢)، ص١٧٠.

(٢٦)محمد مهدي الاصفي ، التحديات المعاصرة ومشروع المواجهة الإسلامية ، (النجف الاشرف : مجمع اهل البيت ، ٢٠٠٥)، ص١٨.

(٢٧)كاظم النصيري الواسطي ، ثقافة اهل البيت والغزو الثقافي التكفيري ، (قم : اثار ، ٢٠٠٦)، ص٢١.

(٢٨)سورة النحل : الاية : ١٢٥.

(٢٩)جواد السيد كاظم الموسوي ، اسلامنا منهجا ودستورا ، (بيروت : دار الاميرة ، ٢٠١١)، ج٢ ،ص ١١٧.

(٣٠)خالد الزواوي ، الاسلام في القرن الحادي والعشرين ، (القاهرة : مؤسسة طيبة للنشر ، ٢٠٠٨)، ص ١١٥.

(٣١)عمر سليمان عبد اللّه ، نحو ثقافة اسلامية اصيلة ، (الاردن : دار النفائس ، ٢٠٠٢)، ص٩٧.

(٣٢)فتحي سرحان ، نزيف الادمغة العربية المهاجرة وادارة استثمارها ،(بيروت : د.ط، ٢٠١٤)، ص ٣٢٩.

(٣٣)عبد الحميد احمد ابو سليمان ، الإصلاح الإسلامي المعاصر ، (القاهرة : دار السلام ، ٢٠١١)، ص١٢٥.

(٣٤)شحاته صقر ، اوهام الالحاد اوهى من بيت العنكبوت، (الاسكندرية : دار الخلفاء ، ٢٠١٢) ص١٩.

(٣٥)هاني علي نسيره ، الحنين الى السماء ، (بيروت : مركز الحضارة ، ٢٠١٠)، ص١٦٢.

(٣٦)ديمقريطس الابديري (٤٦٠ ـ ٣٥٩ ق.م): فيلسوف يوناني وهو اكبر ممثل للمذهب الذري القديم وهو مؤسس نظرية الجزء الذي لا يتجزا ويعد اول عقل موسوعي بين اليونانين وممثل الفلسفة في عصر ما قبل سقراط ، ينظر : علي سامي النشار واخرون ، ديمقريطس فيلسوف الذرة واثره في الفكر الفلسفي حتى عصورنا الحديثة ، (الاسكندرية : الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٧٠ ،.

(٣٧) محمد رزق موسى ابو الحسن ، المؤثرات الدينية في الفلسفة اليونانية ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠١٢)، ص١٣٢.

(٣٨)كامل محمد محمد عويضة ، كارل بوبر فيلسوف العقلانية ،(بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥)، ص١٢٥.

(٣٩)سورة الجاثية : الاية ٢٤.

(٤٠)شاكر النابلسي ، المال والهلال الموانع والدوافع الاقتصادية في ظهور الإسلام ،(بيروت : دار الساقي ، ٢٠١١)، ص١٨٨.

(٤١)وهم اصناف منكرو الخالق والبعث والاعادة ،منكرو البعث والاعادة ، منكرو الرسل :عباد الاصنام ، ينظر: عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل ،(بيروت : دار ومكتبة هلال ، ١٩٩٨)، ج٢ ، ٢٦٩ـ ٢٧١.

(٤٢)عبد الرحمن بدوي ، تاريخ الالحاد في الاسلام ، (بيروت : المركز الاكاديمي للابحاث ، ٢٠١٣)، ص ١٠٠.

(٤٣)الزندقة : وهي الكفر والالحاد باطنا مع التظاهر بالايمان وهي كلمة فارسية ونلاحظ ان كلمة زنديق قد انتقلت الى اللغة العربية في العهد الساساني : ينظر : سميرة مختار ليثي ، الزندقة والشعوبية وانتصار الاسلام والعروبة عليها ،(القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٨).

(٤٤)المانوية :ديانة اهل بابل والعراق قبل الاسلام سميت بالمانوية نسبة الى مؤسسها ماني وقد جمعت جوهر الديانات الثلاث الزرادتشتية والبوذية والمسيحية في قالب جديد وصيغة جديدة فاخذت التثليث من المسيحية وتناسخ الارواح من البوذية ونظام الاثنوية من الزرادتشية ، ويزعم ان العالم مصنوع مركب من اصلين قديمين احدهما النور والظلمة وانهما ازليان ،ينظر : نايف محمد شبيب ، المعتقدات الدينية واثرها في المجتمع في بلاد ايران ،(بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠١٤)، ص٣٩.

(٤٥)من هذه الديانات المرقونية ،الديصانية ،المزدكية ، ينظر :خميس سبع الدليمي، صور من حياة الزندقة في العصر العباسي ، ((كلية التربية الاساسية))((مجلة)) ، بغداد ، العدد ٤٨ ، عام ٢٠٠٦ ، ص٣

(٤٦)مجمع نيقيه :سمي بهذا الاسم نسبة الى مدينة نيقية التي عقد فيها الاجتماع للاقرار بالمسيحية الرسمية وهي مدينة اغريقية قديمة تقع على الساحل الغربي للاناضول على بحر مرمرة ،وسبب انعقاد هذا المجمع هو التعارض والاختلاف العقدي الموجود في الكنيسة في تلك الازمان ،وكان ابرز وجوه الاختلاف التعارض بين دعوة كنيسة الاسكندرية التي كانت تنادي بالوهية المسيح مذهب بولس وبين دعوة الاسقف الليبي اريوس في الاسكندرية ايضا الذي وصف بانه عالم مثقف وعالم بالتفسير اذ اخذ ينادي بان الله واحد غير مولود ازلي اما الابن فهو ليس ازلي وغير مولود من الاب ،ينظر : عبد الله عبد الفادي ، مجمع نيقيه سنة ٣٢٥م ،(القاهرة : مكتبة الكتب ، ٢٠١٦).

(٤٧)الكنيسة: هي معبد النصارى الذي يجتمعون فيه يوم الاحد لعبادتهم،ينظر: عبد الله عبد

الفادي، الكنيسة، (القاهرة: مكتبة الكتب، ١٩٩٨).

(٤٨)ه ـ ل فشر، تاريخ اوربا في العصر الحديث، ترجمة: احمد نجيب، (بيروت: مؤسسة المعارف، ١٩٩٤) ص١٢١ـ ٣٢٣.

(٤٩)العلمانية: حركة اجتماعية تتجه نحو الاهتمام بالشؤون الدنيوية بدلا من الاهتمام بالشؤون الاخروية وهي تقوم على فكرة الاستبدال تستبدل العالم الذي نعيشه بالعالم الاخر والواقع بالغيب والدنيا بالدين، ينظر: محمد عمارة، الاسلام وقضايا العصر، (د.م.: روابط، ٢٠١٨)، ص١٠٨.

(٥٠)عدي ابراهيم المناوي، التيارات السياسية العلمانية، (بيروت: دار الفارابي، ٢٠١٤)، ص٤٢.

(٥١) لويس عوض، دراسات في النظم والمذاهب، (القاهرة: مركز المحروسة، ٢٠١٤)، ص١٠.

(٥٢)الثورة الفرنسية: تعد الثورة الفرنسية التي اندلعت عام ١٧٨٩ ذات اهمية كبيرة فهي من ابرز الاحداث التي جرت منذ حركة الاصلاح الديني في القرن السادس عشر، لانها كانت بداية عصر جديد من عصور الانقلاب السياسي والاجتماعي والاقتصادي وكانت من اهم الاحداث العالمية المؤثرة، ينظر: روبرت بالمر، الثورة الفرنسية وامتدادتها، ترجمة: هنرييت عبودي، (بيروت: د.ط.، ١٩٨٢).

(٥٣)كان ابرز من ظهر في تلك الفترة جيوردانو برونز الايطالي والفيلسوف توماس هوبز اول المادين الحدثين الذين احيوا مادية ديمقريطس والابيقوريين اليونانين، والذي شبه اجهزة جسم الانسان بمجموعة من الالات التي تحكمها القوانين الفيزيائية وكذلك بيير جاسندي الفرنسي الذي احيا النظرية الذرية، والفيلسوف الالماني ارثر شوبهاور الذي اقر بالابداع والاتقان والارادة في خلق الكون ولكنه لم يرجع هذا الى الله انما ارجعه الى الطبيعة الجامدة وقال ان فكرة الدين من صنيعة البشر، ينظر: كمال القنطار، رحلة اللانهاية، (دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠١٤)، ص١٠٠ـ ١٠٥.

(٥٤)كارل ماركس (١٨١٨ ـ ١٨٨٣م): فيلسوف الماني واقتصادي وعالم اجتماع ومؤرخ وصحفي واشتراكي ثوري، لعبت افكاره دورا هاما في تاسيس علم الاجتماع وفي تطوير الحركات الاشتراكية، واعتبر ماركس من أعظم الاقتصاديين في التاريخ، نشر العديد من الكتب خلال حياته أهمها البيان الشيوعي، رأس المال ويعتبر من أعظم المفكرين تأثيرا في التاريخ، ينظر: عصام عبد الفتاح، كارل ماركس رجل ضد الأديان، (القاهرة: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٨).

ينظر: هنري لوفار، كارل ماركس، ترجمة: محمد عيتاني، (بيروت: دار صادر، ١٩٥٩).

(٥٥)المادية الجدلية: هي ركن اساسي من اركان الفلسفة الماركسية بناها كارل ماركس، وهي تنفي ان تكون المادة قد خلقت من العدم وان المادة ازلية وابدية وان قوانين المادة تحكم الطبيعة وحياة البشر وانها تسيطر على الكون من مجرات و نجوم واجرام سماوية، كما جادلوا في الذات الالهية واي شي لا وجود مادي له او غير محسوس او غير مرئي فانه لاوجود له، وتنتفي الحاجة الى محرك اولي للكون وللحياة، ينظر: موريس كونفورث، مدخل الى المادية الجدلية، ترجمة: محمد مستجير مصطفى، (بيروت: دار الفارابي، ١٩٧٥)، ص٧٤ـ٧٥.

(٥٦)الاشتراكية العلمية : هي التعبير الذي استعمله كارل ماركس للدلالة على المرحلة الاولى من من مراحل المجتمع الشيوعي ومنذ ذلك فصاعدا استخدم المارمسيون كلمة اشتراكية في هذا المعنى ،وهو الاستعمال الذي استخدمه بعد ذلك لينين في كتاباته ، وهي ايضا مذهب يقوم على الغاء الملكية الفردية الغاءا كاملا ،ينظر : محمد يوسف السماسيري ، فلسفات الاسلام المعاصر ة في ضوء المنظور الاسلامي ،(الرياض : المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، ٢٠٠٨)، ص٦٥.

(٥٧)فريدريك انجلز (١٨٢٠-١٨٩٥م):فيلسوف ورجل ضناعة الماني يلقب ب ابو النظرية الماركسية ،اشتغل بالصناعة وعلم الاجتماع وكان كاتبا ونظرا سياسيا وفيلسوفا،في عام ١٨٤٥ نشر كتابة حالة الطبيعة العاملة في انكلترا اعتمادا على ملاحظاته وابحاثه الشخصية ،ينظر : لينين ،فريدريك انجلز حياته واثاره ، (تون : دار صامد ، ٢٠٠٧).

(٥٨)فلادمير لينين (١٨٧٠- ١٩٢٤م): زعيم الثورة الروسية ومؤسس الحزب السيوعي في روسيا السوفيتية،ولد في بلدة سمبرسك على نهر الفولجا عام ١٨٧٠ ،درس الحقوق بجامعة بتروغراد عام ١٨٩١ ،اشتغل بالمحاماة ،غادر روسيا في عام ١٨٩٥ ، اذ زار فرنسا والمانيا وانتقل الى لندن اذ بدا هناك باصدار جريدة الشعلة في ٣٠ تموز ١٩٠٣ ،عاد الى روسيا وشارك في ثورة ١٩٠٥ التي منيت بالفشل ،انتقل بعدها الى سويسرا اثناء الحرب العالمية الاولى ،قاد ثورة اكتوبر ١٩١٧ وعقد صلح مع المانيا ، اصيب بالشلل عام ١٩٢٣ ، ينظر : ب.ن. بوسييلوف واخرون ، سيرة حياة فلادمير لينين ، ترجمة :عزيز سباهي ، (بيروت: مكتبة النهضة ، ١٩٧١). ينظر : ديفيد شوب ، لينين ، ، ترجمة :فاضل الخليل ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات ، ١٩٧٢).

(٥٩)تشارلز داروين (١٨٠٩ - ١٨٨٢ م) :عالم طبيعي بريطاني ،اكتسب شهرته كواضع لنظيرية التطور والتي تنص على ان كل المخلوقات الحية على مر الزمان تنحدر من اسلاف مشتركة ،ينظر : تشارلز داروين ، اصل الانواع ، ترجمة : مجدي محمود المليجي ، (القاهرة : المجلس الاعلى للثقافة ، ٢٠٠٤ ، .

(٦٠)عباس محمود العقاد ، الدين افيون الشعوب ، (القاهرة : مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٢)، ص٥٥.

(٦١)مصطفى كمال أتاتورك (١٨٨١ - ١٩٣٨م) : مؤسس الجمهورية التركية الحديثة الذي تمكن خلال حرب الاستقلال ١٩١٩- ١٩٢٢ من انقاذ تركيا من الاحتلال الاجنبي بعد معارك طريلة وشرسه وخصوصا ضد قوات الاحتلال اليوناني ، ينظر : منصور عبد الحكيم ، مصطفى كمال اتاتورك ذئب الطورانية الاغبر طاغية الاناضول ، (دمشق : دار الكتاب العربي ، ٢٠١٠).

(٦٢)رضا بهلوي (١٨٧٨- ١٩٤٤م) : ولد في قرية الاشت التابعة لمركز ادكوه باقليم مازندران الواقع شمال ايران ،تدرب في المراتب العسكرية لكفائته والمامه بفنون الحرب ورقي الى رتبة جنرال عام ١٩٢٠ ، وقام بانقلاب عسكر ي عام ١٩٢١ وتولى قيادة الحكم واسس الاسرة البهلوية التي حكمت ايران حتى عام ١٩٧٩ ،تنازل عن العرش لابنه محمد رضا عام ١٩٤١ ،وتوفي عام ١٩٤٤، ينظر : كمال مظهر احمد ، دراسات في تاريخ ايران الحديث و المعاصر ،(بغداد : مطبعة اركان ،

١٩٨٥)، ص ١٣٦.

(٦٣)عماد سامي سلطان ، من مسير التمخير كيف ننتصر في معركة الحياة ، (بيروت : بيسان ، ٢٠٠٨)، ص١٨٤.

(٦٤)علي ال محسن ، جدلية الالحاد والدين،(ايران :دار زين العابدين ، ٢٠١٨)، ٢٢٧.

(٦٥)طرح الفيلسوف الانكليزي الفريد اير الفلسفة الوضعية وهي اتجاه في الفلسفة العلمية ظهر في القرن العشرين والاسس التي يقوم عليها هي مبدا التثبيت الذي يرى ان قبول اي مسالة يتوقف على اثباتها او نفيها عمليا بالتجربة او رياضيا او منطقيا ومن ثم فلا معنى لاي افتراض تقع خارج نطاق العلم التجريبي او المنطق المباشر ونبذ جميع قضايا الميافيزيقا والاهوت بوصفها ثرثرة لفظية فارغة وتضيق نطاق الفلسفة بقصر مهمتها على ربط الغة بالتجربة ربطا عمليا وصياغة الواقع الخارجي صياغة منطقية باستخدام اسلوب التحليل المنطقي، ينظر :

(٦٦)جورج هوليوك (١٨١٧- ١٩٠٦ م): كاتب انكليزي ،يقال انه اول من نحت مصطلح العلمانية سنة ١٨٥١ تمت الاشارة اليه في الموسوعة الكاثوليكية ، ينظر : اشرف البولاقي ، العلمانية وهموم المجتمع ، (د.م : دار ابن رشد ، ٢٠١٨)، ص١١.

(٦٧)صلاح الدين محمد ابو الرب ، السياسة الإسلامية والإسلام السياسي ، (الأردن : دار الخليج ، ٢٠١٧)، ص١١٨.

(٦٨)- انتوني فلو (١٩٢٣- ٢٠٠٤م): استاذ الفلسفة البريطاني ،اسم ذائع الصيت في مجالات الفكر والفلسفة والإلحاد والتدين ،كان يعد بحق من اكبر ملاحدة العصر الحديث،وتعتبر كتاباته الغزيرة جدول اعمال الفكر الالحادي طوال النصف الثاني من القرن العشرين ،ينظر :نور الدين علي سليمان ، الحاد ، (القاهرة : بصمة للنشر ، ٢٠١٦)، ص٦٢.

(٦٩)- انتوني فلو ، هناك اله ، ترجمة :جنات جمال ،(د.م: مركز براهين ،٢٠١٧)، ص٣٤.

(٧٠)- ريتشارد دوكنز (١٩٤١-؟): بريطاني ولد في نيروبي بكينيا ،يعيش الان في جامعة اكسفورد ،هو بايلوجي ،كان يشغل منصب استاذ تبسيط العلوم في جامعة اكسفورد ،وصل الى الشهرة من خلال كتابه الجين الاناني الذي صدر عام ١٩٧٦ وعرض فيه مفهومه للتطور من خلال دور الجينات وهو من المعارضين لمفهوم الخلق الخاص ومفهوم التصميم ، ينظر : احمد سالم ، الاسلام العقلاني في الفكر التجديدي ،(د.م: نور للنشر ، ٢٠١٧)، ص٢٦.

(٧١)-- كريستوفو هتشنر(١٩٤٩- ٢٠١١م): كاتب وصحفي ملحد انكليزي- امريكي مشهور بالحاده ونقده للاديان ،ينظر : احمد حسن ، اقوى براهين د.جون لينكس ،(الرياض : مركز دلائل ، ٢٠١٦)، ص٩.

(٧٢)هشام عزمي ، الإلحاد للمبتدئين ، (د.م: مركز براهين ،٢٠١٦)، ص٢٣.

(٧٣)-فيكتور ستينجر (١٩٣٥- ٢٠١٤ م): استاذ الفيزياء الامريكي بجامعة هاواي ومن المعارضين لمفهوم التصميم ،يؤمن بان العلم سيتوصل الى الاصل المادي للعقل الانساني دون الحاجة

الى ارجاع ذلك لمصدر غير مادي ،ينظر : ادكار اندورز ،من خلق الله ، (بيروت : كنوز ،٢٠١٨)، ص ١٠٠.

(٧٤)ـ مروان بن احمد الفهاد و عبد الغني يوسف قرم ، الاساسيات في الفيزياء ،(الرياض : مكتبة العبيكان ،٢٠٠٥)، ص١٣٣.

(٧٥)ـ هيثم طلعت ، كهنة الالحاد الجديد ، (القاهرة :نيوبوك للنشر ، ٢٠١٨)، ص٢٢٢.

(٧٦)ـ عمرو شريف ، الإلحاد مشكلة نفسية ، (القاهرو :نيوبوك ، ٢٠١٦)، ص١٤٦.

(٧٧)ـ عبد الله بن سعيد الشهري ، ثلاث رسائل في الالحاد والعقل والايمان ،(الرياض : مركز براهين ، ٢٠١٥)، ص٤٣.

(٧٨)ـ احمد عمر هاشم ، الشريعة والمجتمع ،(القاهرة : دار المعارف ، ٢٠١٤)، ص٧٥.

(٧٩)ـ مايكل دانتون ، التطور : نظرية في ازمة ، ترجمة الاء حسكي واخرون ،(د.م: مكتبة براهين ،٢٠١٧)، ص٦٥.

(٨٠)ـ فضيلة عبد الرحيم حسين ، فكرة الاسطورة وكتابة التاريخ ، (القاهرة :دار اليازوري،٢٠١٨) ، ص١٣٦.

(٨١)ـ سورة الزمر : الآية :٣.

(٨٢)ـ سورة يونس : الآية: ١٨.

(٨٣)ـ سورة البقرة : الآية :١٧٠.

(٨٤)ـ سورة الزمر : الاية ٣.

(٨٥)ـ ابو العباس احمد بن محمد المهدي ابن عجيبة (ت١٢٢٤ه)، البحر المديد في تفسير القران المجيد ، تحقيق : عمر احمد الرواي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠١٥)، ج٦ ، ص٢٣٨.

(٨٦)ـ سورة الرعد : الاية ١٦.

(٨٧)ـ مصطفى محمود ، الشيطان يحكم ، (القاهرة :دار المعارف ، ٢٠٠٩)، ص ٢٨.

(٨٨)ـ منصور العبادي ، بداية الخلق في القران الكريم ،(الاردن : دار الفلاح ، ٢٠٠٦)، ص١٢٠.

(٨٩)ـ شهلة برهان عبد الله ، الدعوة الاسلامية وحياة البداوة ،(بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٨)، ص ١٠٨.

(٩٠)ـ الذاريات : الاية ٥٦.

(٩١)ـ خالد كبير علال ، نقد العقل الملحد ، (الجزائر : د.ط، ٢٠١٦)، ٣٣١.

(٩٢)ـ فتحي حسن ملكاوي ، بحوث المؤتمر التربوي : نحو بناء نظرية تربوية اسلامية ،(عمان : الشركة الجديدة ، ١٩٩١)، ج٢ ، ص٤١١.

(٩٣)ـ محمد يعقوب الكليني(ت ٣٢٨ه) ، اصول الكافي ،(لبنان : دار المرتضى ، ٢٠٠٥)، ج٦ ، باب الدعاء الى الاسلام ، ص٣٦.

(٩٤)ـ سورة ال عمران : الاية ١٠٤.

(٩٥)- سورة البقرة : الاية ١٩٠.

(٩٦)- كامل مهنا ومصطفى حجازي ، دور منظمات المجتمع المدني في مواجهة المخاطر ،(بيروت : دار الفارابي ، ٢٠١٤)، ص ٦٠.

(٩٧)- محسن حسين عبدالله ، انك على الحق المبين ،(الرياض :مكتبة العبيكان ،٢٠١٦)، ص٣١٣.

(٩٨)- رضوان احمد شمسان الشيباني ، الحركات الاصولية الاسلامية في العالم العربي ،(القاهرة :مكتبة مدبولي ، ٢٠٠٦)، ص ٨٨.

(٩٩)- عبد الله الطروانة ،مبادئ التوجية والارشاد التربوي ، (عمان : داريافا ، ٢٠٠٨)، ص ١٦٦.

(١٠٠)- احمد بن علي الطبرسي (ت ٥٤٨ه)، الاحتجاج ،(بيروت : شبكة الفكر ، ١٩٦١)، ج١ ، ص٩.

(١٠١)- مصطفى محمود ، حوار مع صديقي الملحد ، (بيروت : دار العودة ، ١٩٨٦)، ص ١٢٨.

المصادر والمراجع

القران الكريم

١. ابو العباس احمد بن محمد المهدي ابن عجيبة (ت١٢٢٤ه)، البحر المديد في تفسير القران المجيد ، تحقيق : عمر احمد الرواي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠١٥)، ج٦ .

٢. ابو جعفر احمد بن محمد النحاس (ت٣٣٨ه)، معاني القران ، تحقيق :محمد علي الصابوني ،(مكة : جامعة ام القرى ، ١٩٨٨)، ج٤ .

٣. ابي الحسن احمد بن فارس (ت٣٩٥ه)، معجم مقاييس اللغة ، (بيروت : الدار الاسلامية ، ١٩٩٠)ج٥ .

٤. ابي الفضل جمال الدين ابن منظور (ت ٧١١ه)، لسان العرب ، ج٢ ،(بيروت : مؤسسة الاعلمي ، ٢٠٠٥).

٥. احمد بن علي الطبرسي (ت ٥٤٨ه)، الاحتجاج ،(بيروت : شبكة الفكر، ١٩٦١)، ج١ .

٦. احمد حسن ، اقوى براهين د.جون لينكس ،(الرياض : مركز دلائل ، ٢٠١٦).

٧. احمد عمر هاشم ، الشريعة والمجتمع ،(القاهرة : دار المعارف ، ٢٠١٤).

٨. احمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، (القاهرة : عالم الكتب، ٢٠٠٨)، ج٢ .

٩. ادكار اندورز ،من خلق الله ، (بيروت : كنوز ،٢٠١٨).

١٠. اشرف البولاقي ، العلمانية وهموم المجتمع ، (د.م : دار ابن رشد ، ٢٠١٨).

١١. انتوني فلو ، هناك اله ، ترجمة :جنات جمال ،(د.م: مركز براهين ،٢٠١٧).

١٢. ب.ن. بوسييلوف واخرون ، سيرة حياة فلادمير لينين ، ترجمة :عزيز سباهي ، (بيروت: مكتبة النهضة ، ١٩٧١).

١٣. بطرس البستاني، محيط المحيط، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩)، ج٧.

١٤. تشارلز داروين، اصل الانواع، ترجمة: مجدي محمود المليجي، (القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة، ٢٠٠٤).

١٥. جواد السيد كاظم الموسوي، اسلامنا منهجا ودستورا، (بيروت: دار الاميرة، ٢٠١١)، ج٢ .

١٦. خالد الزواوي ، الاسلام في القرن الحادي والعشرين، (القاهرة: مؤسسة طيبة للنشر ، ٢٠٠٨).

١٧. خالد كبير علال ، نقد العقل الملحد ، (الجزائر : د.ط، ٢٠١٦).

١٨. خميس سبع الدليمي، صور من حياة الزندقة في العصر العباسي، ((كلية التربية الاساسية))((مجلة))، بغداد، العدد ٤٨، عام ٢٠٠٦ .

١٩.دونالد ماكري ، قاموس علم الاجتماع ، ترجمة : عبد الهادي الجوهري، (الإسكندرية :المكتبة الجامعية ،١٩٨٨).

٢٠.ديفيد شوب ، لينين ، ، ترجمة :فاضل الخليل ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات ،١٩٧٢).

٢١.رضوان احمد شمسان الشيباني ، الحركات الاصولية الاسلامية في العالم العربي ،(القاهرة :مكتبة مدبولي ، ٢٠٠٦).

٢٢.روبرت بالمر، الثورة الفرنسية وامتدادتها، ترجمة: هنرييت عبودي،(بيروت: د.ط.، ١٩٨٢).

٢٣.سعد بن ناصر ألغامدي ، المرجعية معناها وأهميتها وأقسامها ،((جامعة ام القرى))((مجلة)) ،الرياض ، العدد ٥٠ ، عام ١٤٣١ه

٢٤.سميرة مختار ليثي ، الزندقة والشعوبية وانتصار الاسلام والعروبة عليها ،(القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٨).

٢٥. شاكر النابلسي ، المال والهلال الموانع والدوافع الاقتصلدية في ظهور الاسلام ،(بيروت : دار الساقي ، ٢٠١١).

٢٦. شحاته صقر، اوهام الالحاد اوهى من بيت العنكبوت، (الاسكندرية: دار الخلفاء، ٢٠١٢) .

٢٧.شهلة برهان عبد الله ، الدعوة الاسلامية وحياة البداوة ،(بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٨).

٢٨.صالح بن حميد وآخرون ، موسوعة نضرة النعيم في مكارم اخلاق الرسول

الكريم ، ج١ .

٢٩.صلاح الدين محمد ابو الرب ، السياسة الإسلامية والإسلام السياسي ، (الأردن: دار الخليج ، ٢٠١٧).

٣٠.عباس محمود العقاد ، الدين افيون الشعوب ، (القاهرة : مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٢).

٣١.عبد الحميد احمد ابو سليمان ، الإصلاح الإسلامي المعاصر ، (القاهرة : دار السلام، ٢٠١١).

٣٢.عبد الرحمن الحاج ، الخطاب السياسي في القران ،(بيروت :الشبكة العربية للابحاث ، ٢٠١٢).

٣٣.عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥ه)، كتاب العين ، تحقيق :مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ،(بيروت : منشورات الاعلمي ،١٩٨٨)، ج٥ .

٣٤.عبد الرحمن بدوي ، تاريخ الالحاد في الاسلام ،(بيروت : المركز الاكاديمي للابحاث ، ٢٠١٣).

٣٥. عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل ،(بيروت : دار ومكتبة هلال ، ١٩٩٨)، ج٢ .

٣٦. عبد الله بن سعيد الشهري ، ثلاث رسائل في الالحاد والعقل والايمان ،(الرياض : مركز براهين ، ٢٠١٥).

٣٧.عبد الله الطروانة، مبادئ التوجية والارشاد التربوي ، (عمان : دار يافا ، ٢٠٠٨).

٣٨.عبد الله عبد الفادي ، مجمع نيقيه سنة ٣٢٥م ،(القاهرة : مكتبة الكتب ،

٢٠١٦).

٣٩.عبد الله عبد الفادي، الكنيسة، (القاهرة: مكتبة الكتب ، ١٩٩٨).

٤٠. عدي ابراهيم المناوي ، التيارات السياسية العلمانية ،(بيروت : دار الفارابي ، ٢٠١٤).

٤١.عز الدين محمد البغدادي، بيان الفساد في مغالطة الإلحاد ، (بغداد : مكتبة الرسول الأمين ، ٢٠١٧).

٤٢.عصام عبد الفتاح ، كارل ماركس رجل ضد الأديان، (القاهرة: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٨).

٤٣.علاء صاحب عسكر عباس ، نحو رؤية فلسفية تربوية للقيم في ضوء القران الكريم والسنة النبوية ،(بيروت : دار الفارابي ، ٢٠١٠).

٤٤.علي ال محسن ، جدلية الالحاد والدين،(ايران :دار زين العابدين ، ٢٠١٨).

٤٥. علي البهادلي ، الحوزة العلمية في النجف معالمها وحركتها الاصلاحية، (بيروت : دار الزهراء ، ١٩٩١).

٤٦. علي سامي النشار واخرون ، ديمقريطس فيلسوف الذرة واثره في الفكر الفلسفي حتى عصورنا الحديثة ، (الاسكندرية : الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٧٠).

٤٧.علي ليلة ، النظرية الاجتماعية المعاصرة ،(القاهرة : دار المعارف ،١٩٨٣).

٤٨.عماد سامي سلطان، من مسير الة مخير كيف ننتصر في معركة الحياة، (بيروت: بيسان، ٢٠٠٨).

٤٩.عمر سليمان عبد الله ، نحو ثقافة اسلامية اصيلة ، (الاردن : دار النفائس ، ٢٠٠٢).

٥٠.عمرو شريف ، الإلحاد مشكلة نفسية ، (القاهرو :نيوبوك ، ٢٠١٦).

٥١. فتحي حسن ملكاوي ، بحوث المؤتمر التربوي : نحو بناء نظرية تربوية اسلامية ،(عمان : الشركة الجديدة ، ١٩٩١)، ج١.

٥٢. فتحي سرحان، نزيف الادمغة العربية المهاجرة وادارة استثمارها،(بيروت: د.ط، ٢٠١٤).

٥٣. فرغل حسن يحيى ، الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الاسلامية ،(الامارات :جامعة الامارات ، ١٩٩٨).

٥٤. فضيلة عبد الرحيم حسين ، فكرة الاسطورة وكتابة التاريخ ، (القاهرة :دار اليازوري،٢٠١٨).

٥٥. كاظم النصيري الواسطي ، ثقافة اهل البيت والغزو الثقافي التكفيري ، (قم : اثار ، ٢٠٠٦).

٥٦. كامل محمد محمد عويضة ، كارل بوير فيلسوف العقلانية ،(بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥).

٥٧. كامل مهنا ومصطفى حجازي ، دور منظمات المجتمع المدني في مواجهة المخاطر ،(بيروت : دار الفارابي ، ٢٠١٤).

٥٨. كمال القنطار ، رحلة اللانهاية ،(دمشق : وزارة الثقافة ، ٢٠١٤).

٥٩. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث و المعاصر،(بغداد : مطبعة

اركان، ١٩٨٥)، ص ١٣٦.

٦٠.لويس عوض ، دراسات في النظم والمذاهب ، (القاهرة : مركز المحروسة ، ٢٠١٤).

٦١. لينين ،فريدريك انجلز حياته واثاره ، (تون : دار صامد ، ٢٠٠٧).

٦٢. مايكل دانتون ، التطور : نظرية في ازمة ، ترجمة الاء حسكي واخرون ،(د.م: مكتبة براهين ،٢٠١٧).

٦٣. محسن حسين عبدالله ، انك على الحق المبين ،(الرياض :مكتبة العبيكان ،٢٠١٦).

٦٤. محمد بن يعقوب الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، ج٤ .

٦٥. محمد ذنون يونس ، تراثنا الاصطلاحي اسسه وعلاقاته واشكالياته ،(بيروت :دار الكتب ، ٢٠١٣).

٦٦. محمد رزق موسى ابو الحسن ، المؤثرات الدينية في الفلسفة اليونانية ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠١٢).

٦٧. محمد عبد الفتاح خطيب ، القيم الحضارية في الاسلام نحو حداثة اساسية جديدة ، (بيروت :دار البصائر ، ٢٠١١).

٦٨. محمد عمارة ، الاسلام وقضايا العصر ، (د.م.: روابط ، ٢٠١٨).

٦٩. محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس في جواهر القاموس،تحقيق:نواف الجراح ،ج٤ ،(بيروت:ار صادر، ٢٠١١).

٧٠.محمد مهدي الاصفي ، التحديات المعاصرة ومشروع المواجهة الإسلامية ، (النجف الاشرف : مجمع اهل البيت ، ٢٠٠٥).

٧١.محمد يعقوب الكليني(ت ٣٢٨ه) ، اصول الكافي ،(لبنان : دار المرتضى ، ٢٠٠٥)، ج٦ ، باب الدعاء الى الاسلام.

٧٢.محمد يوسف السماسيري ، فلسفات الاسلام المعاصرة في ضوء المنظور الإسلامي ،(الرياض : المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، ٢٠٠٨).

٧٣.مروان بن احمد الفهاد و عبد الغني يوسف قرم ، الاساسيات في الفيزياء ،(الرياض : مكتبة العبيكان ،٢٠٠٥).

٧٤.مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي ،(عمان : دار اسامة ، ٢٠٠٩) ، ص٥٢٤.

٧٥. مصطفى محمود ، الشيطان يحكم ، (القاهرة :دار المعارف ، ٢٠٠٩).

٧٦. مصطفى محمود، حوار مع صديقي الملحد، (بيروت: دار العودة، ١٩٨٦).

٧٧.المعاونية الثقافية للمجمع العلمي للتقريب، غزو الغرب واختراقه الثقافي للعالم الاسلامي، (طهران:ردمك،٢٠١٢).

٧٨.منصور العبادي ، بداية الخلق في القران الكريم ،(الاردن : دار الفلاح ، ٢٠٠٦).

٧٩.منصور عبد الحكيم، مصطفى كمال اتاتورك ذئب الطورانية الاغبر طاغية الاناضول، (دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠١٠).

٨٠.موريس كونفورث، مدخل الى المادية الجدلية ،ترجمة : محمد مستجير مصطفى،(بيروت : دار الفارابي ، ١٩٧٥)

٨١.نادر عبد العزيز عبد الكريم ، الدهرية عتبة في المفهوم والاثار، (المغرب: د.ط، ٢٠١٦).

٨٢.نايف محمد شبيب ، المعتقدات الدينية واثرها في المجتمع في بلاد ايران ،(بيروت

: دار الكتب العلمية ، ٢٠١٤).

٨٣.نور الدين علي سليمان ، الحاد ، (القاهرة : بصمة للنشر ، ٢٠١٦).

٨٤.ه ـ ل فشر، تاريخ اوربا في العصر الحديث، ترجمة: احمد نجيب، (بيروت : مؤسسة المعارف ، ١٩٩٤) .

٨٥. هاني علي نسيره ، الحنين الى السماء ، (بيروت : مركز الحضارة ، ٢٠١٠)، ص١٦٢.

٨٦. هشام عزمي ، الإلحاد للمبتدئين ، (د.م: مركز براهين ،٢٠١٦)، ص٢٣.

٨٧.هنري لوفار ، كارل ماركس ، ترجمة : محمد عيتاني ، (بيروت : دار صادر ، ١٩٥٩).

٨٨.هيثم طلعت ، كهنة الالحاد الجديد ، (القاهرة :نيوبوك للنشر ، ٢٠١٨)، ص٢٢٢.

summary

The atheist comes back again to be a phenomenon of intellectual present under the difficult circumstances experienced by the Islamic nation and raging the existence and identity and capabilities while the Islamic nation seeks to stand on its feet in the face of the state of sedition and coma civilization, comes the letter of abuse in the constants and sanctities to stand in the way of vigilance and renaissance and leave efforts on progress and construction. Today, the subject of atheism is an intellectual problem that revolves around a media debate, a philosophical

debate and an ideological struggle, especially since various media and research centers speak of the high rate of increasing this phenomenon in the Islamic world.And Here comes the role of the religious authority in taking and the measures to combat this phenomenon and find scientific solutions for disposal.

This study consisted of an introduction, three studies and a conclusion, as well as a list of sources and references"Al-marjieiat". The first topic dealt with the terms of study in language and terminology, namely, role, reference, values and atheism. The second topic included the role of reference"Al-marjieiat" in preserving the Islamic values, or cultural invasion, while the third topic has titled the role of reference"Al-marjieiat" in the face of atheism, reflecting the historical and patterns of atheism and its effects on the societies and solutions reference"Al-marjieiat" to this phenomenon and how to eliminate it

دور المرجعيــة في الدفاع عن الدين و مواجهة التيارات المنحرفة

(دراسة تحليلية في الدوافع والوسائل والأهداف)

م.م.سيد رائد أميري تهراني زاده .
م.م.فاطمة آزادي منش .

ملخص البحث
تعددت أدوار الأفراد في بناء وتغيير المجتمع ولكل مساحته ودائرته الفكرية التي يتحرك ضمنها ويسعى من خلال تحركه الوصول لهدفه .
ومن ضمن الأفراد الناشطين في تنمية وتبديل واقع ومستقبل أمتنا مجموعة من صفوة البشر الذين اختاروا طريق الحق والمناشدة لبناء الإنسانية بمفاهيم أخلاقية دينية ذات قيمة ، وتسعى لرقي الأمة وإيصالها إعلى مدارج الكمال الإنساني الذي أراده الله تعالى لنا .
المراجع والمرجعية والدور الذي تلعبه في صناعة الإنسان النموذجي تستحق البحث وتناول موضوعها كموضوع تربوي تنموي جهادي تفاعلي يخدم قضايا الدين والوطن ، وتشكل حصنا منيعا دفاعيا يحمي مقومات بناء الوطن وقدراته وثرواته.
في هذا البحث المتواضع تناولت طريقة البحث التحليلي التوصيفي من خلال إظهار الأفكار التالية في رحلة استكشاف موقعية وأهمية ودور المرجعِية تتضمن هذه الرحلة الاستكشافية قراءة مايلي :
الفصل الأول : أهمية المرجعية و موقعيتها في المجتمع .
١-تعاريف حول البحث .
*تعريف المرجعية .
تعريف الدين .
*تعريف التيارات المنحرفة .

٢-موقعية وأهمية المرجعية في المجتمع :

*الدور الرسالي التبليغي .

*الدور التثقيفي التوعوي .

*الدور الجهادي المقاوم الدفاعي .

الفصل الثاني : دوافع المرجعية في الدفاع عن الدين ومواجهة التيارات المنحرفة .

١-دوافع ثقافية :

*دوافع دينية .

* دوافع وطنية .

٢- دوافع اجتماعية :

*حماية التراث والعادات الأصيلة .

*حماية القيم الأخلاقية للمعاملات الإجتماعية .

*حماية أواصر الوحدة الوطنية والدينية .

* حماية الفرد المواطن .

الفصل الثالث : وسائل المرجعية وأساليبها في الدفاع عن الدين ومواجهة التيارات المنحرفة .

*إقامة المؤسسات الدينية التبليغية التخصصية.

*إقامة مجالس العلم والمباحثة للقضايا التي تهم المجتمع .

*نشر كتب ومؤلفات تربوية دينية أخلاقية تثقيفية ذان هدف سامي .

*الراديو والتلفاز.

*المهمات الدبلوماسية .

معسكرات للشباب المسلم .

*بث المبلغين المتخصصين الدينيين في مناطق الفقر الفكري والتوعوي .

*الوسائل الإلكترونية وتسخير الفضاء المجازي والانترنت للهدف المرجو .

*إعداد الأفلام الوثائقية والسينمائية والبرامج الدينية التوجيهية .

٢- الوسائل الجهادية الحربية الدفاعية المقاومة :

*خطابات المرجعية العقائدية التشويقية.

*التحرك النفسي.

* التحرك العملي.

*المواجهة بكافة الأشكال المتاحة .

نتائج البحث .

في نتائج البحث أذكر النقاط المستنتجة من الفصول والعناوين السابقة المذكورة والتي تتمحور حول الهدف من حركة المرجعية الدفاعية والوقائية والمقاومة لحماية الدين والوطن من الأضرا والخسائ التي تسببها التيالت المنحرفة ؛ التي تهدد كيان ومستقبل الدين والوطن والفو المواطن سواء أكان مسلما أو غير مسلم ؛ ذلک أن الإسلام عندما جاء ضمن حقوق كافة المواطنين من جميع الديانات ليكونوا تحت ظل دولة إنسانية تحفظ كرامة الإنسان بما هو إنسان وتعطيه مايليق به وتحقق له منابع استلهام العلم والفكر السليم وتوفر له الوسيلة للوصول للهدف من الوجود الإنساني في جعل الكمال واقع محقق لكل من أراده .

المقدمة

إن المتتبع للتاريخ الإنساني يلاحظ وجود تلک الفئة التي تحرس الدين والوطن بكل ما أوتيت من قوة وهذه الفئة تتمثل بالأنبياء ومن تبعهم من الأولياء والأوصياء والصالحين ؛ فلاعجب وهم خليفة الله تعالى على الأرض والإنعكاس الرباني على البشرية بلسان بشري .

قال تعالى في كتابه الكريم : { وإذ قال ربک للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ...} (٣٠) ، سورة البقرة .

واستمرت الوظيفة الإلهية في حماية الإنسان من كل مايهدد حياته ومستقبله وكيانه الفكري والروحي وحتى المادي سارية ليومنا الحالي من الأنبياء إلى ورثتهم علماء الدين الذين أخذوا على عاتقهم تحصين المجتمع مما يواجهه من تحديات غربية وتيارات منحرفة ومخربة للدين الأصيل الحصن المنيع لسلوك أفراده .

والمرجعية اليوم وبما إظهرته من مواقف جلية في الدفاع عن الدين ومقدساته ودحر بؤر الظلم والجور وسد ثغرات الظالمين في مجتمعاتن تستحق أن تتناولها إقلام الباحثين للدراسة حولها وعن أهمية دورها في بناء المجتمع .

هذه الفئة العظيمة من مجتمعنا صاحبة العلم النافذ والبصيرة والمتحلية بكمالات روحية تبعث في الكتل الوطنية حس الوطنية وإهمية الدفاع عن مقدرات الوطن وثرواته كان لها الدور البارز والحي والمنعش في إحياء أمتنا الإسلامية التي حاول العديد من أعدائها طمس معالم أصالتها وتراثها الإسلامي وإخفاء معالم عروبتها ؛ وجعلها عبيدة فكرهم المنحرف الضال .

المرجعية المتمثلة بعلماء الدين العظام وما يتعلق بهم من ممثليات سعت من خلال دراسة وضع الأمة إلى كف يد الأذى وبترها عن تخريب الوطن والدين وبذلك استحقت وبجدارة في يومنا الحاضر أن تكون محور دراسات تحليلية وبحثية تدرس تلك التوجهات الربانية ومالديها من قوة عقائدية إيمانية وتبثها في أرواح المواطنين من كل الفئات وعلى اختلاف الأعمار والتخصصات وبذلك كانت وسيلة توحيد نموذجية يقتدى بها في مجالات حياتنا لتحقيق تلك الدرجة التي يسعى الكثيرون منا لنيلها وهي درجة الكمال الإنساني والبحث عن مقوماته وأدواته وطرق تحقيقه والتي لاتتم إلا من خلال تتبع آثار هذه الثلة المميزة من مجتمعنا الإسلامي الحاضن لها والتفاف الجماهير المناضلة حولها وسببه عوزها في يومنا الحالي لمثل هذه الأسوة القادرة على تشخيص طرق نيل الحرية والاستقلال والعلم والمعرفة وبالتالي الكمال الأنساني المتمثل كذلك بالعبودية لله جل وعلا لا لغيره .

قال رب العزة في محكم كتابه الشريف : { وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } الآية (٥٦) ، سورة الذاريات .

البحث يتناول عدة أفكار إساسية منها :

دوافع المرجعية في الدفاع عن الدين .

وسائلهم في تحقيق الحرية والاستقلال وإبعاد الضالين عن مجتمعنا .

الأهداف المرجوة من عملية حماية الدين والوطن من التيارات المنحرفة والفكر الغربي الذي يعتبر اليد الخفية وراء تلك الحركات لتخريب ماتبقى من أصالة وتراث إسلامي الذي نعتبره الذخيرة الأمثل لتحصين سلوكيات أفراد الوطن عن الفكر الانحرافي .

الفصل الأول : أهمية المرجعية وموقعيتها في المجتمع

١-تعاريف حول البحث .

*تعريف المرجعية .

*تعريف الدين .

*تعريف التيارات المنحرفة .

٢-موقعية وأهمية المرجعية في المجتمع :

*الدور الرسالي التبليغي .

* الدور التثقيفي التوعوي .

*الدور الجهادي المقاوم الدفاعي .

الفصل الأول : أهمية المرجعية وموقعيتها في المجتمع

تعتبر المرجعية من الأعمدة الأساسية في بناء هيكلية المجتمع التربوية التعليمية الثقافية ومن عناصر الحفاظ على مرتكزات الأصالة والتراث الديني والوطني .

والموقعية التي تشغلها المرجعية في حياتنا لاتقل أهمية عن أي موقعية قيادية في الأمة.

فالمرجعية تحاول من خلال ما استمدته من المدرسة الإلهية العليا ومن منابع الإسلام الأصيل أن تبني الفرد بما هو فرد في هذا المجتمع ومن ثم الأسرة ومن بعد ذلك الإنطلاق للمجتمع ككل .

وفق استراتيجية وطريقة علمية محكمة معتمدة على الحذاقة العلمية والحكمة والبصيرة النيرة المستلهمة من مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

١-تعاريف حول البحث:

*تعريف المرجعية :

المرجعية كما هي مصطلح متعارف عليه تطلق على المجتهد الواصل لمرحلة الاجتهاد والإفتاء .

-تعريف الاجتهاد لغة : [جهد : استفراغ الوسع في مدافعة العدو ، ومنها قوله تعالى : { وجاهدوا في الله حق جهاده } الآية (٧٨) ،سورة الحج .

والاجتهاد والتجاهد : بذل الوسع ، والمجهود بذل الوسع في طلب الأمر ؛ وهو افتعال من الجهد الطاقة .](١).

-تعريف الاجتهاد اصطلاحا : [قال المحقق الحلي : (فإنه يقال اجتهد في حمل الثقيل ولايقال ذلك في حمل الحقير .) ومثله في (المعالم) وكذا الرازي في (المحصول) : فلايقال : استفرغ وسعه في حمل النواة .....فعرفه العلامة الحلي بأنه : (استفراغ الوسع من الفقيه لتحصيل الظن بالحكم الشرعي .] (٢).

وعرف الشيخ البهائي الاجتهاد بأنه : [ملكة يقتدر بها على استنباط الحكم الشرعي الذي من الأصل فعلا أو قوة قريبة .](٣) .

وعرفه الشيخ العاملي بأنه : [استفراغ الفقيه وسعه في تحصيل الظن بحكم شرعي .] (٤) .

ومن هذه التعاريف يتبين لنا أن مقام المرجعية هي مقام الاجتهاد وتحمل المسؤولية في البحث عن أجوبة المسائل الشرعية والأحكام .

وبما أننا مسلمون ومكلفون بمعفة التكاليف الشعية المتعلقة بأسلوب حياتنا الإسلامي والمرتكز على قيم ومبادئ إسلامية راجعة إلى الهوية الأسلامية لكل فرد منا

قال تعالى في كتابه العزيز: { يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله و الرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير و أحسن تأويلا .} (٥) ؛ كان علينا الرجوع فيها إلى صاحب تلك المسؤولية وهو المرجع المجتهد في بذل الوسع للإجابة على تساؤولاتنا حول تكليفاتنا الشرعية تجاه المواقف التي نواجهها ومن تلك المواقف مواجهة التيارات المنحرفة وحماية الدين والوطن والدفاع عن مقدسات الأرض والعقيدة .

*تعريف الدين :

تعريف الدين لغة: [الدين : دين الإسلام صفوة الأديان .سورة البقرة ، الآية : ١٣٢.، الدين : العبادة والطاعة ، سورة العنكبوت ، الآية : ٦٥.] (٦)

-تعريف الدين اصطلاحا : [وليس كلمة الدين – كما يتبادر منه بدوا – ماكان يوجه البشر إلى الآخرة محضا ، بل الدين : السياسة العظمى الكافلة لجميع أنحاء السعادات الجزئية والكلية ، الدنيوية والأخروية ، ولذلك نجد أن الإسلام جامع شتات المسائل الروحية والمادية والفردية والاجتماعية ....] (٧).

فالدين إذا هو الطيق الذي يضمن السعادة للأفراد مماسبق .

*تعريف التيارات المنحرفة :

يراد من التيارات المنحرفة تلك الجهات التي تحاول تخريب الدين بتخريب مقوماته من وطن وأفراد وتسعى لإيجاد شرخ في صفوف المجتمع الواحد وبكافة طبقاته لتحقق غاياتها في بسط السيطرة والنفوذ وتجعل إفراد المجتمع الإسلامي عبيدا لديهم .

ففي حديث لآية الله الخميني (رحمه الله) : [...كان المسجد والمنبر في صدر الإسلام مركزين للنشاطات السياسية ، خطط الكثير من الحروب الإسلامية وضعت في المسجد ....والغزاة الغربيون توصلوا من خلال دراساتهم للشرق إلى ضرورة إفراغ المسجد

والمحراب والمنبر والجامعة من عطاء ....والذظ عملوه في كل هذه المجالات هو أنهم سخروا إعلامهم ووسائل دعاياتهم إلى إبعاد الدين عن السياسة ...] (٨).

قال تعالى : { ...اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .} (٩)

٢- موقعية وأهمية المرجعية في المجتمع :

إن الدور الذي تلعبه المرجعية في مجتمعنا دورا هام وفعال ويخدم مصالح الإنسانية ؛ ذلک أنها تحمل هموم الأمة وتسعى لحل مشكلاتها و استيعاب شبابها وجعلهم ضمن كتل حزبية تناضل لنهضة الأمة والإرتقاء بها بحل قضاياها وتحليل الوقائع والرجوع للكتاب والسنة لفهم الإرادة الإلهية في تحديد مواقف الأفراد تجاه حياتهم وكيفية سلوک وعبور طريق الحياة براحة بال وبثقة .

المرجعية التي لم تصل إلى موقعيتها إلا بعد نضال فردي شخصي اعتمده نفس المرجع بتصميم وإرادة في تبليغ الرسالة الربانية التي كانت الشغل الشاغل للأنبياء والأولياء سابقا .

ورد في خطاب لآية الله المجاهد روح الله الخميني (رحمه الله) مايدل على هذا المعنى قائلا :

[....ولم يكتف الأئمة (عليهم السلام) بأن يقوموا بمحاربة الأنظمة الظالمة والدولة الجائرة و أتباع البلاط الفاسدين ، بل حثوا المسلمين على جهادهم أيضا .....ومن جهة أخرى وردت كل تلک الروايات في مدح وتفضيل العالم والفقيه العادل ونبهت إلى أفضليتهم على سائر الناس .فهذا كله يمثل خطة وضعها الإسلام لتشكيل الحكومة الإسلامية ، وذلک من خلال إبعاد الناس وصرفهم عن الأنظمة الظالمة ، وتخريب بيوت الظلم ، وفتح أبواب الفقهاء العدول المتقين المجاهدين العاملين في سبيل تطبيق الأحكام الإلهية وإقامة النظام الإسلامي .] (١٠).

أدوار المرجعية :

*الدور الرسالي التبليغي :

يتمتع المرجع بمنصب التبليغ الرسالي الذي يعتبر من أعلى المقامات وإشرفها ، وهذا الشرف العالي والمفخرة إنما مأخوذ من سنخية ارتباط العالم والمرجع بالكمال المطلق وهو الله تعالى ومرتبط كذلك روحيا بالهدف السامي الذي يتصوره ويستحضره ذهنيا قبل الإلتقاء به وذلك اعتمادا على عقيدة متينة وقوة وطاقة إيمانية جبارة تجعله متيقنا وواثقا من تحركاته التبليغية الرسالية .

قال الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) : " فقيه واحد ينقذ يتيما من أيتامنا ، المنقطعين عن مشاهدتنا ، والتعلم من علومنا أشد على إبليس من ألف عابد ؛ لأن العابد همه ذات نفسه فقط ، وهذا همه مع ذات نفسه و ذات عباد الله وإمائه ، لينقذهم من يد إبليس ومردته ، وكذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد و ألف عابد ." (١١).

وقال الإمام علي (عليه السلام) : " من كان من شيعتنا عالما بشريعتنا فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي حبوناه به جاء يوم القيامة وعلى رأسه تاج من نور يضيء لأهل تلك العرصات ." (١٢) .

*الدور التثقيفي التوعوي :

تعمل المرجعية -انطلاقا من وظيفتها في الحفاظ على أصالة الأمة ودينها وحماية الوطن -على خلق أجواء توعوية ثقافية تفتح آفاق الفكر وتوسع الإدراكات لفهم كل مايدور حول المجتمع وبنائه وتبعث في العقول ضرورة اكتساب العلم والمعرفة لتجنب الوقوع في الأغلاط والاشتباهات التي تدهور شبابنا المسلم وتنبه فئات المجتمع من خلال وسائلها إلى ضرورة تطبيق المفاهيم العلمية والدينية للسير نحو حضارة راقية غير تلك التي تحاول الأيدي الغربية المغلولة صنعها لنا .

[عن أبي عبد الله (عليه السلام) : " إن العلماء ورثة الأنبياء ، وذلك أن الأنبياء لم يورثوا درهما ولادينارا ؛ وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم ، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظا وافرا ."] (١٣)

الدور الجهادي المقاوم الدفاعي :

لم يقتصر على المراجع الدور الرسالي التبليغي والدور التوعوي الثقافي فحسب وإنما اتسعت دائرة وظيفة المرجع ليكون الحارس والمحامي والمجاهد والمدافع عن الدين والوطن ورد الظالمين والمنحرفين وجعل الأرض طاهرة غير مدنسة بأقدام الطغاة .

ولو أنه لاحظنا محاولات التيارات المنحرفة في جعل الأمة غارقة في ويلات اقتصادية وزرعت مخالب الفتنة الطائفية بين صفوفها ونشرت ثقافة مزيفة بعنوان التمدن والحضارة إلا أن تلك الألباب المستبصرة والمتيقظة وعت ماتريده تلك التيارات المنحرفة من نوايا لتخريب مستقبل أجيال المجتمع الإسلامي ؛ ووقفت مواقف جهادية وانطلقت للميادين والساحات معبرة عن رأيها السديد .

هي نعم ألباب مراجع الأمة الأسلامية ومفخرة الشعوب المناضلة في وجه الإستكبار والضلال .

قال الله جل وعلا في كتابه العزيز: { وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ...} (١٤).

تقوم المرجعية بإنذار الشعوب بما تخططه أيادي الغرب وتحثهم على مقاومتها والانطلاق بحركات جهادية مدافعة عن الوطن .

[... فلو سألتني : ماالسبب الوحيد في ضعف المسلمين ؟.

لقلت : الغاية في ضعف الدين .

ولو سألتني : ماسبب ضعف الدين في المسلمين ؟

لقلت : زخارف الدنيا ونفوذ الروح الغربية التي دخلت فيهم ، ففرقت بينهم ، ومزقتهم كل ممزق ، وتركتهم يخربون صياصي عزهم بأيديهم .] (١٥).

والجهاد الذي يقوم به المراجع هو تقوية لشوكة المسلمين وحصانة وقائية مناعية تصد أيادي الغل والجور وتهد امبراطوريات الاستكبار وتمنع مد سيطرتهم على العقول والوطن .

[شن الوهابيون عام ١٨٠٦/١٢٢١ غارتهم السنوية المعتادة على بعض المناطق الجنوبية العراقية ، ثم شنوا هجوما مفاجئا على النجف ، فصدهم النجفيون من وراء السور وكسروهم شر كسرة .وبسبب الخشية من تكرار هجوم الوهابيين على النجف سعى كاشف الغطاء لبناء سور جديد للنجف يكون أكثر قوة ومتانة لسلامة المدينة ....] (١٦)

ومن مواقف علماء الدين التي سجلتها أقلام المفكرين مواقف كاشف الغطاء في حماية الشيعة فقد ورد : [...فاتجه إلى تحصين مدينة النجف أمام الاعتداءات المترقبة ، كما سعى لتعبئة طلاب العلوم الدينية والعلماء والأهالي بشكل عام للمواجهة المسلحة ، وجلب لهم السلاح ، وفتح مراكز تدريب قتالية . فكانوا يخرجون خارج البلدة كل يوم للتدريب عليه فرضا من فروض الإلزام الديني .] (١٧)

الفصل الثاني : دوافع المرجعية في الدفاع عن الدين ومواجهة التيارات المنحرفة .

١-دوافع ثقافية :

*دوافع دينية .

* دوافع وطنية .

٢-دوافع اجتماعية :

*حماية التراث الوطني والعادات الأصيلة.

*حماية أواصر الوحدة الوطنية الدينية .

الفصل الثاني : دوافع المرجعية في الدفاع عن الدين ومواجهة التيارات المنحرفة

إن المشروع الإنساني الذي قامت لأجله المرجعية يستبطن دوافع متعددة للقيام به والإندفاع نحو جعله حيا على أرض الواقع لا أن يكون حيز النظرية فحسب .

ومن المحفزات والأسباب التي جعلت المرجعية تحرك الكتل الوطنية والحزبية الشبابية عدة ومنها :

١-دوافع ثقافية :

الثقافة باب يفتح في وجه من أراد نيل نور العلم والمعرفة واكتساب الحقائق خوفا من التيه والضياع وإدراكا لما للثقافة من دور في تمدن الأمة .

فلايخفى على أحد دور الثقافة في تدعيم مرتكزات المجتمع العلمي وهي من أبرز الصور الدالة على رقي دولة أو حكومة .

وتنقسم الدوافع الثقافية في بحثي إلى :

*دوافع دينية .

*دوافع وطنية .

أما الدوافع الدينية : فهي تلك الأسباب الدينية التي تدفع المرجعية للدفاع عن الدين ومواجهة التيارات المنحرفة بهدف حماية الدين من الإنحراف والمحو كما حصل في الديانات السابقة من تحريف كما في دين النصارى و اليهود.

قال رب العزة في محكم كتابه العزيز: { من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه .} (١٨) .

ومواجهة التيارات المنحرفة واجبة كي لايؤدي التغافل عنها إلى ضياع رأس مال المجتمع وهو الدين الذي لطالما حث الأئمة الءطهار (عليهم السلام) على الدفاع عنه وعن مقدساته .

قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : " إذا حضرت بلية فاجعلوا أموالكم دون أنفسكم ، وإذا نزلت نازلة فاجعلوا أنفسكم دون دينكم واعلموا أن الهالك من هلك دينه واالحريب من حرب دينه ."(١٩).

فقد قرن الإمام علي (عليه السلام) هلاك النفس بهلاك الدين وهذا يعني أن الدين هو قوام الوجود الإنساني وبدونه يعتبر ميتا .

فلاحياة حقيقية بدون دين بل هي وهم وزخرف يعيشه مثل سائر الحيوانات ويكون العقل والجوارح فيه معطلة عن غايتها التي أرادها رب الجلالة .

*دوافع وطنية .

ومن الدوافع التي جعلت ثورة العلماء الدينيين كالبركان تصعد منها نيران الانتفاضة ضد الشر والأذى التي تدرك المرجعية ماهيته وحقيقة تحركاته ضد المجتمع المسلم مع استيعاب كامل لأهدافها الرذيلة والفاسدة .

فالوطن وهو الحدود الجغرافية لحكومة أو بلد ما يعتبر من الثروات الهامة جدا لبقاء مجتمع مستقل بحد ذاته لاتتعدى عليه غير دول ولا تغتصب حقوقه .

فالوطن هذه المساحة المعروفة من الأرض ومافيها من نعم الله تعالى لعباده مذخورة كي يبنوا عليها حكومات صالحة تضمن لمواطنيها الحرية والاستقلال وغيرها من الحقوق الشرعية والمدنية التي لو صارت بأيدي الاستعمار والتيارات المنحرفة لجعلتهم عبيدا تحت أقدامهم وأذاقتهم آلوان الوهن والعذاب .

[..لقد أصبح التحرر اليوم أكثر صعوبة وتعقيدا ، ولو أن الوعي الثوري الموجود بين أبناء الإسلام هذا اليوم قد وجد لدى الأمة في العقد الماضي ، لكان المسلمون هم الحاكمون ، ولماسيطر على رقاب المسلمين الطغاة والعملاء والأحزاب الكافرة ، كحزب البعث الحاكم في العراق ...] (٢٠)

والوعي المطلوب من أبناء المجتمع تحصيله من خلال الرجوع لأولي الأمر أي المرجعية .

والمرجعية تقوم بالإعداد للدفاع عن الوطن بكل ما أوتيت من سبل وطرق .

قال تعالى : { وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به أعداء الله وعدوكم ...} (٢١).

٢-دوافع اجتماعية:

تجمع المواطنين أحكام اجتماعية وعلاقات تربطهم ببعضهم البعض ضمن عادات وتقاليد وأصول متعارف عليها وتتميز بأنها أخلاقية ضمن المجتمع الذي تحكمه مقررات المرجعية أو قوانين الإسلام الأصيل .

والتراث جزء لايتجزأمن مظاهر المجتمع ويحفظ للوطن هويته والدين يدعم قيام تلك العادات الاجتماعية والتي تكون بصبغة دينية .

فيأتي دور المرجعية في جعل الدوافع الجتماعية من أسس قيام النهضات والثورات الإسلامية لتبقى حياة الشعوب محفوظة بلونها الأصيل ولا تتلون بلون الغرب والثقافة الواردة منهم .

ومن الخطب الواردة في هذا الشأن عن آية الله السيد روح الله الخميني (قدس سره) :

[...نحن نعلن بأننا مستعدون لاستقبال كل أنواع المصائب من أجل الحفاظ على استقلال دولة الشيعة وحماية الدين ، ونعلن لهؤلاء الذين يقولون لاينبغي للعلماء أن يتدخلوا في السياسة : أن ديننا دين الإسلام وسياستنا إسلامية ، ولا يستطيع المسلم أن يقف بمعزل عن الأمور السياسية والنظارة في أمور الدولة الإسلامية ، فكيف بالفقهاء و المجتهدين الذين لهم مقام الزعامة الشرعية والنيابة العامة .] (٢٢)

من الدوافع الاجتماعية:

*حماية التراث الوطني والعادات الأصيلة .

*حماية القيم والمبادئ الأخلاقية .

*حماية أواصر الوحدة الوطنية الدينية.

*حماية التراث الوطني والعادات الأصيلة :

أخذت المرجعية على عاتقها الدفاع عن مقتضيات ومقومات المجتمع الإسلامي ومنها التراث والعادات التي جمعت المواطنين وقربتهم ليكونوا كتلة وطنية واحدة بدون تفرقة.

والشرع لايخالف كل ماهو أخلاقي وينفع مصالح الوحدة الوطنية ويقوي العلاقات الإجتماعية : كالتزاور فيما بينهم وكذلك الفنون التشكيلية والصناعات التراثية وحفة الموروثات التاريخية والآثار التاريخية للوطن الواحد بل يحث الدين والشرع على

البحث عما يوحد الشعوب ويجعلها تحت خيمة إنسانية واحدة تحكمها قوانين إلهية وترعاها .

ومن الأمثلة على صدور فتوى الجهاد للدفاع عن الوطن وتراثه : [....وقد أفتى مجتهدو الشيعة في العراق – وهم قدوة في جميع الأقطار – بوجوب الجهاد في الحرب العامة الأولى وباشره جماعة منهم فخرج السيد محمد سعيد الحبوبي النجفي والشيخ فتح الله المعروف بشيخ الشريعة الأصفهاني والسيد مهدي آل حيدر الكاظمي وكلهم من كبار العلماء إلى ساحة القتال في ناحية البصرة وبقيادتهم الألوف المؤلفة من شيعة العراق ...] (٢٣) .

ومن الخطب الواردة عن آية الله المجاهد روح الله الخميني (قدس سره) : [...إننا مكلفون بتأمين الظروف الإجتماعية المساعدة لتربية العناصر المؤمنة والفاضلة أيضا هذه الظروف تعاكس ظروف حاكمية الطاغوت والسلطات غير الشرعية بشكل كامل. فالظروف الاجتماعية الناشئة من حاكمية الطاغوت ونظام الشرك يترتب عليها هذه المفاسد التي نراها . وهذا هو الفساد في الأرض الذي يجب دن يزال من الوجود ....] (٢٤).

وتعتبر العادات الأصيلة والتراث من الظروف الاجتماعية التي على آفراد المجتمع المحافظة عليها من غدر التيارات المنحرفة التي عبر عنها المجاهد آية الله الخميني (قدس سره) بالطاغوت .

*حماية القيم والمبادئ الأخلاقية :

الآخلاق ركيزة أساسية من ركائز المعاملات الاجتماعية وبها نادت جميع الديانات والرسالات السماوية ؛ لأنها تعكس الصورة الإنسانية المثلى وتبث مفاهيم الوجود الإنساني بما هو إنسان عاقل مدرك لتصرفاته .

والأخلاق نستطيع أن نعبر عنها بأداة التحكم العظيمة بسلوكيات الفرد وتقومه وتجعل طريق حياته خاليا من السقوط والتدهور في مهالك الهوى والشهوات الحيوانية وتبني الإنسان بناءا تفاعليا ضمن مجتمعه .

قال رب الجلالة في كتابه الحكيم : { يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولايخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم .} (٢٥).

*حماية أواصر الوحدة الوطنية الدينية :

تحصن المرجعية مبادئ الوحدة الوطنية وتدعو للتمسك بها ، فبالوحدة الجماعية تحت ظل دولة واحدة تقوى على الأعداء وتستطيع مواجهتهم بدون تفرقة وخلاف .

والمرجعية تسعى بمقدراتها إلى حل مواقع النزاع المسبب لشرخ بين صفوف الأفراد وتدعو إلى فهم طرق التوحيد فيما بينها وكسب سبل التوحيد بكافة الأشكال .

والدين هو أساس وحدة الشعوب والملل وكذلك اللغة وغيرها من المرتكزات الوحدوية.

تأتي التيارات المنحرفة لخلق نزاعات وفروقات بين المسلمين والمواطنين ببث الفتن والشائعات ، وتعتمد فنون زرع الخلافات ووسائل إعلامها للمستهدفين .

قال تعالى: { يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لايهدي القوم الظالمين * فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين } (٢٦).

يدعو الدين الإسلامي إلى التوحد وعدم جعل محل للنزاعات فيما بينهم والحفاظ على الاحترام المتبادل والمودة وهذا ماتدعو له المرجعية كذلك وهي صوت الحق الإلهي.

الإسلام دين لايعرف القومية والحدود المصطنعة ، بل جاء ليصهر جميع القوميات في بوتقة واحدة .

ففي خطاب جميل ورد عن آية الله الخميني (قدس سره) : [....ثمة كلمة أخرى أتوجه بها إليكم وإلى أهالي كردستان وأدعو أهالي كردستان والمناطق المحيطة بها إلى عدم الإنخداع بأحابيل هؤلاء المنحرفين . إنهم يرددون مزاعم تتعارض مع توجهات الإسلام والقرآن الكريم .إنها مزاعم عنصرية تدعو للفصل بين الأكراد والفرس واللر ، وأن يكونوا بمعزل عن بعضهم البعض . بيد أن الإسلام جاء للقضاء على هذه الحواجز وإزالة هذه الفواصل .فنحن جميعا وكافة المسلمين نسير قدما تحت لواء (لا إله إلا الله) والتوحيد . وأن نكون كيانا واحدا يعمل على نشر الإسلام .] (٢٧) .

الفصل الثالث : وسائل المرجعية وأساليبها في الدفاع عن الدين ومواجهة التيارات المنحرفة .

١-وسائل إعلامية :

*إقامة المؤسسات الدينية التبليغية التخصصية .

*نشر الكتب والجرائد .

المهمات الدبلوماسية .

*معسكرات للشباب المسلم .

* بث المبلغين والمتخصصين الثقافيين الدينيين في مناطق العوز الفكري .

* الوسائل الإلكترونية وتسخير الفضاء المجازي والانترنت للهدف المرجو .

* إعداد الأفلام الوثائقية والسينمائية .

٢-الوسائل الجهادية الحربية الدفاعية والمقاومة .

*خطابات المرجعية العقائدية التشويقية .

*التحرك النفسي.

*التحرك العملي .

*المواجهة بكافة الوسائل المتاحة .

الفصل الثالث : وسائل المرجعية وأساليبها في الدفاع عن الدين ومواجهة التيارات المنحرفة .

ثلة من المؤمنين أفاض الله تعالى عليهم بالهمة العالية والإصرار والتصميم على الدفاع عن دين الخالق جل وعلا وبمواجهة ما يخرب المجتمع ويضلله من تيارات منحرفة تتمثل بألوان وأشكال مختلفة منها : الاستعمار والاحتلال ومنها غلى شكل ثقافة غربية تحاول سحب الشباب للإنحلال الأخلاقي الذي يؤدي إلى تعطيل وظيفة ودور الشباب في بناء هيكلية المجتمع ويصبح مجتمعا مسنا خاليا من التجدد والتطور العلمي والفكري ، خاليا من الإبداعات والإنجازات الباعثة لمفخرة الأمة الإسلامية . وتحارب المرجعية التيارات الإلحادية والمادية الماركسية التي تحجر الفكر وتحدد الوعي بحدود مادية ويصبح قاصرا عن فهم معنى الحياة الروحية وحاجتها للغذاء المعنوي المتمثل بالعبادة وهي الحرية المطلقة وميدان العشق الإلهي اللامتناهي في دنيا سادتها غياهب المادية والقيمة المالية .

فسارت المرجعية مسارا استراتيجيا منظما وفق برامج وضعتها باتباع وسائل وأدوات تكافح بها تلك التيارات المنحرفة سواء أكانت فكرية أو احتلالية استعمارية كما نلحظ اليوم حركة داعش الإرهابية وجبهة النصرة وغيرها من التيارات التي صارت في قالب التكفير والقتل والتذبيح وأهانت مقام الإنسانية لتصبح بمستوى الوحشية .

أهم الوسائل المتبعة من قبل المرجعية المعظمة لحفظ الدين ومواجهة التيارات الضالة مايلي :

١-وسائل إعلامية :

الإعلام بكافة صوره له ذاك التأثير البالغ والبليغ في المواجهة وله إقبال من قبل الشعوب وأقب للأذهان وذلك بسبب قربه من الحواس كصورة ولون وصوت

ومن هذه الوسائل الإعلامية :

*إقامة المؤسسات الدينية التبليغية التخصصية :

أنشأ المراجع مؤسسات تبليغية تتكفل بدورها الإجابة على تساؤولات المواطنين وتقدم خدماتها الثقافية والتوعوية من خلال إعداد برامج ثقافية و دورات علمية تمد الشعب بما يلزمه من مواهب وكفاءات تواجه بها الفكر الغربي والفكر المنحرف المعارض للفكر الإسلامي الأصيل .

من هذه الدورات : دورات تعليم الأحكام الفقهية ودورات أساليب التبليغ الديني ودورات التأليف والتحقيق العلمي ودورات بناء الذات وتحقيق الأهداف ودورات حفظ القرآن الكريم ومسابقات في حفظ الروايات والخطب الشريفة الواردة عن آل بين النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وغيرها من تلك الخدمات التي لاتسعى لنيل منافع مادية بل جل غرضها تنمية الأفراد فكريا وتسليحهم بسلاح الوعي والعلم والمعرفة.

*نشر الكتب والجرائد :

فالمرجعية تقدم دعمها المادي لكل من تجد في مؤهلاته العلمية مقومات التأليف والتحقيق العلمي وتساعده على نشر المؤلفات التي تحيي السنن الإلهية وتنشر علوم ومعارف أهل البيت (عليهم السلام) وتقوم بمسابقات في هذا المجال لنشر الكتب المفيدة وإقامة مؤتمرات ومهرجانات تستقطب التآليفات الداعمة لمشروع النهضة الإسلامي .

*المهمات الدبلوسية :

لاتقتصر علاقات المرجعية على مستوى الأفراد من الطبقات الإجتماعية الوسطى ، بل تبني علاقات تغذي النهضة الإسلامية وتدعمها فترسل البعثات الدبلوماسية للدول المجاورة لفتح باب الحوار والمراسلة وللتعارف والتعرف على الملل والشعوب بغرض نشر الدين الإسلامي المقاوم .

*إقامة معسكرات للشباب المسلم .

*بث المبلغين والمتخصصين الثقافيين الدينيين في مناطق العوز الفكري .

*الإستفادة من الوسائل الإلكترونية وتسخير الفضاء المجازي والانترنت للهدف المرجو.

*إعداد الأفلام السينمائية والوثائقية التي تبين قضايا الدفاع عن الدين ومواجهة التيارات المنحرفة .

٢- الوسائل الجهادية الحربية الدفاعية المقاومة .

*خطابات المرجعية العقائدية التشويقية :

ففي كثير من المناسبات نجد الخطابات الدينية التشويقية الدافعة لحماية الدين ومقدساته ومواجهة التيارات الضالة حاضرة وبشكل بارز وخاصة على وسائل التواصل الإجتماعي وببثها مباشرة على قنوات التلفاز الفضائية التي لاتعد ولاتحصى ولايسمح لنا المجال بعرضها هنا كلها والذي يريد أن يطلع عليها فهي متوافرة وبغزارة في وساءل الإعلام المسموع والمقروء والمرئي .

*التحرك النفسي : تعمل المرجعية على تحريك القلوب والنفوس بزرع الإرادة والهمة العالية في نفوس المجاهدين لمواجهة ومحاربة التيارات الضالة بخلق انفعالات ثائرة غيورة على مصالح الأمة الإسلامية .

التحرك العملي : وهو توجه نفس علماء الدين لميادين وساحات الصراع ومواجهة تيارات الكفروالضلال ومجابهتها .

*المواجهة بكافة الوسائل المتاحة .

نتائج البحث :

*إن المرجعية لها دور عظيم وهام في بناء المجتمع الإنساني ودورها تربوي تبليغي ورسالي وجهادي ودفاعي .

* الدين من مقومات وجود الإنسان المواطن وكذلك من مقومات وجود المجتمع ومن الدين نستلهم أهمية وجود علمائه للحفاظ عليه كوسيلة موحدة لأفراد المجتمع وكدرع حصين يحميهم ويحفظ هويتهم من الإنحلال والإندثار .

*للمرجعية عدة أسباب منطقية للحفاظ والدفاع عن الدين وكذلك مواجهة التيارات الضالة ومنها :

-دوافع ثقافية

-دوافع دينية .

-دوافع وطنية

دوافع اجتماعية

حماية التراث الوطني والعادات الأصيلة .

حماية القيم والمبادئ الأخلاقية .

حماية أواصر الوحدة الوطنية والدينية .

*لاتقف المرجعية مكتوفة الأيدي أمام الصفعات الخارجية والغزو الثقافي الغربي والطعنات الأجنبية والحرب التي يشنها قادة التيارات والحركات التكفيرية ، فتلجأ المرجعية لتسخير كل الوسائل المتاحة والعصرية والحديثة لمواجهتها والرد عليها بيد من حديد سواء أكانت وسائل إعلامية ووسائل فكرية ووسائل حربية ثقيلة.

* نستطيع القول بأننا لاغنى لنا عن تلك الفئظ النادرة والعظيمة والكنز الإلهي والوصية النبوية وهي المرجعية التي تؤمن لنا مانحتاجه من مستلزمات استمرارية الحياة بنعيم ورفاهية وفق مرضاة الله تعالى ، والعظيم فيها تلك النية الطيبة المكنونة داخل فكرها وروحها وقلبها لتعكس الإيمان من روحها لجميع أرواح المسلمين وهكذا كان النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والأنبياء السابقين الذين أرادوا أعداد ركب يسير بمفاهيم العشق الإلهي فكرا وعملا كما كانت ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) على الظلم والجور ولطلب الإصلاح وكذلك هي نفس المشروع المهدوي الذي يريده منا الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) والمرجعية وسيلة تحقيق ذاك الهدف الإلهي .

الهوامش :

(١)- مفردات ألفاظ القرآن في غريب القرآن ، ص١٠١.

(٢)-(٣)-(٤)-المرجعية والأعلمية عند الشيعة الإمامية ، رضا حسين صبح ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٤ه.ش.

(٥)-سورة النساء ، الآية : ٥٩.

(٦) –موقع المعاني الإلكتروني .

(٧)- ولاية الفقيه ، مصطفى الخميني ، ص٥ ، مؤسسة العروج ، تهران ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٧ه.ق.

(٨)-حديث الإمام الخميني (مطاع الفجر) ، ص٢١، وزارة الإرشاد الديني ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ه.ق.

(٩)-سورة الفاتحة ، الآية ٧/٦.

(١٠)-شذرات خمينية ، مواضيع مختارة بمناسبة ذكرى رحيل سماحة الإمام السيد روح الله الموسوي الخميني (قدس سره) ، ص٥٥ ، دار الولاية للثقافة والإعلام ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٨ه.ش.

(١١)- ولاية الفقيه ، أحمد النراقي ، ص ٥١ .

(١٢)-ولاية الفقيه ، أحمد النراقي ، ص٤٨ ، دار التعارف ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م.

(١٣)- ولاية الفقيه ، مصطفى الخميني ، ص ٢٥.

(١٤)-سورة التوبة ، الآية : ١٢٢.

(١٥)- الدين والإسلام ، محمد الحسين كاشف الغطاء ، ج١ ، ص١٢٠ .

(١٦) _ المرجعية الدينية العليا ، جودت القزويني ، ص١٩٩، دار الرافدين ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥م.

(١٧) – نفس المصدر السابق ، ص١٩٨.

(١٨)- سورة النساء ، الآية : ٤٦.

(١٩)- ميزان الحكمة ، محمدي ري شهري ، ص٢١٠، الحديث ٢٢٩٢.

(٢٠)- الرسالي في معادلات الصراع ، هادي المدرسي ، ص٤٢، المركز الثقافي الإسلامي ، تهران ، الطبعة الأولى ،١٩٨٤م.

(٢١)- سورة الأنفال ، الآية : ٦٠ .

(٢٢) – ولاية الفقيه والحكومة الإسلامية في عصر الغيبة ، وديع الحيدري ، ص ١١٢.نشر الرافد ، الطبعة الأولى .

(٢٣)-الشيعة بين الحقائق و الأوهام ، محسن الأمين ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ص١٧٧، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٧م.

(٢٤)- الحكومة الإسلامية في رؤية الإمام الخميني ، استخراج محسن زين العابدين ، الناشر مركز المصطفى (ص) العالمي ، ص٨٦، مطبعة زلال كوثر ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٢ه.ق.

(٢٥) –سورة المائدة ، الآية : ٥٤.

(٢٦)- سورة المائدة ، الآية : ٥٣.

(٢٧)- الحكومة الإسلامية في رؤية الإمام الخميني ، ص٧٩.

دور المرجعية في تعزيز المنبر الحسيني والشعائر الدينية في العراق بعد عام ٢٠٠٣

باحث هشام عبد بناي الجابري

ملخص البحث

المشكلة التي يواجهها البحث هي المنبر الحسيني والشعائر الدينية في العراق بعد عام ٢٠٠٣، لكون هذه المرحلة مثلت منعطفا شديدا واضح المعالم في الشارع العراقي، وتغييرا ألقى بظلاله ليس على العراق وحسب، بل على بلدان ومجتمعات أخرى نتيجة التلاقح الثقافي الذي يحصل من خلال زيارة العتبات المقدسة والمشاركة بطقوس الشعائر التي كفلها الدستور العراقي، وبطبيعة الحال فالمنبر هو احد ركائزها، مما ولد انفتاحا دينيا يستدعي التأمل للتعاطي معه بصورة ايجابية.

ومن هنا فإن هذه الدراسة تهدف إلى تقييم الوضع المرحلي للعراق وفق هذا التغيير الحاصل من الانفتاح في مجال التعبير والحريات الفكرية والدينية، مما يستدعي الوقوف على المشاكل والحلول للتحديات التي تواجه الموضوع محل البحث، ودور - المرجعية - المؤسسة الدينية في التعاطي معها ، لما تمثله من ركيزة أساسية تغذي وتهذب وتحمي الشعائر الدينية وبالخصوص المنبر الحسيني الذي يعد البوابة الإعلامية للاتصال بالجمهور بمختلف طبقاته ومستوياته.

وأيضا تهدف إلى خلق معادلة متوازنة بين ما يحتاجه الجمهور المتلقي وبين ما يرغب فيه ، وهذا يستدعي ضبط العلاقة بين العاطفة التي تعتبر قوة دافعة نحو العمل وبين العقل الذي يرتب الأولويات والنتائج المتوخاة ،عبر ضبط وتوجيه السلوك. ولهذا فقد سعينا في منهجنا خلال هذه الدراسة أن نجيب على الأسئلة التالية :

ما هو الوضع للشعائر الدينية عموما والمنبر الحسيني خصوصا بعد عام ٢٠٠٣؟

هل استطاع المنبر الحسيني –بوصفه بوابة إعلامية - مواكبة الثورة الإعلامية المعاصرة ؟

كيف تعاطى المنبريون مع احتياجات الجمهور المتلقي ؟

كيف يمكن القفز بالمنبر الحسيني و جعله فاعلا في معالجة المشاكل المعاصرة ،لكونه أداة للتربية والتوعية؟

وقبل الإجابة عن التساؤلات عرجنا إلى بيان معنى المنبر والشعائر عند أهل اللغة والاصطلاح وخضنا في جولة حول تاريخ المنبر عموما والحسيني خصوصا،وما له من مراحل ثلاث ، قبل واقعة كربلاء وخلالها وبعدها إلى يومنا الحاضر ،و درسناهما(الشعائر والمنبر الحسيني) من زاوية كونهما إعلاما ذا اتجاهين، داخلي وخارجي، وركزنا على أن للمنبر مستويات اتصال متعددة ،تتأرجح بين الاتصال المواجهي والاتصال الجماهيري، وما لهذا الأمر من مزية إن أحسن استثماره.

وخلصنا إلى نتيجة مفادها أن المنبر الحسيني وسيلة تربوية فاعلة يتقدم نحوه المجتمع المؤمن به بدافع قوي ورغبة شديدة تطوعية ،تدفعه العاطفة والعقل-على اختلاف مستوى تأثيرهما النسبي في الأشخاص- وهنا يبرز دور المنبر لخلق حالة من التوازن وإيجاد قوة دافعة نحو التطور الايجابي على صعيد الدين والدنيا .

وختام البحث شرعنا ببعض الوصايا التي نرى أنها تنهض بالواقع المنبري أكثر وأكثر لإيجاد مجتمع متماسك وبناء إنسان صالح وفق ضوابط وثوابت الإسلام لينال سعادة الدارين ، ونعمر الأرض التي استخلفنا فيها تمهيدا لقيام دولة العدل الإلهي بظهور إمامنا المهدي (عجل اللّه فرجه).

المقدمة

وانا في خضم اعداد مشروع كتاب حول الشعائر الحسينية ، وخصوصا البكاء ،جاءت الدعوة الكريمة من قبل مركز دراسات الكوفة التابع لجامعة الكوفة ، للمشاركة في مؤتمره ، ولدى تصفحي محاور المؤتمر وجدت في الجانب الفكري منها عنوانا يتناول المنبر الحسيني والشعائر الدينية ، فكان متناغما مع المشروع الذي نضجت فكرته في الخاطر ،فشرعت في كتابة البحث على امل تناول الموضوع بشكل اوسع في الكتاب في قابل الايام ان شاء اللّه .

عندما نركز على القضية الحسينية فنحن نعلم ما لها من تأثير عاطفي جالبا ومستشعرا للألم، لهول المصيبة وعظم الفاجعة التي حلت بريحانة رسول اللّه (ص)،وهي مع ماهي عليه من جلباب الحزن تحمل في طياتها اعظم معاني الشموخ والاستبسال من اجل المبادئ والقيم السامية التي يؤمن بها الفرد ويضحي لأجلها بالغالي والنفيس ، هكذا اصبحت كربلاء منارا للثائرين عبر العصور ومحركة للقلوب والعقول معا . كانت للقضية الحسينية واستعراضها ادوار اربع يمكن اجمالها بالتالي :

١ـ منذ ولادة الحسين (ع) ولغاية شهادة الامام الحسن الزكي (ع).

٢ـ منذ تصدي الامام الحسين (ع) للإمامة ولحين شهادته روحي فداه في عام ٦١ هـ في كربلاء.

٣ـ من بعد شهادته سلام اللّه عليه وحتى زمن الغيبة الكبرى ، بمعنى عصر الائمة المعصومين عليهم السلام والمسمى عصر الشهود او الحضور.

٤ـ عصر الغيبة الكبرى والى يومنا هذا .

من هذه العصور بعد التعريج على ما تلى الاستشهاد سلطنا البحث على الاخير منها وخصوص عصرنا الراهن ، مابعد عام ٢٠٠٣ في العراق .

حيث احتوت الدراسة مقدمة ومطالب سبعة وتوصيات ، وعلى الترتيب التالي :

المطلب (اولا) كان حول لفظي المنبر والشعائر في اللغة والاصطلاح.

والمطلب (ثانيا) تناول عناصر التواصل الديني برؤية خاصة بالباحث .

وتناول المطلب (ثالثا)الجهة المسلط عليها البحث في هذه الدراسة .

و في (رابعا) وقفنا مع المنبر الحسيني واطوار نموه.

و (خامسا) تناول الباحث وضع الشعائر الحسينية والمنبر الحسيني في العراق بعد عام ٢٠٠٣.

اما (سادسا) تناول الاجابة على السؤال الذي يقول هل استطاع المنبر الحسيني مواكبة الثورة الاعلامية المعاصرة.

والمطلب الاخير (سابعا) تناولنا كيفية القفز المنبر الحسيني وجعله فاعلا في معالجة المشاكل المعاصرة .

وختمنا البحث بـ (ثامنا) وصايا وجدنا من الضرورة بمكان الاشارة اليها .

ندعوه سبحانه ان يتقبل هذا القليل بوافر كرمه ، ويجعله نافعا لنصرة قضية سيدي مولاي الحسين الشهيد(ع) انه سميع مجيب

(دور المرجعية في تعزيز المنبر الحسيني والشعائر الدينية في العراق بعد عام ٢٠٠٣)

اولا: المنبر والشعائر في اللغة[1] والاصطلاح .

قبل الخوض في البحث راينا ان نقف على المعنى اللغوي والاصطلاحي لهما، فنقول :

[1]ـ المنبر لغة واصطلاحا :

اعادت كتب اللغة[١] المنبر الى الفعل (نبر) بمعنى رفع وعلى هذا يكون المنبر المرقاة التي يرتقيها الخطيب ويؤخذ فيه جانبان :

الاول :ارتفاع مكانه عن مستوى الجالسين – مع ملاحظة ان الارتفاع امر نسبي وقد يفهم انه مكان مميز من بين امكنة الحضور.

الثاني : ارتفاع الصوت فيه .

وبلحاظ هذين الامرين اخذ في الاصطلاح العملي ان يطلق ولو مجازا على كل مكان يمكن ان يصل من خلاله الصوت اكثر من المعتاد محملا بفكرة ما ،بالمنبر ، فنجد بعض البرامج الاذاعية والتلفزيونية توفر مثل هذه المنصات فتسمى منبر الاعلام او منبر الحقيقة ... وهكذا .

والذي يمكن ان نقوله لتوضيح معنى المنبر بشكل يجمع بين المعنى اللغوي والاصطلاحي العملي فنقول :

المنبر : هو مكان ميز عن باقي امكنة المتلقين بغض النظر عن جنس المكان ، يستطيع من خلاله الملقي (خطيبا كان أم غيره) ان يوصل صوته محملا بفكرة ما الى اكبر عدد ممكن من المستهدفين بالرسالة بحسب الوسيلة المستخدمة .

٢ـ الشعيرة (الشعائر) لغة[٢] واصطلاحا :

ركز اهل اللغة على معنيين في بيان معنى لفظ (الشعائر) التي مفردها (شعيرة) و (شعارة) هما :

اولا : خصوص اعمال الحج .

ثانيا : جميع ما ندب اليه الشرع وجعله مرتبطا به ودالا عليه على نحو الوجوب او الاستحباب .

ولذا يمكن ان نقول عنها :

انها مجموعة من الافعال والسلوكيات التي يعبر عنها من خلال مظاهر معينة يندب اليها المشرع على نحو الوجوب او الاستحباب لتكون دالة على الدين المنتمي له الفرد المكلف باحكامه، ومعبرة عن انتمائه له .

ولمزيد من الفائدة والتوضيح تجدر الاشارة الى ان لفظة الشعائر وردت في القران الكريم بطرق متعددة ومختلفة فهي :

١- جاءت بلفظ صريح (الشعائر) في مواطن اربعة :

١- في سورة البقرة الاية ١٥٨ (إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ).

٢- في سورة المائدة الاية ٢ (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ).

٣- في سورة الحج الاية ٣٦ (وَالبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ).

٤- في سورة الحج الاية ٣٢ (ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى القُلُوبِ).

٢- وردت بلفظ دال ومشعر عليها ، وان لم يكن بشكل صريح مثال ما جاء في قوله تعالى في سورة الحج الاية ٣٠ :

(ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ)[٣]

يقول عنها الشيخ السند :

(هذا المقطع من الاية الشريفة (ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ...) ادرجه كثير من العلماء ضمن آيات الشعائر ايضا ..مع انه لم يرد فيه لفظة الشعائر ..والوجه في ذلك هو الاعتماد على قاعدة معروفة ومشهورة لدى اساطين الفقه..)[٤]

والقاعدة[5] التي اشار اليها الشيخ السند مفادها، أن اي موضوع يمكن الاستدلال له بطرق عدة منها :

١- الاستدلال بالادلة التي ذكر فيها عنوان الموضوع نفسه بشكل صريح او احد مرادفاته .

٢- الاستدلال له بما يشترك معه في حقيقته وذاته (الماهية بمعنى ماهو)بشرط ان يكون الحكم منصبا على تلك الحقيقة وليس غيرها .

وعلى ضوء ما تقدم اضيفت هذه الاية الى الايات التي ذكرت الشعائربشكل صريح.

٣- مجموعة من الايات لم تذكر فيها لفظة الشعائر ولا حقيقتها (ماهيتها) ، يقول السند :

(هذه الادلة لم يرد فيها لفظ (الشعائر) الا ان بعض العلماء والمحققين ذهبوا الى استفادة حكم الشعائر منها)

وهي ايات كثير نذكر منها على سبيل المثال من سورة التوبة الاية ٣٢:

(يُرِيدُونَ أَن يُطفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفوَاهِهِمْ وَيَأبَى اللَّهُ إِلا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ)

ثانيا: عناصر التواصل الديني :

في علم الاتصال توجد مجموعة من العناصر ليتشكل الاتصال بمفهومهم ، وهذه العناصر :

١- المصدر

٢- الرسالة .

٣- الوسيلة.

٤- المتلقي.

٥- رجع الصدى.

٦- التأثير٦.

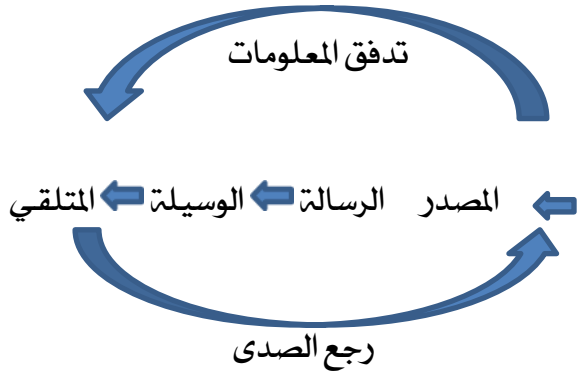

وطبعا هذه العناصر تتفاوت بالأهمية ، فمنها ما لا يتم الإتصال الا به وبتوفره كما في الاربعة الاولى، ومنها ما هو ضروري لأن يكون الاتصال ناجحا وليس فقط حاصلا كما في رجع الصدى والتأثير .والاتصال الديني هو نوع من انواع الاتصال ولا بد له من عناصر يتقوم بها ،منها لأن يوجد بما هو اتصال واخرى لأن يكون اتصالا ناجحا ، وبالاستقراء نقف عند مجموعة من العناصر هي ما اطلقت عليها عناصر التواصل الديني :

١- المرجعية . تغذية معلوماتية مباشرة

٢- الرسالة.

٣- الكادر الوسيط . تغذية معلوماتية تغذية معلوماتية

٤- الوسيلة . المرجعية الرسالة الكادر الوسيط الرسالة الوسيلة المتلقي

٥- المتلقي.

٦- رجع الصدى . رجع الصدى رجع الصدى

٧- التأثير .

رجع صدى مباشر

وفيما يلي توضيح لكل منها :

(١) المرجعية :

مفهوم تندرج تحته مصاديق متعددة تختلف باختلاف النظرة المسلطة عليها وسنحاول توضيح ذلك :

في اصل الرسالات السماوية المرجع (المصدر) هو الله سبحانه وتعالى ،والكادر الوسيط جبريل (ع)، والرسالة هي تعاليم السماء وتوجيهاتها ،والوسيلة الوحي والاعجاز.

بعد ان يتسلم النبي (ص) رسالة السماء وانحصر امر التبليغ به كجهة ارتباط مع السماء ، اصبح هو المرجع للبشرية التي ارسل اليها في كل الامور التي يجب ان يتبعوا تعاليم دينهم في صغيره وكبيره ،ولا يحق لهم الاعتراض حول آلية التشريع التي يقوم بها وينفذها النبي (ص) بعد ان اعطاه الله سبحانه الرخصة والحق في ذلك ، وكنموذج على ما نقول نذكر بعض مما جاء بحق النبي محمد(ص) في القرآن الكريم :

١ـ سورة الحشر الاية ٧:(وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا).

٢ـ سورة الاحزاب الاية ٣٦: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)

٣ـ سورة النساء الاية ٥٩: (يا أيها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعو الرسول واولي الامر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير لكم واحسن تأويلا)

٤ـ سورة النساء الاية ٦٥: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)

لسان حال الآيات واضح جدا في كون المرجع في الدين هو النبي (ص)، وبهذا يكون اعلى كيان معلوماتي وله الحق في التشريع للأحكام وتفسيرها وتوضيح مقاصد الشريعة وكل ما يتعلق بهذه الامور . وهو المسؤول المباشر عن توفير كادر وسيط يكون الواسطة ما بينه وبين المؤمنين بدينه في ارجاء المعمورة ، لتبليغهم التعاليم والاحكام وما لهم وما عليهم من حقوق و واجبات ، والامثلة على ذلك كثيرة منها ، ارسال النبي (ص) مصعب بن عمير[٧] الى المدينة قبل الهجرة .

ولم تترك الامة بعد النبي (ص) دون مرجع ، فقد كان النبي مبلغا من السماء بتنصيب مرجعية من بعدة تمثلت باهل البيت (ع)وكشاهد نذكر قوله تعالى في سورة المائدة الاية ٦٧(يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالتك واللّه يعصمك من الناس).

، هؤلاء المراجع علي وبنوه ، الحسن بن علي ،الحسين بن علي ،علي بن الحسين، محمد بن علي ،جعفر بن محمد ، موسى بن جعفر ، علي بن موسى ، محمد بن علي ،علي بن محمد، وخاتمهم المهدي المنتظر صلوات اللّه وسلامه عليهم اجمعين، اثنا عشر معصوما، والشاهد على عصمتهم قوله تعالى في سورة الاحزاب الاية ٣٣:

(انما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا).

وهذا ثابت في محله من كتب العقائد وليس هنا محل التفصيل .

وبعد غياب الامام المهدي (عج) ولكي لا تبقى الامة بلا مرجعية جاء التفويض من قبلهم سلام اللّه عليهم للفقهاء وتوجيه اتباعهم بالرجوع اليهم في الحوادث في فروع الدين فانتقل الفقهاء بذلك من الوسيط الى المرجع ولكن بمحدودية وليس امرا مطلقًا لعدم توفر شرط العصمة كما في اصل المرجع السماوي،وسيتضح ذلك في المطلب القادم ان شاء اللّه .

(٢) الكادر الوسيط:

و هذه الطبقة أمة وسطٌ بين المرجعية المنصوص عليها من السماء وبين الجماهير المؤمنة بالدين السماوي المنزل عليهم ، لتبليغهم الاحكام والتعاليم وتوضيحها وتفسيرها لهم وحثهم على التمسك بالأوامر الموجهة لهم في الفعل أوالترك . وهؤلاء ليسوا على فئة واحدة بل يمكن ان يتم تقسيمهم الى :

١- عصر الشهود : وهو العصر الذي يكون المعصوم (ص) فيه حاضرا فيكون الدور هو الوساطة فقط في تبليغ الاحكام والرجوع الى المعصوم عند اي خلاف او عدم وضوح للأوامر و نحو ذلك .

٢- عصر الغياب : وهو العصر الذي يخلو من حضور المعصوم (ص)، وهو عصر غيبة الامام المهدي(عج)، فيكون الكادر الوسيط فيه على فئات هي:

١- سفراء الامام المهدي (عج) الذين تم تعيينهم بالنص وهم (عثمان بن سعيد العمري، محمد بن عثمان العمري، الحسين بن روح، وعلي بن محمد السمري)،وهؤلاء لهم فترة محددة تاريخيا انحصرت بين(٢٦٠هـ- ٣٢٩هـ) اي من تولي السفير الاول وحتى وفاة السفير الرابع .

٢- كادر وسيط متقدم ، وهم عموم الفقهاء بدون تحديد شخص بعينه ، انما اعطاء ضابطة كلية وجعل الامر على نحو الوجوب الكفائي للمسلمين من اتباع مدرسة اهل البيت (ع) بدلالة :

١- قوله تعالى في سورة التوبة الاية ١٢٢ : ((وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ))

٢- الحديثين الشريفين : (فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه، حافظا لدينه، مخالفا على هواه، مطيعا
لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه)(وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم.).

وهنا اخذت هذه الطبقة من الكادر الوسيط دور المرجع العام محدود النطاق لغياب العصمة كما نوهنا سابقا ، انحصرت مهمتها في التعامل مع التراث والنتاج النصي من القرآن والسنة المحكية للخروج باحكام تتطابق مع الشرع بخصوص القضايا الفقهية من فروع الدين ، وهنا كان لهذه الفئة دوران :

الاول : الوسيط في نقل النص الديني والحفاظ عليه من التلاعب من قبل اهل الدس وغيرهم .

الثاني : التعامل مع هذا النص واستخراج الاحكام الشرعية وفق معطيات كل عصر حسب الثابت والمتغير من الشريعة .

هؤلاء اطلق عليهم الكادر الوسيط المتقدم ، وهم وان كانوا كادرا وسيطا في الاصل الا أنهم بالعارض لغيبة الامام تحولوا الى مراجع ينوبون عن المرجع الحقيقي الغائب وهو الامام المعصوم (عج) ، وهو ما يطلق عليه في عرف الفقهاء النيابة العامة اي التي توفرت فيها الضوابط الشرعية التي نص عليها المعصوم ولكن لا يوجد نص عيني بحق افرادها .

جـ الكادر الوسيط الثانوي : وهؤلاء ممن لم يبلغ درجة الفقهاء بالعلم وتوافر الشروط المؤهلة للدخول ضمن خانة المرجعية في زمن غياب المعصوم ، ويكون هؤلاء حلقة وصل بين الفقهاء وعموم العباد المنتمين الى مدرسة اهل البيت (ع) ، وعلى

عاتقهم تقع مسؤولية نشر الثقافة الدينية بحسب مباني الفقهاء والمستندة الى الشريعة.

ولابد ان ننوه ان الكادر الوسيط بمجموعه يمثل قادة رأي في المجتمع يقع على عاتقهم نقل المعلومات كما يقول البشر

(قادة الرأي في المجتمع الذين ينقلون هذه المعلومات بدورهم الى الجمهور من خلال اللقاءات الشخصية والمناقشات التي تدور بينهم)[٨].

والدراسات الحديثة اثبتت لقادة الرأي اكثر من مجرد نقل المعلومات كما كان ذلك سائدا في الدراسات المبكرة ، فالدراسات الحديثة اثبتت لهم دورين اخرين هما :

١- تقديم وشرح المعلومات.

٢- تقديم اراء خاضعة لفهم القادة[٩].

ومن الملاحظ ان الخطورة في الفقرتين الاخيرتين بصورة شديدة تستدعي التركيز والدقة في اختيار مثل هؤلاء القادة. وكما يجدر الاشارة ان قادة الرأي فئات متعددة وتتفاوت بالاهمية ولكن الفئة الاهم هم الطبقة الدينية يذكر عن ذلك طارق ثابت:

(وقادة الرأي على نوعيات متعددة واصناف متنوعة في كل البيئات وتتمثل في :

(١) رجال وعلماء الدين : من خطباء وائمة ووعاظ ومشايخ وهم على رأس القادة خاصة في المجتمعات المتدينة بقوة)[١٠].

(٣) الرسالة :

هي رسالة السماء واهدافها في ربط الانسان بالخالق سبحانه وعبادته وعمارة الارض التي استخلفنا فيها حتى يرثها الله سبحانه ، وايضا نبذ عبادة الشيطان والتخلص من الظلم والطغيان والاضطهاد

(ولقد بعثنا في كل امة رسولا أن اعبدوا اللّه واجتنبوا الطاغوت) النحل ٣٦

ويقول قراءتي عن اهداف الرسالات السماوية :

فأهداف الانبياء نشر احكام اللّه تعالى ، ومحاربة الظلم، والدعوة الى اقامة العدل ،والتزين بالتقوى ، واقامة الحجة ، والارشاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى هذا فإن التبليغ عمل قيم جدا وتقع مسؤولية القيام به، بالدرجة الاولى على الانبياء والاولياء ثم العلماء الربانيين)[١١] .

(٤) الوسيلة:

يعرفها محمد منير حجاب[١٢] بانها : هي التي تنتقل خلالها رسالة ما من مصدر الى مستقبل ، وتسمى قناة اتصال ايضا وتنقسم الى انواع عديدة :

١ـ قنوات مباشرة : تقوم بوظيفة النقل وجها لوجه عن طريق:

١ـ القناة البصرية.

٢ـ القناة السمعية .

٣ـ القناة الجسدية .او قناة اللمس .

٢ـ قنوات غير مباشرة او القنوات الآلية : وهي التي تقوم بوظيفة النقل عن طريق وسائل منها:

١ـ وسائل الاتصال الجماهيري مثل الراديو والصحيفة والتلفاز.

٢ـ وسائل وسيطة غير جماهيرية مثل الهاتف والفاكس واجهزة الحواسيب .

وفي مجمل الوسائل لا تعدو كونها :

١ـ لفظية : بمعنى مقروءة او مسموعة او مسموعة مرئية .

٢ـ غير لفظية : بمعنى ما تنقل من خلال الاشارات او الايحاء ولغة الجسد وغير ذلك من عدا الوسائل اللفظية .

وما يعنينا في بحثنا هي الوسائل اللفظية وخصوصا المسموعة والمسموعة والمرئية منها .

(٥) المتلقي :

هم جميع الجمهور المستهدف الذي يتعرض للرسالة بمختلف طبقاته واجناسه ومستوياته الادراكية والعلمية والعملية .

(٦) رجع الصدى :

وهو بأبسط توضيح ،ردود الفعل من المتلقي للمرسل (المصدر)، ومقدار الاستجابة والتفاعل بين الطرفين .

(٧) التأثير :

وهو الكيفية التي يتعامل بها الجمهور المتلقي مع المعلومات ومدى اثرها في توليد المعرفة لدية التي تولد سلوكا ما قد ينسجم معها او ضدها (تجاذب او تنافر مع المعلومة المقدمة).

ثالثا : بيان الجهة المسلط عليها البحث في هذه الدراسة :

بعد الاستعراض الذي قدمناه نقف هنا لنبين الجهة التي سنسلط الدراسة في هذا البحث عليها ، وهي كالاتي :

١ـ من الشعائر الدينية التي هي متعددة ومتنوعة ومتشعبة سنقتصر على المجالس الحسينية لما نراه من الاهمية بمكان فيها لما تستمده من النهضة الحسينية الخالدة التي قومت المسار الديني وجسدت اسمى اهداف الرسالة السماوية الخاتمة .

٢ـ من عناصر التواصل الديني :

١ـ المرجعية : سنركز على المرجعية في زمن الغيبة وهم الفقهاء (الكادر الوسيط المتقدم)بوصفهم هرم قادة الرأي ، وسنختار فترة ما بعد عام ٢٠٠٣ لبان دورهم .

٢- الكادر الوسيط (الثانوي): سنختار الخطباء بوصفهم قادة رأي لهم دور في نقل المعلومات وتفسيرها وصنع الرأي العام وحلقة وصل بين المرجعية والمجتمع .

٣- الرسالة : سنختار موضوع الشعائر الحسينية كما نوهنا في فقرة الشعائر .

٤- الوسيلة : ستكون المنبر الحسيني ،بوصفه بوابة للشعائر لها جانبان مسموع ومسموع ومرئي، فالمنبر من وجهة نظري يمثل بوابة اعلامية للأغلب منها، والمحفز للكثير والموضح لها ايضا ، فهو يمتاز بميزات تعطيه الصدارة على غيره من الوسائل وسيأتي بيان ذلك .

٥- رجع الصدى و التأثير : هو الوقوف على الهدف السلوكي للمتلقين وكما يصفه صبري والاسدي :

(يعرف الهدف السلوكي بأنه وصف دقيق ومحدد لنتائج التعلم المرغوب تحقيقه من المتعلم على هيئة سلك قابل للملاحظة والمشاهدة والقياس)[١٣]

رابعا : وقفة مع المنبر الحسيني :

عرف المنبر اول مرة في الاسلام على يد النبي الاكرم (ص) في المدينة المنورة وتتطور ببركته من جذع نخلة يستند عليه الى منبر متعدد الدرجات مع خلاف تاريخي حول من صنعه واقترحه نوجزه عن الكاظمي[١٤] بـ:

١- اقتراح بناء المنبر الى تيم الداري.

٢- اقتراح المنبر من المسلمين دون تحديد او ذكر شخص بعينه.

٣- اقتراح المنبر يعود لرسول الله (ص).

٤- اقتراح المنبر يعود لأحد الصحابة لم يذكر اسمه .

وعلى اي حال ، ارتبط المنبر ببعض الشعائر ارتباطا مباشرا لاحتوائها على خطب مثل صلاة الجمعة التي تقام بشكل اسبوعي او ما يقام بالمواسم المخصصة كصلاة العيدين .

اما المنبر الحسيني فقد ظهر بعد واقعة كربلاء معتمدا على القضية الحسينية كمعين ينهل منها قضاياه ومواضيعه ،مر المنبر الحسيني بادوار ومراحل مختلفة خلال الفترة التاريخية التي واكبت نشوءه الى يومنا الحاضر ، اختلف الباحثون في طريقة تقصيها ، فمنهم من اختار تقسيمها الى مراحل خاضعة لفترة تاريخية محددة بالسنين مثل: الشيخ محمد مهدي شمس الدين[١٥] الذي قسمه اعتمادا على كتب المقاتل كمصدر اساسي وشعر الرثاء الحسيني كمصدر ثانوي الى مراحل ثلاث، تمتاز بفقرتين ثابتتين في كل عصر هما :

١ـ الجانب المأساوي لقصة الحسين والتركيز عليه.

٢ـ نقد السلطة بشكل او بأخر .

هذان الامران ثابتان في جميع المراحل الثلاث التي هي:

اولا : من ٦١هـالى سقوط بغداد على يد هولاكو تناولت عفويا مواضيع مرتكزة على الجانب العاطفي ثم تدرجت لتتناول فضائل اهل البت

ثانيا: من سقوط بغداد او قبله بقليل الى نهاية الفترة المظلمة في تاريخ المسلمين .امتاز هذا العصر بانتظام مواعيد العزاء تقريبا مع محافظته على المواضيع نفسها في الفترة التي سبقته مع التزهيد بالدنيا والحث على الاخرة فقط .

ثالثا :من بداية العصر الحديث والى الآن. اصبح في هذه الفترة قوة فاعلة يراعي مواضيع اسلامية وثقافية توعوية ويتصدى للشبهات والا نحرافات الفكرية .

اما الشيخ محمد باقر المقدسي الذي يقول (وضع ائمة اهل البيت عليهم السلام الاساس للمنبر الحسيني ، وذلك بحثهم شيعتهم على اقامة المجالس والمأتم الحسينية واحياء القضية الحسينية بكل الوسائل الممكنة)[١٦].

وقد قسم المقدسي[١٧] مراحل المنبر على اساس المواضيع التي يتناولها ، حيث رأى انه مر بمراحل اربع هي :

اولا : شعر رثاء.

ثانيا : قصص وشعر حول واقعة كربلاء.

ثالثا : حصول تطور من خلال نصوص وحكم من نهج البلاغة واستخراج المواعظ منها من خلال شرحها وما تتعرض له من مواضيع عقائدية وتاريخية

رابعا: حصل تطور كبير بسبب النهضة العلمية وفتح المدارس وانتشار الكتب فصار الخطيب يتعرض لمعالجة مواضيع وقضايا اجتماعية واقتصادية وتربوية بالاضافة الى القضايا الدينية ويعملون مقارنة بين القوانين الاسلامية والقوانين الوضعية الحديثة ثم يختمون بالتعريج على فاجعة كربلاء .

اما الشيخ فيصل الكاظمي فقد قسمه على اساس التواريخ ولكن الى ثلاثة وليس اربعة كما فعل شمس الدين ، ومراحل الكاظمي[١٨] تمثلت بـ:

اولا : من بعد واقعة عاشوراء ٦١هـ الى ٣٥٢هـ حيث اعتبرها مرحلة ارتكزت على العواطف لاستمرار المجالس الحسينية باشراف ورعاية اهل البيت عليهم السلام ثم تطورت من انشاد الشعر الى القصص وشعر الرثاء و نحوه .

ثانيا : امتدت هذه المرحلة عند الكاظمي من ٣٣٤هـ- ٥٦٧هـ، وهي مرحلة ما بعد الغيبة الكبرى وهي ايضا مرحلة عاطفية ترتكز على انشاد الشعر والقصص .

ثالثا : من عام ٥٦٧هـ ـ ١٣٠٠هـ ، وهي عنده، مرحلة عاطلة سلبية قائمة على البكاء والتزهيد في الدنيا في بدايتها ثم حصل تطور مهم بعد تولي الصفويين الحكم في ايران فاستخدم المنبر لاغراض سياسية ونشر التشيع في البلدان التي لهم فيها نفوذ .

رابعا : تبدأ المرحلة الاخيرة مع بدايات القرن العشرين نتيجة التطورالمعرفي وتطور الخطيب من جرائها فكريا ، فصار يناقش مواضيع اجتماعية وفكرية واخلاقية متنوعة ، ويدافع ويرد الشبهات عن الاسلام .

اما محمد ابو علي[١٩] فقد قسمه الى ادوار ثلاثة هي :

اولا : دور تأسيسي كان على يد عائلة الامام الحسين (ع) وباشراف مباشر من قبل الامام علي بن الحسين (ع) بدأ من اول الاستشهاد عند مصرع الحسين (ع) وصحبه الابرار على رمضاء كربلاء واستمرت طول فترة السبي ومن ثم بعد العودة للمدينة المنورة ، تجسدت هذه المجالس في اتجاهين :

١ـ ندب الحسين (ع) لعظم الفاجعة .

٢ـ نشر القضية الحسينية وتعريف الناس بأهداف النهضة المباركة خلال رحلة السبي.

٣ـ اكمال العملية النهضوية التي بدأها الامام الحسين (ع) في مواجهة الظلمة وكشف زيف ال امية امام المسلمين من خلال الخطب في الكوفة والشام وغيرها .

ثانيا : دور روائي[٢٠]، وهو ان يقوم الخطيب بنقل الروايات والاشعار دون اي توضيح او تفسير للنص الا بمقدار ما يدفع الحاضرين الى التأثر عاطفيا على قضية الامام الحسين (ع) حيث يركز الخطيب على

١ـ اثارة العواطف الحزينة لعظم المصاب.

٢- تذكير الحاضرين بثواب حضور واستذكار مصائب الحسين (ع) .

الثالث: الدور التفسيري[٢١] ، وهنا يتحرر القارئ للعزاء الحسيني من القيود القديمة التي احاطت بالفترة الروائية فيعمد الى اخذ نص ديني معين ويعمد الى شرحه ويستخرج العظة منه وينصح ويوجه الجمهور ثم يربطها بواقعة كربلاء و يختم مجلسه برثاء.

ومع اختلاف الزاوية التي بحث بها كل كاتب من اطوار المنبر الحسيني الا انها اشتركت بـ:

١- ان التأسيس له كان على يد اهل البيت (ع)

٢- انه مر بمرحلة عاطفية متعددة الاساليب من شعر وقصص وروايات .

٣- بالاضافة الى الجانب العاطفي دخل في مرحلة انتعاش فكري واكب التطور الانساني ليكون مربيا ومرشدا ومدافعا عن الدين.

خامسا : ما هو الوضع للشعائر الحسينية عموما والمنبر الحسيني خصوصا بعد عام ٢٠٠٣:

لا يخفى عمن عاش في العراق – او اطلع على وضعه عن كثب – ابان النظام السابق ،مقدار التضييق والمحاربة للشعائر الحسينية ومنع الغالبية العظمى منها ولم يُبق الا على بعض اشكال طبخ الطعام في داخل المنازل وخارجها بقيود معينة ، والزيارة للمراقد الشريفة على مضض منه ، وكل ذلك بمراقبة صارمة ، اما المنبر الحسيني فكان لا يعقد لا بموافقة امنية بشروط معينة ومواضيعه لا تتعدى الجانب العاطفي .

ولما ولى النظام السابق غير مأسوف عليه ، عاش الشعب العراقي فسحة من الحرية الدينية عموما والحسينية على وجه الخصوص ، وايضا وجدت صداها – الحرية – في الدستور العراقي الجديد حيث جاء فيه ضمن المادة العاشرة من بنوده :

(العتبات المقدسة ، والمقامات الدينية في العراق ، كيانات دينية حضارية وتلتزم الدولة بتأكيد وصيانة حرمتها وضمان ممارسة الشعائر فيها)[٢٢]

وايضا في المادة (٤٣)[٢٣] ما نصه :

(اولا : اتباع كل دين او مذهب احرار في :

١- ممارسة الشعائر الدينية ، بما فيها الشعائر الحسينية .

٢- ادارة الاوقاف وشؤونها ومؤسساتها الدينية وينظم بقانون)

وفي المادة (٣٨) ما سمح بحرية التعبير والاعلام جاء فيها :

(تتكفل الدولة وبما لا يخل بالنظام العام والاداب :

اولا- حرية التعبير عن الرأي بكل الوسائل .

ثانيا- حرية الصحافة والطباعة والاعلان والنشر .

ثالثا – حرية الاجتماع والتظاهر السلمي وتنظم بقانون)[٢٤].

انعكست هذه القوانين على الواقع المعاش في الساحة العراقية وظهرت وتناغمت مع المجتمع والجمهور المسلم الشيعي ،على صور متنوعة ، منها :

١- تأسيس المواكب الحسينية من قبل الاهالي وبشكل نظامي في اغلب المحافظات العراقية ، لاقامة العزاء على مصيبة سيد الشهداء بكافة الوسائل وفي طليعتها المنبر الحسيني ، وقد اتخذت اغلب المواكب اماكن لها في موسم زيارة الاربعين التاريخي في الطرق المؤدية الى كربلاء لخدمة الزائرين ، اماكن بعضها بناء ثابت والاخر مؤقت ينصب اثناء فترة الزيارة ويرفع بعدها ، اضافة لمناسبات ولادة ووفيات المعصومين في مناطق تجمع المواكب وعند المراقد الشريفة .

٢- تأسيس القنوات الفضائية ،ويرجح الدليمي تعريفها بقوله :(عرفها عمر الخير بأنها :الفضائيات التي انشئت لتحقيق اهداف اسلامية وتنطلق من مرجعيات اسلامية

وان اختلفت تخصصاتها)[٢٥] وكذلك القنوات المحلية والاذاعات بشكل كبير وملحوظ على الساحة العربية والاسلامية وجديد كليا في الساحة العراقية، بعد ان كانت في النظام تابعة للحكومة ومعبرة عن سياستها وتوجهاتها، اصبحت بفضل الحرية الاعلامية خارجة من تحكمها. تنفس الاعلام في العراق الصعداء وبرزت قنوات واذاعات تابعة في اغلبها :

١- لبعض المرجعيات الدينية او اسست على وفق اهدافها وتحت انظارها وارشادها وتوجيهها، مهمتها تثقيف وتوعية المجتمع دينيا ومحاربة الافكار التيارات المنحرفة وايضا استذكار المناسبات الدينية والتفاعل معها، من هذه القنوات على سبيل المثال، قناة المعارف الدينية وغيرها الكثير.

٢- لأحزاب دينية، الغرض منها سياسي مؤطر دينيا.

وفي كليهما للمنبر الحسيني الدور البارز والمميز الذي يرافق جميع المناسبات والاماكن الدينية وبعض المناسبات الاجتماعية فنلاحظ عند بعض المؤمنين اقامة مجالس حسينية عند الانتقال الى منزل جديد او في مناسبات الوفيات واستذكارها. حصل المنبر نتيجة هذا الانفتاح والحرية على وسائل متعددة ليبلغ الى مرأى ومسمع مريديه والمنجذبين اليه، وايضا يمكن ان نستقرئ الخطباء الذين يرتقونه فنقسمهم على اساس الانتماء الفكري الى :

١- مرتبط بالمرجعية فيكون من الكادر الوسيط وقائد رأي من المرتبطين بها بشكل مباشر بمعنى من طلبة الحوزة الشريفة ويستمد كل مبانيه فيما يطرح من قضايا من مراجع التقليد وينقل فتاواهم وتوجيهاتهم للمجتمع.

٢- ان يكون الشخص تابعا لجهة سياسية دينية و نحو ذلك فيكون قائد رأي للجهة السياسية وليس للمرجعية.

٣- ان يكون بشكل شخصيا ، استثمارا للحرية الفكرية ويرتقي المنبر لأغراض عقائدية او مادية او معنوية او مجتمعية[٢٦] .

وهذه الامور قد تتقاطع في الغالب لاختلاف قراءة الواقع وتشخيص المصالح واختلاف الاغراض والاهداف ، مما يؤثر سلبا على الرسالة الحسينية ذات الاهداف العميقة والشاملة ويضر برمزية الوسيلة المستخدمة – المنبر الحسيني-ويولد فراغا وصراعا فكريا يستغله المتصيدون ليؤثروا على المتلقي باختلاف طبقاته ومستوياته وفئاته وسنقف عند ذلك فيما يأتي من البحث ان شاء الله .

ونود الاشارة في ختام هذا المطلب ان الاثر للانفتاح الاعلامي في العراق القى بظلاله على دول مختلفة نتيجة التلاقح الثقافي الذي يحصل عند زيارة المعصومين من قبل رعايا تلك الدول ، وبطبيعة كل اتصال بشري ان يؤثر ويتأثر في العملية التفاعلية الاتصالية، بغض النظر عن مقدار التأثر او نوعه سلبيا كان او ايجابيا ، وهذه سنة كونية فالتأثر يحصل لا محالة .

سادسا: هل استطاع المنبر الحسيني –بوصفه بوابة اعلامية – مواكبة الثورة الاعلامية المعاصرة وتكوين صورة واقعية للتفاعل بين عناصر التواصل الديني؟

الثورة الاعلامية في كل بقاع العالم لم يكن العراق عنها ببعيد بعد عام ٢٠٠٣ ،ومر علينا تكفل الدستور العراقي للحريات ومنها الاعلامية ، وللجانب الديني مكانة في هذه الثورة ، عبر قنواته الإعلامية الجماهيرية . في سابق العهد كان الخطيب لا يتخطى صوته حضار مجلسه واليوم غدا يتكلم فيراه ويسمعه المخالف والموالف في بقاع المعمورة وينظرون الى نتاجه الفكري والمعرفي بعقول شتى وادراكات مختلفة ومتباينة .

فجاء السؤال ، هل استطاع المنبر الحسيني ان يتعاطى مع هذه المعطيات الجديدة ؟

عندما يعدد خبراء علم الاتصال مستويات الاتصال يقفون امام الاتصال المواجهي (الشخصي) والاتصال الجماهيري ، يبدأون بالتفاضل بينهما وعرض مزايا كل منهما على حساب الاخر. والمنبر الحسيني له مزية من وجهة نظري اختزلت الاثنين فيه معا وذلك من خلال :

١- انه اتصال مواجهي(شخصي) مع عدد قليل من الافراد من خلال مجال العزاء التي تقام في البيوت والحسينيات والجوامع والساحات العامة كحد اعلى للجمهور المتلقي والجمهور غالبا فيها متنوع وغير متجانس فيكون خطابا عاما ، وفي احيان قليلة يكون متجانسا فكريا بمستوى نسبي فيكون خطابا خاصا .

٢- انه اتصال جماهيري عندما تنقل هذه المجالس عبر وسائل الاتصال الجماهيرية – وهو ما يحصل غالبا نتيجة لكثرة القنوات الدينية التي تهتم بذلك لاغراض مختلفة –وينقل بشكل مباشر وغير مباشر في احيان اخرى .

فمع مراعاة هذه الاهمية للمنبر يكون الجواب على السؤال السابق من خلال شقين هما :

الاول : في حال كون المنبر مؤسسا تأسيسا شخصيا ، خاضعا لفكر الافراد ممن يملكون القدرة والجرأة على مواجهة الجمهور وعل كل المستويات ، يبقى هذا الامر جهدا فرديا يصفه الشيخ الوائلي :

اذا كان هذا الغرض الاول وهو التطوير عن طريق شخصي عملا لا يؤدي الغرض المطلوب وعليه جملة من المؤاخذات منها ما ذكرنا ومنها ما لم نذكر)[٢٧]

وكذلك نرى نفس الجواب اذا كان مؤسسا على اساس انتماء سياسي معين .

الثاني : في حال كونه مؤسسا بإشراف المرجعية ويكون خاضعا لها ، ففي هذه الحالة يكون المنبر- عبر خطيبه – يعيش المشاكل المعاصرة بعيدا عن المصلحة

الشخصية ويقف عند الشبهات ويقوم المجتمع بمسمع ومرأى من علماء الدين الذين هم قادة الفكر والعقيدة ، ويراعي الثوابت الدينية والاجتماعية والوطنية ، مثل هذا المنبر هو من يحقق الهدف المنشود.

وعليه الجواب النهائي وفقا لما طرحناه ، ان الامر نسبي جدا ، ولا يمكن الجزم الا من خلال دراسة تفصيلية لمدى تأثير المنبر في الواقع المعاش من خلال ما يطرحه من قضايا ويعالج من مشاكل ويدافع ضد الشبهات والا نحرافات،والتهديدات ، كل ذلك يجب ان ينعكس على سلوكيات الذين يجلسون تحته وينهلون من عطائه على المستوى السياسي والاجتماعي والاخلاقي والاقتصادي، في الحياة المعاشة للفرد الشيعي بشكل عام سواء كانت مع ابناء عقيدته او مع ابناء دينه او مع اخيه الانسان بشكل عام .

سابعا : كيف يمكن القفز بالمنبر الحسيني وجعله فاعلا في معالجة المشاكل المعاصرة ؟ لكونه اداة للتربية والتوعية :

باختلاف النظرة التي ننظر بها الى المنبر تختلف طريقة تعاملنا معه في محاولة القفز به وجعله فاعلا في الحياة المعاشة ومؤثرا فيها . فمع كونه وسيلة اعلامية من الطراز الاول فهو اداة للتربية والتوعية وليس مجرد اعلام غير هادف ، المنبر الحسيني وسيلة ارشاد نفسي بجدارة ويحمل هدفها الذي يقول عنه الخطيب :

(ان الهدف العام لعملية الارشاد النفسي هو تحقيق اقصى درجات توافق الفرد وتكيفه سواء مع نفسه او مع بيئته ، و بمعنى آخر تحقيق الصحة النفسية)[٢٨]

وطبعا يظهر من جوابنا السابق حول مواكبة المنبر للثورة الاعلامية ، انه لا يمكن ان يحقق المنبر الحسيني ذلك الا من خلال ارتباطه بالمرجعية قلبا وقالبا .

ولهذا عندما ندرس آلية العمل على تطويره يجب ان نقف على اهم عناصر المنبر من جهة المؤثر والمؤثر به وهي :

١- المرجعية الدينية في العصر الحاضر.

٢- الخطيب الحسيني.

٣- الجمهور المتلقي .

لكل واحد من هؤلاء دوره في عملية التطوير ، فإذا تكاملت العلاقة بين مثلث المرجعية والخطيب والجمهور على ان تكون القاعدة التي يرتكز عليها الجميع هي المرجعية كحجر اساس للنهوض .

يتطلب هذا من الجميع ان يتم التخطيط بشكل علمي وتربوي بحسب ما يطرحه صبري والاسدي بكتابهما :

(اذا كان مفهوم الجودة في التعليم ليس من السهل تحديدها الا انها تتميز بثلاث مسارات متشابكة ومترابطة هي :

١- الكفاءة والاتقان في تحديد اهدافه .

٢- الاهتمام بحاجات الانسان والظروف البيئية المحيطة به .

٣- استكشاف افكار جديدة والسعي الى التفوق وتشجيع الابداع .)[٢٩]

ويعد تحديد الاهداف لكل عمل هو النقطة الابرز والاهم فيه ، وطبعا ليس هناك اهداف موحدة ، فهي محل خلاف باختلاف القائم بالاتصال وميوله الفكرية والعقدية والاقتصادية ونحو لك ، يقول الموسوي عن الاهداف :

(يمكن حصرها بما يلي وهي اهمها :

١- الاهداف الروحية والاخلاقية .

٢- الاهداف المادية .

٣- الاهداف الاجتماعية .

٤- النمو الفردي)[٣٠]

واذا تأملنا بدقيق النظر نجد ان اغلب الاهداف ان لم نقل كلها متوافرة في المنبر الحسيني ، قد تجتمع في خطيب ، وقد تتفرق ، لكنها موجودة بتفاوت وتلاحظ من خلال:

١ـ اهداف روحية واخلاقية من خلال ربط الامة بالامام الحسين عن طريق العاطفة والتحلي باخلاقه وصفاته بوصفه قدوة معصوما.

٢ـ يعود في غلب الاحيان بمردود مادي لاغلب الخطباء .

٣ـ الاهداف الاجتماعية ، فما وجدت كربلاء الا لبناء الانسان والمجتمع وخلق نخبة مجتمعية تتحلى وتتخلق بأخلاق اهل البيت (ع).

٤ـ النمو الفردي ، يظهر هذا الفرد في الخطيب وتطوير نفسه وامكانياته وكذلك على مستوى الافراد في الجانب المتلقي بنسب متفاوتة كل بحسبه .

الجانب الثاني من التخطيط العلمي هو تحديد حاجات الجمهور والبيئة المحيطة به ، لان الانسان يسعى لاشباع حاجاته بمختلف الطرق وفق الثقافة المعرفية التي يمتلكها ،فنحتاج ان ننظم هذه الحاجات ونوجهها توجيها صحيحا من خلال نوع المعرفة الي نزرعها فيه فتولد سلوكا يتوافق معها علميا وعمليا . تقول جيهان رشتي عن اشباع الحاجات :

(ويعمل اولئك الافراد على اشباع احتياجاتهم الخاصة كأفراد ، واذا حدث تنظيم السلوك الفردي في شكل حركة اجتماعية او سياسية فإن هذا السلوك لا يصبح جماهيريا ، ولكن يصبح ذا طبيعةاجتماعية ، اي ان طبيعة ذلك السلوك تتغير تماما حينما يصبح له كيان وبرنامج ، وثقافة محددة وتقاليد وقواعد موضوعة ، واحساس بالتضامن بين افراد الجماعة ، اي الشعور بال(نحن))[٣١]

وخير شاهد على كلام رشتي هو زيارة الاربعين وما يحصل فيها من معاجز مجتمعية تذهل العقول في انسانيتها وتضامنها وايثارها وعطائها وتعاطفها . فلو اتبعنا تخطيطا ناجحا لأصبح بالامكان جعل التضامن والشعور بال (نحن) يمتد على طول السنة ببركة الحسين (ع) ولا يبقى حبيس أيام معدودات .

ان اول السلبيات التي تعيق تحقيق الهدف المنشود من المنبر الحسيني هو الاتصال لمجرد الاتصال بغض النظر عن الهدف السامي الموجود فيه ، نتصل فقط انسياقا للاعراف التقليدية بشعور بارد ، بل يجب ان نتصل كما يقول البدوي :

(فالاتصال بهذا المعنى هو خلق جو من الاتفاق بين الافراد والجماعات بهدف تبادل المعلومات والافكار والاتجاهات والحياة ككل)[٣٢]

وعلى القائم بالاتصال ان يكون حذرا ، ويضع في حساباته مسألة التطابق والتنافر المعرفي للمجتمع لانه كما يقول نصر : (تؤكد نظرية التنافر بأن الناس يتجنبون المعلومات التي تجلب التنافر لهم)[٣٣].

ما يميز المنبر الحسيني ان لديه قضية يتكئ عليها متكاملة الجوانب في مادتها الرسالية التي تقدم من خلاله للجمهور ، وهي في اصل القضية محل وفاق للجميع ممن يؤمنون بها ،فهي محل تطابق فكري من حيث المبدأ. في القضية الحسينية ركنان اساسيان هما العاطفة والعقل واهمال اي منهما لا يأتي بثماره المرجوة ، والذي يحاول الفصل بينهما واهم ويضر بالقضية الحسينية ودورها المنشود في اصلاح المجتمع اكثر مما ينفعها ، لان هذا الرأي يصفه الدر:

(من الاراء السائدة ظن الانسان بأن كل انماط التصرف المفيدة للمجتمع تأتي من الفكر المنطقي البشري . ليس هذا رايا خاطئا فحسب بل ما ضده هو الصحيح . فلولا العواطف التي سبقت الفكر المنطقي واللغة لما نشأ مجتمع ولما بقي انسان)[٣٤]

اذا ما الذي نحتاجه ؟

ما نحتاجه هو كيف نوظف العاطفة والعقل معا لخلق قوة دافعة ومحركة للمجتمع نحو سَنة حسينية وليس اياما معدودات في الاربعينية .القوة الدافعة بحسب تعريف شرف بانها :(عملية تدعيم السلوك الانساني وتوجيهه)[٣٥].

ويضيف شرف : (تأسيسا على هذا الفهم يتضح لنا ان حياتنا سلسلة من الاستجابات لألوان من الدوافع ،وهنا يصبح النشاط الإتصالي للانسان على درجة من الاهمية في التعبير عن القوة الدافعة التي تؤثر فيه)[٣٦]

وبناء على كل ما تقدم نوضح الطريقة لتعزيز المنبر الحسيني وفق عناصر المنبر الثلاثة سالفة الذكر (المرجعية ،الخطيب الحسيني ، والجمهور المتلقي) من خلال بيان دور كل منها فنقول:

(١) المرجعية :

تعتبر المرجعية كما ذكرنا سابقا الاساس لكل مثلث عناصر المنبر، اذا اريد له النجاح وحصد ثماره ، وهي المرشد الناصح المترفع عن المنافع الشخصية ، وهي بما هي كيان متخصص بكل ما ينفع الشريعة والمتشرعة بحسب الفرض لمقامها السامي - مع ملاحظة عدم عصمتها – وعليه يجب ان تبقى دائما على رأس هرم التوجيه الاجتماعي ، وذلك لارتباط التوجيه والارشاد ببعضهما كما يقول الخطيب ، وايضا هو يعرف الارشاد الجماعي بقوله :(بانه علاقة شخصية مهنية يقودها مرشد متخصص وتقوم على عملية ديناميكية ، تهدف الى تحقيق اهداف ارشادية محددة من خلال التفاعل بين اعضاء جماعة يواجهون صعوبات ومشكلات متشابهة)[٣٧] .

ونلاحظ اهمية ما ذكره الخطيب ونسقطه على علاقة المرجعية بالخطباء الحسينيين ، واردد هنا ما قاله الوائلي:

(انطلاقا من ذلك كله ارفع صوتي الى ائمتنا وقادة فكرنا الدينيين ان لا يبقوا الخطباء بعيدا عن حضيرة الحوزة فإنهم يشعرون باليتم اذا لم يظلهم جناح ابائهم الروحيين وقبل ذلك هم تحت كنف الحسين عليه السلام ابي الشهداء)[٣٨]

الدور التي تلعبه المرجعية في توجيه الخطباء هو استثمار اي مناسبة لتوجيههم من خلال وضع خارطة طريق لهم في مواسم العزاء في شهري محرم وصفر ، اضافة لفسح المجال لطلبة الحوزة لاغراض التبليغ فيهما من خلال تعطيل الدرس الحوزي في هذين الشهرين تقريبا للتفرغ للتبليغ والتوجيه .

كما تقوم مكاتب المرجعية بفتح دورات بين الحين والاخر للخطابة في معهد الخطابة بحسب ما ابلغني به مسؤول مكتب التبليغ في مكتب السيد محمد سعيد الحكيم وهناك ايضا معهد الامام الحسين عليه السلام للخطابة النسوية التي ترعاه المرجعية من خلال العتبة العباسية المطهرة والنماذج والشواهد كثيرة على ذلك ، نذكر هنا على سبيل الشاهد توجهيات المرجع الاعلى السيد علي الحسيني السيستاني لخطباء المنبر الحسيني والتي نقلها السيد منير الخباز نقتبس منها مقطعًا ، نصه :

(النقطة الاولى : في بيان دور المنبر الحسيني وخصوصا في أيام موسم محرم الحرام، وافاد ان رسالة المنبر تتلخص ـ بالإضافة الى ذكر ما جرى على أهل البيت (عليهم السلام) في نشر الدين وترسيخه في عقول المسلمين وقلوبهم من خلال بيان المعارف القرآنية ودفع الشبهات بالأدلة الوافية المقنعة وتربية نفوس المؤمنين على الورع والفضيلة والقيم المثلى.

وهذا بعينه هو الدور الذي أناطه اللّه (عزّ وجل) برسوله (صلى اللّه عليه وآله) الذي هو أول من ارتقى المنبر في الاسلام، وقد شرح القرآن لنا دوره في قوله (عزّ وجل):﴿هُوَ الذِي

بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ حيث اشارت الآية الكريمة الى ان الرسالة النبوية ـ التي كان المنبر اداة فاعلة لتبليغها ـ ترتكز على ترسيخ الدين بتزكية النفوس وتنقيتها من أدران الظلمات والامراض الروحية والاخلاقية وعرض معارفه القرآنية وغرس الحكمة في القلوب بمصاديقها المتنوعة علما وعملا...)[٣٩]

وقبل ان اختم مطلبي هذا اذكر امرا بصيغة التذكير والالتماس لابائي الروحيين ان الوضع المرحلي والثورة الاعلامية تتطلب من طالب الحوزة ان يكون ملما بالدراسات الاعلامية على نحو الالزام وليس بمجهود فردي من طرفه على نحو الثقافة العامة ليكون كل طالب حوزة مشروعا تبليغيا متكاملا تحت انظار المرجعية اقول كلامي هذا من تجربة عملية من خلال دراستي في الحوزة الشريفة وايضا ودراستي الاكاديمية في قسم الاعلام لا من باب تعليم المراجع تكليفهم ، حاشا للّه ولكن اقول ما قاله الوائلي مع فارق ان تجربتي ليست بالطويلة :

(ولست هنا اعلم او احدد للمراجع تكليفهم فهم قادتناولكني صوت من الساحة يشعر بثغراتها ويتحسس حاجاتها وتخوله تجربته الطويلة ان يطرح مطالبه ويطلب من جهة لا يجد ذلا في الطلب منها)[٤٠]

(٢) الخطباء الحسينيون

يجب ان يدرك الخطيب ان الجمهور المتلقي قادم برغبة طوعية ليرتبط عاطفيا مع الحسين (ع) عن طريق المنبر واختاره دون غيره من الوسائل ليمنحه وقته وانتباهه ، هذه الرغبة بالاستقبال التي يصفها الاسدي وصبري :

(الرغبة في الاستقبال : وتعني التمييز بين المثير وغيره من المثيرات مع وجود الرغبة في الانتباه اليه)[٤١]

نحن ندرك ان الغالبية تقودهم العاطفة نحو القضية الحسينية و نحتاج الى استثمار هذه العاطفة التي خلقت لنا انسانا مثاليا بمعنى الكلمة في ايام عاشوراء والاربعينية ، ان نجعل منها وقودا يحركه في كامل سنته دون ان يتحدد بموسم معين ، فهذا الانسان الذي يصفه شرف :

(وفي هذا الكيان المكون من الطين والروح .. لابد من وقود مشتعل ليتحرك ويبدع ونشيء ، ويشغل الطاقات التي اودعتها النفحة العلوية في كيانه ، للقيام بدور الخلافة عن اللّه)[٤٢].

ولتحقيق هذا التفاعل على الخطيب الحسيني امور منها :

١ـ الالتزام التام والكامل بالمرجعية الدينية التي هي صمام الامان . فيكون معبرا عن توجهاتها وافكارها المستوحاة من الكتاب والسنة وفق رؤية علمية اجتهادية موثوقة للوقوف على متطلبات الظرف الراهن

٢ـ ان يعمل على تثقيف نفسه عبر الدراسات الحوزوية وعلم النفس وباقي العلوم ذات الصلة بالتعامل مع المجتمع .

٣ـ دراسة علم الاتصال بصورة مكثفة ودقيقة والافضل ان يدخل الخطيب دورات مكثفة ان لم يمكنه الالتحاق بكليات الاعلام قسم الاذاعة والتلفزيون تحديدا لارتباطه بالتعامل مع الجمهورعبر وسائل الاتصال الجماهيرية وغيرها .

٤ـ استثمار العاطفة والانطلاق منها لتثبيت معتقدات اجتماعية وتشذيب اخرى كل ذلك وفق ثوابت الاسلام وخطى الامام الحسين والابتعاد عن تخدير المجتمع وبث روح التكاسل والسلبية من خلال اشغاله بأمور ثانوية غير مدروسة

(٣) الجمهور المتلقي

الجمهور يمثل فئة متنوعة من مجتمعات مختلفة ،والمجتمع بحسب تعبير أبي الحمام:

(مجموعة من الافراد تعيش في موقع معين ترتبط فيما بينها بعلاقات ثقافية واجتماعية ، يسعى كل واحد منهم لتحقيق المصالح والاحتياجات)[٤٣]

وطبعا هذه المصالح تختلف من شخص لاخر ، وحتى الدينية منها وكل بحسبه، وخطابنا موجه الى الطبقة الواعية من الجمهور ان يمثلوا قادة رأي في مجتمعاتهم وتوجيههم لحسن اختيار الخطيب بعيدا عن اهل الخرافة والمنامات واهل المنافع الضيقة من طفيليي المنبر وهو منهم براء.

يجب ان يختاروا من يرتقي المنبر لمناسباتهم المتعددة والمختلفة ،من كان مرتبطا بالحوزة ويمتلك حسن بيان وحجة وافية وسلسة في منطقه واسلوب خطابي يشد المتلقي بعيدا عن كل ما يمس بمقام المنبر الحسيني ويستهين بالعقول ، يجب ان لا يكون جمهورا سلبيا يقبل كل ما يطرح عليه دون اعتراض لاعتبارات واهيه .

واجب الجمهور ان يكون سندا للمرجعية كما هو دائما ، وعليه اقصاء كل من لا يستمد علومه ومنهجه من خطاها .

ثامنا: توصيات الباحث:

ان ما يوصي به الباحث بعد هذه الدراسة المقتضبة ،بحسب ما تسمح به محاور المؤتمر الموقر هو :

١ـ ان المرجعية بوصفها كيانا دينيا ، صمام امان للدين ، وهي درع امين في وجه كل الاحداث والافكار المنحرفة التي تعصف بالمجتمع بين الحين والاخر – وما داعش عنا ببعيد- لذا صار لزاما على الجميع وطاعة لساداتنا اهل البيت (ع) من ضرورة

التمسك بالعلماء ان نتمسك بهم في كل شاردة وواردة من امر الدين ومن ضمنها الشعائر الحسينية وخصوصا المنبر الحسيني.

٢- يجب ان يكون الخطيب الحسيني على قدر عال من المسؤولية ويمثل وكيلا جوالا للمرجعية يبني مواضيعه وافكاره وفق مبانيها العلمية موثوقة الصدور والتي تصب في خدمة المجتمع ككل بمختلف دياناته وقومياته واعراقه فضلا عن ابناء العقيدة الواحدة لملمة شملهم قدر المستطاع بكل السبل الشرعية المتاحة.

٣- تأسيسا على ما تقدم يجب ان يكون الخطيب الحسيني من طلاب الحوزة العلمية المخول بطرح الافكار وفق الحجج العلمية الرصينة ولا يسمح للمتدني علميا ارتقاء المنبر للحد من الطفيليين الذين يتحينون الفرص لمكاسب مادية او معنوية شخصية ولا تعود الا بالضرر على المجتمع.

٤- ادخال مناهج علم الاتصال والاعلام في دراسة الطالب الحوزي ليكون كل طالب بمثابة مشروع مبلغ مبني بناء علميا ومعد اعداد صحيحا لتحمل هذه المسؤولية التي تعد - الخطابة- من اهم ادوار الانبياء والاولياء في عصورهم لتوجيه الناس الى طريق الحق سبحانه .فليس دراسة المقامات لمن اراد اتقان وجمال التجويد باولى من دراسة علوم الاتصال والاعلام لمن اراد التبليغ وكلاهما نافع ومفيد.

٥- يا حبذا تشكيل نقابات للخطباء ترتبط بالمرجعية ويلقى اعضاؤها الخطب مجانا دون مقابل مركزين على الهدف الاسمى للنهضة الحسينية ويندمجون مع الجمهور المتلقي بروح الحريص غير المنتفع.

٦- على الجمهور المتلقي اختيار الخطباء ضمن الفقرات والضوابط المشار اليها اعلاه فيخدم سيده الحسين وفق ما يريد الحسين (ع) وليس وفق ما يروق للخادم ، وايضا

عليه ان يسعى جاهدا لان يكون حسينيا في كل شيء طوال السنة فيفوز بسعادة الدارين وهو اهل لذلك ان شاء اللّه

الهوامش:

(١)ينظر: بن زكريا. ابي الحسين احمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة ،تحقيق عبد السلام محمد هارون، طبعة الدار الاسلامية ١٤١٠هـ ١٩٩٠م ، ج٥ ص ٣٨٠/ كذلك/ الحنفي . محب الدين ابي فيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ، دراسة وتحقيق علي شبري، دار الفكر ، ط١ ١٩٩٤م-١٤١٤هـ/ كذلك/ المنجد في اللغة ،دار المشرق بيروت /ط٢١ ص ٧٨٥/ كذلك/ المعجم الوسيط المدرسي ص ١٦٠٩.

(٢)ينظر: مصدر سابق، بن زكريا ،ج٣ ص ١٩٤ /كذلك/ المعجم الوسيط ص٨٩٠.

(٣)السند. محمد، الشعائر الحسينية بين الاصالة والتجديد، دار زن العابدين ،قم، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، ج١ ص٣٣

(٤)المصدر السابق نفسه.

(٥)مصدر سابق. السند، ص ٣٥

(٦)الموسوي . محمد جاسم فلحي ، نظريات الاتصال والاعلام ، مقرر الفصل الثاني – مرحلة الماجستير –قسم الاعلام – الاكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك- كلية الاداب والتربية –قسم الاعلام والاتصال ، نسخة الكترونية.

(٧)ابن هشام، السيرة النبوية ، علق عليها وخرج احاديثها وصنع فهارسها عمر عبد السلام تدمري،دار الكتاب الجامعي ، بيروت لبنان ،ط٣ ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، ج٢ ص ٨٢

(٨)البشر. محمد بن سعود ،مقدمة في الاتصال السياسي ، مكتبة العبيكان ،١٤١٨،النسخة الالكترونية الثانية ،ص٥١.

(٩)مصدر سابق، البشر ،ص ٥٢-٥٣.

(١٠)ثابت .طارق، قادة الرأي والفكر ودورهم في التأثير والتغييربقيم الرسالة المحمدية من خلال وسائل الاعلام (شبكة الانترنت انموذجا)، جامعة ام البواقي –الجزائر، العميد مجلة فصلية محكمة العدد الخاص(٢) السنة الثانية ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م،ص٢١١.

(١١)قراءتي . محسن، الارشاد والتبليغ الديني ،تعريب السيد علي احمد السيد العاملي،دار الولاء ،لبنان بيروت ،١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م،ص١٣

(١٢)منقول بتصرف من /حجاب. محمد منير، المعجم الاعلامي ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ،ط١ ٢٠٠٤،ص ٦١١-٦١٢.

(١٣)الاسدي .سعيد جاسم، صبري. داود عبد السلام، فلسفة التقويم التربوية والنفسية ،دار صفاء للنشر والتوزيع ،عمان ،ط١ ٢٠١٥م ١٤٣٦هـ،ص ٢١٩

(١٤)ينظر/الكاظمي .فيصل الخالدي ، المنبر الحسيني نشوؤه وحاضره وافاق المستقبل، دار الهلال ،ط١ ٢٠٠٤ ،ص ٢٠ـ٢٥.

(١٥)ينظر/شمس الدين .محمد مهدي، واقعة كربلاء في الوجدان الشيعي ، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، بيروت ـ لبنان، ط٢ ١٤١٧هـ ١٩٩٦م ، ص ٢٤٩ ـ ٣٠١

(١٦)ينظر / المقدسي. محمد باقر ،دور المنبر الحسيني في التوعية الاسلامية ،دار الفقه للطباعة – ايران ـ سليمان زاده،ط١ ـ١٤٢٤هـ،ص٢٤

(١٧) المصدر السابق ص ص٢٤ – ٤٠

(١٨)ينظر/ مصدر سابق / الكاظمي ، ص ١٦٣ ـ١٨١

(١٩)ينظر/ ابو علي .محمد،تاريخ تطور الاغراض الخطابية في المنبر الحسيني عبر ادواره الثلاثة حاضرة الاحساء في المملكة العربية السعودية حالة دراسية (منذ واقعة الطف وحتى تاريخ ١٤١٣هـ)،مؤسسة الاسفار للنشر والتوزيع –لنان بيروت ، ط١ ١٤٣٠هـ ، ص ١٦– ١٧

(٢٠)ينظر / مصدر سابق/ ابو علي ، ص٧١ ـ٧٥

(٢١)ينظر / مصدر سابق/ ابو علي، ص ١٠٧ ـ ١٠٩

(٢٢) الدستور العراقي ٢٠٠٥

(٢٣) المصدر السابق

(٢٤) الدستور العراقي ٢٠٠٥

(٢٥)الدليمي. عبد الرزاق محمد، الاعلام الاسلامي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان ،ط١ـ ٢٠١٣م – ١٤٣٤هـ

(٢٦)ينظر / الوائلي. احمد ،تجاربي مع المنبر ،دار الزهراء للطباعة والنشر ، بيروت ،١٩٩٨م – ١٤١٩هـ ،ص ١٧٧ وما بعدها

(٢٧)مصدر سابق. الوائلي ، ص ٧٨ – ٧٩

(٢٨)الخطيب. صالح احمد، الارشاد النفسي في المدرسة اسسه ونظرياته وتطبيقاته ، دار الكتاب الجامعي ، دولة الامارات – العين ، ط١ ـ١٤٣٥هـ ـ٢٠١٤م ، ص٣٨

(٢٩)مصدر سابق. الاسدي. صبري ، ص ١٤٨

(٣٠)الموسوي. ابو هشام عبد الملك ،الاساليب التربوية عند اهل البيت ، دار الزهراء للطباعة والنشر ، ايران – قم ، ط١ – ١٤٣٧هـ ق، ص ٢٣٣

(٣١)رشتي. جيهان احمد علي ، الاسس العلمية لنظرية الاتصال ، دار الفكر العربي ، ص ٥٧

(٣٢)البدوي. محمد علي ، دراسات سوسيو – اعلامية ، دار النهضة –بيروت –لبنان،ط١ ١٤٣٧-٢٠٠٦م ،ص ١٤

(٣٣)نصر- حسني محمد، نظريات الاعلام ، دار الكتاب الجامعي ،لبنان+الامارات، ط١ ١٤٣٦هـ ٢٠١٥، ص ١٠٢

(٣٤)الدر . ابراهيم فريد ، الاسس البيولوجية لسلوك الانسان ، منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت – لبنان ، ط١٤٠٣ ١١هـ ١٩٨٣م ،ص ٣٣٤

(٣٥)شرف . عبد الغزيز، المدخل الى وسائل الاعلام ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، ط٢ ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م ، ص ٧٢

(٣٦) المصدر السابق ص ٧٣

(٣٧)مصدر سابق . الخطيب ، ص ١٦٠

(٣٨) مصدر سابق، الوائلي ٨٢

(٣٩)الموقع الرسمي على الانترنت لسماحة السيد علي الحسيني السيستاني ، وصايا للخطباء لمحرم عام ١٤٤٠ ، بقلم السيد منير الخباز

(٤٠) مصدر سابق ، الوائلي ص٨٢

(٤١) مصدر سابق . الاسدي. صبري، ص ٢٣٠

(٤٢) مصدر سابق. شرف ، ص ٨٦

(٤٣) ابو الحمام.عزام ، الاعلام والمجتمع، نبلاء ناشرون ، عمان الاردن ، العبدلي ، ٢٠١٥، طبعة مزيدة ومنقحة ، ص ٦٥

مصادر البحث

١- بن زكريا. ابي الحسين احمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة ،تحقيق عبد السلام محمد هارون، طبعة الدار الاسلامية ١٤١٠هـ ١٩٩٠م

٢- الحنفي . محب الدين ابي فيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ، دراسة وتحقيق علي شبري، دار الفكر ، ط١ ١٩٩٤م ١٤١٤هـ

٣- المنجد في اللغة ،دار المشرق بيروت /ط٢١ ص

٤- المعجم الوسيط المدرسي ص.

٥- السند. محمد، الشعائر الحسينية بين الاصالة والتجديد، دار زن العابدين ،قم، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م،

٦- الموسوي . محمد جاسم فلحي ، نظريات الاتصال والاعلام ، مقرر الفصل الثاني – مرحلة الماجستير –قسم الاعلام – الاكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك كلية الاداب والتربية –قسم الاعلام والاتصال ، نسخة الكترونية.

٧- ابن هشام، السيرة النبوية ، علق عليها وخرج احاديثها وصنع فهارسها عمر عبد السلام تدمري،دار الكتاب الجامعي ، بيروت لبنان ،ط٣ ١٤١٠هـ ١٩٩٠م

٨- البشر. محمد بن سعود ،مقدمة في الاتصال السياسي ، مكتبة العبيكان ،١٤١٨،النسخة الالكترونية الثانية ،ص٥١.

٩- ثابت .طارق، قادة الرأي والفكر ودورهم في التأثير والتغييربقيم الرسالة المحمدية من خلال وسائل الاعلام (شبكة الانترنت انموذجا)، جامعة ام البواقي –

الجزائر، العميد مجلة فصلية محكمة العدد الخاص(٢) السنة الثانية ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م

١٠-قراءتي . محسن، الارشاد والتبليغ الديني ،تعريب السيد علي احمد السيد العاملي،دار الولاء ،لبنان بيروت ،١٤٢٦هـ٢٠٠٥م.

١١- ،حجاب. محمد منير، المعجم الاعلامي ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ،ط١ ٢٠٠٤،ص ٦١١ـ٦١٢.

١٢-لاسدي .سعيد جاسم، صبري. داود عبد السلام، فلسفة التقويم التربوية والنفسية ،دار صفاء للنشر والتوزيع ،عمان ،ط١ ٢٠٥م ١٤٣٦هـ.

١٣-ينظر،الكاظمي .فيصل الخالدي ، المنبر الحسيني نشوؤه وحاضره وافاق المستقبل، دار الهلال ،ط١ ٢٠٠٤ ،ص ٢٠ـ٢٥.

١٤-شمس الدين .محمد مهدي، واقعة كربلاء في الوجدان الشيعي ، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، بيروت لبنان، ط٢ ١٤١٧هـ ١٩٩٦م

١٥-المقدسي. محمد باقر ،دور المنبر الحسيني في التوعية الاسلامية ،دار الفقه للطباعة – ايران سليمان زاده،ط١ ـ١٤٢٤هـ

١٦- ابو علي .محمد،تاريخ تطور الاغراض الخطابية في المنبر الحسيني عبر ادواره الثلاثة حاضرة الاحساء في المملكة العربية السعودية حالة دراسية (منذ واقعة الطف وحتى تاريخ ١٤١٣هـ)،مؤسسة الاسفار للنشر والتوزيع –لنان بيروت ، ط١ ١٤٣٠هـ

١٧-الدستور العراقي لعام ٢٠٠

١٨- الدليمي. عبد الرزاق، الاعلام الاسلامي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان ،ط١ـ ٢٠١٣م – ١٤٣٤هـ

١٩- الوائلي. احمد ،تجاربي مع المنبر ،دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت ،١٩٩٨م – ١٤١٩هـ ،ص ١٧٧ وما بعدها

٢٠- الخطيب. صالح احمد، الارشاد النفسي في المدرسة اسسه ونظرياته وتطبيقاته ، دار الكتاب الجامعي ، دولة الامارات – العين ، ط١ ـ١٤٣٥هـ ـ٢٠١٤م ،

٢١- الموسوي. ابو هشام عبد الملك ،الاساليب التربوية عند اهل البيت ، دار الزهراء للطباعة والنشر ، ايران – قم ، ط١ – ١٤٣٧هـ ق،

٢٢- رشتي. جيهان احمد علي ، الاسس العلمية لنظرية الاتصال ، دار الفكر العربي ، ص ٥٧

٢٣- البدوي. محمد علي ، دراسات سوسيو – اعلامية ، دار النهضة –بيروت – لبنان،ط١ ١٤٣٧ـ ٢٠٠٦م ،

٢٤- نصر حسني محمد، نظريات الاعلام ، دار الكتاب الجامعي ،لبنان+الامارات، ط١ ١٤٣٦هـ ٢٠١٥،

٢٥- الدر . ابراهيم فريد ، الاسس البيولوجية لسلوك الانسان ، منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت – لبنان ، ط١١٤٠٣هـ ١٩٨٣م

٢٦- شرف . عبد الغزيز، المدخل الى وسائل الاعلام ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، ط٢ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م ، ص ٧٢

٢٧- الموقع الرسمي على الانترنت لسماحة السيد علي الحسيني السيستاني ، وصايا للخطباء لمحرم عام ١٤٤٠ ، بقلم السيد منير الخباز

Research Summary

The problem of this study is the Hussiieni platform and religious rituals in Iraq after ٢٠٠٣ because this stage represented an obvious turning point in the Iraqi street, a change which hasn't shed its light on Iraq but on other countries and societies due to the cultural gatherings resulting from visiting holy shrines and contributing in the rituals set in the Iraqi constitution; and the Husseini platform is one of its pillars and that made religious openness.

This study aims at estimating the staging mode of Iraq according to this change resulting from openness in the field of expression and the ideal freedoms, that requires investigating the problems and solutions that face the subject underway and the role of religious institution in dealing with them.

l, for representing a main pillar in nourishing and refining the religious rituals especially Husseini rituals.

This study also aims at neutralizing between what received people need and they desire and that requires adjusting the relationship between the passion which is considereda a motivation toward the work and between the mind that arranges the priorities and results by directing the behavior